

# الصفدي

وشرحهُ على لامية العجم  
دراسة تحليلية



الدكتور / نبيل محمد رشاد  
كلية التربية - جامعة عين شمس

Editions  
Al-Adab  
1923

مكتبة الآداب

# الْصَّفْدِيُّ

وَشَرْحُهُ عَلَى لَامِيَةِ الْعَجَمِ  
دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

تأليف  
الدكتور / نبيل محمد رشاد  
كلية التربية - جامعة عين شمس

مَكْتَبَةُ الْأَدَابِ

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ٠ ت : ٣٩٠٠٨٦٨





الناشر

مكتبة الآداب

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة

الطبعة الأولى : ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة  
لدار الكتب والوثائق القومية إدارة الشئون الفنيةالصفدي وشرحه علي لامية العجم - دراسة تحليلية  
تأليف : د. نبيل محمد رشاد - القاهرة - مكتبة الآداب ٢٠٠٧  
٤٢٤ ص - ٢٤ سم

تدمك : ٨ ٨٨٧ ٢٤١ ٩٧٧

١- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أبيك ، ١٢٩٦ - ٩٦٣

٢- اللغة العربية - نحو

١- العنوان

٤١٥،١

الناشر

مكتبة الآداب

١٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

هاتف ٣٩٠٠٨٦٨ (٢-١٢٠٢)

e-mail: adabook@hotmail.com

عنوان الكتاب : الصفدي وشرحه علي لافتة العجم / دراسة تحليلية

اسم المؤلف : د. نبيل محمد رشاد

اسم الناشر : مكتبة الآداب

رقم الإيداع : ٢٠٠٧ / ٢١٩٦٤

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977 - 241 - 887 -8



إهداء

إلى والدي:

فضيلة الأستاذ الشيخ

محمد رشاد مصطفى

مع دعائي له بالصحة وطول العمر





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.. وبعد..

فلا يزال البحث العلمي في ميدان الأدب المملوكي مغرياً وممتعاً، وأكثر رحابة، وأجدي ثمرة، على الرغم من أن الكثرة الكاثرة من دارسينا ولت وجهها شطره هذه الأيام، وتضافرت جهودها على بحثه ودرسه، وأخذت تنقب عن آثار أدبائه وعلمائه لتخرجها إلى النور، محققة تحقيقاً يسر سبل الانتفاع بها، بعد أن طالت رقدتها في خزائن المكتبات الكبرى مخطوطة، لا يتفع بها، ولا يُستهدى بما تضم من روائع وذخائر..

ودارسُ الأدب المملوكي يدخل هذا الميدان من أكثر من باب، وبأكثر من غاية ووجهة؛ وذلك نظراً لطبيعة هذا العصر الخاصة، ولطبيعة هذا الأدب الخاصة أيضاً.

فالعصر كان عصر الموسوعات، وحركة احتضان التراث العربي والإسلامي خوفاً من ضياعه، وانطماس الهوية بعده إثر سقوط بغداد على أيدي التار، وضياع الأندلس وانحيار دولة الإسلام بها.. فلقد خاض المجتمع الإسلامي - وقتئذ - حروباً مصيرية فاصلة حقق بها النصر على أعدائه من الصليبيين والترين، إلا أنه خسر فيها كثيراً من مقومات حضارته؛ خسر كتباً نفيسة كانت تكتظ بها مكبات بغداد عامة وخاصة، وخسر علماء أجلاء، ومفكرين أصلاء كانت الأمة مشغولة عنهم بما هي فيه من معارك - فُرِضت عليها فرضاً - تنود بها عن بيضة الإسلام. ومن هنا أخذ المجتمع - في إثر تنفُّه الصعداء من غبار هذه المعارك - يعمل على تعويض ما فقد باحتضان ما تبقى بكل ما في مكنته من قوة وعزم.

والأدبُ كان ذا طبيعة خاصة - أيضاً - إذ واكب بعضه العصر، وتفاعل مع أحداثه الجسام معبراً عن الانتصارات الكبرى التي حققها الظاهر بيبرس، والسلطان قلاوون، وابنه الأشرف خليل على قلوب الصليبيين والتتار.

تجد هذا التعبير عن هذه الأحداث في شعر شعراء العصر، وفي رسائل كتبه؛ من مثل صلاح الصفدي، وشهاب الدين أبي الشناء محمود، وابن فضل الله العمري، وغيرهم.

وانصرف بعض أدب العصر إلى المجتمع والناس؛ حيث وصف الأدباء - كتاباً وشعراء - كل ما وقع تحت أنظارهم من ظواهر إيجابية وسلبية، وكان بعض هؤلاء الأدباء يتمي إلى الطبقات الدنيا من المجتمع؛ فجاء أدبه تعبيراً واقعياً عن الحياة والناس في مصر في القرن الثامن الهجري.

وكتاب «الغيث المسجم في شرح لامية العجم» لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي من الكتب التي تمثل - أصدق تمثيل - طبيعة العصر، وطبيعة الأدب في القرن الثامن الهجري. فهو - وإن أداره صاحبه على موضوع معين؛ وهو شرح القصيدة اللامية التي أنشأها مؤيد الدين الطغرثي الموسومة بلامية العجم - فإنه لم يستطع الفكاك أو التخلص مما سيطر على أدباء العصر المملوكي الأول وعلمائه من نزعة الميل إلى الموسوعية، ولم تثن ما تبقى من آثارنا وتراثنا الذي كاد يتعرض للزوال، ومن هنا تجد هذا الكتاب قد أفصح فيه صاحبه أوسع مجال للحديث عما يمكن الحديث عنه من مباحث علوم العربية والإسلام؛ من لغة، ونحو، وصرف، ونقد، وبلاغة، وتاريخ، وفلسفة، وتفسير، وحديث، وفقه... الخ.

ثم هو من ناحية ثانية وثيقة مهمة تعبر عن ملامح المجتمع المصري - آنذاك - بما حوى من نصوص شعرية لشعراء عديدين من شعراء العصر، وهذا ما دفعني لدراسة هذا الكتاب، واتخاذ موضوعاً لنيل درجة الماجستير في الآداب عام ثمانية وثمانين وتسعمائة وألف من الميلاد.

ولقد جاء هذا البحث في خمسة فصول؛ تحدثت في الفصل الأول منها عن الحياة الفكرية بمصر والشام في العصر المملوكي الأول، وفيه أظهرت كيف قامت مصر بدورها في المحافظة على هوية الأمة العربية والإسلامية وتراثها، ومصنفت الحياة الفكرية، وبيئت أنها كانت مزدهرة ناهضة، وأرجعت هذا الازدهار إلى



عوامل خمسة هي: انتشار المدارس في شتى أنحاء البلاد، وانتشار حلقات الدرس بالمساجد الكبرى بالقاهرة والأقاليم، وكثرة المكتبات العامة والخاصة في ذلك الوقت، وجمع عدد من الشعراء لأنارهم الفنية ونتاجهم الشعري، ومسايرة الحركة النقدية للحركة الإبداعية في الأدب والفن.

ثم انتقلت إلى الشام فرصت الحياة الفكرية والأدبية بها، وما أنشئ فيها من مدارس، ولاحظت أن بناء المدارس في هذا الزمان كان عملاً تنويرياً مجيداً؛ إذ أسهم المجتمع حكماً ومحكومين في بناء المدارس، وتنافس العلماء وكبار الموسرين من التجار في ذلك، ولاحظت أن المرأة قد أسهمت في هذا المجال كما فعلت خاتون بنت عز الدين مسعود التي بنت المدرسة الأتابكية التي درس فيها كبار علماء مصر والشام في ذلك الزمان.

ثم تحدثت عن صورة الحياة الفكرية في العصر كما رسمها الصفدي في الغيث، وختمت هذا الفصل بالحديث عن منهج علماء العصر المملوكي في التأليف العلمي.

وفي الفصل الثاني وعنوانه «ثقافة الصفدي» حاولت أن أرسم صورة واضحة المعالم لشخصية صلاح الدين الصفدي العلمية، وذلك من خلال تتبعي لما كتبه عنه المؤرخون القدماء، والدارسون المحدثون من ناحية، ومن خلال استنطاق نصوص كتابه الغيث المسجّم وسائر كتبه الأخرى من ناحية ثانية، وفي هذا الفصل ظهرت شخصية الصفدي التي جمعت في توافق وانسجام بين العلم والفن؛ إذ كان إلى جوار علمه باللغة والنحو، والتاريخ، والأدب، والفقه، وعلم الكلام، كان إلى جوار ذلك فناً له نشره الذي يتمثل في رسائله الديوانية، والإخوانية، والأدبية، ومعارضاته الشعرية، وأزجاله وموشحاته.

وجعلتُ الفصل الثالث لمصادر الشرح حيث تعقبت الصفدي في الغيث، وأحصيت المصادر التي استقى منها مادة كتابه، وهي تنقسم إلى قسمين كبيرين: الأول المصادر الشفهية، والثاني المصادر المكتوبة، وتنوع مصادره المكتوبة تنوعاً هائلاً؛ فمنها الكتاب اللغوي، والكتاب النحوي، والكتاب النقدي، والكتاب البلاغي، والكتاب التاريخي، والكتاب الفلسفي، والكتاب العلمي ... الخ.

ولقد كان الصفدى كما أوضحت الدراسة على وعى كامل بما يأخذ من مصادره، كما كانت له شخصيته التى تناقش ما يأخذ من مواد عن الآخرين.

أما الفصل الرابع فكان خاصاً بمنهج الشرح حيث بينت أنه قد حدّد معالم هذا المنهج بنفسه فى مقدمته التى وضعها للكتاب، ثم تعقّب الصفدى فى الشرح، وبينت إلى أى مدى التزم بمنهجه الذى اشترطه على نفسه فى المقدمة، ثم تحدثت عن مظاهر غلبة النزعة التعليمية فى الشرح، والفكاهات والنوادر فى الغيث. وختمت الفصل بإيراد لامية الطغرائى، ثم أوردت نص الصفدى الذى عارض به لامية الطغرائى؛ نقلاً عن كتاب «نفحة اليمن فيما يزول به الشجن» للشروانى اليمنى الأديب.

وجعلت الفصل الخامس للحديث عن الآراء النقدية والبلاغية فى الشرح، وقد تحدثت فيه عن خمسة مباحث:

الأول: موقف الصفدى من موسيقا الشعر.

الثانى: موقف الصفدى من شعر المتنبى.

الثالث: انتصاف الصفدى لابن سناء الملك، وتّعقُّبه لشرف الدين بن جبارة حيث قام صاحبنا بالرد على ما تعنت به ابن جبارة على ابن سناء الملك.

الرابع: وجعلته لسرقات الطغرائى فى لامية العجم، وعالجت فيه تأثير الطغرائى فى معانيه وألفاظه بمن سبقه من الشعراء؛ كأبى تمام، وأبى نواس، ومسلم، والمتنبى، وغيرهم.

الخامس: تحدثت فيه عن الفنون البديعية فى الشرح؛ وكانت ستة عشر فناً.

وبعد هذا الفصل أوردت ملحقات جمعت فيه نصوص الصفدى الشعرية التى بثها فى تضاعيف كتابه مضبوطة، ومحققة تحقيقاً علمياً، وبلغ عددها سبعة وثمانين ومائة نص.

وهناك رسالتان جامعتان ليستا فى موضوع بحثى، وإنما عالجت أو مسّت كل واحدة منهما موضوع بحثى مساً خفيفاً - إذا جاز لى مثل هذا التعبير:

أما الرسالة الأولى فهى تلك التى تقدمت بها الباحثة مناهل فخر الدين فليح لنيل درجة الدكتوراة فى الآداب من كلية الآداب، جامعة القاهرة عام ١٩٧٧م،



وهي بعنوان «نشاط الصفدى فى النقد والبلاغة»، وهى رسالة - كما يبدو من عنوانها، ومن المشكلات العلمية التى أثارها - تحرص على جمع آثار الرجل فى النقد والبلاغة، وتصنيفها، ودرسيها، وكان من بين آثاره التى تحدثت عنها كتاب الغيث المسجم فى شرح لامية العجم الذى هو موضوع دراستى، فهو يشكل جزءاً من موضوع رسالتها إلا أنه لم يأخذ حقه من الدرس والبحث؛ حيث جاء الحديث عنه فى ثلاث عشرة صفحة؛ من الصفحة الثانية والثمانين حتى الصفحة الخامسة والتسعين من رسالتها.

ويدهى أن دراسة كتاب كبير يقع فى مجلدين من القطع الكبير وتبلغ صفحاته ٩١٦ صفحة - عدا صفحات الفهارس الفنية فى ثلاث عشرة صفحة - أمرٌ يستحق الدهش، ويوجب إعادة النظر فيما حققته هذه الدراسة، وما وصلت إليه من نتائج تتعلق بهذا الكتاب ومباحثه.

وعلى أية حال فالباحثة ليست ملومة فيما فعلت؛ لأن هذا الكتاب يشكل جزءاً من كلِّ فى رسالتها ذات الموضوع المحدد، والتى يغلب عليها منهج الجمع والتصنيف الموضوعى؛ حيث كان هدفها حصر كل آثار الرجل؛ لا فى النقد وحده، وإنما فى النقد والبلاغة معاً، والحديث عنها، واستنباط ما سمته بمقاييس الصفدى النقدية، والتى أرجعتها إلى ما سمته بالمقياس الفنى، والمقياس الروحى، والمقياس الأخلاقى.

وعلى هذا فالفرق واضح بين موضوع رسالة الباحثة، وموضوع دراستى؛ فموضوعها يغلب عليه الحصر والجمع لكل آثار الرجل فى النقد والبلاغة، وموضوعى يقف عند واحد فقط من هذه الآثار، وهو ذلك الكتاب الذى أداره على شرح لامية الطغرثانى الموسومة بلامية العجم.

وموضوعى - وهو إذ يقف عند هذا الكتاب المهم من كتب الصفدى - يسلط أشعة من الضوء الكاشف على مصادره الأدبية والنقدية، ويبحث عدداً من القضايا المهمة التى تتدرج تحت تلك الطريقة التى أثرها الصفدى فى تأليفه، وصوغ مباحثه، كما ينحو فى معالجة دراسة الكتاب دراسة نقدية منحى آخر يعتمد على محاولة الكشف عن مواقف الرجل - بوصفه ناقدًا وبلاغياً - من قضايا نقدية



كبرى أهمها: موسيقا الشعر، والسرقات الشعرية، ومن شعراء موهوبين كالتنبي،  
وابن سناء الملك. هذا عن الرسالة الجامعية الأولى.

أما الرسالة الثانية فهي تلك التي تقدم بها الدكتور إبراهيم محمد منصور لنيل  
درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة طنطا وهي بعنوان «شروح لامية المعجم  
دراسة تحليلية نقدية». وموضوعها يتصل بدراساتي من حيث كون الغيث أحد بل  
أهم شروح لامية المعجم وأكبرها حجماً، إلا أن دراسة جميع شروح لامية المعجم  
المطبوعة والمخطوطة في رسالة جامعية واحدة يعتبر مجازفة خطيرة، غير مأمونة  
العواقب؛ وذلك لسعة الموضوع وتشعبه من ناحية، ولكثرة هذه الشروح من ناحية  
أخرى، الأمر الذي جعل هذه الرسالة أشبه ما تكون بالمقارنة بين الشروح، وكان  
منهجها يغلب عليه الوقوف على أوجه التشابه والاختلاف بين هذه الشروح في  
معالجة آيات اللامية لغوياً وأدبياً ونقدياً؛ ومن هنا تاه الغيث وسط هذا الركام  
الهائل من النصوص التي نقلها الباحث من الشروح المختلفة بغية المقارنة بينها،  
وجانب الصواب في عدد من الأحكام التي أصدرها على الصفدي وكتابه، ولو أن  
الباحث تناول هذه الشروح جميعها بالدرس، وتبع في درسه المنهج التحليلي،  
واستند في ذلك على التسلسل التاريخي للشروح، واضعاً نصب عينيه الوقوف  
على أسرار كل شرح وتبيان خصائصه التي ينفرد بها ويتميز عن بقية الشروح  
الأخرى، لكان من الممكن أن يصل في ذلك إلى نتائج مجدية على الرغم من  
وعورة هذا الطريق وصعوبته.

ودراستي إذن تلتقي مع رسالة الباحث من حيث إن موضوعها والكتاب الذي  
تعرض له بالدرس كان أحد تلك الكتب التي تناولتها الرسالة السابقة، إلا أنها  
تختلف معها في كثير من النقاط: التي منها التركيز على شرح واحد فقط من هذه  
الشروح ودراسته دراسة مستفيضة تحاول أن تستشف تلك الخصائص التي يتميز  
بها، عن طريق درسه في إطار عصره ومن حيث كونه دالاً على الحياة الفكرية في  
عصره من ناحية، وعلى ثقافة صاحبه وشخصيته العلمية من ناحية ثانية، وعن  
طريق البحث عما يحوي من مضامين نقدية وبلاغية وآراء في الشعر والشعراء.

ومن هذا العرض لهاتين الرسالتين الجامعتين تتضح أهمية الموضوع الذي أقوم  
بدرسه؛ حيث لم يتناوله باحث قبلي - فيما أعلم - بالدرس والبحث العلمي،  
لا على النحو الذي قمتُ بدرسه عليه، ولا على نحو آخر يخالفه أو يوافقه.

وقد أفدتُ في دراسة هذا الموضوع من كثير من المصادر القديمة، والمراجع الحديثة التي تناولت العصر المملوكي، وترجمتُ لرجاله، ودرستُ الكثير من الظواهر الأدبية في ذلك العصر. وقد ألحقتُ في نهاية الرسالة قائمة بتلك المصادر والمراجع.

والشيء الذي أحب أن ألفت الأنظار إليه في هذا المجال هو أن هذه الدراسة كانت تعتمد على نصوص الغيث بالدرجة الأولى في جميع فصولها، فقد كانت نصوصه بمثابة المحور الذي تدور عليه، مباحث الفصول؛ فهي إذن دراسة نصية بالدرجة الأولى تحاول أن تستطق الغيث، وتستنبط من نصوصه مواقف الرجل وآراءه النقدية والبلاغية، كما تحاول أن تلمس السمات الدالة على شخصية الصفدي من هذه النصوص.

وقد كان لأستاذي الجليل الأستاذ الدكتور/ محمد زغلول سلام أكبر الأثر في هذا العمل؛ فقد تفضل بالإشراف عليه وحظي من رعايته وعنايته بما لا أستطيع القيام بشكره؛ حيث كان المرشد والمعين والمشجع على العمل والبحث طوال سنوات الدرس، وأشهد أنني ما كنت أستطيع أن أصل إلى ما وصلت إليه لولا جهوده وإرشاداته وتوجيهاته، ولا يعني إلا أن اعترف - هنا - بما غمرني به من الفضل، وأدعو له بالصحة والعافية.

وبعد.. فهذه محاولة قمت بها جاداً مخلصاً، فإن تكن نافعة فالحمدُ لله على ما هدى وأعان، وإن كانت غير ذلك فالخير أردتُ، والجهد بذلتُ، ونيةُ المرء خيرٌ من عمله.. وأستغفر الله العظيم، والحمد لله أولاً وأخيراً، وعليه - سبحانه - قصد السبيل.

د. نبيل محمد رشاد

٦ شوال ١٤٢١هـ

١ يناير ٢٠٠١م

بريد إلكتروني: drnabilrachad@hotmail.com





## الفصل الأول

### الحياة الفكرية بمصر والشام في العصر المملوكي الأول

تمهيد

هذا الفصل يتناول الحياة الفكرية بمصر والشام في العصر المملوكي الأول، ومنهج علمائه في البحث والدرس والتأليف العلمي، وهو موضوع صعب عميق، وصعوبته وعسره ليس مردهما إلى قلة مادته العلمية؛ لأن مادته العلمية غزيرة وموفرة يستطيع الباحث جمعها من مظانها الأصلية؛ فهي ماثرة في بطون الكتب التي تؤرخ للحياة والناس في هذه الحقبة؛ كالبداية والنهاية لابن كثير، والسلوك، والخطط للمقريزي، والنجوم الزاهرة، والمنهل الصافي لابن تغري بردي، والوافي بالوفيات، ونكت الهميان، وأعيان العصر وأعوان النصر للمصفي، والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني وغيرها.

بل يرجع وجه الصعوبة الحقيقي في تناول الموضوع إلى الموضوع نفسه؛ حيث تناوله بالبحث والدرس عدد كبير من أساتذتنا أعلام الدراسات الأدبية والنقدية بجامعةتنا، وقدموا فيه كتباً نفيسة يتقدمهم الراحل الجليل أمين الخولي في كتابه «في الأدب المصري»، والدكتور عبد اللطيف حمزة في كتابه «الحياة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول»، والدكتور محمود رزق سليم في موسوعة «عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي»، والدكتور أحمد أحمد بدوي في كتابه «الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام»، وأستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه «الأدب في العصر المملوكي» بمجلداته الأربعة، والدكتور شوقي ضيف في كتابه «تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والإمارات مصر والشام».

ووجدتني إزاء هذه الدراسات الثرية أقف متسائلاً في حيرة: ما الذي أستطيع أن أقدمه في هذا الفصل المحدود بعد هذه الدراسات التي بذل فيها أساتذتي من الجهد أضعاف ما في مكتبي ووسعي؟

وأنفقت وقتاً غير قصير في التفكير في هذا السؤال والإجابة عنه، وفي المدخل الذي يمكن أن أفتح به الكلام في هذا الموضوع الشاق، حتى اهتدت نقي إلى طريقة أظنها جديدة في عرضه وكتابته؛ حيث بدأت بالحديث عن مكانة مصر ودورها في الحياة الفكرية العربية في عصر الحروب الصليبية بعامة، ثم تكلمت عن مظاهر انتعاش الحياة الفكرية بها في العصر المملوكي الأول، وبعد ذلك انتقلت إلى الشام فوصفت الحياة الفكرية بها، وبينت عوامل إزدهارها ومظاهر انتعاشها، ثم انتقلت إلى الحديث عن منهج علماء العصر المملوكي الأول في التأليف والكتابة العلمية، وأوضحته ما اتسم به هذا المنهج من سمات وخصائص، وأثر هذا المنهج في حفظ العلوم العربية والمعارف الإسلامية إلى وقتنا هذا.

على أن موضوعات هذا الفصل ليست كلها تليدة مكررة، وإنما منها الطريف الذي لم أسبق إليه فيما أعلم؛ وهو يتمثل في الجزء الخاص بصورة الحياة الفكرية في العصر المملوكي كما رسمها الصفدي في الغيث.

وأجدني هنا أشير إلى أمر ذي بال وهو كثرة رجوعي إلى الصفدي واعتمادى على نصوص كثيرة من كتبه: الغيث المسجم، ونكت الهميان، والوافي بالوفيات، وأعيان العصر وأعوان النصر، وهو عمل له ما يبرره في نظري من ناحيتين:-

الأولى: أن موضوع الكتاب يدور حول الصفدي وكتابه الغيث المسجم، وسلط أشعة من الضوء الكاشف على آرائه النقدية والبلاغية المثبوتة في تضاعيف هذا الكتاب، ومن ثم وجب الاعتماد عليه، والرجوع إليه، واستنطاق نصوصه واستنباط الأحكام من هذه النصوص.

والأخرى: أنني رأيت في الغيث صورة للحياة الفكرية في ذلك العصر أجاد الصفدي رسمها، وأحسن نقلها، فأردت أن أسجلها وأبين مدى مطابقتها أو مخالفتها لما كانت عليه الحياة العقلية آنذاك من خلال الاطلاع على مصادر العصر، مما دعاني إلى الرجوع بكثرة إلى كتبه بعامة، والغيث المسجم بخاصة.

ولعل سائلاً يأل: لم بدأت الفصل بالحديث عن الحياة الفكرية في مصر؟ وكان يجب أن أبدأ بتفصيل القول في الحياة الفكرية في الشام؛ لأن الشيخ شامي المولد؛ إذ ولد بصفد من أعمال فلسطين، كما أنه شامي النشأة والتعليم؛ إذ تلقى تعليمه بدمشق وحلب، وشامي العمل؛ إذ عين كاتباً للدرج بصفد قبل أن ينتقل إلى القاهرة.

والجواب عن هذا السؤال سهل ميسور؛ إذ لا يستطيع أحد أن ينكر أن مصر كانت المباءة الرحبة، والكنف الخصب الذي لجأت إليه علوم الدين وآداب العربية<sup>(١)</sup> في ذلك العصر، كما لا يستطيع أحد أن ينكر «أن الثقافة المصرية . . . كانت لها السيادة إلى حد كبير في الأصقاع الإسلامية الأخرى؛ وذلك لأن القاهرة صارت قلباً للعالم الإسلامي بعد سقوط بغداد في يد التتار، وصارت محوراً للعلوم والآداب الإسلامية وصارت مثابة آمنة لطلاب العلم والأدب من بلاد المسلمين كافة، فكانوا يفدون إليها من كل حذب وصوب»<sup>(٢)</sup>.

ومما لا شك فيه أن الصفدي حين أتى إلى القاهرة وجلس من علمائها مجلس التلميذ قد استفاد من علمها علماً، ومن معارفها معارف، ومن أفضال هؤلاء العلماء فضائل، الأمر الذي لم يكن ليتحقق له لولا هذه الرحلة الميمونة إلى كنانة الله في أرضه، وقبله المسلمين في علوم دينه وشرعه.

#### أولاً: مكانة مصر ودورها في الحياة الفكرية في العصر:

عاش الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي حياته العلمية والعملية في ظل القرن الثامن الهجري؛ حيث ولد قبل بداية هذا القرن بأربع سنين<sup>(٣)</sup>، ثم امتد به العمر حتى شهد الثلث الأول من النصف الثاني من هذا القرن<sup>(٤)</sup>، وتعد هذه الفترة - التي قضاها الصفدي على مسرح الحياة - العصر الذهبي لدولة المماليك البحرية؛ إذ ساد فيها الهدوء، وعم الرخاء، وتبوأت مصر فيها مكانة مرموقة بين

(١) صفى الدين الحلبي: محمود رزق سليم ص ١٣ سلسلة نواحي الفكر العربي دار المعارف ١٩٨٠ م.

(٢) السابق نفسه ص ١٤.

(٣) تجمع كل المصادر والمراجع على أن الصفدي قد ولد بصفد سنة ست وتسعين وستمائة، ما عدا ابن حجر الذي يقول في كتابه الدرر الكامنة «ولد سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة تقريباً». ينظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج ٢ ص ٨٧ دار الجيل بيروت د. ت.، وينظر النجوم الزاهرة لابن تغري بردى ج ١١ ص ١٩، والأعلام لخير الدين الزركلي ج ٢ ص ٣٦٤ طبع بيروت.

(٤) تجمع كل المصادر والمراجع على أن صلاح الدين الصفدي قد مات بدمشق سنة أربع وستين وستمائة، وبالتالي يكون قد شهد الثلث الأول من النصف الثاني من القرن الثامن تقريباً.

ينظر: الدرر الكامنة ج ٢ ص ٨٨، النجوم الزاهرة ج ١١ ص ١٩، الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٣٦٤.



عواصم العالم الإسلامي وحواضره، وأصبحت بمدارسها ومعاهدها وآزمهرها الذي أعاد له الممالك مكانته ومهابته، وعرفوا له قدره وأثره، أصبحت كعبة يحج إليها طلاب العلم من مشارق العالم الإسلامي ومغاريبه، بعد أن آلت إليها زعامة العالم الإسلامي الذي فقد - بسقوط بغداد على أيدي التتار - معقلاً من أقوى معاقله، فزحف منها إلى مصر أساطين الفكر العربي والإسلامي، حاملين علمهم ومؤلفاتهم معهم، ووجدوا في رحابها الأمن، ومن أهلها التشجيع، ومن حكامها التكريم، فانكبوا على البحث والدرس، وأثروا الحياة الفكرية والأدبية - آنذاك - بروائع الفن، وذخائر الأدب.

وكما نكب العالم العربي الإسلامي - آنذاك - بسقوط بغداد، وما أعقبه من ضياع كنوزها، مَنى العالم الإسلامي بزوال دولة العرب بالاندلس بعد أن أظل الإسلام هذه البلاد حقبة من الزمن تربو على ثمانية قرون، كان له فيها شأو وشأن، فخر علماؤها ومفكروها من بطش الحكام الفرنجة إلى بلاد المغرب العربي، ثم ما لبثوا أن سمعوا بمكانة مصر فشددوا رحالهم إليها، وأكرمت هي وفادتهم، فعاشوا بها، وماتوا فيها، ودفنوا في ترابها مخلّفين وراءهم علماً غزيراً، وتراثاً ثراءً في كل ميادين العلم والمعرفة التي كانت شائعة في ذلك العصر.

على أن هناك رافداً ثالثاً ساعد في تكوين الشخصية المصرية وبنائها علمياً وأدبياً - آنذاك - وهو نزول العلماء المغاربة إلى مصر للزيارة، والتعاس الراحة في أثناء ذهابهم إلى الأراضي الحجازية أو رجوعهم منها، فكان هؤلاء العلماء يلتقون بإخوانهم من العلماء المصريين، ويتبادلون الآراء في العلم والأدب، ويتناقشون في مباحث الفكر والدين، بل إن بعض المغربيين من ذوى المقدرة واليسار قد أسهموا في إقامة المدارس بمصر، وفي هذا إثراء للحركة العلمية وبناء للشخصية المصرية. فقد حكى المقريزي عند حديثه عن مدرسة ابن رشيقي أن وفداً من بلاد التكرور لما وصلوا إلى مصر في بضع وأربعين وستمائة قاصدين الحج دفعوا للقاضي علم الدين بن رشيقي مالاً بناها به ودرّس بها وصار لها في بلاد التكرور سمعة عظيمة، وكانوا يبعثون إليها في غالب السنين المال<sup>(١)</sup>.

(١) المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: تقي الدين المقريزي ٣٦٥/٨، طبعة بالأوفست عن طبعة بولاق، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة د. ت، سلسلة الذخائر العدد ٥٤.

وقد أورد أستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام في كتابه الأدب في العصر المملوكي أسماء عدد كبير من هؤلاء العلماء المشرقين والمغربيين والأندلسيين الذين وفدوا إلى مصر، وأسهموا في بناء نهضتها العربية الإسلامية<sup>(١)</sup>.

واستطاع العقل المصري أن يحسن الأخذ عن هؤلاء العلماء المشاركة والمغاربة جميعاً، ولم يمض وقت طويل حتى لمعت في سماء القاهرة أسماء كثيرة لعلماء وشعراء وكتاب مصريين موهوبين<sup>(٢)</sup>، وتكونت بمصر مدرسة فكرية لا هي مشرقية ولا هي مغربية؛ وإنما تتميز بالطابع المصري في التفكير والإبداع الفني، والكتابة العلمية في علوم الإسلام والعربية.

وقد أفاض أستاذنا وباحثنا - في الآونة الأخيرة - الثام عن بعض خصائص هذه المدرسة وأهم أعلامها بما ألفوا من رسائل، وبما كتبوا من بحوث، وبما حققوا من مخطوطات، ومع كل هذه الجهود المخلصة والأعمال الرائدة، لا يزال الميدان رجباً، ولا تزال الدراسات المنهجية قليلة، ولعل هذا القلم يثرثب يوماً ليحوز هذا الشرف فيدلي في هذا الميدان بجهد، أو يضرب فيه بسهم، أو يشارك فيه يبحث ناقضاً بذلك بعض ما على من دين لوطني وقومي.

ولم تقتصر جهود العلماء المصريين في هذا العصر على التأليف العلمي وتدريس ما مهروا فيه من علوم بمدارس مصر ومساجدها وحسب، بل أعادت مصر جهودهم العلمية إلى سائر البلدان العربية ولا سيما بلاد الشام؛ حيث كانت العلاقة بين مصر والشام في ذلك الوقت قوية، شديدة التماسك، ومصر والشام بينهما من الروابط التاريخية والمصالح القومية المشتركة ما جعلهما صفًا واحدًا منذ فجر تاريخهما العربي الإسلامي، فلقد صدا معا في هذه العصور الغزوة الصليبي على الدولة الإسلامية بقيادة صلاح الدين الأيوبي في حطين، والغزو التتري بقيادة قطز في عين جالوت، وكان الشاميون يأتون إلى مصر، والمصريون يسافرون إلى

(١) الأدب في العصر المملوكي أ. د/ محمد زغلول سلام ج ١ ص ١٠٦، ص ١٠٧. دار المعارف بمصر د. ت.

(٢) لا أستطيع أن أحصى هذه الأسماء كثرة وأمثل هنا بعدد من الشخصيات التي نبأت في العصر المملوكي الأول مكانة مرموقة كمحمي الدين بن عبد الظاهر، وفتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس، وجمال الدين بن نباهة المصري.... وغيرهم.

الشام في سهولة ويسر شديدين، وكان الشاميون يتولون بعض المناصب الرسمية هنا، والمصريون يتولون بعض المناصب الرسمية هناك<sup>(١)</sup> ولعل هذا ما دعا الباحثين إلى عدّهما قطرا واحدا أو دولة واحدة، مما أدى إلى صعوبة الفصل بين ما يميز الحياة الفكرية في مصر عن الحياة الفكرية في الشام في كثير من الأحيان.

وهكذا... لم تكن مصر في موضع القيادة السياسية والعسكرية في ذلك العصر وحسب، بل كانت - أيضاً - في موضع الريادة الفكرية والعلمية، وقُدِّرَ لها أن تحمي التراث العربي والإسلامي وتصونه من الضياع، وما زالت تقوم بهذا الدور المجيد إلى يومنا هذا.

ثانياً: مظاهر انتعاش الحركة الفكرية بمصر في العصر المملوكي:

ما كان ليتنى لمصر أن تتعش فيها الحياة الفكرية والأدبية وتأخذ مكانتها عاصمةً لدول العالم الإسلامي، ومركزاً من أهم مراكز الثقافة والفكر العربيين في ذلك العصر لولا الجهود المخلصة التي بذلها الحكام في تشجيع العلم ومكافأة العلماء والمؤلفين، وإدراكهم الحقيقي لخطورة المنعطف التاريخي الذي تمر به الأمة الإسلامية في ذلك الحين، ثم وعيهم الكامل بخطورة الدور الذي يمكن أن تسهم به مصر في الخروج من المأزق.

وكان لهذا الوعي، وهذا الإدراك أثرهما في إثراء الحياة الفكرية في مصر، حيث قام الحكام والسلاطين بالتوسع في إنشاء المدارس، ووقف الإقطاعات الكبيرة عليها لصرف رواتب المدرسين ومكافآت الطلبة، والإنفاق على المدارس وتزويدها بالمكتبات الضخمة التي تضم أمهات الكتب في كل العلوم والفنون لتكون مرجعاً للمدرس والطالب في التحضير والتحصيل، وسوف أذكر أولاً مظاهر انتعاش الحياة الفكرية في مصر في ذلك العصر إجمالاً، ثم أتبعها بحديث موجز عن كل مظهر من هذه المظاهر وهي:-

أ - انتشار المدارس في شتى أنحاء البلاد.

ب - انتشار حلقات الدرس بالمساجد الكبرى.

(١) كصلاح الدين الصفدي الذي تولى كتابة الدرر بصفه، ثم نقل ليتولى كتابة الدرر بالهجرة.



ج - كثرة المكتبات العامة والخاصة.

د - الإقبال على تلقى العلم ودرسه.

هـ - جمع عدد من الشعراء لدواوينهم الشعرية ونتاجهم الفنى.

و - مسايرة الحركة النقدية للحركة الإبداعية فى الشعر والنثر.

أ - انتشار المدارس فى شتى أنحاء البلاد:-

ورث المصريون عن الفاطميين عدداً من المدارس التى أنشئت لتكون نواةً لصبغ الفكر المصرى بالصبغة الشيعية، ولعل دار الحكمة التى بناها الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله سنة خمس وتسعين وثلاثمائة هجرية خير دليل على ذلك؛ حيث نشطت بها دراسة الفقه على المذهب الشيعى نشاطاً ملحوظاً<sup>(١)</sup> فلما جاء عهد بنى أيوب أرادوا إزالة معالم هذا الفكر، فتم لهم ما أرادوا عن طريق وقف الدراسة بالجامع الأزهر ودار الحكمة وبناء عدد من المدارس لدراسة الفقه الإسلامى على المذاهب الأربعة المعروفة: المذهب الحنفى، والمذهب المالكى، والمذهب الشافعى، والمذهب الحنبلى<sup>(٢)</sup>؛ فابتنى صلاح الدين الأيوبي سنة ست وستين وخمسمائة مدرستين لدراسة الفقه على المذهب الشافعى هما: المدرسة الناصرية<sup>(٣)</sup>، والمدرسة الصلاحية، كما بنى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة مدرستين: إحداهما لدراسة الفقه على المذهب المالكى وهى المدرسة القمحية<sup>(٤)</sup>، والأخرى لدراسة الفقه على المذهب الحنفى وهى المدرسة السيوفية<sup>(٥)</sup>، كما بنى صفى الدين بن شكر وزير

(١) الأدب فى العصر الفاطمى أ. د. محمد زغلول سلام ص ١٦٣ منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٩ م.

(٢) يراجع فى ذلك خطط المقرئى ٢٧٦/٤، والأدب فى العصر الأيوبي أ. د. محمد زغلول سلام ص ٦٣، وما بعدها دار المعارف ١٩٨٣ م، الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام للدكتور أحمد أحمد بدوى ص ١٥ دار نهضة مصر الفجالة ١٩٧٢ م.

(٣) انظر حديث المقرئى عنها فى الخطط ٣٦٣/٤.

(٤) انظر حديث المقرئى عنها فى السابق نفسه ٣٦٤/٤، وسميت بذلك لأن الضبعة التى أوقفها السلطان الناصر صلاح الدين عليها كانت تزرع قمحاً يفرق على فقهاء هذه المدرسة.

(٥) انظر حديث المقرئى عنها فى السابق نفسه ٣٦٥/٤، وسميت بذلك لأن سوق السيوفيين كان على بابها.

الملك العادل المدرسة الصاحبية<sup>(١)</sup> لدراسة الفقه المالكي، هذا عدا المدارس التي بنيت لدراسة غير مذهب مثل المدرسة الفاضلية<sup>(٢)</sup> التي بناها القاضي الفاضل لدراسة الفقه على المذهبين الشافعي والمالكي، والمدرسة الصالحية<sup>(٣)</sup> التي بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب لدراسة الفقه على المذاهب الأربعة.

وورثت القاهرة عن الأيوبيين أيضاً دار الحديث الكاملية التي بناها سنة إحدى وعشرين وستمائة الملك الكامل محمد بن الملك العادل الكبير لدراسة الحديث<sup>(٤)</sup>.

وجدير بالذكر أن هذه المدارس لم تكن لدراسة الفقه أو الحديث فحسب دون غيرها من علوم الدين وعلوم اللغة، بل كانت مواد الدراسة بها تشمل هذه العلوم أيضاً لا بوصفها علوماً أساسية، ولكن بوصفها علوماً ثانوية ماعداً.

كما قام الأيوبيون ببناء عدد من المدارس في بعض المدن الكبرى بالأقاليم كالإسكندرية، والفيوم وأسيوط، وقوص، حتى إذا جاء العصر المملوكي ودالت دولة الأيوبيين توسع الممالك في إنشاء المدارس؛ فابتنى الظاهر بيبرس عام ٦٦٢هـ مدرسة كبيرة هي المدرسة الظاهرية<sup>(٥)</sup> لدراسة الفقه على المذهبين الشافعي والحنفي وافتتحها للدرس في حفل مهيب تبارى فيه كبار شعراء العصر من مثل الجزار، والوراق، وجمال الدين بن الحشاش وغيرهم في الإشادة بوصف المدرسة ومدح الظاهر بيبرس على هذا العمل، وكانت مدرسة شاملة حيث درس بها - إلى جوار الفقه على المذهبين الشافعي والحنفي - الحديث النبوي الشريف والقراءات القرآنية.

(١) انظر حديث المقرئ عنهما في السابق نفسه ٣٧١/٤، وسيت بذلك نية إلى منشئها الصاحب صفى الدين عبد الله بن علي بن شكر.

(٢) انظر حديث المقرئ عنهما في السابق نفسه ٣٦٦/٤، وسيت بذلك نية إلى بانيها وهو القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيهقي.

(٣) انظر حديث المقرئ عنهما في السابق نفسه ٣٧٤/٤، وسيت بذلك نية إلى منشئها الملك الصالح نجم الدين أيوب.

(٤) انظر حديث المقرئ عنهما في السابق نفسه ٣٧٥/٤، وسيت بذلك نية إلى منشئها الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي بن مروان.

(٥) انظر حديث المقرئ عنهما في السابق نفسه ٣٧٨/٤، وسيت بذلك نية إلى منشئها الملك الظاهر بيبرس البندقداري.

وأنشأ الوزير صاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا المدرسة  
الصاحبية البهائية<sup>(١)</sup> سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت مدرسة كبيرة يقول عنها  
المقريزي: «كانت من أجل مدارس الدنيا، وأعظم مدرسة بمصر، يتنافس الناس من  
طلبة العلم في النزول بها، ويتشاحنون في سكني بيوتها حتى يصير البيت الواحد  
من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة»<sup>(٢)</sup>.

كما أنشأ المنصور قلاوون سنة أربع وثمانين وستمائة المدرسة المنصورية<sup>(٣)</sup>  
لدراسة الفقه على المذاهب الأربعة، كما بنى الناصر بن قلاوون المدرسة  
الناصرية<sup>(٤)</sup> ووقفها - أيضاً - على دراسة الفقه على المذاهب الأربعة عام ٧٠٣ هـ... إلخ.

وقد أفاض الأستاذان الجليلان: الدكتور/ محمد زغلول سلام<sup>(٥)</sup> والدكتور/  
شوقي ضيف<sup>(٦)</sup> في الحديث عن عناية المماليك - لا سيما ممالك الدولة الأولى -  
ببناء المدارس.

وليس من شك في أن هذه المدارس جميعها كانت مشاعل نور وهداية،  
ومنازل علم وعرفان، وأماكن تثقيف وتهذيب، خلقت الإنسان المصري خلقاً  
آخر، وأسهمت في تعليم أجيال كثيرة من المصريين الذين أعطوا لمصر فيما بعد  
هذه الصورة المشرقة في هذا العهد العصيب.

#### ب - انتشار حلقات الدرس بالمساجد الكبرى:

لم يكن التوسع في إنشاء المدارس زمن الأيوبيين والمماليك سبباً في إلغاء رسالة  
المسجد التعليمية؛ فقد شاركت المساجد المدارس - ولا سيما في العصر المملوكي -  
في التأديب والتثقيف، وتخرج أجيال من جلة العلماء، بل لعل سلاطين المماليك

(١) راجع حديث المقريزي عنها في الخطط ٤ / ٣٧٠.

(٢) الخطط المقرزية ج ٤ ص ٣٧١.

(٣) راجع حديث المقريزي عنها في السابق نفسه ٤ / ٣٧٩ وما بعدها.

(٤) راجع حديث المقريزي عنها في السابق نفسه ٤ / ٣٨٢.

(٥) الأدب في العصر المملوكي ج ١ ص ١١١ إلى ١١٦.

(٦) عصر الدول والإمارات مصر والشام من ص ٨٠ إلى ص ٨٤.



كانوا أحرص على رسالة المسجد التعليمية من سابقينهم؛ فقد عطل الأيوبيون كما قلنا حلقات الدرس بالجامع الأزهر، وظل الجامع الأزهر قفراً موحشاً ما يقرب من مائة عام، واعتدى الناس على أوقافه والأموال التي كانت تصرف عليه، وظل حال الجامع الأزهر على هذا السوء حتى أعاد له الأمير عز الدين الحلبي مكانته ومهابته، وبدأت حلقات الدرس تعود إليه من جديد، وأسهم الأزهر في إذكاء جذوة الحياة الفكرية في مصر بما خرج من علماء وكتاب، حيث كان الملجأ والملاذ لعلوم العربية والإسلام طوال العصر المملوكي وما تبعه من عصور حتى عصر النهضة الحديثة.

ولقد شارك الجامع الأزهر في هذه الرسالة السامية جوامع أخرى كجامع عمرو ابن العاص الذي اهتم به الظاهر بيبرس اهتماماً خاصاً، وأعاد إليه حلقات الدرس، وكانت تدرس به العلوم الشرعية والعلوم اللغوية، ويذكر المقرئ أن الجامع تحول إلى عدد كبير من الزوايا التي يدرس فيها الفقه فيقول «وبالجامع زوايا يدرس فيها الفقه منها زاوية الإمام الشافعي رضى الله عنه يقال إنه درس بها.. وعليها أرض بناحية سنديس وقفها السلطان الملك عثمان بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.. ومنها الزاوية المجدية.. رتبها مجدد الدين أبو الأشبال الحارث بن مهذب الدين أبو المحاسن مهلب بن حسن بن بركات بن علي ابن غياث المهلبى البهنسى.. ومنها الزاوية الصاحبية رتبها الصاحب تاج الدين محمد بن فخر الدين محمد بن بهاء الدين بن حنا.. ومنها الزاوية الكمالية.. رتبها كمال الدين المنودى.. ومنها الزاوية التاجية.. رتبها تاج الدين الطمى، ومنها الزاوية المعينية رتبها معين الدين الدهروطى... ومنها الزاوية العلائية تنسب لعلاء الدين الضرير.. ومنها الزاوية الزينية رتبها الصاحب زين الدين»<sup>(١)</sup>.

ويصف المقرئ في نص آخر الجامع العتيق وحلقات الدرس فيه بقوله: «وأخبرنى المقرئ الأديب المؤرخ الضابط شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي - رحمه الله - قال: أخبرنى المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ابن الفرات قال: أخبرنى العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصانع

(١) الخطط المقرئية ج ٤ من ص ٢٥٥ إلى ص ٢٥٦.

الحنفى أنه أدرك بجامع عمرو بن العاص بمصر قبل الوباء الكائن فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة بضعا وأربعين حلقة لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه<sup>(١)</sup>.

وكان جامع أحمد بن طولون من الجوامع الكبرى التى ترتفع مآذنها عالية فى سماء القاهرة، وشع منه نور العلم والمعرفة، ثم أنت عليه عهود تجمد فيها نشاطه إلى أن تحول إلى مكان خرب مجهول بعد أن «خربت القطائع والعسكر وعدم الساكن هناك»<sup>(٢)</sup> ويحكى المقرئى فى خطه أن المغاربة كانوا يتزلون فيه بأمتعتهم وأباعرهم عند مرورهم بمصر فى موسم الحج، وظل المسجد على هذه الحال حتى هيا الله له الأمير حاتم الدين لاجين المنصورى الذى جدد بعد أن كان قد تهدم أكثره، ووقف عليه أوقافا كثيرة، وجعل منه قلعة علمية شامخة لا لعلوم الدين فحسب بل لعلوم الدنيا أيضا؛ إذ «رتب فيه دروسا لإلقاء الفقه على المذاهب الأربعة التى عمل أهل مصر عليها الآن، ودرسا يلقى فيه تفسير القرآن، ودرسا لحديث النبى ﷺ، ودرسا للطب»<sup>(٣)</sup>.

وهناك مسجد رابع أسهم فى إنعاش الحركة الفكرية بمصر فى هذا العصر وهو مسجد الحاكم بأمر الله، الذى أعاد ييبرس الجاشنكير حلقات الدرس إليه سنة ٧٠٣هـ وألحق به مكتبة ضخمة<sup>(٤)</sup>.

وليس من شك فى أن هذه المساجد كان لها أكبر الأثر فيما وصلت إليه مصر من مكانة علمية بين حواضر العالم الإسلامى فى ذلك الوقت؛ حيث تصدى للتدريس بهذه المساجد أعلام العلماء، وجلة الفقهاء، وثقات المحدثين، فكانت أفواج كثيرة من طالبى العلم ومحبي هؤلاء الشيوخ يرتادون مساجدهم لسماعهم ومحاولة الاقتداء بهم، فساعد هذا كله على ازدهار الحياة العلمية والحركة الثقافية بالقاهرة.

ولقد ذكر المقرئى فى خطه عددا كبيرا من مساجد القاهرة التى شاركت المساجد الكبرى فى التعليم والتثقيف؛ كجامع راشدة، وجامع المقس، وجامع

(١) الخطوط المقرئية ج ٤ ص ٢٥٦.

(٢) السابق نفسه ج ٤ ص ٢٦٨.

(٣) السابق نفسه ج ٤ ص ٢٦٨.

(٤) السابق نفسه ج ٤ ص ٢٧٧.

الصالح، والجامع الأقمر<sup>(١)</sup>. هذا مع ما كانت تقوم به مساجد الأقاليم من إرشاد وتعليم كمسجد العطارين بالإسكندرية، ومسجد الفتح بدمياط، ومساجد مدن الصعيد الكبرى وقراها حيث كانت مراكز للعلم ومصادر للإشعاع الدينى والثقافى لها أثرها ودورها وفعاليتها.

#### ج - كثرة المكتبات العامة والخاصة:

كثرت المكتبات العامة والخاصة فى هذا العصر، وهذا أمر طبعى، ونتيجة حتمية لشيوع المدارس على هذا النطاق الواسع الذى تحدثنا عنه؛ فقد كان السلاطين والأمراء والوزراء يحرصون على تزويد هذه المدارس بأنفس ما أُلّف فى كل العلوم والمعارف التى كانت شائعة فى ذلك الوقت من كتب ورسائل، ومن أهم تلك المكتبات مكتبة المدرسة الفاضلية التى بلغ عدد كتبها مائة ألف مجلد<sup>(٢)</sup>، ومكتبة المدرسة الظاهرية التى كانت أنموذجاً يدل على حب الظاهر بيبرس للعلم، وتكريمه للعلماء، حيث جعل منها منارة علمية؛ فإنه زوّدَها بأهمّات الكتب العلمية فى كل فروع العلم والمعرفة، وعين لها أميناً من ذوى الخبرة والدراية بترتيب الكتب وتنسيقها حتى يساعد المطالعين فيها والمترددین عليها من طلاب العلم<sup>(٣)</sup>. ولما أنشأ المنصور قلاوون المدرسة المنصورية، والبيمارستان والقيّة المنصورية حرص على تزويدها بمكتبة ضخمة وزوّدَها بالمصاحف الكثيرة وعدد من الكتب فى التفسير والحديث والفقه والشعر واللغة، وعدد آخر من كتب الطب لتدريس العلم الدينى والدنيوى<sup>(٤)</sup>. وإلى هذه المنافع جميعها يشير الشاعر المصرى معين الدين عثمان بن سعيد التنيسى<sup>(٥)</sup> فى قوله مادحاً قلاوون:

(١) ينظر فى المساجد السابقة خطط المقرئى ج ٤ من ص ٢٨٢ إلى ص ٢٩٤.

(٢) راجع خطط المقرئى ٤/٣٦٦.

(٣) الظاهر بيبرس د. سعيد عبد الفتاح عاشور ص ١٤٦ أعلام العرب المؤسّسة المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة د. ت.

(٤) ينظر فى البيمارستان النجوم الزاهرة حوادث سنة ٦٧٨ هـ عند الحديث عن المنصور قلاوون ج ٧ ص ٣٢٧.

(٥) هو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن تولى الفهرى المصرى التنيسى معين الدين أبو عمرو الشاعر، ولد بتيس سنة خمس وستائة ومات بمصر فى ربيع الأول سنة خمس وثمانين وستائة، قال عنه صاحب النجوم الزاهرة: «سمع الحديث وتفقه، وكان له معرفة بالأدب وله يد»



## أُنشأت مدرسة ومارستانا لتُصحح الأديان والأبدان<sup>(١)</sup>

هذا عدا مكتبات المساجد التي كانت شائعة وكثيرة، ولعل من أهمها في ذلك الحين مكتبة مسجد الحاكم بأمر الله التي أنشأها السلطان بييرس الجاشنكير سنة ٧٠٣هـ<sup>(٢)</sup> لتكون مقصد طلاب العلم الذين يدرسون بهذا المسجد بعد انتهاء حلقات الدرس وتفرغهم للقراءة والبحث.

ولم تنصرف همّة السلاطين والأمراء والوزراء وحدهم إلى إنشاء المكتبات بل كان عامة الشعب من طالبى العلم، ومحبي الأدب مولعين باقتناء الكتب النفيسة والدينية بوجه خاص مما أدى إلى كثرة عدد الوراقين والنساخين، ويصور أستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام هذه الحقيقة بقوله «ولم يقتصر اهتمام الناس بالعلم على الانتظام فى الدرس بالمدارس والجوامع بل شغفوا بالكتب واقتنائها، فراجت تجارتها، وقرأ طلاب العلم كل ما كان يقع تحت أيديهم من الكتب الدينية والأدبية والنقوية والطبيعية والفلكية<sup>(٣)</sup>» وإن قراءة الناس لكل ما وقع تحت أيديهم - وهو كثير - من كتب فى كل هذه العلوم والفنون، ليصور من وجوه كثيرة مدى ثراء الحياة الفكرية فى مصر فى ذلك العصر.

### د- كثرة الإقبال على تلقى العلم ودرسه:

مر بنا فيما سبق ما يصور كثرة إقبال الطلاب على تلقى العلم ودرسه عند الحديث عن جامع عمرو بن العاص؛ إذ أوردت نصاً للمقريزى يدل على المنزلة التى بلغت الحياة العلمية فى مصر وقتئذ؛ حيث كان بالمسجد بضع وأربعون حلقة للإفراء العلم لا تكاد تُبرح منه<sup>(٤)</sup> وهذا النص كما يصور مكانة المسجد الجامع العلمية حينئذ يصور من وجه آخر كيف كان الإقبال على تلقى العلم ودرسه.

= طولى فى النظم، وشعره فى غاية الجودة.

النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٣٦٩.

(١) السابق نفسه ج ٧ ص ٣٢٧.

(٢) راجع المخطط المقرئ ج ٤/ ٢٧٨.

(٣) الأدب فى العصر المملوكى ج ١ ص ١٢٠.

(٤) المخطط المقرئ ج ٤ ص ٢٥٦.

ولا شك أيضاً أن توسع السلاطين والأمراء في هذا العصر في بناء المدارس لم يكن عبثاً أو مظهرًا شكلياً فحسب وإنما كان تلبية لحاجة المجتمع إلى هذه المدارس حتى يتنظم فيها طلابه.

ولم تكن هناك سن معينة للانتظام في هذه المدارس، ولا في حلقات الدرس بالمساجد، بل كانت هذه وتلك مفتحة الأبواب لكل طالب علم وبحث، وكان طلاب العلوم والمعارف لا يقنعون بما في أقطارهم من معاهد للدرس، ولا يكتفون بما لدى أسيادهم من علم وأدب، بل كانوا دائمى الترحال يجوبون ديار الأمة العربية والإسلامية المترامية الأطراف سعياً وراء العلم والمعرفة، حتى ولو كانوا شيوخاً في العلم والمعرفة طبقت شهرتهم الآفاق؛ فهذا أثير الدين أبو حيان الغرناطى النفزى المتوفى ٧٢٥هـ يقول عنه صلاح الدين الصفدى «قرأ القرآن بالروايات، وسمع الحديث بجزيرة الأندلس، وبلاد إفريقية، ونجر الإسكندرية، وديار مصر والحجاز، وحصل الإجازات من الشام والعراق وغير ذلك، واجتهد، وطلب، وحصل، وكتب، وقيد»<sup>(١)</sup>.

وهذا النص يدل على سمة أخرى من أبرز سمات العلماء المسلمين وهي سمة الموسوعية؛ فآثير الدين ليس عالماً متخصصاً في فن واحد، بل هو بارع حاذق لفنون كثيرة منها القراءات القرآنية، والحديث النبوى الشريف، واللغة، والنحو، والصرف، والتفسير، والفقه، والتاريخ، كما أن له باعاً طويلاً في الإبداع الفنى إذ «له نظم ونثر وله الموشحات البديعة»<sup>(٢)</sup>.

واشتهر علماء المسلمين في هذه العصور بالأمانة في العلم، والدقة في الفهم، والقوة في التحصيل، والإقبال على الطلاب النجباء وتوفيرهم.

أما الأمانة العلمية فيصورها لنا من بعض الوجوه ما حكاه الصفدى عن أثير الدين أبى حيان حيث يقول: «وهو ثبت فيما ينقله، محرراً لما يقوله»<sup>(٣)</sup> وهو هنا يشير إلى ثبت أبى حيان من المعلومة أو الفقرة المنقولة.

(١) نكت الهميان في نكت العيان للصفدى تحقيق أحمد رضى طبعة أسعد طرازونى الحينى ١٩٨٤م

ص ٢٨٠.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

وأما الدقة في الفهم، والقوة في التحصيل: فلقد كان للصغدي القُدْحُ المعلى في هاتين الصفتين؛ فقد حكى غير مرة إعجاب الشيخ شهاب الدين محمود بذكائه وفهمه وتحصيله يقول «ولما قرأت المقامات الحسرية على الشيخ الإمام الأديب شهاب الدين أبي الثناء محمود - رحمه الله - أنشدني من لفظه عند وصولي في القراءة إلى بيتي ابن سكرة موالياً لبعضهم:

لَتَبَيَّنْهَا قُلْتُ وَقَبِيَّتِي مِنَ الْآفَاتِ      بِاللَّهِ أَرْحَمِي صَبَّكَ الْمَضَى وَالْآمَاتُ  
قَالَتْ تُرِيدُ بِحُدُوتِهِ وَخِرَافَاتِ      تَنْصِبُ عَلَيْنَا وَتَأْخُذُ سَادِسَ الْكَافَاتِ  
ثُمَّ التَّفَّتْ إِلَى الْحَاضِرِينَ وَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ مَنْ يَحْفَظُ مِنْ نَوْعِ ابْنِ سَكْرَةَ شَيْئاً؟  
فَبَعْضُ الْقَوْمِ أَنْشَدَ قَوْلَ ابْنِ التَّعَاوَيْذِيِّ:  
إِذَا اجْتَمَعَتْ فِي مَجْلَسِ الشَّرْبِ سَبْعَةٌ      فَبَادِرْ فَمَا التَّأْخِيرُ عَنْهُ صَوَابُ  
شِرَاءٍ وَشِمَامٍ وَشَهْدٍ وَشَادِنُ      وَشَمْعٍ وَشَادٍ مُطْرَبٍ وَشَرَابُ  
وَسَكَتَ الْبَاقُونَ، فَأَنْشَدَتْهُ لَابْنِ قَزَلٍ(\*):

عَجَلْ إِلَى قَعْنَدِي سَبْعَةٌ كَمَلَتْ      وَلَيْسَ فِيهَا مِنَ اللَّذَاتِ إِعْوَاظُ  
طَارٌ وَطَبْلٌ وَطَبْـبُورٌ وَطَاسٌ طَلَا      وَطُفْلَةٌ وَطَبْـبَـهـِـجٌ وَطَنَارُ  
وَأَنْشَدَتْ لَهُ أَيْضاً:

جَاءَ الْحَرِيفُ وَعِنْدِي مِنْ حَوَائِجِهِ      سَبْعٌ بِهِنَ قَوَامُ السَّمْعِ وَالْبَصْرِ  
مَوْزٌ وَمَرْزٌ وَمَحْبُوبٌ وَمَائِدَةٌ      وَمَسْمَعٌ وَمِدَامٌ طَيِّبٌ وَمَسْرِي

وَأَنْشَدَتْهُ لغيره أَيْضاً:

رَمَنَّا يَدُ الْإِيَامِ عَنْ قَوْسِ خَطْبِهَا      بِسَبْعٍ وَهَلْ نَاجٍ مِنَ السَّبْعِ سَالِمُ  
غِلَاءٍ وَغَارَاتٍ وَغَزَرٌ وَغَرِيَّةٌ      وَغَمٌّ وَغُدْرٌ ثُمَّ غَيْنٌ مَلَاظِمُ

(\*) سيف الدين علي بن قزل المشد: ولد بالقاهرة سنة ٦٠٢هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٥٦هـ. يراجع في ترجمته قوات الوفيات بتحقيق محمد محي الدين ١٢٩/٢، شذرات الذهب ٢٨٠/٥، تاريخ الأدب العربي لبيروكلسان ٧٨/٥، وقد نشر ديوانه بمناسبة المعارف بالإسكندرية، بعناية الدكتور محمد زغلوي سلام عام ١٩٩٩م. سلسلة تراث مصر الإسلامية العدد رقم (١).



فأعجبه رحمه الله ذلك وأمر بتعليقها ثم إنه قال: «إلا أن من خاصية هذا النوع أنه لا بد وأن يكون بعض هذه السبعة موصوفاً ليقوم الوزن بذلك؛ فاستقرت ما أحفظه، فكان كذلك»<sup>(١)</sup>.

فالصفدي لا ينشد شيخه قولاً واحداً أو قولين لابن قزول فحسب، بل ينشده له ولغيره أيضاً، ثم يفهم تعليق شيخه وتعقيبه على هذا النوع ويحفظه، وبعد انتهاء الدرس يفكر فيما قال أستاذه ويستدعي الشواهد التي يحفظها من ذاكرته، ويطبق القول النظري على الشواهد الأدبية حتى يطمئن على صحة ما قال الشيخ.

يقول «قلت: والعلة في ذلك أنها سبعة ألفاظ، ويريد الناظم أن يأتي بها في بيت واحد، فيضطره الوزن إلى زيادة لفظة ليكون كل نصف فيه أربعة»<sup>(٢)</sup>.

ثم يحكى أن هذا الكلام ظل في خلده أيام التحصيل والطلب حتى إذا ما انتهى من هذه المرحلة من حياته وأخذ يمارس الحياة العملية - وأغلب الظن كما يروى المقام أنها هنا الكتابة أو التدريس - أراد أن ينظم شيئاً في هذه المادة يقول: «فأردت امتحان الخاطر المخاطر بنظم شيء من هذه المادة بحيث يكون سبعة ألفاظ بغير زيادة وصفي، فاتفق ذلك»<sup>(٣)</sup>.

ومن شعره الذي مثل به على ما اتفق له في ذلك قوله:

إن قدر الله لي في العمر واجتمعتُ      سبعُ فما أنا في اللذات مغبونُ  
قصر، وقدر، ووقوداً، وقخبتهُ      وقهوة، وقناديل، وقانون<sup>(٤)</sup>

ويقول: وقلت في الجمع بين ثمانية:

إلى متى أنا لا أنفكُ في بلدٍ      رهينُ جسيماتٍ جورٍ كلُّها عطبُ  
الجوعُ والجسرىُ والجيرانُ والجدرى      والجهلُ والجبنُ والجردانُ والجرب<sup>(٥)</sup>

(١) الثيف المسجم في شرح لامية العجم ٢ ص ٤٥٨، ص ٤٥٩ دار الكتب العلمية بيروت د.ت.

(٢) السابق نفعه ٤٥٩/٢.

(٣) السابق نفعه ٤٥٩/٢.

(٤) السابق نفعه ٤٥٩/٢.

(٥) السابق نفعه ٢٦٠/٢.

وأما الإقبال على الطلاب النجباء واحترامهم وتوقيرهم فقد كان ديدن هؤلاء العلماء؛ يقول الصفدى عن أنير الدين أبى حيان الغرناطى: «وله إقبال على الطلبة الأذكياء، وعنده تعظيم لهم»<sup>(١)</sup>.

هـ- جمع عدد من الشعراء لدواوينهم الشعرية ونتاجهم الفنى:

من مظاهر انتعاش الحركة الفكرية فى مصر فى ذلك العصر جمع عدد من الشعراء لدواوينهم الشعرية ونتاجهم الفنى، فى هذه الفترة أو ما قبلها بقليل، وإن من يقرأ الغيث ليدرك تمام الإدراك أن دواوين الشعراء تشكل جزءاً أساسياً من مصادر الشرح على ما سنبين فيما بعد<sup>(٢)</sup>، وأن من بين هذه الدواوين التى اعتمد الصفدى عليها فى شرح اللامية دواوين الشعراء المصريين فى عصره وما قبله من عصور.

وقد أجمعت المصادر التى أرخت لشعراء هذه الفترة على جمع عدد كبير منهم لدواوينهم الشعرية، ونتاجهم الفنى، بل إن هذه المصادر تدلنا على أن بعض هذه الدواوين قد حاز شهرة واسعة؛ إما لجودته الفنية، وإما لأنه يشتمل على موضوع واحد، وإما لأنه يشتمل على فن واحد من فنون النظم وغالباً ما يكون الموشح.

ويأتى فى مقدمة هؤلاء الشعراء شهاب الدين العزازى المتوفى سنة ٧١٠هـ<sup>(٣)</sup> وكان شاعراً مجيداً قال فيه ابن تغرى بردى: «وكان له النظم الرائع، وله ديوان شعر مشهور»<sup>(٤)</sup> وقال: «والعزازى هذا صاحب الموشحات الظرفية المشهورة»<sup>(٥)</sup>.

وكذلك الشاعر ابن المرحل<sup>(٦)</sup> وكان شاعراً مصرياً مجيداً، أثنى صاحب النجوم

(١) نكت الهميان ص ٢٨٠.

(٢) فى الفصل الخاص بمصادر الشرح.

(٣) شهاب الدين العزازى هو أبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز بن جامع شهاب الدين العزازى حيث ينسب إلى بلدته عزاز من بلدان الديار الشامية والتى بها ولد ونشأ وتربى. رحل إلى القاهرة وعاش بها من عمله بالتجارة وقد برع فى الموشحات وكانت وفاته عام ٧١٠هـ راجع: الدرر الكامنة ١/ ١٩٣، النجوم الزاهرة ٩/ ٢١٤، المنهل الصافى ٩/ ٢٦٣، الإعلام ١/ ١١٤.

(٤) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢١٤. (٥) السابق نقه ج ٩ ص ٢١٤.

(٦) هو صدر الدين أبو عبد الله محمد بن زين الدين عمر بن مكى بن عبد الصمد العثمانى المعروف بابن المرحل، وابن الوكيل ولد سنة ٦٦٥هـ، وتوفى سنة ٧١٦هـ، راجع ترجمته فى الدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى ١/ ٢٧.

الزاهرة على شعره وقال: «وله الشعر الرائق الفائق في كل فن من ضروب الشعر»<sup>(١)</sup> وقال - أيضاً - : «وقلت: وله ديوان موشحات»<sup>(٢)</sup>.

وثمة شاعر ثالث لا أرتاب في أنه جمع شعره بنفسه هو شمس الدين محمد ابن عفيف الدين التلمساني<sup>(٣)</sup> المتوفى سنة ثمان وثمانين وستمائة، الذي قال فيه صاحب النجوم الزاهرة: «وشعره في غاية الحسن والجودة، وديوان شعره مشهور بأيدي الناس»<sup>(٤)</sup>.

ولقد وقع هذا الديوان في يد الصفدي، بل وقعت أنفُسُ نسخته في يد الصفدي؛ وهي التي كتبها الشاعر بخط يده، وانتخب الصفدي منها الكثير ونقل منه في الغيث.

والصفدي يصرِّح في غير موضع أن ما ينقله عن شمس الدين التلمساني إنما ينقله من خط يده، ولقد امتدح الصفدي شعر التلمساني في مناسبات عديدة ووصفه بالحلوة والرشاقة يقول: «ألا ترى إلى قول شمس الدين محمد ابن العفيف التلمساني ومن خطه نقلت:

وَعُيُونُ أَمْرَضَنَ جِسْمِي وَأَضْرَ      مَنْ بِقَلْبِي لَوَاعَجَ الْبَلْبَالِ  
وَحُدُودٍ مِثْلَ الرِّيَاضِ زَوَّ      إِيَّاهُ مَا لِأَيَّامٍ حُسْنُهَا مِنْ زَوَالِ  
لَمْ أَكُنْ مِنْ جَنَاتِهَا عَلِمَ اللَّ      هُ وَأَنِّي لِجَمْرِهَا الْيَوْمَ صَالِي

ما أحلاه وأرشقه، وكيف خدمته لفظة «جناتها» قصارت من «الجنى» لا من الجنانية»<sup>(٥)</sup>.

(١) النجوم الزاهرة ج٩ ص ٢٣٤.

(٢) السابق نفسه ج٩ ص ٢٣٤.

(٣) هو شمس الدين محمد بن عفيف الدين التلمساني المعروف بالشاب الظريف، ولد بالقاهرة عام ٦٦١هـ، ومات عام ٦٨٩هـ، تراجع ترجمته في النجوم الزاهرة ٣٧١/٧، البداية والنهاية ٣١٥/١٣، شذرات الذهب ٤٠٥/٥.

(٣) النجوم الزاهرة ٣٨١/٧.

(٤) الغيث المسج ١١٩/١.



ويصفه بالحر الحلال الذي يلعب بالعقول فيقول: «وما أحسن قول شمس الدين محمد بن التلمساني منقولاً من خطه:

فَكَمْ يَتَجَافَى خَصْرَهُ وَهُوَ نَاحِلٌ      وَكَمْ يَتَحَالَى ثَغْرَهُ وَهُوَ بَارِدٌ  
وَكَمْ يَدْعَى صَوْتًا وَهَذِي جُفُونُهُ      يَفْتَرَّتْهَا لِلْعَاشِقِينَ تَوَاعِدُ

قلت: هذا هو السحر الحلال الذي يلعب بالعقول، ويدع الإعجاب بحسنه يقوم ويقول<sup>(١)</sup>.

ويطول بنا الحديث إن تتبعنا كل المواطن التي استعان فيها الصفدي بشعر التلمساني<sup>(٢)</sup>، بيد أن ما يجدر أن يلتفت إليه هو قوله في كل مرة «ومن خطه نقلت» فهي تدل دلالة واضحة على جمع الشاعر ديوانه بنفسه، وكتابه إياه بخط يده، وكان من الممكن أن لا تدل على ذلك إذا كررها الصفدي مرتين أو ثلاث مرات مثلاً، فحينئذ يجوز أن نقول: لقد أعطى الشاعر الصفدي القصيدة أو القصائد بعد أن كتبها مثلاً، أما وقد توفي الشاعر قبل أن يولد الصفدي، وقد تكررت إشارة الصفدي «ومن خطه نقلت» فليس لها من دلالة سوى ما أشرنا إليه من جمع الشاعر لشعره بخط يده.

وما قيل في شعر شمس الدين التلمساني يمكن أن يقال مثله في شعر السراج الوراق، وكان هذا الديوان المكتوب بخط صاحبه مصدراً مهماً من المصادر التي اعتمد الصفدي عليها في شرحه لامية العجم، حيث ضمن الشرح جزءاً كبيراً من شعر صاحبه، وصرح في غير مرة أنه ينقل من خط السراج الوراق، وهو أحياناً يورد بيتاً، وأحياناً يورد عدة أبيات، وطوراً يورد عدة مقاطع، فمثال إيراده بيتاً قوله عند الحديث عن قول الشاعر:

وَلَا بُدَّ مِنْ شُكْوَى إِلَى ذِي مُرُوءَةٍ      يُوَاسِيكَ أَوْ يُسْلِيكَ أَوْ يَسْوَجَعُ

«رأيتُ بخط السراج الوراق - رحمه الله تعالى - بيتاً قد زاده على هذا البيت وجعله ثانياً له حيث يقول:

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ٢٨٩.

(٢) ويمكن لمعرفة مزيد من هذه النصوص المنقولة من خط ابن التلمساني أن يراجع الغيث ١٣٧/١، ٢٠٣/١، ٢٦٥/١، ٢٢/٢ على سبيل المثال.

وإن كان من وصف المروءة خالياً يرائيك أو ييكبك أو ليس يسمع<sup>(١)</sup>

ومثال إيراده عدة أبيات قوله: «ونقلت من خط السراج الوراق قوله له:

هذا وجوختي الزرقاء تحبها من نسج داود في سردي واتقان

قلبتُها ففقدت إذ ذاك قائلة سبحان ربي بلى قلبي وأبلائي

إن النفاق لشيء لست أعرفه فكيف يطلب مني اليوم وجهان

لو أن صاحبنا الجزار أبصرها على أبصر لبدأ فوق جربان<sup>(٢)</sup>

ومثال إيراده عدة مقاطع قوله: «ونقلت من خط سراج الدين عمر الوراق له:

توارت من الوأشي بليل ذوائب له من جبين واضح تحته فجر

فدل عليها شجرها بظلامه وفي الليلة الظلماء يفقد البدر

ونقلت له منه في بخيل صدع<sup>(٣)</sup>:

وباخل يشأ الاضياف حل به ضيف من الصدع نزال على القمم

سأله ما الذي تشكو فجأوتني ضيف ألم برأسي غير محتشم

ونقلت منه له - أيضاً -:

إذا ما جعلتم جفنة الصلح سكرًا

فقد جثتم الأمر الذي كان أصلحًا

وانتم أحق الناس أن تتشددوننا

لنا الجففات الغر يلمعن في الضحى<sup>(٤)</sup>

وتارة يسهب في النقل حتى يبلغ ما ينقله عشرة مقاطع، وأحياناً يورد له أبياتاً ليست بالديوان أو ليست بخط الوراق وينص على أنها ليست بخطه أو لم يرها بخطه؛ يقول: «وله ولم أره بخطه».

(١) الغيث المسجم ج١ ص ١٥٦.

(٢) السابق نفسه ج١ ص ١٤٥.

(٣) النص في الغيث «صفع»، ولعل «صفع» تحريف والصواب «صدع» كما ذكرت.

(٤) السابق نفسه ص ١٢٢، ص ١٢٣.

وَسَقِيمُ الْجُفُونِ أَوْدَعَهُ اللَّـهُ بِذَلِكَ السُّقَامَ سِرًّا خَفِيًّا  
غَلَبَتْ مُقَلَّتَاهُ قَلْبِي عِشْقًا وَضَعِيْفَانِ يَغْلِبَانِ قَوِيًّا<sup>(١)</sup>

وكما جمع الشعراء دواوين أشعارهم، جمع العلماء أيضًا ما لهم من شعر في دواوين ومؤلفات؛ كالعلامة أثير الدين أبي حيان الذي يقول عنه الصفدي: «وانتفيت ديوانه وكتبته وسمعت منه»<sup>(٢)</sup>، وكشاف بن علي بن عباس بن إسماعيل ابن عساكر - الذي راسله الصفدي وراسل الصفدي - قد جمع ديوانه، وأجاز الصفدي في روايته عنه؛ يقول الصفدي: «وذكر لي تصانيفه التي أجازني روايتها عنه، وهي ديوان شعره، مناظرة الفتح بن خاقان المسمى شنفُ الأذان في مماثلة تراجم قلائد العقيان...»<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن الشعراء والعلماء المبدعين في هذا العصر لا يحصون كثرة، ويطول بنا المقام إن وقفنا ندلل على جمعهم لدواوينهم الشعرية جميعًا، فحسبنا ما مضى من حديث؛ فهو يدل على هذا المظهر من مظاهر انتعاش الحياة الفكرية بعصر في ذلك العصر.

#### و- مساهمة الحركة النقدية للحركة الإبداعية في الشعر والنثر:

لست أعني بالحركة النقدية هنا ما كتبه نقاد العصر وبلاغيوه من بحوث ودراسات تناولت الكشف عن وجوه إعجاز القرآن الكريم، أو تناولت الأدب العربي شعره ونثره فيما سبق من عصور بالتحليل، والتقويم وبيان خصائصه وسماته، وبيان أثر السابقين في اللاحقين، وسرقات اللاحقين من السابقين من الأدباء، فهذه دراسات يتوفر عليها العلماء والمتخصصون، وتدل دلالة قاطعة على خصوصية الحياة العلمية وجديتها. وإنما أعني بها تلك الحركة المتبعة والناقذة لأثار أدباء العصر وعلمائه في كل فنون النظم والنثر، فقد رأينا فيما سبق كيف كانت الحياة الأدبية قائمة على قدم وساق، وكيف عنى الشعراء والعلماء بآثارهم الفنية فدونها بأنفسهم، وأجازوا النابغين من طلابهم في روايتها مما أدى إلى قيام حركة نقدية تناولت هذه الأعمال الفنية بالتحليل والتقويم أو بالشرح والتفسير.

(١) الفيث المسجم ج١ ص ١٢٣.

(٢) نكت الهميان في نكت العميان ص ٢٨١، ٢٨٢.

(٣) السابق نفسه ص ١٦٤، ص ١٦٥.



وإذا كنا قد رأينا للنقد العربي في آثار السابقين بحوثاً ودراسات مستقلة تقسم المبدعين إلى طبقات أو تحلل آثارهم، فإننا نرى النقد الأدبي - في هذا العصر - وقد اندمج مع الأدب، ولم تعد له دراسات مستقلة كما كان الأمر في العصور السابقة، وأصبح الباحث محتاجاً لكي يدرس النقد في هذه الحقبة إلى أن يلتمسه في كتب المجاميع الأدبية، وعلى هذا فليس بصحيح ما شاع بين الدارسين من أن النقد قد اندمج مع البلاغة، أو تحول إلى بلاغة<sup>(١)</sup>، وإنما الصحيح أن البلاغة قد استقلت عن النقد وقعدت قواعدها، وألفت الكتب المستقلة فيها، واتخذ النقد الأدبي سبيله إلى كتب الأدب الجامعة التي احتوته واجتذبت، ومن يقرأ كتب الأدب العامة سواء تلك التي كتبها المصريون أم تلك التي كتبها الشاميون يدرك تمام الإدراك كيف اتخذ النقد الأدبي سبيله إلى هذه الكتب، وكيف أفسح هؤلاء النقاد - في هذه الكتب - المجال لنقد آثار معاصريهم الفنية؛ فالصفدي على سبيل المثال في «تشنيف السمع» يتناول كثيراً من شعر أهل العصر بالنقد والتحليل، يتوى في ذلك عنده الشعراء المصريون كأبي الحسين الجزار، والسراج الوراق وغيرهما، وشعراء الديار الشامية كمجير الدين محمد بن تميم، وشهاب الدين أبي الشناء محمود وغيرهما؛ ففي الباب الأول الذي جعله «في أوان البكاء» أورد قول أبي الطيب:

كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاتٍ فَلَمَّا سِرُّنَ سَارَا  
ثم أشار إلى تضمن مجير الدين محمد بن تميم للنصف الأول من هذا البيت بقوله: «وقد ضمن النصف الأول من هذا البيت مجير الدين بن تميم فقال:

وجيرانِ أَلْفُسُهُمُ زَمَانَا فَبَعْدَهُمْ نَوَى الْحَدَثَانِ عَنِّي  
أَثَارُوا عَيْسَهُمْ فَجَرَتْ دُمُوعِي كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي»<sup>(٢)</sup>

(١) يرى الباحث أن هناك مابين رئيسين تسببا في شيوع هذه الفكرة هما: ما يقابل الدارس في هذه الفترة من كثرة المؤلفات البلاغية ومن طغيان المذهب البديعي على الأدب والفن من جهة، وعدم نشر الكثير من الكتب والمؤلفات المخطوطة والطبوعة لعلماء هذه العصور نشرًا علميًا محققًا من جهة أخرى.

(٢) تشنيف السمع بانكتاب الدمع: صلاح الدين الصفدي مطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر

د. ت نسخة مصورة عن دار الكتب ص ٣٩، ٤٠.

وفي الباب السادس من الكتاب يورد الأبيات الآتية لسراج الدين الوراق:

ودموع في إثرهن دماءٌ      كانسكاب الولي بعد الوسمي  
تراكضن بين شهب وجمر      والغواني يئكين حوالى بدهم  
وزناء العيون تظهرون      شهب الدمع في الظلام برجم

ثم يعلق عليها بقوله «قلت: انظر كيف أتى بذكر الرجم مشتركاً بين رجم النجوم وغيره، وأيده بلفظ الشهب التي وطأ بها في كون الدمع، وأكدته بذكر الظلام، فلما كثرت التوسطات جاز ذكر الرجم في موضعه متمكناً من القواعد التي قررها له، والدمع في قوله ليست صفة الدمع، بل هي صفة العيون لأنه جاء في ذكر الغواني»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الصفدي قد تناول ما اختاره من شعر معاصريه بالنقد، فإنه أيضاً تناول شعر الشعراء السابقين لهم في القرنين الخامس والسادس بالنقد والتحليل، يجلي محاسنه، ويظهر معاييبه، وينقّب عن أصول ألفاظه ومعانيه في شعر الأولين، ومثال ذلك أنه عند الحديث عن تشبيه الدمع بالؤلؤ أورد قول الأرجاني:

لَمْ يَسْأَرُوا فِي كَأْسِ دَمْعِي فَضْلَةً      عَنْكُمْ فَأَجْعَلُهَا نَصِيبَ الْأَرْبَعِ  
هُوَ ذَلِكَ الدُّرُّ الَّذِي أَلْقَيْتُمُو      فِي مَسْمَعِي أَلْقَيْتُهُ مِنْ أَدْمَعِي

ثم يعقب عليه بقوله إنه يشبه قول محمود الخوارزمي صاحب الكشف يرى شيخه أبا نصر:

وقائلة ما هذه الدرر التي      تساقط من عينيك سيطين سيطين  
فقلت لها الدر الذي منه قد حشى      أبو نصر أذني تساقط من عيني<sup>(٢)</sup>

وهو في هذا التعقيب لا بشرح قول الأرجاني وإنما يقف بالقارئ على مصدره، أو يسوق للقارئ ما يشبهه من كلام معاصريه فيورد بيتي الخوارزمي، ولم يكتف الصفدي بهذا التعقيب على بيتي الأرجاني، وإنما يتعدى هذا إلى بيان صعوبة الحكم باختلاس أحدهما المعنى من الآخر لأنهما متعاصران، ثم لا يزال يتبع

(١) تشيف الممع بانسكاب الدمع: صلاح الدين الصفدي ص ٥٤.

(٢) تشيف الممع بانسكاب الدمع ص ٧١.

المعنى حتى يقف به عند أبي العلاء المعري فيقول: «والأرجاني وصاحب الكشف  
رحمهما الله تعالى كانا متعاصرين؛ لأن الأرجاني توفي سنة أربع وأربعين  
 وخمسمائة، وصاحب الكشف توفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة؛ فما تحكم  
 لأحدهما أنه أخذ المعنى من الآخر، نعم إن الأرجاني أقعد منه بالشعر وبتخيل  
 المعاني، وليس أحدهما بصاحب المعنى؛ لأن أبا العلاء المعري توفي سنة تسع  
 وأربعين وأربعمائة وقد قال:

وَأَلْقَيْنَ لِي دُرًّا فَلَمَّا عَدَدْتُهُ غِنَى مَسَحَتْهُ شِقْوَةُ الْحَدِّ أَدْمَعِي<sup>(١)</sup>

كما تقابلنا في هذا الكتاب من كتب الموضوعات الأدبية آراء نظرية مهمة في  
 النقد من مثل قوله: «وقل من تجدد كلامه ينخرط في سلك واحد إذا أجاد، فإذا  
 ظفرت به فذلك الفذ الذي يعد من الأفراد، وأبو عبادة البحتري ممن لا يعلو ولا  
 يسفل، بل هو نموذج واحد، فكل كلامه من البسائط التي جزؤها يشبه كلها»<sup>(٢)</sup>  
 ومن مثل قوله فيما يقع فيه الشعراء من التناقض: «وربما عاب بعض الناس مثل  
 هذا على الشعراء إذا تناقض كلامهم، وليس ذلك على إطلاقه، بل هو مشروط  
 أن يكون ذلك في مقام واحد، أعني في قصيدة واحدة، أما إذا كان التناقض في  
 قصيدتين فلا يعد ذلك عيباً كقول امرئ القيس:

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَّانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ  
 وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي

ثم إنه قال من قصيدة أخرى:-

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِبِلٌ فَسَعَزَى كَأَنَّ قُرُونًا حُلَّتْهَا عِصَى  
 فَتَمَلَأَ بَيْتَنَا أَقْطًا وَسَمًا وَحَبَّكَ مِنْ غِنَى شَيْعٍ وَرَى<sup>(٣)</sup>

ثم استشهد بأبيات أخر للمصنبي وقال: «ودواوين الشعراء ملأى من التناقضات  
 في اختلاف المقام، ولم يعد النقاد ولا الخدائق ذلك عيباً؛ لأن الشاعر يتكلم على  
 حسب حالاته وما تحدثه به نفسه من اللو مرة، ومن دوام الحب أخرى، ومن  
 القناعة مرة، ومن الغنى أخرى...»<sup>(٤)</sup>.

(٢) السابق نفسه ص ٢١.

(١) تشييف السع بانكتاب الدع ص ٧١.

(٤) السابق نفسه ص ٥٠.

(٣) السابق نفسه ص ٤٩، ص ٥٠.



وعلى هذه الطريقة يمضى الصفدى فى هذا الكتاب، وهكذا ترى الكتاب الأدبى وقد تحول إلى كتاب نقدى يفسح فيه صاحبه أوسع مجال للنقد الأدبى بشقيه النظرى والتطبيقى.

كما نرى المؤرخين فى كتب التراجم عند حديثهم عن الشعراء يتحدثون عن دواوينهم الشعرية وأشعارهم، ويوردون أطرافاً منها، وقد يعلقون عليها، وكثيراً ما نحل تعليقاتهم آراء نقدية فى غاية الأهمية؛ فابن كثير المؤرخ والمفسر يتحدث عن الصفدى فيقول «وأشدنى الفاضى صلاح الدين الصفدى . . . . لفته فيما عكس عن المتنبي فى يديه من قصيدته وهو قوله:

إِذَا اعْتَادَ الْفَتَى خَوْضَ الْمَنَاءِ      فَأَسْرُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْوُصُولُ

قال:

دُخُولُ دِمَشْقَ يُكْسِبُنَا نُحُولًا      كَأَنَّ لَهَا دُخُولًا فِي الْبَرَاءِ  
إِذَا اعْتَادَ الْغَرِيبُ الْخَوْضَ فِيهَا      فَأَسْرُ مَا يَمُرُّ بِهِ الْمَنَاءُ<sup>(١)</sup>

ولا يكتفى ابن كثير بإيراد ما أنشده إياه الصفدى، بل يعلق على الأبيات تعليقاً يصفها فيه بالحسن والقوة، ويصف عكسه لبیت المتنبي بالصحة لأنه عكسه لفظاً ومعنى؛ يقول «وهذا شعر قوى، وعكس جلى لفظاً ومعنى»<sup>(٢)</sup>.

وصفوة القول إن النهضة الأدبية فى هذا العصر قد أدت إلى ظهور حركة نقدية مماثلة لها فى القوة والوضوح.

\*\*\*

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج١٤ ص ٢٩٨ دار الفكر العربى د. ت.

(٢) السابق نفسه ص ٢٩٨.

### ثالثاً: الحركة الفكرية في الشام عوامل إزكائها، ومظاهر انتعاشها:

إذا كان قد قُدِّرَ لمصر أن تكون مركز الثقل الثقافي والحضارى في المنطقة في هذا العصر، وأن تحمى التراث الإسلامى الزاخر وتصوره من الضياع، فإن الشام قد كانت من وراثها تحمل بعض العبء، وتسهم بنصيب في الحفاظ على ما تبقى من آثار آبائنا وأجدادنا بما تهيأ لها من وسائل وعوامل أدت إلى استقرار الحياة بها وانتظام الأمور فيها على نحو أوحى بالثقة والأمان لنفر من جُلَّة علماء بغداد الذين دهمهم الغزو الترى فشدوا رحالهم إليها، واستقر ببعضهم الحال في دمشق، واستقر الحال ببعضهم الآخر في حلب وغيرها من سائر البلدان الشامية.

أما دمشق فقد كانت عاصمة الديار الشامية، ولم يكن ببلاد الشام يومها مدينة تضاهيها جمالاً وهدوءاً، وبها ذلك الجامع العتيق الذى بناه الخليفة الأموى الوليد ابن عبد الملك، وهو أقدم أثر ثقافى إسلامى بها، ولقد قام هذا الجامع بدور رائد في هذا العصر؛ إذ انتظمت به حلقات الدرس، وكان مصدر نور وهداية وعرفان؛ حيث تخرج فيه مشاهير علماء العصر ونيغازه في كل الميادين، ودرس فيه عدد جهم من شيوخ العلم، وكبار المحدثين والفقهاء في كل العصور<sup>(١)</sup>.

وكان بها عدد كبير من المدارس التى أنشئت زمن الأيوبيين لتعليم العلوم الدينية والدينية جميعاً، من مثل المدرسة النورية الكبرى<sup>(٢)</sup> والمدرسة النورية الحنفية الصغرى<sup>(٣)</sup> وقد أنشأهما نور الدين محمود بن زنكى، والمدرسة التقوية التى بناها تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين<sup>(٤)</sup>، ودار الحديث النورية<sup>(٥)</sup>، ودار الحديث الأشرفية<sup>(٦)</sup> ودار الحديث الأشرفية البرانية<sup>(٧)</sup>، كما كان بها عدد من المدارس لتعليم الطب من مثل المدرسة الدخوارية<sup>(٨)</sup> التى أنشأها مهذب الدين عبدالرحيم بن على

(١) راجع فى الحديث عن هذا المسجد: الدارس فى تاريخ المدارس للتعيىس ٣٧١/٢ - ٤١٦.

(٢) راجع فى الحديث عن هذه المدرسة: الدارس ٦٠٦/١ وما بعدها.

(٣) راجع فى الحديث عن هذه المدرسة: الدارس ٦٤٨/١ وما بعدها.

(٤) راجع فى الحديث عن هذه المدرسة: الدارس ٢١٦/١.

(٥) راجع فى الحديث عن هذه المدرسة: الدارس ٩٩/١.

(٦) راجع فى الحديث عن هذه المدرسة: الدارس ١٩/١.

(٧) راجع فى الحديث عن هذه المدرسة: الدارس ٤٧/١.

(٨) راجع فى الحديث عن هذه المدرسة: الدارس ١٢٧/٢.

ابن حامد المعروف بالدخوار عام ٦٢١ هـ والمدرسة الدنيرية<sup>(١)</sup> التي أنشأها عماد الدين الربيعي الدنيري، والمدرسة اللبودية التي أنشأها عام ٦٦٤ هـ نجم الدين يحيى ابن محمد بن اللبودي<sup>(٢)</sup>، ونشطت الحركة العلمية بهذه المدارس نشاطاً ملحوظاً، وازداد نشاطها في عهد المماليك، فكثرت إقبال الطلاب على تلقي العلوم والمعارف بها، وكانت وفود العلماء تذهب إليها من مصر لتقوم بالتدريس بها وبغيرها من المدارس التي أنشأها المماليك؛ كالمدرسة الظاهرية الجوانية التي أنشأها السلطان الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٧٠ هـ<sup>(٣)</sup> مما أدى إلى ازدهار الحياة الفكرية والعلمية والأدبية بدمشق، وساعد على كثرة علمائها ومفكراتها في ذلك العصر.

ولم يكن بناء المدارس في دمشق وفقاً على الأمراء والسلاطين من بني أيوب ومن خلفوهم في حكم البلاد كسلاطين المماليك فحسب، بل كان كثير من ذوي اليسار يسهمون في بناء المدارس؛ كنقيس الدين أبي الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الواحد بن إسماعيل بن سلامة بن علي بن صدقة الخرائي الذي كان ذا ثروة من المال أوقف منها داراً للحديث سميت بدار الحديث النفيسية<sup>(٤)</sup>، بل إن بعضهم كان يوقف بآخرة من عمره داره التي كان يكتفيها على التدريس مثلما فعل بهاء الدين أبو محمد القاسم بن بدر الدين أبي غالب المظفر الذي أوقف داره على دراسة الحديث وسميت بدار الحديث البهائية<sup>(٥)</sup>.

وفي هذه الأعصر المتقدمة وعت المرأة دورها الاجتماعي، وما يمكن أن تقوم به من عمل يسهم في رقي الأمة الإسلامية معرفياً؛ فقد حدثنا النعيمي في الدارس عن المدرسة الأتابكية التي أنشأتها خاتون بنت عز الدين مسعود، وكانت من أكبر مدارس الشافعية بدمشق<sup>(٦)</sup>، ودرّس بها مشاهير علماء العصر من مثل تاج الدين الإسكندري الشحرور (ت ٦٦٣ هـ)، وصفي الدين الهندي (ت ٧١٥ هـ)، ونجم

(١) راجع في الحديث عن هذه المدرسة: الدارس ١٣٣/٢.

(٢) راجع في الحديث عن هذه المدرسة: الدارس ١٣٥/٢.

(٣) راجع في الحديث عن هذه المدرسة: الدارس ٣٤٨/١.

(٤) راجع في الحديث عن هذه الدار: الدارس ١١٤/١.

(٥) راجع في الحديث عن هذه الدار: الدارس ٥٥/١.

(٦) راجع في الحديث عن هذه المدرسة: الدارس ١٢٩/١.



الدين بن صصري (ت ٧٢٣هـ)، وصحبي الدين بن جهيل (ت ٧٤٠هـ)، وتقي الدين البكي (ت ٧٥٦هـ) وغيرهم.

وأما حلب فقد كانت ثاني مدن الشام بعد مدينة دمشق، ونهياً لها ما نهياً لدمشق من انتعاش فكري؛ فقد كان بها عدد كبير من المدارس كالمدرسة الزجاجية التي أنشأها سنة ٥١٥ هـ بدر الدولة سليمان بن أرتق، والمدرسة العسرونية<sup>(١)</sup> التي أنشأها سنة خمس وأربعين وخمسمائة نور الدين محمود بن زنكي الذي بنى عدداً آخر من المدارس بسائر بلدان الشام كحماة، وحمص، وحران، والقدس<sup>(٢)</sup>. ولقد اهتم نور الدين محمود بن زنكي بدمشق وحلب وسائر مدن الشام، وأراد أن تكون الشام قلعة فكرية، وأن تمثل مدن الشام الكبرى بأساطين أهل الفكر حيث ذكر الأستاذ الرئيس محمد كرد علي أنه «كان يجلب العلماء من القاصية ويسكنهم بالشام مثل قطب الدين النيسابوري، وشرف الدين بن أبي عسرون، وكان يبنى لهم المدارس، ويغدق عليهم وعلى مريديهم أنواع الإحسان والمرتبات<sup>(٣)</sup>» لذا كثر العلماء بهذه الديار حتى لقد أحصى فقهاء الشام في عهد صلاح الدين فكانوا ستمائة فقيه<sup>(٤)</sup>.

هذا عدا المحدثين، والمفسرين، والمؤرخين، واللغويين، والأدباء، والأطباء، والمهندسين، وغيرهم، ولا شك أن هذه الكثرة تصور من بعض الوجوه كيف كان رقي الحياة الفكرية في ذلك الوقت، هذا الرقي الذي هيا للشام أن تتبوأ في العصر المملوكي الأول مكانة مرموقة بين أقاليم المجتمع الإسلامي، وأن تكون قبلة يؤمها طلاب العلوم والمعارف رغبة في تلقي العلم على أيدي شيوخها ومفكريها.

ولقد أورد الأستاذ محمد كرد علي في كتابه خطط الشام جريدة<sup>(٥)</sup> بأسماء أشهر علماء الشام في القرون السادس، والسابع، والثامن في كل فروع العلم والمعرفة التي كانت شائعة في ذلك الوقت كالطب، والفلك، والرياضة، والهندسة، والفلسفة، والمنطق، واللغة، والنحو، والتاريخ، والحديث، والقراءات القرآنية،

(١) راجع في الحديث عن هاتين المدرستين: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام لأحمد أحمد بدوي ص ٧٠.

(٢) راجع في الحديث عن مدارس هذه البلدان الحياة العقلية - مرجع سابق ص ٧٢ وما بعدها.

(٣)، (٤) خطط الشام ٣٩/٤.

(٥) خطط الشام ج ٤ ص ٣٨ ومن ص ٤٣ ص ٥٥.

والأدب الذي ازدهرت فنونه وكثر دارسوه، ولعلت في سماء دمشق أسماء كثيرة  
 لعدد كبير من بلابله الصداحة كشهَاب الدين أبي الشَّاء محمود الذي جمع عدداً من  
 فصائده في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في ديوان أسماه أسنى المانح في  
 أسنى المذائح<sup>(١)</sup>، وكمجبر الدين محمد بن تميم الذي جمع ديوان شعره بنفسه -  
 فيما يبدو لي- لأنه قد توفي سنة أربع وثمانين وستمائة أى قبل ميلاد الصفدى  
 بأثنى عشر عاماً تقريباً، على حين نجد الصفدى ينقل عن ديوانه في الغيث ويصرح  
 في كل مرة أن ما ينقله من خط يد مجبر فيقول مثلاً: «وما أحلى قول مجبر الدين  
 محمد بن تميم، وقد اجتاز ليلةً بدار صاحب له ومعه شمعة وقد طفئت، فأوقدها  
 من داره، ومن خطه نقلت:

لَمَّا أَرَزْتُكَ شَمَعَتِي لِتُنِيرَهَا      جَاءَتْ تُحَدِّثُ عَنْ سِرَاجِكَ بِالْعَجَبِ  
 وَأَفْتُهُ حَاسِرَةً فَقَبَّلَ رَأْسَهَا      وَأَعَادَهَا نَحْوِي بِتَاجٍ مِنْ ذَهَبٍ<sup>(٢)</sup>

وفي موطن ثان يقول بعد أن أورد له عدداً كبيراً من المقاطع الشعرية «وعلى  
 الجسلة فمحاسنه في التضمين كثيرة إلى الغاية، وأكثر ما أجاد في النشبه والتورية  
 والتضمين، وقال في كثرة تضمينه، وكل ما أوردته له نقلته من خطه:

أَطَالَعُ كُلَّ دِيْوَانٍ أَرَاهُ...      وَلَمْ أَزْجُرْ عَنِ التَّضْمِينِ طَيْرِي  
 أَضْمَنْ كُلَّ بَيْتٍ فِيهِ مَعْنَى      فَشِعْرِي نَصْفُهُ مِنْ شِعْرِ غَيْرِي<sup>(٣)</sup>

ولا شك أن كثرة عدد الشعراء من ناحية، وجمع مجبر الدين محمد بن تميم وغيره  
 لأنارهم الفنية من ناحية أخرى، ليصور ثراء الحياة الفكرية بالشام في ذلك العصر.

رابعاً: صورة الحياة الفكرية في العصر كما رسمها الصفدى في الغيث:

رسم الصفدى في الغيث صورة واضحة الملامح والقسمات للحياة الفكرية في  
 العصر بكل سماتها وخصائصها، وهذه الصفحات تحاول أن تقترب من الصورة  
 لتعرف على إطارها العام وخطوطها الرئيسية.

(١) الغيث المسج ١/ ١١٤، وقد طبع هذا الديوان مطبعة جريدة الشورى بمصر في أوائل القرن  
 العشرين.

(٢) السابق نقه ص ٤٨.

(٣) الغيث المسج ج ١ ص ١٢٢.

١ - والصفدي لا يلتزم في الغيث بشرح أبيات اللامية شرحاً لغويًا وأدبيًا فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى الحديث عن كل ما يستطيع من علوم العصر العقلية والعملية؛ كالكيمياء، والطب، والرياضيات، والفلسفة، والدينية كالفقه، والتفسير، والحديث، والإنسانية؛ كالناريخ، والأدب، واللغة.

وسيله إلى الحديث عن هذه العلوم الاستطراء والانتقال من موضوع إلى موضوع، ومن فن إلى فن، وهو عند حديثه عن العلوم التجريبية بلغة عصرنا أو العقلية بلغة عصرهم كالطب والكيمياء والرياضيات وغيرها لا يُلقي الكلام على عواهنه، وإنما ينسبه إلى أربابه.

أ - فقد عقد فصلاً في أول الكتاب عن الكيمياء، وذلك بمناسبة الحديث عن الطغرائي، وبراعته في علم الكيمياء، تحدث فيه عن تاريخها ومعناها، وتحدث عن إمكان صناعة الذهب من الزئبق والكبريت الطائرين فقال: «قال الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري: «أما إن أراد المدير أن يصنع ذهباً نظير ما صنعته الطبيعة من الزئبق والكبريت الطائرين فيحتاج إلى معرفة أربعة أشياء: كمية كل واحد من ذينك الجزأين، وكيفية ومقدار الحرارة الفاعلة للمطبخ وزمانه، وكل واحد منها عسيرُ التحصيل»<sup>(١)</sup>.

فهذا النص يدل دلالة واضحة على معرفة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري بالكيمياء، ومعرفته بطرق إجراء التجارب العلمية العملية، وهذا اللون من ألوان العلوم والمعارف التي كانت شائعة في ذلك العصر سجله الصفدي في الغيث.

ب - والصفدي يسجل في الغيث معرفة أهل عصره بالطب وقراءاتهم كتاب الثاقبون لابن سينا يقول: «أخبرني الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري قال: أخبرني الحكيم علم الدين عبدالرحيم ابن أبي خليفة رئيس الأطباء عن والده الحكيم الرشيد رئيس الأطباء بمصر زمن الملك الكامل أنه أتت إليه امرأة من الريف ومعها والدها وهو مصفرٌ ناحِل فوضع

(١) الغيث المسجود ج ١ ص ٢٢.



بله في نبضه وقال لغلامه: ناولني الفرجية، فتغير النبض تحت يده في الحال فقال لها: هذا الغلام عاشق واحدة اسمها فرجية، فقالت: إي والله يا مولاي وقد عجزت في عزله، فعجب الحاضرون من ذلك، أقول: إن الحكيم الرشيد إنما اهتدى إلى ذلك من كلام الشيخ أبي علي بن سينا في القانون<sup>(١)</sup>.

ج - وهو يسجل في الغيث معرفة العلماء في عصره للمعادن الكريمة وأنواعها؛ فقد عقد فصلا عن الياقوت وأنواعه ذكر فيه أن للشيخ الإمام شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري كتابا في الجواهر أسماء النخب الذخائر في أحوال الجواهر<sup>(٢)</sup>، وقد أشار الصفدي إلى أنه قرأ هذا الكتاب على مؤلفه ثم نقل عنه نصا يدل على تعمق ابن ساعد في هذا العلم ونبوغه فيه: «قال في ذكر الياقوت: فالرمانى أعلاها وهو الشبيه بحب الرمان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ الكثير الماء، يؤخذ لونه بأن يقطر على صفيحة فضة مجلدة قطرة دم فرمزي، أعنى من عرق ضارب، فلون تلك القطرة على تلك الصفيحة هو الرمانى»<sup>(٣)</sup>.

د - ويسجل فيه براعة علماء عصره في علم المناظر - وهو علم الضوء بلغة عصرنا - وتأليفهم فيه الكتب النفيسة عندما يقول: «وعلم المناظر علمٌ ظريف إلى الغاية، ولأبن الهيثم فيه كتاب جليل رأيت في سبع مجلدات، وأشهب الدين انقراني كرايس أودعها خمسين مسألة من المناظر سماها «الاستبصار فيما تدركه الأبصار»<sup>(٤)</sup>.

هـ - والصفدي يتحدث في الغيث عن المسائل الهندسية مما يدل على براعة القوم في علم الهندسة آنذاك، فقد عرف قطر الدائرة بأنه «الخط الذي يمر بالمركز ويقطع الدائرة بنصفين، وقيل هو أطول خط في الدائرة»<sup>(٥)</sup>.

(١) الغيث المجمع ج١ ص ٨٥.

(٢) السابق نفسه ج١ ص ٩٤.

(٣) السابق نفسه ج١ ص ٩٤.

(٤) السابق نفسه ج١ ص ١٤٣.

(٥) الغيث المجمع ج١ ص ٢٠٥.

ومضى الصفدى بعد ذلك يعرف الخط ويتحدث عن رسم أوقليدس للدائرة، ورد العلماء على أوقليدس، وتحدث عن نهاية العدد، والجذر الأصم، وتحدث عن الزوايا القائمة والحادة والمنفرجة، وتحدث عن الخط المستقيم، وتحدث عن رسم أرشميدس له، وكل هذه معارف لا تنأت له من فراغ، وإنما تنأت له بالدرس والتحصيل، وهذا يدل على أن هذا العلم من العلوم التى أولاها العصر جانباً من اهتمامه ورعايته.

و - يتحدث عن علم الفلك وحركة الأفلاك حديثاً يدل على معرفته بها معرفة نظن أنها مستوحاة من معرفة علماء العصر بها حيث يقول: «إن كل كوكب من الكواكب السيارة فى فلك يخصه، وهو مرصع فى فلكه كالقصر فى الختام، والأفلاك السبعة دائرة من المغرب إلى المشرق بدليل أن الهلال يرى فى الليلة الأولى فى مكان، وفى الثانية ينتقل إلى مكان آخر آخذاً إلى جهة الشرق، وفى الثالثة والرابعة كذلك إلى آخر الشهر حتى يكتمل لفلكه الدورة وهو أن يعود إلى النقطة التى كان عليها أولاً، وهذه الحركة للفلك لا للكوكب، وهى الحركة الذاتية المختصة بكل فلك، وهذه الأفلاك السبعة وفلك البروج هو فلك الثوابت يحيط بها فلك تاسع يسمى الأطلس لأنه لم يظهر للعين فيه شئ من الكواكب، ولعل فيه كواكب لا ترى للبعد المفرط، وهذا الفلك الأطلس يدور بما فى باطنه من الأفلاك الثمانية فى كل يوم وليلة من المشرق إلى المغرب دورة كاملة فحينئذ لكل فلك من الثمانية دورتان: ذاتية وهى التى من المغرب إلى المشرق وقسرية وهى التى من المشرق إلى المغرب»<sup>(١)</sup>.

ويتحدث عن تقريب العلماء لهاتين الدورتين فيقول: «وقربوا تفهيم ذلك بتملة ماشية إلى اليسار على رضى دائرة إلى اليمين، فلتتملة فى هذه الحالة حركتان ذاتية، وقسرية»<sup>(٢)</sup>.

ومضى يذكر الأسباب التى جعلت العلماء يطلقون على الحركة العظمى اسم الحركة القسرية، ومضى أيضاً يتحدث عن حديث ابن ساعد الانصارى عن تدوير

(١) السابق منه ج١ ص ٢٣٧، ص ٢٣٨

(٢) السابق منه ج١ ص ٢٣٨.

فلك المريخ. وهذا كله يدل على اهتمام علماء العصر بعلم الفلك ويصور بعض مظاهر هذا الاهتمام.

٢ - والكتاب يصور ما وصل إليه المجتمع من تدهور أخلاقي، وما شاع بين جمهور أدباء العصر من تناول الأمور الجنسية في أشعارهم، حيث يورد الصفدي في الكتاب نصوصاً نظمها الشعراء في المعاني الجنسية، وفيما تراود به المرأة الرجل عن نفسه، بل فيما تقوله المرأة للرجال أثناء معاشرتهم إياها، وأورد نصوصاً نظمها الشعراء في وصف أحوالهم عند معاشرة النساء، ولا سيما حين لا يقوون على ذلك<sup>(١)</sup>، وهذه النصوص من الكثرة بمكان، وهي مبنوثة في تضاعيف الكتاب بجزيء، وقد أعرضت عن إيراد شيء منها هنا للاستشهاد به.

والكتاب يصور من جهة ثانية وجود عادة الشذوذ الجنسي بين الشعراء والكتاب في ذلك العصر، ويورد نصوصاً كثيرة في اللواط وغيره من صور الشذوذ، بل يورد حكايات في غاية الغرابة والإيغال في السخف، حيث يستنكر الذوق العام المعاصر حدوثها لا أقول من عامة الناس بل من أراذلهم فضلاً عن رجال العلم والدين والأدب، والأغرب والأعجب أن يطلب هؤلاء الأدباء الفضلاء الاستمتاع بالغللمان المرد في بيوت الله عز وجل؛ حيث روى الصفدي عن ابن ميد الناس البعصرى أن الشيخ شهاب الدين بن النحاس دخل إلى الجامع الأزهر فوجد أبا الحسين الجزار جالسا وإلى جانبه مليح، ففرق بينهما<sup>(٢)</sup>.

وعلى العموم فالتغزل بالغللمان ووصف الباء، والاشتياق إلى مباشرة الغلمان كل هذه من الموضوعات الرئيسية التي تقابل الدارس لشعر هذه الفترة ولا تخلو منها دواوين الشعراء، وقد أورد الصفدي فيها نصوصاً كثيرة<sup>(٣)</sup> أعرضت عن الاستشهاد بنماذج منها هنا لمجافاتها للذوق العام في عصرنا الحالي، وصورتنا للبحث عن هذا السخف.

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ٢١١، ج ٢ من ص ٢٣٦ إلى ص ٢٤١، وهذا على سبيل المثال فقط.

(٢) الغيث المسجم ج ١ ص ٣٨٩، ص ٣٩٠.

(٣) السابق ج ٢ ص ٥، ص ٦، ص ٧، ص ٨، وهذا على سبيل المثال فقط فهذا الشعر كثير في الكتاب كما قلت في المتن.



٣ - والكتاب بصور معلما آخر من المعالم المميزة للطابع الفكري العام الذي سيطر على الأدباء ووجه كتاباتهم وأشعارهم، وهو شيع البديع بكل أنواعه الحسن منها والردى، والمنسجم منها مع السياق والمتكلف، والكتاب يركز على أنواع ثلاثة من أنواع البديع وهى الجناس والتورية والتضمن، وحرى بالذكر أن الصفدى خص أول هذه الأنواع البديعية بكتاب مستقل هو «جنان الجناس»<sup>(١)</sup>، وأقر للتورية كتابا ثانيا تحدث فيه عنها، وتحدث فيه عن لون آخر من ألوان البديع وهو الاستخدام وسمى كتابه «فض الختام عن التورية والاستخدام»<sup>(٢)</sup>.

والصفدى - وإن لم يخص التضمن بكتاب مستقل - قد استحسنه وصوره شيعه فى نظم معاصريه، وأتى فى الجزء الأول من الغيث خاصة بشواهد من شعره عليه؛ حيث ضمن أبياته أبياتا، وأنصاف أبيات كثيرة للتبني وغيره.

فعند شرحه لقول الطغرأتى «فيم الإقامة بالزوراء لا سكنى.....» البيت تحدث عن تضمين الشعراء لهذا المثل: «لا ناقة لى فى هذا ولا جمل» فقال: «وما أعرف أحدا ضمن هذا المثل - أعنى لا ناقة لى فى هذا ولا جمل - أمكن ولا أحسن من قول الشهاب أبى الثناء محمود أنشدنى لنفسه إجازة من قصيدة:-

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَيْنَ الْغَيْثُ مُنْفَصِلًا	مِنْ بَرِّهِ وَهُوَ طَوَّلَ الدَّهْرَ مُتَّصِلًا
مِنْ حَاتِمٍ عَدَّ عَنْهُ وَاطَّرَحَ قَبْلَهُ	فِي الْجُودِ لَا بِسِوَاهُ يُضْرَبُ الْمَثَلُ
أَيْنَ الَّذِي يَرَاهُ الْأَلْفُ يُشَبَّعُهَا	كَرَائِمِ الْخَيْلِ مِمَّنْ يَرَاهُ الْإِبِلُ
لَوْ مَثَلَ الْجُودُ سِرْحَانًا قَالَتْ حَاتِمُهُمْ:	لَا نَاقَةٌ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلٌ» <sup>(٣)</sup>

ومضى الصفدى يقارن بين تضمين الطغرأتى وتضمنين أبى الثناء محمود للمثل، وقد استهجن تضمين الطغرأتى وقبحه، واستحسن تضمين الشهاب ووصفه بأنه

(١) هذا الكتاب حققه الأستاذ سمير حسين حلبى ونشرته دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٩٧٨ وحققه - أيضا - الأستاذ هلال ناجى، ونشرت مقدمة التحقيق بالعدد الثالث من السنة الأولى من مجلة الذخائر صيف ١٤٢١هـ ٢٠٠٠ ولما ينشر النص حتى مثول كتابنا هذا الكتاب للطبع.

(٢) هذا الكتاب حققه ونشره الدكتور المحمدي عبدالعزيز الحناوى عام ١٩٧٩م وأرى أنه بحاجة إلى تحقيق جديد؛ لأن المحقق قد تصرف فى الكتاب يحذف كثير من نصوصه.

(٣) الغيث المسجم ج ١ ص ١١٨، ص ١١٩.

إجاء في مكانه منجم التركيب، ثابتاً في معناه، حتى كأنه ما برز إلى الوجود إلا في هذا المكان، ولا ظهر إلا في هذا القلب»<sup>(١)</sup>.

ثم بين شيوخ هذا اللون البديعي في نظم معاصريه من مثل سراج الدين الوراق، ومجير الدين بن تميم، وأورد نصوصاً كثيرة من شعرهما ومن شعره هو تدل على هذه الظاهرة<sup>(٢)</sup>.

هذا عن التضمين، أما الجناس فقد كان لونا بديعياً له منزلة ومكانته في هذا العصر، والصفدي في الغيث بصور تفوقه على ضروب البديع الأخرى، وكيف أن إجادته غايةً كان الأدباء يسعون إلى بلوغها، وقد أغرم الصفدي نفسه بهذا اللون البديعي وألف فيه كتاباً مستقلاً كما قلت، وكان يلتزم الإتيان به في ثانياً كلامه، وإن مقدمة الغيث لتصور مبلغ ولوع الصفدي بالجناس أدق تصوير، فهو يقول في بيان مكانة اللامية «أما فصاحة لفظها فيسبق السمع إلى حفظها، وأما انسجامها فيطوف بخمر الأنس جامها، . . . . وأما قوافيها فتذهب القوي فيها»<sup>(٣)</sup>.

ويقول في شرح الظروف الصحية التي كان يعايشها في أثناء كتابة الشرح: «وقد علقت هذا الشرح وأنا في هموم قد علم الله ترادف بعوثها، وانسكاب غنائم غمومها وغيوثها، واقتراس فوارسها، وأذهلني الجناس عن ذكر ليوثها»<sup>(٤)</sup>.

وكان إذا ما أعجبه قولٌ أو بيت لأحد الشعراء أو الكتاب لما فيه من البديع يعرضه على أصدقائه من كبار أدباء العصر ليعرف رأيهم فيه أو ليقفهم على ما به من مظاهر الحسن بقول: «ووقفت أيضاً على بيتين لأبي الحسن الجزار وهما:

يا رب إن أعذمتني راحة الدنيا      فذهب لي راحة الآخرة  
في بلدتي لم أخل من هاجر      ورحلتي لم أخل من هاجر

(١) الغيث المسجج ج١ ص ١١٩.

(٢) يمكن أن يراجع الغيث ١ / ١٢٠ - ١٢٥.

(٣) السابق نفسه ج١ ص ١٠.

(٤) السابق نفسه ج١ ص ١٤.

فأعجباني وأنشدتهما لبعض أدباء العصر في زعمه، وكررت العجب منهما، فقال: لقد نفخت في غير ضرم، أي شيء قال؟ إنما ذكر أن له في بلده هاجرا وفي غربته هاجرة، فذكر وأنت، فعلمت أنه ذاهل عن نكتة البديع فيهما<sup>(١)</sup>.

٤ - والكتاب يصور النشاط الجدلي الذي كان شائعا في العصر؛ فلقد عاش أحداث هذا العصر عالمان جليلان هما تقي الدين بن تيمية الحراني وشمس الدين بن القيم وكانا يمثلان في وقتيهما الاتجاه المحافظ الذي يضرب بيد من حديد على الفسقة والمنحرفين، ويكره كرها شديدا ويحارب محاربة لا هوادة فيها البدع والخرافات التي يظنها عامة الناس من الدين وهي ليست من الدين في شيء؛ كتقديس الأولياء وزيارة قبورهم والتوسل بهم إلى الله عز وجل...

ولقد ورث المجتمع الإسلامي في العصر المملوكي عدداً من الآراء العقدية التي كانت صدى طبعياً لحرية الفكر، والاطلاع الواسع على كتب الفلسفة والمنطق في العهود السابقة، وكان للمتصوفة دور خطير في بث أفكار مخالفة للإسلام في عقول العامة وقلوبهم، في وقت كان المجتمع فيه يشمر عن ساعد الجد ليلتقي مع التنار في معركة فاصلة، ومن هنا أدرك الإمامان الجليلان خطورة المنعطف التاريخي الذي تمر به الأمة وضرورة تبصيرها بما تقع فيه من أخطاء، وتوضيح حقيقة الإيمان لها توضيحاً يتفق مع الكتاب والسنة وعمل الخلفاء الراشدين المهديين، وقاما بهذا الدور، وأدياه على خير ما يكون الأداء، ولم يُرهبهما بطش الحكام، ولم تفرعهما أصوات الشياطين، ولم تزعزع إيمانهما بواجبهما واعتزازهما بجهادهما ظللمات الجون.

وكان الإمام تقي الدين بن تيمية يجهر بأرائه دون خوف أو وجل، ودون حيلة أو حذر، ولقد أدى به هذا الجهر إلى السجن، وإلى مهالك كثيرة، وكان هذا الاندفاع والانزلاق إلى المعارضة دون تقدير لمواقفها موضع نقد معاصريه بل تلاميذه أيضاً؛ فالصفيدي يقول عنه: «كان الشيخ الإمام العالم العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية - رحمه الله - علمه متسع جداً إلى الغاية، وعقله ناقص بورطه في المهالك ويوقعه في المضايق»<sup>(٢)</sup>.

(١) الغيث المسجم ج ٢ ص ٤٦٠.

(٢) الغيث المسجم ج ٢ ص ٤٣٧.



وليس المقصود بنقصان العقل هنا الخلل أو البله أو ما يشبههما، فهذا شيء لم يقصده الصفدي، كما أن من يوصف باتساع العلم إلى الغاية لا يمكن أن يكون بهذه الصفات، وإنما المقصود الحقيقي وصف قوة اندفاع الشيخ وانزلاقه إلى المعارضة والمجادلة دوغما ترو وتأن.

ولم يفت الصفدي أن يسجل في الغيث بعض مواقف هذا الإمام التي تدل على ما كان يقوم به من دور في الرد على أصحاب المذاهب الباطلة، فقد أورد له أبياتا سمعها منه في الرد على من يقول بالجبر حيث يقول: «وسمعت الشيخ تقي الدين ابن تيمية ينشد:

اصْفَحَ الْمُجْبِرَ الَّذِي بِقَضَا السُّوءِ قَدْ رَضِيَ  
فَإِذَا قَالَ لِمُفْعَلٍ تَفَعَّلْتُ فَقُلْ هَكَذَا قُضِيَ»<sup>(١)</sup>

وهذان البيتان نشعر فيهما بروح الإمام ابن تيمية الفكيهة المتندرة الساخرة من هؤلاء الذين يؤمنون بالجبر في كل الأمور والأحوال.

وكان الشيخ ابن تيمية ينكر ثبوت الكيمياء، وألف في ذلك رسالة أثارت جدلا كبيرا، ورد أحد معاصريه عليها. قال الصفدي «وكان الشيخ تقي الدين أحمد ابن تيمية ينكر ثبوتها وصنف رسالة في إنكارها، ورد عليه فيها نجم الدين بن أبي الدر البغدادي وزيف ما قال»<sup>(٢)</sup>.

٥ - والكتاب بين مظهرين من المظاهر التي شاعت بين كبار الشعراء في هذه الحقبة وهو نظم الألغاز؛ فكثيرا ما كتبوا أشعارا تتضمن الألغاز بقصد حلها أو اختبار السامع ومعرفة هل يتوصل إلى حلها أم لا. ولا شك أن موضوع النظم في الألغاز لم يكن موضوعاً رئيسياً من موضوعات الشعر قبل هذه الحقبة، وهو يحتاج إلى براعة فنية وقدرة ذهنية خارقة حتى يستطيع الشاعر أن ينظم اللغز في بيت أو بيتين أو ثلاثة على أكثر تقدير؛ لأن الزيادة على هذا العدد في نظم اللغز ليست مقبولة وتؤدي إلى تشتيت الذهن، فلا يستطيع السامع أن يركز في حل اللغز من ناحية، ومن ناحية أخرى تفقد اللغز معناه؛ لأن أي تطويل في النظم سوف يزيد من توضيح اللغز وتقريب الحل إلى السامع.

(١) الغيث المسجوم ج ١ ص ٨٢.

(٢) السابق نفسه ج ١ ص ٢٠.

والنظم في الألغاز يحتاج إلى قدرات علمية أيضا؛ فالناظم لا بد أن يحيط  
بخصائص الشيء الذي ينظم فيه اللغز ومكوناته، وبالتالي فالنظم في الألغاز يدل  
من وجه غير مباشر على خصوبة الحياة العلمية والفكرية في ذلك العصر.

والصفدي يورد في الغيث ألغازا كثيرة لشعراء العصر وكتابه، ومن يقرأ الكتاب  
يخيل إليه أن جميع شعراء العصر وكتابه قد نظموا في الألغاز، وذلك لكثرة  
الألغاز التي تقابله في غضون الكتاب، ومن أمثلة ما أورده الصفدي في ذلك  
قوله: «وأنشدني بعض الأصحاب لغزا حسنا هو:

يَا أَيُّهَا الْحَبِيبُ الَّذِي عِلْمُ الْعَرُوضِ بِهِ امْتَزَجَ  
أَبْنُ لَنَا دَائِرَةً فِيهَا بِسِيطٌ وَهَزَجٌ»

ثم قال: «إن العالم العلامة نجم الدين أبا الحسين علي بن داود القحطيري  
أنشده لبعض الطلبة في حلقة ففكر ساعة طويلة ثم قال: هذا في الساقية فقال له  
الشيخ: أصبت إلا أنك درت فيها طويلا حتى وقفت على المقصود. فقلت: وهذا  
من الشيخ أحسن من فك اللغز؛ فإنه ظرف في التندير. واللغز ظاهره مشكل لأنه  
ليس في دوائر العروض ما يجمع البسيط والهزج لأن البسيط من دائرة المختلف  
والهزج من المجتلب، وأوهم بالبسيط وهو يريد الماء لأنه أحد البسائط، وأوهم  
بالهزج وهو يريد الصوت اللذيذ المسموع من الساقية حال الدوران»<sup>(١)</sup>.

فهذا النص يدل على عناية شعراء العصر بالنظم في الألغاز، والتماس العلماء  
لهذه الألغاز بغية تدريب الطلاب على حلها كما فعل الشيخ علي بن داود حيث  
سمع اللغز ثم سأل فيه أحد طلابه، وما زال الطالب يفكر في حله، وما زال يقترح  
زناد فكره حتى وصل إلى الحل، والنص يدل من ناحية ثانية على ذكاء الشيخ  
حيث بين للطلاب أن إجابته صحيحة ثم أردف ذلك بالتندير الحسن فقال له: إلا  
أنك درت فيها طويلا، والتفت الصفدي إلى هذا التندير الحسن فقال: «وهذا من  
الشيخ أحسن من اللغز فإنه ظرف في التندير» ومضى الصفدي يشرح ما باللغز من  
غموض وإيهام حيث جاء غموضه من استخدام الناظم للتورية في لفظي بسيط  
وهزج.

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ٥٩.

والصقدي نفسه قد نظم ألغازا كثيرة منها قوله: «وما اتفق لي نظمه في الخلل».

أَبَا عَجَبًا مِنْ صَابِرٍ صَامِتٍ وَلَمْ يَقُ بِكَلَامٍ قَطُّ فِي سَاعَةِ الضَّرْبِ  
أَقَامَ وَلَمْ يَبْرَحْ مَكَانًا نَوَى بِهِ عَلَى أَنَّهُ أَصْحَى يَدُورُ عَلَى الْكَعْبِ<sup>(١)</sup>

وأورد الصقدي في ثنايا الكتاب ألغازا كثيرة لشهاب الدين العزازي<sup>(٢)</sup>، ولأبي الحسین الجزار<sup>(٣)</sup>، ولجمال الدين بن نباتة، ولشمس الدين بن دانيال<sup>(٤)</sup>، وليف الدين بن قول المشد<sup>(٥)</sup>، وللنصير الحمامي<sup>(٦)</sup>، ولمحي الدين بن عبدالظاهر<sup>(٧)</sup> ولكتيرين غيرهم.

٦- والكتاب يصور ملمحا جديدا من ملامح الحياة الفكرية في العصر، هذا الملمح هو ازدهار الشعر في هذه الحقبة، وظهور كثير من بلابله الصداحة في سماء القاهرة ودمشق وحلب وغيرهما من بلدان القطرين الكبيرين مصر والشام، وهو إذ يجمع خصوصا كثيرة من شعر هؤلاء يوضح لنا كيف كان رقي الحياة الفنية في عصره، والغيث المسجم على هذا يعد وثيقة أدبية مهمة لأنه يحوي كل هذا القدر الكبير من شعر الشعراء ومن نثر الكتاب المعاصرين لمؤلفه الذين ضاعت آثارهم الفنية مع ما ضاع من ذخائر تراثنا، أو الذين لا تزال آثارهم حية المكتبات العامة مخطوطة لما يؤذن لها أن ترى النور لينتفع بها طلاب البحث وعشاق الأدب.

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ٦٢.

(٢) السابق نفسه ج ١ ص ٢٧٩.

(٣) السابق نفسه ج ٢ ص ٩٠.

(٤) السابق نفسه ج ٢ ص ٢٢٦.

(٥) السابق نفسه ج ٢ ص ٤٥٣.

(٦) السابق نفسه ج ٢ ص ٤٥٤.

(٧) السابق نفسه ج ٢ ص ٤٥٥.



٧- والكتاب بصور ترعة العصر الى الصوفية، وبين أنهم كانوا في هذه الحقبة قد وصلوا إلى أوج نشاطهم، وأن تعبيراتهم لا يفهمها إلا من أوتى حظاً كبيراً من العلم بفنونهم وأحوالهم فقد قال تعقياً على بيت ابن الفارض:

حَدِيثِي قَدِيمٌ فِي هَوَاهَا وَمَا لَهُ كَمَا عَلِمْتُ بَعْدُ وَلَيْسَ لَهُ قَبْلُ

«هذا أمر خارج عن العقل؛ لأن العقل لا يمكن أن يتصور شيئاً لا قبل له ولا بعد إلا واجب الوجود، ولكن الصوفية يحيلون مثل هذه الأشياء على الذوق، ويقولون في مثل هذه الأمور إنها من وراء العقل»<sup>(١)</sup> ثم أورد قصة طريقة وقعت للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد حيث قال: «أخبرني الشيخ الإمام العالم العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري قال: حضر يوماً الشيخ كريم الدين عبد الكريم الأيكي شيخ خانقاه وسعيد السعداء عند الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد رحمه الله وأخذ يتكلم في طريقهم وأحوالهم ويتحدث على العرفان زماناً، والشيخ تقي الدين ساكت لا يفوه بكلمة، فلما قام من عندهم قال الشيخ تقي الدين للحاضرين: هل فيكم من فهم تراكيب كلامه فأني ما فهمت غير مفرداته؟ أ. هـ»<sup>(٢)</sup>، وعقّب الصفدي على هذا الخبر الذي أخذه عن شيخه ابن ساعد الأنصاري بقوله: «قلت: وهؤلاء القوم يُسَلِّمُ لهم حالهم؛ فإنهم قد جاء منهم علماء كبار مثل الشيخ محيى الدين بن عربي، وقطب الدين بن معين، وفي كلامهم من هذا النوع كثير»<sup>(٣)</sup>.

وإن كان النص السابق يشعر قارئه بموافقة الصفدي على ما يقول هؤلاء، فإن هناك نصاً آخر رأيت الصفدي يقف فيه موقف المعارض لتفسير أحدهم حديث رسول الله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، يقول الصفدي: «وعلى ذكر الصوفية حضرت يوماً في صنف سنة ست وعشرين وسبع مائة مجلس الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن الصياد الفاسي وقد عمل درساً

(١) الغيث المجمع ج ١ ص ١٧٣

(٢) السابق نفسه ج ١ ص ١٧٣

(٣) السابق نفسه ج ١ ص ١٧٣

عَلَمًا نَكَلِّمُ فِيهِ عَلَى سُورَةِ الضَّحَى، وَاسْتَطَرَدَّ الْكَلَامَ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَمَا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» فَقَالَ: ذَهَبَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ إِلَى أَنَّ مَعْنَى «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ»: «إِنْ غَبَتْ عَنْ وَجُودِكَ وَلَمْ تَكُنْ رَأَيْتَهُ، وَحَسَّنَ ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَهُ مَنْ حَضَرَ، فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا حَسَنٌ لَوْ سَاعَدَ الْإِعْرَابُ عَلَيْهِ؛ فَإِنْ هَذَا شَرْطٌ وَجَوَابُهُ، وَهُمَا مُجْزُومَانِ، وَيَكُونُ اللَّفْظُ الصَّحِيحُ: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ» حَتَّى يَصِحَّ الْمَعْنَى. فَاعْتَرَفَ بِذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

وَالصَّفْدِيُّ يَشِيرُ فِي هَذَا النَّصِّ إِلَى نَقْطَةٍ مَهْمَةٌ هِيَ إِهْمَالُ أَهْلِ التَّصَوُّفِ الْقَوَاعِدَ النَّحْوِيَّةَ عِنْدَ تَفْسِيرِهِمُ لِلنُّصُوصِ الدِّينِيَّةِ، وَذَلِكَ حَتَّى يَتَسَنَّى لَهُمْ لِيُغْنِيَ النَّصُوصُ لَهَا حَتَّى يُحْمَلُوهَا مَا يَوِيدُونَ مِنْ مَعَانٍ وَأَفْكَارٍ، وَهُمْ لَا يَرَاعُونَ كَذَلِكَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّ لِلْأَلْفَافِ لِأَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ الْأَلْفَافَ مَعَانِي أُخْرَى لَا تَوْجَدُ فِي الْمَعَاجِمِ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ قَالَ الصَّفْدِيُّ إِنَّ لَهُمْ مُوَاجِدَهُمْ وَأَحْوَالَهُمْ.

وَالْحَدِيثُ عَنِ التَّصَوُّفِ وَأَهْلِهِ حَدِيثٌ مُتَّعٍ، وَالصَّفْدِيُّ يَكْثُرُ مِنْ ذِكْرِ أَحْوَالِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ فِي «الْغَيْثِ»، وَهُوَ بِذَلِكَ يَسْلُطُ ضَوْءًا آخَرَ عَلَى الْمَلَامِ الْمُمِيزَةِ لِلْحَيَاةِ الْفِكْرِيَّةِ فِي عَصْرِه.

٨ - وَالْكِتَابُ يُوَضِّحُ أَثَرُ الْعُلَمَاءِ الْوَاقِفِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ إِلَى مِصْرَ فِي إِثْرَاءِ الْحَيَاةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ بِهَا، وَفِي الْإِسْهَامِ بِالْجُهِودِ الْعِلْمِيَّةِ فِي تَعْلِيمِ الْأَجْيَالِ وَتَأْدِيبِ الرِّجَالِ، وَلَقَدْ رَكَّزَ الْكِتَابُ عَلَى الدُّورِ الَّذِي قَامَ بِهِ الْعَالَمُ أَثِيرَ الدِّينِ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ عَلِيٍّ الْغُرْنَاطِيُّ النَّفَرِيُّ فِي إِثْرَاءِ الْحَيَاةِ الْفِكْرِيَّةِ بِمِصْرَ بِمَا لَدَيْهِ مِنْ عِلْمٍ وَحِكْمَةٍ، فَيَهْوُ أَوَّلًا: يَنْقُلُ إِلَى أَجْيَالِ الْمُتَأَدِّبِينَ مَا سَمِعَهُ مِنْ شِعْرِ الشُّعْرَاءِ السَّابِقِينَ؛ أَيْ يَقُومُ بِدَوْرِ الرَّائِيَةِ الَّذِي يَنْشُرُ هَذِهِ الْأَثَارَ الشَّعْرِيَّةَ الْخَالِدَةَ، وَلَقَدْ أَوْرَدَ الصَّفْدِيُّ فِي الْغَيْثِ نَصْرًا كَثِيرًا تَدُلُّ عَلَى هَذَا الدُّورِ مِنْهَا قَوْلُهُ «أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ أَثِيرُ الدِّينِ أَبُو حَيَّانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفَ بِمِصْرَ سَنَةَ سَبْعِمِائَةٍ وَثَمَانِيَّةٍ وَعِشْرِينَ قَالَ: أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنَ بْنِ عَامِرٍ التَّجِيبِيُّ فِي مَلِيحٍ لَهُ رَقِيبٌ أَحْوَلُ:

بِأَبِي رَشًا يَحْوِي مَعَ الْإِحْسَانِ      مِلْكِيَّةَ مَوْضُوعِيهَا إِنْسَانِي

(١) الْغَيْثُ الْمَجْمُوعُ: جَد ١، ص ١٧٥.

أَحْوَى الْجَفُونِ لَهُ رَقِيبٌ أَحْوَلُ      الشَّيْءُ فِي إِدَارِكِهِ شَيْئَانِ  
يَالَيْتَهُ تَرَكَ الَّذِي أَنَا مُبْصِرٌ      وَهُوَ الْمُخَيَّرُ فِي الْغَزَالِ الثَّانِي<sup>(١)</sup>

ولم يكن أثير الدين راويةً لشعر ابن عامر التجيبي فقط بل كان راويةً لشعراء كثيرين، ونقل إلى أجيال المتأدين بمصر والشام أشعاراً كثيرة لشعراء عديدين منهم تقي الدين السروجي؛ قال الصفدي «وأنشدني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ أثير الدين أبو حيان قال: أنشدني لنفسه الشيخ تقي الدين السروجي<sup>(\*)</sup>»:

وَأَرَى لِلْيَلَى الْعَامِرِيَّةَ مَسْرُورًا      بِالْجُودِ يُعْرِفُ وَالنَّدَى أَصْحَابُهُ  
فِيهِ الْأَمَانُ لِمَنْ يَخَافُ مِنَ الرَّدَى      وَالْخَيْرُ قَدْ ظَفِرَتْ بِهِ طَلَابُهُ  
قَدْ أَشْرَعَتْ بِيضُ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا      مِنْ حَوْلِهِ فَهُوَ الْمَنِيْعُ حِجَابُهُ  
وَعَلَى حِمَاءٍ جَلَالَةٍ مِنْ أَهْلِهِ      فَلِذَاكَ طَارِقَةُ الْعُيُونِ تَهَابُهُ  
كَمْ قُلِّبْتُ فِيهِ الْخُدُودُ عَلَى الثَّرَى      شَوْقًا إِلَيْهِ وَقُبِّلْتُ أَعْتَابُهُ  
قَدْ أَخْضَبَتْ مِنْهُ الْأَبَاطِحُ وَالرَبَى      لِلزَّائِرِينَ وَفَتَّحَتْ أَبْوَابُهُ<sup>(٢)</sup>

كما سمع الصفدي منه أبياتاً لبدر الدين أبي المحاسن يوسف المهندار؛ قال الصفدي «وأنشدني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال: أنشدني من لفظه لنفسه بدر الدين أبو المحاسن يوسف المهندار سنة تسع وثمانين وستمائة:

لَوْ عَايَنْتُ عَيْنَاكَ يَوْمَ نَزَالِنَا      وَالْخَيْلُ تَضْبِحُ فِي الْعَجَاجِ الْأَكْدَرِ  
وَمَنَا الْأَسْتُ وَالضِّيَاءُ مِنَ الظُّبَا      كَشَفَا لِأَعْيُنِنَا قَنَامُ الْعَيْشِ  
وَقَدْ أَطْلَحَ الْأَمْرُ وَاحْتَدَمَ الْوَعَى      وَهِيَ الْجَبَانُ وَسَاءَ ظَنُّ الْمُجْتَرَى

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ١٤١، ١٤٢.

(\*) تقي الدين السروجي: هو عبد الله بن علي، ولد في سروج وتوفي بالقاهرة عام ٦٩٣ هـ، كان عالماً بالقرآن والنحو والأدب يراجع قنوات الوفيات تحقيق محمد محيى الدين ١/٤٦٦، وتحقيق

إحسان عباس ٢/١٩٦، الوافي بالوفيات ٦/٣٤٢، الاعلام ٤/١٠٦.

(٢) الغيث المسجم: ج ١ ص ٣٦٩.



لَرَأَيْتُ سَدًّا مِنْ حَدِيدٍ مَائِرًا  
حَتَّى سَبَقْنَا أَسْهُمًا طَاشَتْ لَنَا  
طَفَرَتْ وَقَدْ مَنَعَ الْفَوَارِسَ مَدُّهَا  
لَمْ يَفْتَحُوا لِلرَّمْيِ مِنْهُمْ أَعْيُنًا  
مَا كَانَ أَجْرِي خَيْلَنَا قِيَّ إِيْرِهِمْ  
فَنَسَابِقُوا هَرَبًا وَلَكِنْ رَدَّهْمُ  
كَمْ قَدْ فَلَقْنَا صَخْرَةً مِنْ صَرْخَةٍ  
فُوقَ الْفُرَاتِ وَقَوْقَهُ نَارًا تَرَى  
مِنْهُمْ إِلَيْنَا بِالْخَيُْولِ الضُّمَرِ  
تَجْرَى وَلَوْ لَا خَيْلَنَا لَمْ تَطْفُرِ  
حَتَّى كَحَلَنْ يَكُلُّ لَدُنِ أَسْمَرِ  
لَوْ أَنَّهَا بِرُؤُوسِهِمْ لَمْ تَعُثِرِ  
دُونَ الْهَزِيمَةِ رُمَحُ كُلِّ غَضَنَفَرِ  
وَلَكُمْ مَلَأْنَا مَحْجَرًا مِنْ مَحْجَرٍ<sup>(١)</sup>

وهو ثانياً يصدق بالشعر في مصر، ويتشدقته لطلابه وسامعيه، ولما كان الفن نبع  
اليثة التي نشأ فيها، فلنا أن نعد شعر أبي حيان الذي كتبه أو أنشده في مصر  
ضمن الأدب المصري، وبذلك يكون أثر الدين قد مدَّ الحياة الفكرية برافد ثانٍ من  
الرافد التي أسهمت في إنعاشها وإذكائها؛ قال الصفدي: «وأنشدني من لفظه  
نفسه الشيخ الإمام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالقاهرة سنة  
سبعمائة وثمانية وعشرين:

لَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالْبَحْرُ الْخِضَمُ طَغَتْ  
فِي لَيْلَةٍ أَسْدَلْتُ جِلْبَابَ ظُلْمَتِهَا  
وَالْمَاءُ تَحْتُ وَفُوقَ الْمَزْنِ وَاكْفَةِ  
وَالْفَلَكَ قِيَّ وَسَطِ الْمَاءَيْنِ تَحْسَبُهَا  
وَالرُّوحُ مِنْ حَزْنٍ رَاحَتْ وَقَدْ وَرَدَتْ  
هَذَا وَشَخْصُكَ لَا يَنْفُكُ فِي خَلْدِي  
أَمَاجُةُ وَالْوَرَى مِنْهُ عَلَى سَفَرِ  
وَعَابَ كَوَكْبُهَا عَنْ أَعْيُنِ الْبَشَرِ  
وَالْبَرْقُ يَتَلُّ أَسْيَافًا مِنَ الشَّرَرِ  
عَيْنًا وَقَدْ أَطْبَقْتُ شَفْرًا عَلَى شَفَرِ  
صَدْرِي فَيَا لَكَ مِنْ وَرْدٍ بِلَاءِ صَدْرِ  
وَفِي فَوَادِي وَفِي سَمْعِي وَفِي بَصَرِي<sup>(٢)</sup>

وقال: «أنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه:

أَنَا أَنَّهُ لَوْ لَا ثَلَاثٌ أَحْبَبْتُهَا  
تَمَنَيْتُ أَنِّي لَا أُعَدُّ مِنَ الْأَحْيَا

(١) الغيث المسجم ج ٢، ص ٦٨، ٦٩.

(٢) السابق نفسه: ج ٢، ص ٤٢.

فَمِنْهَا رَجَائِي أَنْ أَقُورَ بِتَوْبَةٍ      تُكْفِّرُ لِي ذَنْبًا وَتُنَجِّحَ لِي سَعْيًا  
وَمِنْهُنَّ حَوْنُ النَّفْسِ عَنْ كُلِّ جَاهِلٍ      لَسِيْمٍ فَلَا أُمْنَى إِلَى بَابِهِ مَشْيًا  
وَمِنْهُنَّ أَخَذِي لِلْحَدِيثِ إِذَا الْوَرَى      نَسُوا سُنَّةَ الْمُخْتَارِ وَاتَّبَعُوا الرَّأْيَا  
أَتَرَكْتُ نَصًا لِلرَّسُولِ وَنَقَسْتَنِي      بِشَخْصٍ؟ لَقَدْ بَدَّلْتَ بِالرُّشْدِ الْغَيَا<sup>(١)</sup>

وهو ثالثاً: عالم يشرح لطلابه غُرر الشعر العربي حيث أورد له الصفدي شرحاً لمعاني قول طرفة بن العبد «فلولا ثلاث»<sup>(٢)</sup> قال «قلت أخبرني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالديار المصرية سنة سبعمائة وثمانية وعشرين قال: قرأتُ على أساذنا العلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الحافظ المؤرخ حفظاً عن ظهر قلب الأشعار الستة ومنها ديوان طرفة بن العبد فمن ذلك قوله (فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى) الأبيات الأربعة، قال الشيخ أثير الدين: قوله وَجَدْتُ: أي وسعدتُ، والعواد الزائرون في المرض، والعاذلات: اللاتعات، والشربة: هنا الخمر، وكميت: فيها حمرة وبياض، وتعل: تخرج، وتزبد: تصير عليها رغبة، وكَرَى: عطش، والمضاف: المستغيث، ومجنبا: فرساً قوياً، والسيد: الذهب، والغضا: شجر، والمتورد: الذي صار لونه أحمر من دم الفرائس، والدجن: الغيم الذي فيه المطر، والبهكنة: الجارية الناعمة، والمعمد: الذي له العمدة»<sup>(٣)</sup>.

كما يورد على طلابه خلاصة قراءاته المتعددة في كتب الأدب قال الصفدي «وأخبرني من لفظه أيضاً قال: وجدت في كتاب طرف المجالسة وملح المؤانسة: تأليف الكاتب أبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن يحيى الموابط وقد رأيته بغرناطة مما

(١) الغيث المسجم: ج ٢، ص ١٥٧.

(٢) والايات هي:

فَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ عَيْشَةِ الْفَتَى	وَجَدْتُ لَمْ أَحْفَلْ مَتَى قَامَ عُرْوِي
فَمِنْهُنَّ سَبَقُ الْعَاذِلَاتِ بِشَرِبَةٍ	كَمَيْتٍ مَتَى مَا تَعَلَّ بِالْمَاءِ تَزِيدُ
وَكَرَى إِذَا تَادَى الْمُضَافُ مَجْنِبًا	كَمَيْدِ الْغُضَا تَبَهَّتْهُ الْمَتُورِدُ
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالدَّجْنُ مُعْجَبٌ	بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطَّرَافِ الْمُعَمَّدُ

نقلنا عن شرح التعليقات السبع للزوزني - المكتبة التجارية الكبرى بمصر د. ت. ص ٤٨، ٤٩.

(٣) الغيث المسجم: ج ٢، ص ١٥٦.

أشبه الإمام المحدث ضياء الدين أبي جعفر أحمد بن صابر القيسي الظاهري وقد  
أخبرني عن ابن صابر الأستاذ أبو جعفر بن الزبير:

لَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ وَاللَّهُ مِنْ أَكْبَرِ آمَالِي فِي الدُّنْيَا  
حُجٌّ لِبَيْتِ اللَّهِ أَرْجُو بِهِ أَنْ يَقْبَلَ التَّوْبَةَ وَالْغِيَا  
وَالْعِلْمُ تَحْصِيلاً وَنَشْراً إِذَا رَوَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ الْوَرَى رِياً  
وَأَهْلُ رَدِّ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ بِإِلْفِغِيَا إِلَى اللَّقِيَا  
مَا كُنْتُ أَخْشَى الْمَوْتَ أَتَى بَلْ لَمْ أَكُنْ أَلْتَدُّ بِالْمُخِيَا<sup>(١)</sup>

كما كان يقرأ على طلابه بعض كتبه حيث أورد الصفدي نصاً يفيد أنه قرأ عليه  
حديث رسول الله ﷺ «الدنيا دار بلاء» قال الصفدي «وأخبرني سماعاً من لفظه  
الشيخ الإمام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف النفري الأندلسي  
بالتأخرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قراءة من كتابه أخبرنا الخطيب المقرئ  
الحري أبو الحجاج يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن سعيد بن أبي ربحانة  
الأندلسي الأنصاري في كتابه إلى من مالقة سنة اثنين وسبعين وستمائة وفيها  
توفي - رحمه الله - عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن اليتيم، أخبرنا أبو  
الفضل معن ابن عبد الرزاق السجزي السائح بمقبرة سر من رأى قراءة عليه، أخبرنا  
عن أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار عن أبي الفتح هلال بن محمد البغدادي عن  
محمد بن أبي القاسم عن إسماعيل بن إسحاق عن نصر بن علي عن الأصمعي  
عن أبي عمرو عن عيسى بن عمر عن معاوية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:  
«الدار بلاء» ومنزل قلة وعناء، قد نزع عنها نفوس السعداء وانتزعت بالكره  
من أيدي الأشقياء، وأسعد الناس أرغبهم عنها، وأشقاهم بها أرغبهم فيها، فهي  
أمانة لمن انتصَحَها، والمعصية لمن أطاعها، والخاترة لمن انقاد لها، والفائز من  
توَصَّلَ عنها والهالك من هوى فيها، طوبى لعبدا اتقى فيها ربه، ونصح نفسه،  
وقدم نفسه، وآخر شهوته من قبل أن تلفظه الدنيا إلى الآخرة فيصبح في بطن  
وحشة غبراء مدلهمة ظلماء، لا يستطيع أن يزيد في حسنه ولا ينقص من سيئه  
لَمْ يَنْتَرْ فَيُحْشَرْ إِمَّا إِلَى جَنَّةٍ يَدُومُ نَعِيمُهَا أَوْ نَارٍ لَا يَنْفُكُ عَذَابُهَا<sup>(٢)</sup>.

(١) ثبت المسجم: ج ٢ ص ١٥٧.

(٢) ثبت المسجم: ج ٢ ص ٤١٦.



ويمكن أن يمثل ما عرضه الصفدي من نشاط أثير الدين هذه الجهود التي قام بها الوافدون إلى مصر من الأندلس وبلاد المغرب العربي في إنعاش الحياة الفكرية بمصر في العصر المملوكي الأول.

٩ - ويذكر الصفدي دمشق ويكثر من الحديث عنها وعن علمائها وكيف أنه جلس منهم مجلس التلميذ المستفيد والطالب السائل عما يجهل، ومن أهم هؤلاء العلماء الشيخ تقي الدين بن تيمية حيث يقول «وسألت الشيخ الإمام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية - رحمة الله - سنة سبعمئة وثمانية عشر أو سنة سبعمئة وسبعة عشر بدمشق المحروسة عن قوله تعالى «وأخر متشابهات» فقلت: المعروف بين النحاة أن الجمع لا يوصف إلا بما يوصف به المفرد من الوصف فقال: كذا هو فقلت: ما مفرد متشابهات؟ فقال: متشابهة: فقلت كيف تكون الآية الواحدة في نفسها متشابهة، وإنما يقع التشابه بين الإثنين، وكذا قوله تعالى: «فوجد فيها رجلين يقتلان» كيف يكون الرجل الواحد يقتل مع نفسه فعدل بي من الجواب إلى الشكر وقال: هذا ذهن جيد ولو لارمتي سنة انتفعت»<sup>(١)</sup>.

ويكثر الصفدي من الحديث عن الشعراء الذين أنشدوه شعرهم في دمشق كشهاب الدين أبي الشاء محمود، وجمال الدين بن نباتة، ونور الدين علي ابن محمد بن فرحون المالكي، وجمال الدين يوسف بن سليمان بن أبي الحسن الصوفي يقول «أنشدني من لفظة لنفسه الشهاب أبو الشاء محمود بدمشق سنة ثلاث وعشرين وسبعمئة في تشبيه الشرا، والهلال والدارة:

كأن الشرا والهلال ودارة حوته وقد زان الشرا تشامها  
حساب طفا من فوق زورق فضة بكف فتاة طاف بالراح جامها»<sup>(٢)</sup>.

ويقول «وما أحسن ما أنشدني لنفسه من لفظة المولى جمال الدين محمد ابن محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمئة:

وردة مع العرّب منسوب فلا قطعت أيدي الحوادث من أنسابه شجرة

(١) الغيث المجلد ٢ / ص ٢٤.

(٢) الغيث ج ١ ص ٥١.



إِذَا أَمْتَلَى ظَهْرُهُ رَأَى السَّهَامَ مَضَى  
وَالسَّهْمُ حَذَوًا فَلَوْلَا سَبْقُهُ عَقْرُهُ  
عَجِبْتُ حِينَ يَمَى سَابِحًا وَلَهُ  
وَتَبُّ لَوْ الْبَحْرُ أَرَسَى دُونَهُ طَفَرُهُ  
فَتَحَاءُ فِي هَضْبَاتِ الْحَزَنِ صَاعِدَةٌ  
أَوْ لَا فَصَاعِقَةٌ فِي السَّهْلِ مُنْحَدِرَةٌ  
لَمَّا تَرَفَّعَ عَنْ نِدَى يَسَاقِيهِ  
أَضْحَى يُسَاقِي فِي مَيْدَانِهِ نَظَرُهُ

وأنشدني من لفظة لنفسه المولى جمال الدين يوسف بن سليمان بن أبي الحسن  
لصوفي بدمشق في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة:

وَأَذْهَمُ الْمُلُوكَ قَاتَ الْبَرْقَ وَأَنْتَظَرُهُ  
فَغَارَتْ الرِّيحُ حَتَّى غَيَّبَتْ أَثَرُهُ  
فَوَاضِعٌ رِجْلُهُ حَيْثُ انْتَهَتْ يَدُهُ  
وَوَاضِعٌ يَدُهُ أُنَى رَمَى بَصَرُهُ  
نَبِيَّهُمْ تَرَاهُ يُحَاكِي السَّهْمَ مُنْطَلِقًا  
وَمَالَهُ غَرَضٌ مُسْتَوْقِفٌ خَبَرُهُ  
وَيَعْقِرُ الْوَحْشَ فِي الْبَيْدَاءِ فَارِسُهُ  
وَيَنْشَى وَادِعًا لَمْ يَلْتَحِفْ غَيْرُهُ<sup>(١)</sup>.

وحين يتحدث عن دمشق لا ينسى الجامع الأموي، وكيف ينسى هذا المسجد  
العتيق، وقد كان موئل طلاب العلوم والمعارف في هذا العصر، وكيف ينسى هذا  
المسجد الجامع وقد كان الملتقى الذي يتذاكر الدروس فيه مع صديقه الشاعر جمال  
الدين بن نباتة، يقول «وكننت أجمع أنا وهو بالحائط الشمالي من الجامع الأموي  
بدمشق بكرة النهار، وبعد العصر نتذاكر فاتفق أن غبت ليلة عن ميعادنا فكتب  
إلي:

أَمْرُلَايَ غِيبْتَ وَخَلَفْتَنِي  
مِنْ أَلْهَمٍ ذَا فِكْرَةٍ خَاصِعَةٍ  
فِيهَا أَنَا بَعْدَكَ فِي جَامِعٍ  
وَلَكِنْ قَلْبِي فِي جَامِعَةٍ<sup>(٢)</sup>.

وحين يتحدث عن إشكال في بيتين لشمس الدين محمد بن التلمساني قال  
ويقارب هذا الإشكال ما دار بيني وبين المولى جمال الدين محمد بن نباتة في  
الجامع الأموي بدمشق سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة فإنه أنشدني قول ابن الرومي  
فيما أظن:

(١) الغيث المجمد ١ ص ٤٢، ص ٤٣.

(٢) السابق ٢ ص ٤٦١.

وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنْ عَضُوا وَاحِدًا هُوَ مِنْكَ سِهْمٌ وَهُوَ مِنِّي مَقْتُلٌ

فقلت له: هذا ليس بعجيب إذا تركنا ظاهره، اللهم إلا إن فتحنا باب التأويل وأحضرنا المجاز. فقال: لاى شيء؟ قلت: لأن عين العاشق فى الهوى غير عين المعشوق يقينا، أما أنهما من جنس واحد فمسلّم<sup>(١)</sup>.

كما تحدث عن القاهرة وكيف أنه استمع إلى كثير من شعرائها الذين أنشدوه شعرهم من مثل محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى، وأورد كلاماً نستين منه أن من أهم المدارس بمصر المدرسة الظاهرية، وقد حدد الصفدى مكانها، وذكر أنه بين القصرين بالقاهرة، وأن الشيخ علاء الدين مغلطاي كان يدرس بها الحديث الشريف قال: «وأخبرنى الشيخ الإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي شيخ الحديث بالمدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة قال: جاء رجل إلى الشيخ شهاب الدين الحنبلى صاحب التعبير فقال له: رأيت فى منامى كأن قائلاً يقول لى: اشرب شراب الهكاري، فقال له: أيوجعك فؤادك؟ قال: نعم، قال: اذهب فاشرب عللاً تبرأ بإذن الله تعالى»<sup>(٢)</sup>.

وأورد الصفدى كلاماً يفيد أنه زار الإسكندرية وجلس إلى علمائها واستفاد منهم ونقل عنهم، وفى هذا ما يدل على ما كانت عليه الإسكندرية من رقى علمى، حيث كانت عامرة بالعلماء الأجلاء والشيخ الثقات الذين يطلب علمهم، ويسعى إليهم، ويؤخذ عنهم، قال الصفدى «أخبرنى العالم مفتى المسلمين شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ فتح الدين بن أبى الحسن على بن إبراهيم الأنصارى القمى من لفظه بثغر الإسكندرية، قال: أخبرنى الشيخ نجيب الدين عبد اللطيف ابن عبد المنعم بن على الحرانى، أخبرنا أبو حامد عبد الله بن مسلم بن جوالق قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا منصور بن أبى غالب القزاز، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن على الخطيب، أخبرنا الحسن بن أبى بكر بن شاذان، حدثنا أبو الحسين عبد الرحمن بن نصر المصرى الشاعر إملاءً من حفظه، حدثنا أبو عمر الأنسى بمصر قال: حدثنا دينار مولى أنس بن مالك قال: صنع أنس لأصحابه طعاماً فلما طعموا قال: يا جارية هاتى المنديل، فجاءت بمنديل درم، فقال: اسجوى التور واطرحيه فيه ففعلت، فابيض، فسألناه عنه فقال: إن

(١) الفيت المسجم ج ٢ ص ٢٣.

(٢) السابق ج ١ ص ٤٤٦، ص ٤٤٧.



هذا كان للنبي ﷺ، وإن النار لا تحرق شيئاً كان للنبي ﷺ أو منته يد الأنبياء .  
بهار بن عبد الله ضعيف وإيه . قاله أبو أحمد ابن عدي<sup>(١)</sup> .

فهذا النص يدل دلالة مباشرة على أن الصفدي قد زار الإسكندرية، وكان بها  
حيث إن إمام عالم وصفه الصفدي بأنه مفتي المسلمين هو شرف الدين أبو عبد الله  
محمد بن فتح الدين أبي الحسن ابن إبراهيم الأنصاري القمي، وأن الصفدي قد  
جلس إليه وسمع منه هذا الكلام السابق بهذه السلسلة الطويلة من الرواة، وهذا  
يدل من ناحية ثانية على عناية العلماء المصريين بحديث النبي ﷺ وأفعال صحابته  
الأكبرين .

وبهذا الحديث عن إشارة الصفدي إلى أهم البلدان التي كانت بمثابة المنارات  
الثقافية والعلمية في ذلك العصر وما بها من مؤسسات تعليمية وعلماء أجلاء  
تُختَمُ صورة الحياة الفكرية في العصر كما رسمها الصفدي في الغيث .  
خاساً: منهج علماء العصر في الكتابة والتأليف العلمي :-

يصف الدكتور عبد اللطيف حمزة هذا العصر بأنه عصر الموسوعات العلمية  
الضخمة<sup>(٢)</sup>، وضرب أمثلة - في كتابه عن القلقشندي - لهذه الموسوعات بلسان  
العرب لابن منظور، ونهاية الأرب للنويري، وصبح الأعشى للقلقشندي .  
ولقد كانت الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية وقتها تحتم على علمائنا أن  
يعيدوا بعض ما فقدوه من ذخائر وروائع عقب سقوط بغداد على أيدي التار، فما  
كان أمامهم من سبيل إلى لَمِّ شتات هذه العلوم سوى هذه السبل .

واتخذ علماء العصر مذاهب شتى في التأليف العلمي؛ فمنهم من شَرَّقَ  
وغرب، وجعل موسوعته أشبه ما تكون بدائرة معارف - كما نقول بلغة عصرنا -  
للنويري في نهاية الأرب<sup>(٣)</sup>؛ حيث تحدث فيه عن السماء والأرض، والمعالم العلوية

(١) الغيث المسجّم ج ١ ص ٩٦، ص ٩٧ .

(٢) القلقشندي في كتابه صبح الأعشى عرض وتعليق للدكتور عبد اللطيف حمزة ص ٩٥، وزارة  
الثقافة والإرشاد القومي د. ت .

(٣) ينظر في كتاب نهاية الأرب للنويري المرجع السابق من ص ٢٠ إلى ٢٣ . وكذا كتاب «النويري  
وكتابه نهاية الأرب مصادره الأدبية وآراؤه النقدية» للدكتورة أمينة محمد جمال الدين بكل أبراهة  
وفصوله . دار ثابت مايو ١٩٨٤ م .

والسلفية، وعن الإنسان والحيوان، والتاريخ والأدب، ومنهم من وضع هدفاً محدداً نصب عينيه وحرص على تحقيقه، فجعل كتابه في موضوع واحد؛ كابن منظور في كتابه لسان العرب<sup>(١)</sup>؛ فهو معجم لغوي، والقلقشندي في صبح الأعشى<sup>(٢)</sup> حيث جعل منه موسوعة في الكتابة وأدواتها، وتاريخها، وتطورها، وأعلام الكتاب ورمائلهم.

والى هذين القسمين تنقسم تيارات القوم في التأليف والكتابة الموسوعية، فقد أفردوا لكل علم من علوم العصر الكثير من المؤلفات التي تناول مباحثه بالشرح والتفسير، أو بالتحقيق والتأصيل، كما ألفوا كتباً تعالج موضوعات شتى، وهذه بدورها تنقسم إلى كتب المحاضرات وكتب المجاميع الأدبية، ومن أهم كتب المحاضرات في ذلك العصر كتاب الصفدي «جلوة المحاضرة وخلوة المذاكرة»، ومن أهم كتب المجاميع الأدبية كتاب «مطالع البدور في منازل السرور» لعلاء الدين الغزولي<sup>(٣)</sup>.

غير أن تاريخ الفكر العربي قد ورث عن العلماء السابقين منهجاً فريداً في التأليف إذ «يعتمد المؤلف إلى نص نفيس سار ذكره، أو كتاب موجز اشتهر أمره فيتناوله بالتفسير والشرح إن كان مبهماً، أو يبسطه بالإيضاح إن كان موجزاً، أو يزيد فيه بما يحتاج له من المعاني وما وقع له من خلال الخبرات والمشاهدات، ثم يستطرد بما يتداعى إلى ذهنه من فنون الكلام مما قرأ وحفظ أو سمع وروى، فيكون النص أو الكتاب بعد ذلك شيئاً آخر حفيلاً بالفوائد، جامعاً لشتى المسائل»<sup>(٤)</sup>.

وأخذ علماء المماليك هذا المنهج عن السابقين، واعتمدوه في البحث والتأليف

---

(١) ينظر في تحليل لسان العرب لابن منظور كتاب «القلقشندي في كتابه صبح الأعشى» عرض وتحليل للدكتور عبد اللطيف حمزة ص ٢٨، ص ٢٩.

(٢) ينظر في تحليل صبح الأعشى المرجع السابق بكل أبوابه وفصوله. وكذلك كتاب أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى تأليف نخبة من الأساتذة تحت إشراف الدكتور أحمد عزت عبد الكريم الهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٣ م.

(٣) ينظر في تحليل كتاب الغزولي «مطالع البدور في منازل السرور» كتاب الأدب في العصر المملوكي ج ٢ لأستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام من ص ٣٢ إلى ص ٣٤، طبعة دار المعارف.

(٤) من مقدمة تحقيق تمام المتون لمحمد أبي الفضل إبراهيم ص ٣.

الغنى، واتخذوه مركباً ذلولاً لبلوغ مأربهم من التوسع فى العلم، والاستطراد فى البحث، ومن أهم كتب الشروح فى ذلك العصر كتاب جمال الدين محمد بن بانه الذى تناول فيه الرسالة الهزلية لابن زيدون الشاعر الوزير العاشق الذى أحب ولادة بنت المستكفى «إحدى الظريفات من نساء بنات خلفاء الغرب الأمويين»<sup>(١)</sup> وهذا الكتاب سماه صاحبه «شرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون»، وكذلك كتاب صلاح الدين الصفدى الذى تناول فيه شرح رسالة ابن زيدون الجديدة وهو كتاب «تمام المتون فى شرح رسالة ابن زيدون»، وإذا كان هذان الكتابان قد تناول فيهما صاحباهما شرح نصين أدبيين فإن هناك سبلاً من المؤلفات التى وضعت فى هذا العصر لشرح العديد من القصائد والمنظومات التعليمية كألفية ابن مالك فى النحو والصرف وقصيدة الشاطبى فى علم القراءات.

وهناك منهج رابع اعتمده علماء العصر فى التأليف، وهو منهج يقوم على قراءة كتب السابقين وفهمها ثم اختصارها وتهذيبها تقريباً لما دلتها العلمية من القراء، وحذفاً لما يكون بها من الحشو الذى يحول دون التحصيل، وكثرت هذه الكتب فى هذا العصر كثرة مفرطة حتى ليقول الصفدى فى ابن منظور: «وما أعرف فى كتب الأدب شيئاً إلا وقد اختصره؛ من ذلك كتاب الأغاني الكبير رتبته على حروف المعجم مختصراً، وزهر الآداب للمحصرى، والبتيمة، والذخيرة، ونشوار الحافرة، واختصر تاريخ ابن عساكر، وتاريخ الخطيب وذيل النجار عليه»<sup>(٢)</sup> ويقول «اختصر حنة الصفوة، ومفردات ابن البيطار، وكتاب التيفاشى «فصل الخطاب فى مدارك الحواس الخمس لأولى الآل» اختصره فى عشر مجلدات وسماه سرور النفس»<sup>(٣)</sup>.

وهذه الكتب جميعها التى اختصرها ابن منظور تدور فى فلكين هما التاريخ والأدب. وشاع هذا المنهج أيضاً فى كتب البلاغة؛ فقد وضع عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير الحلبى كتاباً فى البلاغة سماه «كنز البراعة فى أدوات ذوى البراعة» وكان الكتاب كبير الحجم جداً<sup>(٤)</sup> فقام نجم الدين أحمد بن إسماعيل

(١) مقدمة تحقيق تمام المتون لأبى الفضل إبراهيم ص ٤.

(٢) نكت الهميان للصفدى ص ٢٧٦.

(٣) السابق نفسه ص ٢٧٦.

(٤) مقدمة تحقيق جوهر الكثر لأستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام ص ٩.



بإختصاره وتقريب قوائده إلى القارئ دونما إخلال بمادة الكتاب الأصلية في كتاب سماه «جواهر الكنز» يقول: «فإني لما وقفتُ على الكتاب الذي ألفه والدي الفقير إلى الله تعالى عماد الدين إسماعيل ابن الفقير إلى الله تعالى تاج الدين أحمد بن الأثير الشافعي الحلبي رحمهم الله تعالى في علم الأدب، وضمنه من أنواعه ما لم يسبقه إليه أديب ولا نحا نحوه في فنه إلا ذو لب أريب، وسماه كنز البراعة . . . . . ولقد وجدتُ فيه إسهاباً على من يروم حفظه، أو يقيد لفظه، فقصدتُ إختصاره رغبة في سهولة تناوله وقصدًا لنظم شتات نوعه لميتغب ومحاوله<sup>(١)</sup>» ويقول: «ووسمته بجواهر الكنز؛ إذ أجلُّ ما يُدخر في الكنوز الجواهر، ولعل هذا المختصر جمع أجل ما حواه كتاب الكنز من المعاني والألفاظ<sup>(٢)</sup>» ويقول مرة أخرى مبينا أن عمله جاء في «غاية الإختصار الذي لم يُخل بما يحتاج إليه ولا يمل عند مطالعته<sup>(٣)</sup>».

\*\*\*\*\*

(١) جواهر الكنز بتحقيق أستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية د. ت

ص ٢٧، ص ٢٨.

(٢) السابق نفسه ص ٢٨.

(٣) السابق نفسه ص ٢٨.

## الفصل الثاني

### ثقافة الصفدي

#### تقديم

ترجم غير واحد من مؤرخينا القدماء للصفدي؛ كابن حبيب في «تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه»<sup>(١)</sup>، وابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة<sup>(٢)</sup>، والشوكاني في البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع<sup>(٣)</sup>، وابن كثير في البداية والنهاية<sup>(٤)</sup>، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى<sup>(٥)</sup>، تراجم تختلف طولاً وقصرًا، وإيجازًا وإطنابًا.

ولقد أدهشني وأنا بصدد البحث في المصادر القديمة عما يعينني على وضع تصور لمراحل تطور الحياة العلمية للصفدي ما قاله ابن تغري بردي في «النجوم الزاهرة» حيث ترجم لعلّمنّا على غط أهل عصره في كتابة التاريخ ترجمة موجزة ثم قال إنه ترجم للصفدي ترجمة وافية شافية في كتابه الكبير «المنهل الصافي»، وذهبت إلى المنهل الصافي لأقرأ تلك الترجمة الوافية الشافية، وما أن انتهيت من قراءتها حتى وجدتها غير وافية ولا شافية وليس بها من المعلومات ما يزيد على تلك الترجمة الموجزة التي عقدها له في «النجوم الزاهرة»، إلا أنه شغل نفسه، وشغلنا معه بتلك الرسالة التي أوردها، وهي عبارة عن رسالة بعث بها الصفدي إلى جمال الدين بن نباتة يطلب فيها أن يجيز له الأخير رواية كتبه ومؤلفاته ما نُجِزَ منها وما لم يُنَجِزْ، ثم أورد رد ابن نباتة على رسالة الصفدي، وبعد ذلك أورد للصفدي مقطوعات من شعره، وبين رأيه في هذا الشعر، وانتهت الترجمة دون أن تعطى قارئها تصورًا واضحًا لثقافة الصفدي وتنوعها وموسوعيتها، وإن أعطينا -بطبيعة الحال - تصورًا واضحًا عن الرجل ومؤلفاته وأساتذته.

(١) تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه. تحقيق محمد محمد أمين - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٦ م، ٢/٢٦٨.

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني ٢/٨٧.

(٣) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني. دار المعرفة. بيروت د.ت، ١/٢٤٤.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي. مكتبة المعارف. بيروت ١٩٨٣ م، ١٤/٣٠٣.

(٥) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦/٩٤.

وسوف أنهج في تصويري لثقافة الصفدى منهجاً أمزج فيه بين الاعتماد على ما ورد في نصوص هذه التراجم من ناحية، واستنطاق نصوص كتاب الغيث المسجم وسائر كتب الصفدى من ناحية أخرى.

### نشأته ومواهبه:

ولقد نشأ الصفدى نشأةً عادية كسائر أترابه، ولما بلغ سن الصبا ألحقه والده بأحد الكتاتيب التي تحفظ القرآن الكريم، وأتم الغلام حفظ القرآن الكريم في صغره على ما يحكى لنا ابن تغرى بردى في المنهل الصافى<sup>(١)</sup>، ويعد ذلك بدأت رحلة الصفدى في طلب العلم، ويبدو لى أن والده كان على درجة من الوعي وتفتح الذهن، وحسن الأمل فى الغلام؛ لأنه رفض أن يمكنه من الاشتغال فى مرحلة الطلب حتى بلغ عشرين سنة على ما يحكى لنا ابن حجر فى الدرر الكامنة<sup>(٢)</sup>، ولعل هذا التفرغ قد أعاناه على الجد فى طلب العلم، والسعى فى تحصيله، وقد كان لهذا أكبر الأثر فيما بعد فى مؤلفاته وكتبه، فتناج الصفدى الثر الغزير فى كل علوم عصره ومعارفه لا يمكن أن يتاح إلا لشخص تفرغ فى صباه وزهرة شبابه للدرس والتحصيل تفرغاً ينفى عنه ما يشغل خاطر أترابه من السعى على الرزق والاهتمام بأمور العيش، وفى هذه السن المبكرة تفتحت موهبة الصفدى الأدبية فنظم الشعر، وكتب النثر على طريقة أهل العصر، وتميز الصفدى بخطه الحسن الجميل، وقد رشحه هذا لكتابة الدرج بصفدى، ثم كتابة بيت المال بدمشق، وكتابة الإنشاء بالديار المصرية، ثم ولى كتابة السر بحلب، وبأشر وظائف جليلة<sup>(٣)</sup>.

وبجانب هاتين الموهبتين رزق الصفدى موهبة فائقة حيث كان رساماً، ولم يكن رساماً عادياً، بل كان ماهراً فى الرسم؛ قال ابن حجر: «وتعانى صناعة الرسم فمهر فيها»<sup>(٤)</sup>.

(١) المنهل الصافى: ج ٥ ص ٢٤٢.

(٢) الدرر الكامنة: ج ٢ ص ٨٧.

(٣) المنهل الصافى: ج ٥، ص ٢٤٣.

(٤) الدرر الكامنة: ج ٢، ص ٨٧.

وبعكذا كان الصفدي فناناً شاملاً جمع بين حسن الخط وجودة الرسم والمقدرة على التعبير عن خواطره وخلجات نفسه بالكلام الموزون وغير الموزون.

ورزق الصفدي بجوار هذه المواهب الثلاث مواهبة رابعة تتمثل في ذاكرة حافظة لائقة؛ فقد كان محفوظه من الشعر والشر كثير جداً. وكان يحفظ كثيراً من المداعبات والنوادر التي حدثت لعاصريه من الأدباء كتاباً وشعراً، يدل على ذلك روايته لكثير منها في كتابه الغيث المسجم الذي كتبه بأخرة من عمره، فبالرغم من تقدم السن، وتصلح الأمراض على جسده، فإنه لم ينس هذه النوادر والمداعبات التي وقعت له أو لغيره من الأدباء والعلماء، وكان حظ الغيث المسجم منها عظيماً حقاً.

وبهذه المواهب الأربع استطاع الصفدي أن يتخذ لنفسه مكانة مرموقة بين علماء العصر وأدبائه، كما استطاع أن يحصل هذه الألوان المتعددة من الثقافات والمعارف التي من أهمها:

#### ١ - التاريخ:

فقد أولع الصفدي بهذا العلم، وأقبل عليه ودرسه على يد الشيخ الإمام شمس الدين الذهبي الذي ترجم له صاحبنا في كتابه «نكت الهميان في نكت العميان» ترجمة وافية جاء فيها «اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه»<sup>(١)</sup> ثم يذكر الصفدي هذه التصانيف فيقول: «ومن تصانيفه: تاريخ الإسلام، وقد قرأت منه عليه المغازي، واليرة النبوية إلى آخر أيام الحسن رضي الله عنه وجميع الحوادث إلى آخر سنة سبع مائة، والثلاثين البلدية، ومن تكلم فيه وهو موثق، وقد كتبت بخطي وقرأتهما عليه...» وطبقات القراء وسماء: القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تناولته منه وأجازني روايته وكتبت عليه:

عَلَيْكَ بِهَذِهِ الطَّبَقَاتِ قاصِد	إِلَيْهَا بِالشَّأْنِ إِنْ كُنْتَ رَاقٍ
نَجِدُهَا سَبْعَةً مِنْ بَعْدِ عَشْرِ	كَتَبْتَ الدُّرَّ فِي حُسْنِ اتِّفَاقٍ
تَجَلَّى عَنْكَ ظُلْمَةٌ كُلِّ جَاهِلٍ	بِهِ أَضْحَى مَقَالُكَ فِي وَثَاقٍ

(١) نكت الهميان: ص ٢٤٢.



فَنورُ الشمسِ أحسنُ ما تراه إذا ما لاح في السَّحَابِ الطَّبَاقِ<sup>(١)</sup>

ومن كتب هذا الشيخ التي قرأها الصفدي عليه أيضاً كتاب فتح الطالب في أخبار علي بن أبي طالب؛ يقول الصفدي «وقرأته عليه من أوله إلى آخره»<sup>(٢)</sup>.

وقد كان الصفدي يجعل هذا الشيخ ويرقره، ويعتمد على كتبه ويأخذ منها مادة كتبه، وليس أدل على ذلك من أنه ذكره في أكثر من موضع في أثناء شرحه للامية العجم ونقل عنه، بل صحح بكلامه أخطاء الآخرين. فقد نقل عن المسعودي في شرح المقامات أن «المهدي لما دخل البصرة رأى إياس بن معاوية وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطائفة وإياس يقدمهم فقال المهدي: أف لهذه العتائين أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث؟! ثم إن المهدي التفت إليه وقال: كم سنك يا فتى؟ قال: سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد ابن حارثة لما ولاه رسول الله ﷺ جيشاً فيهم أبو بكر، فقال له: تقدم بارك الله فيك»<sup>(٣)</sup> ويعد أن نقل هذا النص صحح ما فيه من أخطاء فقال: قلت: كذا ذكره المسعودي، والصحيح ما قرأته على الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي في تاريخه الكبير أن إياساً قاضي البصرة توفي في زمن بني أمية سنة مائة وتسع عشرة ولم يلحق دولة بني العباس»<sup>(٤)</sup>.

وكما درس التاريخ على شيخه الذهبي درسه على ابن سيد الناس اليعمرى على ما يقول هو، فقد تحدث في تمام التون عن بيعات العقبات الثلاث ثم قال: «فهذه بيعات العقبات الثلاث حدثني بها شيخنا الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد ابن محمد بن سيد الناس اليعمرى مختصراً من سيرته»<sup>(٥)</sup>.

وقرأ الصفدي عدداً كبيراً من أمهات كتب التاريخ ونقل عنها في مؤلفاته كتاب «وفيات الأعيان»<sup>(٦)</sup> لابن خلكان، وكتاب «الروض الأتف»<sup>(٧)</sup> للإمام السهيلي، وكتاب «مروج الذهب» للمسعودي<sup>(٨)</sup> وغيرها.

(١) نكت الهميان: ص ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) السابق نفسه: ص ٢٤٣.

(٣) الغيث المسجم: ج ١، ص ٨٣، ص ٨٤.

(٤) السابق نفسه: ص ٨٤.

(٥) تمام التون: ص ١٤٣.

(٦) يراجع على سبيل المثال الغيث المسجم: ج ١، ص ١٦.

(٧) يراجع على سبيل المثال تمام التون: ص ٣٥.

(٨) يراجع على سبيل المثال تمام التون: ص ٦٢.

وألف الصفدي عدداً كبيراً من الكتب في التاريخ منها «الوافي بالوفيات» الذي وصفه الأستاذ سمير حسين حليبي محقق كتاب جنان الجناس بقوله: «وهو أكبر معجم تاريخي من نوعه في تراجم الصحابة والتابعين والقراء والمحدثين والقضاة والشعراء والنحاة والحكماء وغيرهم»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان هذا الكتاب في تراجم أعيان علماء الإسلام عامة، فإن له كتاباً كبيراً في تراجم أعيان العصر سمّاه «أعيان العصر» وأعوان النصر» وقد جعله «في تراجم مشاهير القرن الثامن الهجري من الرجال والنساء»<sup>(٢)</sup>.

وخص ذوى العاهات ببعض الكتب التي ترسم الخطوط الرئيسية لحياتهم وأثارهم منها «نكت الهميان في نكت العميان»<sup>(٣)</sup>، ومنها: «الشعور بالعمور»<sup>(٤)</sup>.

ومن مؤلفاته التاريخية أيضاً كتاب «قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الجراكسة»<sup>(٥)</sup>، وكتاب «تحفة ذوى الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب»<sup>(٦)</sup>، وكتاب «زهر الحمائل في ذكر الأوائل»<sup>(٧)</sup>. هذا عدداً مما يقص من الوقائع التاريخية في ثنايا مؤلفاته الأدبية؛ فمن يقرأ كتاب «تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون» يشعر أن الكتاب قد تحول من كتاب أدبي إلى كتاب تاريخي، إذ تحدث فيه عن كثير من تاريخ الرسل والأنبياء كسيدنا نوح<sup>(٨)</sup> عليه السلام، وسيدنا

(١) جنان الجناس: مقدمة المحقق ص ٥، وقد طبع من الوافي بالوفيات أكثر من عشرين جزءاً بعناية جمعية المستشرقين الألمان، سلسلة النشرات الإسلامية، وتحقيق لقيف من الدارسين.

(٢) جنان الجناس: مقدمة المحقق ص ٨، وقد حقق هذا الكتاب الدكتوراة على أبو زيد، ونبل أبو عسنة، وسحمد موعداً، ومحمود سالم محمد وقدم له الدكتور مازن المبارك ضمن مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدمشق، دار الفكر دمشق الطبعة الأولى ٩٨.

(٣) طبع الكتاب بتحقيق الأستاذ أحمد زكي بك، ونشر بعناية أسعد طرازوني الحسيني.

(٤) طبع هذا الكتاب بتحقيق للدكتور عبد الرزاق حسين، دار عمار للنشر والتوزيع الأردن ١٩٨٨ م.

(٥) يذكر الأستاذ هلال ناجي أن هذا الكتاب طبع بالقاهرة مرتين: الأولى سنة ١٢٨٧ هـ، والثانية سنة ١٣١٦ هـ، انظر مقدمة تحقيقه لجنان الجناس.

(٦) حقق الكتاب بدمشق بعناية إحسان بنت سعيد خلوصي، وزهير حميدان الصمصام.

(٧) ذكر هذا الكتاب ابن تغري بردي في النهل الصافي، وعده الأستاذ هلال ناجي ضمن مصنفات الصفدي المفقودة. راجع الذخائر ص ٤٧.

(٨) تراجع تمام المتون: ص ١١٨.

موسى<sup>(١)</sup> وسيدنا صالح<sup>(٢)</sup>، كما تحدث فيه عن تاريخ العرب في الجاهلية ومحاولة أبرهة الحبشي الفاشلة لهدم الكعبة<sup>(٣)</sup>، كما تحدث عن بعض الخلفاء الفاطميين<sup>(٤)</sup> وبعض سلاطين المماليك<sup>(٥)</sup>، وهو في كتابته التاريخية مشرق الأسلوب متخفف من أعباء البديع، مقنع بالحجج والبراهين، مصحح لما تعارف عليه الدارسون من أمور توارثوها على أنها مسلمات علمية بينما هي في الواقع لا ظل لها من الحقيقة ولا تقوى أمام نقد المؤرخ ذى البصر والإلمام بأدوات درسه، هذا وإن كان يسير في ترجمته للأعلام على نمط أهل عصره، فإنه قد يعنى بأن يضيف دائماً الجديد إلى ترجمة العلم، ويرصد الظواهر ويحللها ويعلل لها.

وهذه صورة من صور كتابته التاريخية نقلها من تمام المتون قال: «لما واعد الله موسى لبيثاته وهو أربعون ليلة، كان قوم موسى قد أمنوا من عدوهم ودخلوا مصر ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة يتتبعون إليها، فوعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه: إني أذهب إلى ربى لآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذررون وواعدهم أربعين ليلة ثلاثين من ذى القعدة وعشرا من ذى الحجة، واستخلف عليهم أخاه هارون، فلما جاء الوعد أتى جبريل على فرس الحياة لا يمر على شيء إلا حى، فلما جاء رآه السامري وكان رجلاً صائغاً يقال اسمه منحا من أهل كرمان أو من أهل باجرمى أو كان من بنى إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة، فرأى مواضع الفرس تخضر، وكان منافقاً من قوم يعبدون البقر فقال: إن لهذا لشأناً، فأخذ قبضة من تربة حافر فرس جبريل، وألقى في روع السامري أنه إذا ألقى في شيء غيره، وكان بنو إسرائيل قد استعاروا حلياً كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلّة عرس لهم، ولما أهلك الله فرعون وقومه بقيت تلك الحلى في أيديهم، فقال السامري لبنى إسرائيل: إن الحلى التي استعرتوها غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفرة وادفنوها فيها حتى يرجع موسى من ميقات ربه فيرى رأيه فيها، أو أن هارون أمرهم أن يلقوها في حفرة فلما اجتمعت الحلى صاعتها السامري

(١) السابق نفسه: ص ١١٩ وما بعدها.

(٢) السابق نفسه: ص ١٢٥ وما بعدها.

(٣) السابق نفسه: ص ١٣١ وما بعدها.

(٤) السابق نفسه: ص ٤٨.

(٥) السابق نفسه: ص ٥٣.



في ثلاثة أيام ثم ألقى القبض على التي أخذها من أثر حافر فرس جبريل فخرج  
عجلاً من ذهب مرصعاً بالجواهر من أحسن ما يكون، وخار خورة، وكان يمشى  
ويخور فقال السامري: هذا إلهكم وإله موسى نسيه ها هنا وخرج يطلبه، وكان بنو  
إسرائيل قد أحلفوا الموعد، وعدوا اليوم مع الليلة حتى مضى عشرون يوماً ولم  
يرجع موسى، فوقعوا في الفتنة في العشرين، فعكف على عبادة العجل ثمانية  
آلاف يعبدونه، أو كلهم عبدوا العجل إلا هارون مع اثني عشر رجلاً وهو  
الصحيح، أو عبدوه أجمعين إلا هارون، فأوحى الله إلى موسى إنا قد فتنا قومك،  
ورجع إليه غضبان أسفاً، وقال: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا  
إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤] أي ليقتل البرئ منكم المجرم، فقالوا: نصبر لأمر الله  
نعاش، فجلسوا في الألفية محتبين وقال لهم من حلّ حبونه أو مدّ طرفه إلى قاتله  
أو نقاه يده أو برجله فهو ملعون غير مقبول التوبة؛ فأصلت القوم عليهم الخناجر،  
وقال الرجل يرى ابنه أو أباؤه أو أخاء أو صديقه أو جاره يقتل فلا يقدر أن يدافع  
من وقالوا: يا موسى كيف تفعل؟ فأرسل الله عليهم سحابة سوداء وأصبحوا لا  
يصر بعضهم بعضاً، وكانوا يقتلونهم إلى الماء، ولما كثر القتل دعا موسى وهارون  
ويكيا ونضرعاً إلى الله وقالوا: يا رب هلكت بنو إسرائيل، فكشف الله السحابة  
وأمرهم أن يكفوا عن القتل، وكان عدد القتلى سبعين ألفاً، فأوحى الله إلى  
موسى: أما يرضيك أن أدخل القاتل والمقتول الجنة؟<sup>(١)</sup>

وهذا النص يبين منهج الصفدي في سرد حوادث التاريخ؛ فهو يعتمد على  
أصح الآراء وأرجحها، وليس معنى هذا أنه لا يذكر إلا أصح الأقوال والآراء  
نقطاً، بل هو يورد جميع الآراء التي قالها المؤرخون في موضوعه ثم يدل قارئه  
على الرأي الصحيح الذي يرجحه ويميل إليه، وهو يقص الحادثة التاريخية في  
أسلوب مرسل يعتمد على التشويق والإثارة، ويبعد عن التكلف والصنعة.

٢ - اللغة:

بذكر ابن تغري بردي في ترجمته للصفدي في المنهل الصافي أنه «برع في



النحو واللغة والأدب والإنشاء»<sup>(١)</sup>، وليس فيما بين أيدينا من نصوص ما يعيننا على التعرف على شيوخه في اللغة، اللهم إلا تلك الإشارة العابرة التي ذكرها هو في تضاعيف ترجمته لأثير الدين أبي حيان حيث قال: «وسمعت من لفظه كتاب الفصيح للعلب»<sup>(٢)</sup>، وقال «وسمعت من لفظه خطبة كتاب ارتشاف الضرب من لسان العرب»<sup>(٣)</sup>، إلا أن آثاره تدل على تعمقه في هذا الفرع المهم من فروع الثقافة العربية، فقد شغل الصفدي على ما يبدو لى بالجوهرى وكتابه الصحاح فوضع عليه عددًا من الكتب من أهمها «عواصي الصحاح»<sup>(٤)</sup>، و«حلى النواهد على ما فى الصحاح من الشواهد»<sup>(٥)</sup>، و«نجد الفلاح فى مختصر الصحاح»<sup>(٦)</sup>، و«نفوذ السهم فيما وقع فيه الجوهرى من الوهم»<sup>(٧)</sup>، وأغلب هاتيك المؤلفات لا تزال حبيسه المكتبات العامة مخطوطة لما تنشر بعد مثلها فى ذلك كمثّل معظم كتبه فى التاريخ والأدب.

ووضع الصفدي كتابًا يعالج أخطاء العامة أو ما تلحن فيه العامة سماه «تصحيح التصحيف وتحرير التحريف»، وقد نشره الدكتور السيد الشرقاوى<sup>(٨)</sup>، بعد أن حققه تحقيقًا علميًا أحرز به درجة الماجستير فى اللغويات من جامعة عين شمس.

هذه هى كل آثار الصفدى فى مجال اللغة، وتبقى بعد ذلك آراؤه اللغوية التى بثها فى تضاعيف كتبه الأدبية والنقدية من مثل «تشتيف السمع بانسكاب الدمع»، و«الغيبث المسجم فى شرح لامية العجم»، و«جنان الجناس»، و«ثمام المتنون».

(٢) نكت الهميان ص ٢٨١.

(١) المنهل الصافى ج ٥ ص ٢٤٢.

(٣) السابق نفسه ص ٢٨١.

(٤) هكذا ورد فى المنهل الصافى بهذا الاسم، ولست أدري أهو كتاب غوامض الصحاح الذى حققه عبد الإله نيهال أم لا؟

(٥) هذا الكتاب ذكره الصفدى فى تصحيح التصحيف، وابن تبرى يردى فى المنهل الصافى ووضعه الأستاذ هلال ناجى ضمن مؤلفات الصفدى المخطوطة.

(٦) بعد الأستاذ هلال ناجى هذا الكتاب ضمن كتب الصفدى المفقودة، مجلة الدخائر العدد الثالث ص ٤٧.

(٧) هذا الكتاب ذكره الصفدى فى تصحيح التصحيف، وابن تبرى يردى فى المنهل الصافى، وحاجى خليفة فى كشف الظنون، وذكر الأستاذ هلال ناجى أن منه مخطوطة فى مكتبة مجمع اللغة العربية، بالقاهرة؛ وقد حقق هذا الكتاب تحت إشراف الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب.

(٨) نشرت هذا الكتاب مؤسسة الحانجى للطبع والنشر بالقاهرة عام ١٩٨٥ م.

والنقص الختام» وغيرها، وهى آراء جديرة بالدرس، إذ تكشف عن مقدرة صاحبها اللغوية وتبين رسوخ قدمه فى عالم اللغويات.

ومن أهم كتب اللغويات التى قرأها الصفدى واهتم بها كتاب الحريرى «درة النواص فى أوهام الخواص» حيث نقل عنه كثيراً فى الغيث المسجم، وسوف يأتى حديث مفصل عن هذا الكتاب، وموقف الصفدى منه ومن صاحبه فى الفصل التام الخاص بمصادر الشرح.

ويحدثنا الصفدى فى نكت الهميان أنه رأى أوائل كتاب ابن منظور المسمى بلسان العرب قال: «وجمع بين صحاح الجوهري، وبين المحكم لابن سيده، وبين الأزهرى فى سبع وعشرين مجلدة ورأيت أنا أولها بالقاهرة، وقد كتب عليه أهل ذلك العصر يقرظونه ويصفونه بالحسن»<sup>(١)</sup>.

والنص الآتى يبين مقدرة الصفدى اللغوية يقول:

«اعلم أن الأصل فى تورية وورية فأبدلت الواو الأولى تاء، وهو كثير فى كلام العرب كما قالوا تولج وأصله وولج، وتراث وأصله وراث، وتوصية وأصلها ووصية لأن المادة الأولى من ولج والثانية من وراث والثالثة من وصى، وأما وزنها فهو نفعلة مثل تبصرة وتكرمة وتذكرة.

واعلم أن هذه المادة الأصلية وهى الواو والراء وما يأتى بعدهما من الحروف بنفسها وقعت وتصرفت من تقديم بعضها على بعض لا يخرج عن ستة أقسام الأول: وراء، والثانى: واء، الثالث: أورا، الرابع: راوا، الخامس: رواء، السادس: أرو، ولا يخرج معناها فى أى تركيب تصورته عن معنى الانتقال من السر والخفاء إلى معنى الوضوح والظهور، كما فى النون والفاء وما يأتى بعدهما لا يخرج عن معنى الطرح والنقاد مثل نفذ، ونفث، ونفخ، ونفح، ونفد. وإنما أخرت الألف بعد الواو والراء لأن الأصل ورى؛ فالياء قلبت ألفاً لأنه معتل الطرف بالياء»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا النحو يمسى الصفدى متحدثاً عن هذه الأقسام الستة فى إسهاب وتفصيل، ثم يختم كلامه بالفخر بنفسه والاعتداد بها فيقول «واعلم أن تقديم هذا الاستفاد إنما تكلفت له هذا التأويل الذى يدور على معنى السر والكشف،

(١) نكت الهميان ص ٢٧٦.

(٢) لسان الختام عن التورية والاستخدام ص ١٤٧، ص ١٤٨.

واستنبطت هذه المعاني اللائقة لتساعد مقصدي فيما بعد في ترجيح مذهب من سمي هذا النوع بالتورية على غيره، فقد اختلف أرباب البلاغة في تسميتها على ما سيأتي، وما وقفت على كلام أحد سبقني إلى هذا الترتيب<sup>(١)</sup>.

### ٣ - النحو:

يشكل النحو دون شك مقومًا أساسيًا من مقومات شخصية الصفدي العلمية، ويذكر ابن العماد الحنبلي أن الصفدي «أخذ النحو عن أبي حيان<sup>(٢)</sup>» وحقًا كان الشيخ أثير الدين إمام الدنيا في النحو والتصرف على ما يقول الصفدي<sup>(٣)</sup>، إلا أن الصفدي في ترجمته المستوفاة لشيخه لم يذكر أنه درس عليه النحو وإنما ذكر أنه أخذ عنه الأدب واللغة والقراءات القرآنية ولم يذكر النحو ضمن ما حصله من علوم الشيخ أثير الدين ومعارفه، ومع هذا كله تبقى إشارة ابن العماد الحنبلي ذات دلالة خاصة؛ فما دام الصفدي قد جلس من الشيخ مجلس التلميذ، وأخذ عنه كل هذه العلوم والفنون فقد تأثر - بلا شك - بأراء الشيخ النحوية ولا سيما أنه يكثر من النقل عن تلك الكتب التي كانت محل اهتمام أستاذه من مثل كتاب سيويه، وشرح التسهيل لابن مالك وغيرهما، فقد حكى الصفدي عن شيخه أنه «التزم أن لا يقرئ أحدًا إلا إن كان في كتاب سيويه، أو في التسهيل لابن مالك، أو في تصانيفه<sup>(٤)</sup>».

ولم تشر الكتب القديمة إلى آثار الصفدي في هذا العلم، كما لم يشر محققو مؤلفاته اللغوية والأدبية والتاريخية وغيرها إلى جهوده في هذا العلم، كما لم يشر أسانذتنا الأجلاء فيما كتبوا من مؤلفات ودراسات إلى مؤلفات الصفدي النحوية<sup>(٥)</sup>، وربما كان مرجع هذا كله إلى قلة آثار الرجل في هذا الفن، وقد

(١) فض الختام عن التورية والاستخدام ص ١٥١.

(٢) شذرات الذهب ابن العماد الحنبلي ج ٦ ص ٢٠٠ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع د. ت.

(٣) نكت الهميان ص ٢٨٠.

(٤) السابق نفسه ص ٢٨٠.

(٥) يمكن أن تراجع مقدمة تحقيق قام المتون لأبي الفضل إبراهيم، ومقدمة تحقيق فض الختام للحناوي، ومقدمة تحقيق جنان الجناس لسير حلي، ومقدمة تحقيق نكت الهميان لأحمد زكي، ومقدمة تحقيق نصحيح التصحيح للشرقاوي للتأكد من هذا الكلام.



استطعت أن أفق على بعض جهوده في النحو منها تأليفه لرساله جمع فيها جملة من المباحث النحوية في حرف الواو، وقد تحدث عن هذه الرسالة في كتابه الغيث المسجم، فعند إعرابه لقول الطغرائي «وحلية الفضل زانتى لدى العطل» شرع يتحدث عن الواو واستخدامها في العربية، وبين أنها قد تكون للعطف، وأنها قد تكون للتشريك في الحكم بلا ترتيب، وأنها قد تأتي تارة بمعنى رب وتارة ثانية للضم، وأنها قد تكون واو المعية، وقد تكون واو الحال، ومضى يستشهد بالآيات القرآنية التي تدعم آراءه ثم قال «وعلى الجملة ففى الواو مباحث جليلة جمعتها في كراسة أضربت عن إثباتها هنا خوفاً من الإطالة<sup>(١)</sup>».

ومن جهوده في النحو أيضاً تعليقه على الحاجبية، وقد ذكر هذا التعليق في الغيث عند الحديث عن تلك القضية النحوية التي تختلف فيها آراء النحاة اختلافاً كبيراً، ونعنى بها قضية العامل؛ فقد تحدث عن اختلاف النحاة في رافع المبتدأ ثم قال «وقيل رافع المبتدأ التجرد عن العوامل وليس بشيء؛ إذ العدم لا يكون علة للوجود وفيه نظر، وقيل رافعه الخبر، وهو باطل؛ لأن الخبر متأخر عنه وضعاً، وقيل: بل هما مترافعان، وقيل: الابتداء رافعهما، وهو ضعيف؛ لأن المعنى ما له هذه القوة، وقيل: الابتداء رفع المبتدأ، والمبتدأ رفع الخبر؛ وهو أقرب الأقوال، وقد استوفيت هذه المسألة في تعليق لى على الحاجبية<sup>(٢)</sup>».

وإذا دل هذا النص على أحد كتب الصفدى النحوية فإنه يدل من ناحية أخرى على منهج الصفدى أو على سمة من سمات منهج الصفدى في عرض القضايا النحوية؛ حيث يتدرج بالقارئ في تأني وروية من باطل الآراء إلى صحيحها ثم أصحها، ومن راجحها إلى أرجحها، مع التعليل للرأى الذى يرجحه ومع بيان علة تضعيف ما يضعفه من الآراء، الأمر الذى يدل على رسوخ قدمه فى علم النحو وتمكنه من مباحثه تمكناً يمكنه من مجادلة الأعلام المبرزين فيه.

وبقى بعد هذه الجهود آراؤه النحوية التى بثها فى ثنايا شرحه على لامية العجم وفى بحاجة إلى درس مستقل لكثرتها ودقتها.

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ٧١.

(٢) السابق نفسه ج ١ ص ٦٨.



وهنا من العلوم التي تدور في محيط اللغة، وكان الصفدي على علم بهما، وحذق فيهما، وقد تحدث عنهما في مقدمة الغيث المسجم حديثاً يدل على هذا العلم وهذا الحذق، فقد تحدث عن العروض لغةً، وعن العروض اصطلاحاً، ثم بين سبب تسميته بهذا الاسم، وهو يجعل الخليل بن أحمد القراهدى أيما إجلال ويصفه بأنه «كان ذا ذهن متوقد، وعقل صحيح، وفطرة سليمة»<sup>(١)</sup>.

ولعله درس هذا العلم على يد الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري فقد ورد نص في الغيث المسجم يرجح هذا الاحتمال حيث قال الصفدي: «ذكر لي العالم العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري أن الشعر اليوناني له وزن مخصوص، ولليونان عروض لبحور الشعر، والتفاعيل عندهم تسمى الأيدي والأرجل، قال ولا يبعد أن يكون وصل إلى الخليل بن أحمد شيء من ذلك فأعانه على إبراز العروض إلى الوجود»<sup>(٢)</sup>.

والنص الآتي يبين مدى حذق الصفدي لهذا الفن حيث قال: «ومن فوائد علم العروض فصل القضية فيما يتنازع فيه: هل هو شعر عربي أم لا؟ وقد رأيت للمشيخ جمال الدين بن واصل كلاماً على قول البهاء زهير:

يَا مَنْ لَعِبْتَ بِهِ شَمُولٌ      مَا أُنْطِقَ هَذِهِ الشَّمَانِلُ

فقال فيها: إنها غير داخلة في أبحر العروض، وتابعه جماعة، والصحيح أنها من بحر الوافر<sup>(٣)</sup> إلا أنه دخل فيه العقص وهو اجتماع الحزم<sup>(٤)</sup> بالراء والنقص<sup>(٥)</sup> فيخلفه (مفعول) بتحريك اللام، وشاهده:

(١) الغيث المسجم ج١ ص ٥٦.

(٢) السابق نفسه ص ٥٤، وراجع حديثنا المفصل في دحض هذا الرأي في البحث الأول من الفصل الخامس من كتابنا هذا.

(٣) بحر الوافر أحد بحور الشعر العربي وأصل تفاعيله هكذا:

مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن

ولكنه لم يرد صحيحاً أبداً بل لا بد من فطخ عروضه فتصير مفاعيلن مفاعيلن، وتحول إلى فعولن، وله عروضان وثلاثة أضرب: العروض الأولى مقطوعة وضربها مثلها، والعروض الثانية مجزوءة صحيحة ولها ضربان الأول مثلها والثاني مجزوء ومعصوب.

(٤) الحزم هو إسقاط أول الوند المجموع في أول شطر من البيت.

(٥) النقص هو اجتماع العصب مع التكف أي إسكان الخامس وحذف السابع من التفعيلة. يراجع =

لَوْلَا مَلِكٌ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ تَدَارَكُنِي بِرَحْمَتِهِ هَلَكْتُ<sup>(١)</sup>،

وبعد أن صحح خطأ القائلين بخروج بيت البهاء عن أبحر العروض، قطع البيت حيث قال: تقطيع بيت البهاء زهير وتفعيله:

بَا مِنْ لَعِبْتُ بِهِ شَمُولٌ مَا أَلْطَفَ هَذِهِ الشَّمَائِلُ

مَفْعُولٌ مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ مَفْعُولٌ مَفَاعِلُنْ فَعُولُنْ<sup>(٢)</sup>،

وبهذا يكون قد ظهر لنا أن الصفدي يحذق علم العروض بشقيه النظري والتطبيقي<sup>(٣)</sup>.

وما يقال في علم العروض يقال في علم القافية، فهما مترابطان، ولا يمكن أن يكون الصفدي على غير دراية بعلم القافية بعد ما رأيناه من رسوخ قدمه في علم العروض وتمكنه منه، وقد تحدث في الغيث عن القافية<sup>(٤)</sup> لغةً واصطلاحاً، كما تحدث عن رأيه في قافية اللامية، وكل هذه مباحث ستأخذ حظها من الدرس فيما بعد<sup>(٥)</sup>.

## ٥ - الأدب:

وليس من شك في أن هذا الفرع من فروع الثقافة العربية هو أظهر هذه الفروع وضوحاً في شخصية الصفدي العلمية، يدل على ذلك كثرة مؤلفاته الأدبية من جهة، وكثرة شيوخه في هذا العلم من جهة أخرى.

أما عن شيوخه في الأدب فقد حدثنا عن بعضهم المصادر القديمة، وحدثنا هو عن بعضهم الآخر، وشيوخه في الأدب من الكثرة بحيث لا يمكن إحصاؤهم ويحيث نستطيع أن نعد كل من قابله الصفدي واستمع إليه وأخذ عنه شيئاً من

= كتاب «أهدى سبل إلى علمي الخليل العروض والقافية» تأليف محمود مصطفى طبع مكتبة صبيح القاهرة ٨١.

(١) الغيث المسجم ح ١ ص ٥٦، ص ٥٧.

(٢) الغيث المسجم ح ١ ص ٥٧.

(٣) السابق نفسه ص ٥٧ حيث يراجع تقطيعه لمطلع إحدى قصائد أبي الحسين الجزار.

(٤) يراجع على سبل المثال الصفحات ٦٠، ٦١، ٦٢، من المصدر السابق وما بعدها.

(٥) راجع حديثاً عنها في المبحث الأول من الفصل الخامس من هذا الكتاب.

الأدب شيخاً من شيوخه فيه، ومع هذا لم يحدثنا ابن تيمري بردي في المنهل الصافي إلا عن شيخ واحد فقط وهو الشيخ جمال الدين بن نباته؛ فقد أورد نص الخطاب الذي أرسله الصفدي إلى ابن نباته ليحيزه في روايته مصنفاته وتولييفه الأدبية وغير الأدبية حيث قال: «السؤال من إحسان سيدنا الشيخ الإمام العالم العلامة رحمة أهل الأدب، قبيلة ذوى التحصين له في التحصيل والدأب . . . . . جمال الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن نباته جمع الله به شتات أهل الأدب في دوحة هذه الدولة، ولمَّ به شعث أبنائه الذين لا صون لهم ولا صولة، وأقام به عماد أبيات الشعر التي لولاه لما عرفت دار مئة من أطلال خولة، إجازة كاتب هذه الأحرف - فح الله له في مدته - من رواية المصنفات في الأحاديث النبوية والتأليفات الأدبية على اختلاف أوضاعهما، وتباين أجناسهما وأنواعهما بحسب ما تأدَّى ذلك إليه، واتصل به من سماع وإجازة أو وصية أو وجادة<sup>(١)</sup> من مشايخ العلم الذين أخذ عنهم، وإجازة ما له - أحسن الله إليه - من قول<sup>(٢)</sup> نظمًا ونثرًا أو تأليفًا أو وضعًا إجازة خاصة، وإثبات ما له من التصانيف إلى هذا التاريخ بخطه الكريم، وإجازة ما لعله يقع بعد ذلك إجازة عامة<sup>(٣)</sup>».

وقد رد عليه جمال الدين بن نباته وقد أجابه إلى ما طلب قائلًا: «وأجرتُ لك أن تروى عني ما يجوز لي روايته من مسموع ومأثور منظوم ومنثور وإجازة ومناولة وتصنيف وتنضيد وتفويق، وماض ومتردد وآت على رأى بعض الرواة، ومتجدد، وجميع ما تضمنه استدعاؤك فأجمع ما يكون من لفظه المتردد<sup>(٤)</sup>».

وإذا كان ابن تيمري بردي لم يحدثنا في المنهل إلا عن هذا الشيخ من شيوخه في الأدب، فإنه قد فعل شيئاً يحسب له ويحسد عليه وهو أنه تحدث عن رأيه في

(١) في تحقيق أبي الفضل إبراهيم: أو وجادة وهذا ما أثبتته وقد قرأها محقق المنهل أو أوجازة.

(٢) في تحقيق أبي الفضل: من مقول.

(٣) المنهل الصافي ج ٥ ص ٢٤٦.

(٤) السابق نفسه ص ٢٥٠.

شعر الصفدي وكيف أن جيده يربو على رديته حيث قال «قلت: وشعر الشيخ صلاح الدين المذكور كثير، وفضله غزير، وهو شاعر مجيد، على أن جيده يزيد على رديته، ولولا أنه كان ضيقاً بنفسه راضياً بشعره لكان يندر له الردى ويكثر من الجيد؛ فإنه كان غواصاً على المعاني، مبتكراً للنكت البديعة، عارفاً بفنون الأدب، لكن رأيت من نظمه يخطئه عندما يعارض بعض من تقدمه من مجيدي الشعراء في معنى من المعاني اللطيفة فيأخذ ذلك المعنى أو النكتة فينظمها في بيتين ويجيد فيها بحسب الحال، ثم ينظم أيضاً في ذلك المعنى بعينه بيتين آخرين، ثم بيتين، ثم بيتين، ولا يزال ينظم في ذلك المعنى وهو يقول «وقلت أنا» إلى أن يَمَلُّهُ الظَّرُّ، وتسامه النفس، ويمجه السمع، فلو ترك ذلك ونحصر في قريضه، لكان من الشعراء المجيدين، لما يظهر لي من قوه شعره، وحسن اختراعه»<sup>(١)</sup>.

ولم يشأ ابن تغري بردي أن يرسل رأيه في شعر الصفدي على عواهنه، بل إنه قدم بين يدي رأيه مقطوعات من نظم الصفدي تتفاوت قوة وضعفاً من مثل قوله: (٢)

يَقُولُونَ حَاكَاهُ الْهَلَالُ فَلَا تَزْعُ      عَنْ الْحَقِّ وَاعْرِفْ ذَلِكَ إِنْ كُنْتَ تُنْصِفُ  
لَقُلْتُ: إِذَا مَا صَارَ بَدْرًا كَامِلًا      حَكَاهُ وَمَعَ هَذَا عَلَيْهِ تَكَلَّفُ  
وقوله (٣):

أَنْفَقْتُ كَثْرَ مَدَائِحِي فِي ثَغْرِهِ      وَجَمَعْتُ فِيهِ كُلَّ مَعْنَى شَارِدٍ  
وَطَلَبْتُ مِنْهُ جَزَاءَ ذَلِكَ قُبْلَةً      فَأَبَى وَرَاحَ تَغَزُّلِي فِي الْبَارِدِ  
وقوله (٤):

بِهِمُ الْخَاطِطُ رَمَانِي      وَذُبْتُ مِنْ هَجْرِهِ وَتَيْنِي  
إِنْ بَتُّ مَا لِي سِوَاهُ خَصْمٍ      لِأَنَّهُ قَاتِلِي بِعَيْنِي

(١) النهل الصافي ص ٢٥٧.

(٢) السابق نفسه ص ٢٥٦.

(٣) السابق نفسه ص ٢٥٦.

(٤) السابق نفسه ص ٢٥٦، ص ٢٥٧.



والحظ أن ابن تغرى بردى لم ينوع فيما اختاره من شعر الصفدى وإنما اختار اثنتى عشرة مقطوعة تدور حول التغزل بالغلمان.

ونترك ابن تغرى بردى إلى تاج الدين السبكي<sup>(\*)</sup> الذى ترجم للصفدى ترجمة وافية فى الجزء السادس من كتابه طبقات الشافعية الكبرى، وسلط أشعة من الضوء الكاشف على حياتهما فى صغرهما (الصفدى والسبكي) فقد كانا صديقين حميمين، ثم صارا عالمين زميلين، وكان الصفدى يختلف إلى دروس والد تاج الدين السبكي، وتتمثل نفاسة هذه الترجمة فى أنها تعطينا تصورا - مهما يكن محدودا فإنه كاف - عن علاقة الصفدى بتاج الدين وعمما دار بينهما من المساجلات الأدبية.

وإذا كان ابن تغرى بردى قد أغفل ذكر أساتذة الصفدى ولم يذكر منهم إلا شيخا واحداً هو جمال الدين بن نباته، فإن تاج الدين السبكي قد فعل الشيء نفسه؛ حيث أتى حديثه عن مشايخ الصفدى موجزاً غاية الإيجاز، وبهما من هذا الحديث ما يتعلق بشيوخه فى الأدب، وقد ذكر شيخاً واحداً هو الشيخ ابن سيد الناس حيث قال: «ولازم الحافظ فتح الدين بن سيد الناس وبه تمهّر فى الأدب»<sup>(١)</sup>.

ولقد كان الصفدى السبب المباشر الذى جعل تاج الدين السبكي يحب الأدب ويُقبل عليه، حيث كان يشجعه على نظم الشعر قال: «كنت أصحبه منذ كنت دون سن البلوغ، وكان يكاتبني وأكاتبه، وبه رغبتُ فى الأدب، فربما وقع لى شعر ركيك من نظم الصبيان، فكتبه هو عني إذ ذاك»<sup>(٢)</sup>.

وكان الصفدى يدعو صاحبه فى مناسباته السعيدة، فقد دعاه لحضور عقيقة مولود له فقال على لسان المولود<sup>(٣)</sup>:

عبدك هذا الجديد أضحي      يَقُولُ فَاسْمَعْ لَهُ طَرِيقَهُ  
يا جَوْهَرًا فى الزمانِ فرداً      ما ضَرَّ أَنْ تَحْضُرَ العَقِيقَةَ

(\*) هو تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ولد سنة ٧٢٧ وتوفى سنة ٧٧١ هـ وهو صاحب طبقات الشافعية، وهو نجل الإمام السبكي الكبير.

(١) طبقات الشافعية لتاج الدين السبكي ج ٦ ص ٩٤.

(٢) السابق نفسه ص ٩٤.

(٣) السابق نفسه ص ٩٤، ص ٩٥.

هئت ذا الجوهر المقلدي بالعرض والكنه والحقيقه  
لو لم تكن حازماً مُصيباً لم تفتدِ الناسَ بالعقيقه  
وربط الحب بين قلوبهما، فعاشا توأمين، إذا غاب أحدهما عن الآخر أو سافر  
الناق الثاني إليه، وقد كتب الصفدي له مرة يعتذر عن عدم توديعه قائلا<sup>(٢)</sup>:

يا سيداً سافرتُ عنه ولم أجِدْ جَلْدِي يُطَاوِعُنِي عَلَى تَوْدِيعِهِ  
إِنْ غَبْتُ عَنْكَ فَإِنَّ قَلْبِي حَاضِرٌ يَصِفُ اشْتِيَاقِي لِلْحِمَى وَرَبُّوعِهِ  
فرد عليه تاج الدين قائلا<sup>(٣)</sup>:

يا راحلاً بِحُشَا المقيم على الوفا ما الطرفُ بعدك مؤذناً بهجوعه  
إِنْ غَبْتَ عَنْهُ فَمَا تَغَيَّرَ مِنْهُ إِلَّا جِسْمُهُ سَقَمًا وَلَوْنُ دُمُوعِهِ  
وَالْقَلْبُ يَبْتَ هَوَاكَ رَاحَ كَأَنَّهُ بَيْتُ الْعَرُوضِيِّينَ مِنْ تَقْطِيعِهِ

وكان الصفدي يعير تاج الدين كتبه ومؤلفاته، وكان تاج الدين يعرف للصفدي قدره العلمي، وهذا النص يوضح ذلك ويبينه؛ قال السبكي: «أغارني مرة من تذكّره مجلداً، وكان يصنف كتاباً في الوصف والتشبيه وينظر عليه التذكرة ويكتب على كل مجلد إذا نُجِزَ نُجِزَ التشبيه منه، فلما وجدت ذلك عليه بخطه قلت: هذا نصف بيت فكتبت إلى جانبه:

نَجَزَ التَّشْبِيهِ مِنْهُ وَرَوَى الرَّاوُونَ عَنْهُ  
إِنَّ مَوْلَانَا لَبَحْرٌ طَافَحَ إِنْ لَمْ يَكُنْهُ  
فَاقِدُ الْأَشْبَاهِ قَرْدٌ قَدَعَ التَّشْبِيهِ مِنْهُ<sup>(٤)</sup>

ولم تقف العلاقات بينهما على ما يمكن أن أسميه بالعلاقات الاجتماعية، ثم

(١) طبقات الشافعية ج٦ ص ٩٥.

(٢) السابق نفسه ص ٩٤.

(٣) السابق نفسه ص ٩٤.

(٤) طبقات الشافعية ج٦ ص ٩٥.

العلاقات الإخوانية فحسب، وإنما امتدت لتنظم الأمور العلمية أيضاً «فما صنف (أي الصفدي) كتاباً إلا وسألني فيه عما يحتاج إليه من فقه وحديث وأصول ونحو، لا سيما أعيان العصر فأنا أشرت إليه بعمله ثم استعان بي في أكثره، ولما أخرجت مختصرى في الأصلين المسمى «جمع الجوامع» كتبه بخطه وصار يحضر الحلقة وهو يقرأ على ويلذ له التقرير، وسمعه كله على وربما شارك في فهم البعض منه رحمه الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

وكانت وساطة تاج الدين البيهقي هي السبيل إلى ما تبوأ الصفدي من مناصب؛ قال البيهقي: «وكنيت قد ساعدته آخر عمره فولى كتابة الدست بدمشق، ثم ساعدته فولى كتابة السر بحلب، ثم ساعدته فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال، وكتابة الدست، واستمر بهما إلى أن مات بالطاعون ليلة عاشر شوال سنة أربع وستين وسبعمائة»<sup>(٢)</sup>.

هذا عن شيوخه الذين حدثنا عنهم المصادر القديمة أما عن شيوخه الذين حدثنا هو عنهم فممن أثير الدين أبو حيان الغرناطي؛ قال الصفدي في نكت الهميان: «وقرأت عليه الأشعار الستة، وكان يحفظها، والمقامات الحزبية وحضرها جماعة من أفاضل الديار المصرية، وسمعوها بقراءتي عليه، وكان بيده نسخة صحيحة يثق بها، وبأيدي الجماعة قريب من اثنتي عشرة نسخة وإحداهن بخط الحزيري، ووقع منه ومن الجماعة في أثناء القراءة فوائد ومباحث عديدة، وقال لي: لم أر بعد ابن دقيق العيد أفصح من قراءتك، ولما وصلنا إلى المقامة التي أورد الحزيري فيها الأحاجي قال: ما أعرف مفهوم الأحجية المصطلح عليها بين أهل الأدب، فأخذت في إيضاح ذلك وضرب الأمثلة له، فقال لي: لا تتعب معي فإنني تعبت مع نفسي في معرفة ذلك كثيراً، ولا أفاد ولا ظهر لي، وهذا في غاية الإنصاف منه والعدالة؛ لا عترافه لي في مثل ذلك الجمع وهم يسمعون كلامه بمثل ذلك، وقرأت عليه سقط الزند لأبي العلاء المعري، وبعض الحماسة لأبي تمام لطائي»<sup>(٣)</sup>.

(١) طبقات الشافعية ج ٦ ص ٩٤

(٢) السابق نفسه ص ٩٤.

(٣) نكت الهميان ص ٢٨١.

وقال «وانتقيت ديوانه وكتبته وسمعته منه، وسمعت من لفظه ما اخترته من كتابه مجاني الهصر»<sup>(١)</sup>.

وهذان النصفان في غاية النفاسة لأنهما يوضحان أهم الكتب التي قرأها الصفدي على شيخه وهذه الكتب متنوعة تنوعاً كبيراً؛ فمنها الكتاب الثري، ومنها الكتاب الثمري، فمقامات الحريري قد بلغت من الروعة الفنية واللفظية حداً جعل الأدباء والمفكرين يحفظونها ويقتبسون منها في كلامهم<sup>(٢)</sup>، وهي لا شك قد أمدت الصفدي بثروة لغوية هائلة، وقدرة على تطويع هذه الثروة اللغوية في أثناء كتابته الأدبية، ولا شك أن حماسة أبي تمام قد أثرت فيه بعض التأثير إذ أوقفته على ما بالشعر القديم من عوامل القوة وعناصر الإبداع، وقد كان لهذا أثره في صقل مواهبه الفنية، كما أن انتقاءه لديوان شيخه قد كان له أثره في ترقيق ذوقه وإرهاف حسه لأن الإنسان لا يتقن عادة إلا أجود الأشياء وأعلاها قيمة، وبالتالي فلنا أن نزع الصفدي قد وقف طويلاً عند أروع ما في هذا الديوان من قصائد ومقطوعات، ويؤكد هذا الزعم تلك القصائد والمقطوعات التي أوردها الصفدي لهذا الشيخ في نياحه الأدبية، زد على ذلك أن أثير الدين أبا حيان قد أنشد الصفدي عدداً كبيراً من قصائده ومقطوعاته، فالصفدي يقول في ترجمته لأثير الدين: «وأشدني من لفظه لنفسه:

يَقُولُ لِي الْعَذُولُ وَلَمْ أُطِغُهُ      تَحِيلَ أَنَّهَا شَأْنُ حَبِيبِي  
تَلَّ فَقَدْ بَدَأَ لِلْحَبِّ لِحْيَهُ      وَعِنْدِي أَنَّهَا زَيْنٌ وَحَلِيْبُهُ»<sup>(٣)</sup>

ويقول: «وأشدني من لفظه لنفسه:

تَعَشَّقُهُ شَيْخًا كَانَ مَشِيْبُهُ      لَنَا الْعَقْلُ يَدْرِي مَا يُرَادُ مِنَ النُّهْيِ  
عَلَى وَجَّتَيْهِ يَأْسَمِينُ عَلَى وَرْدٍ      وَفَالُوا الْوَرْدَ قِسْمَانِ فِي شَرَعَةِ الْهَوَى  
أَمْتُ عَلَيْهِ مِنْ رَقِيبٍ وَمِنْ صَدٍّ      أَلَا إِنِّي لَوْ كُنْتُ أَصْبُو لَأَمْرَدُ  
لِسَوْدِ اللَّحَى نَاسٌ وَنَاسٌ إِلَى الْمُرْدِ      صَبَوْتُ إِلَى هَيْفَاءَ مَائَةِ الْقَدِّ

(١) نكت الهميان ص ٢٨٢.

(٢) تاريخ النقد من القرن الخامس إلى القرن العاشر أ. د. محمد زغلول سلام ص ٢٢.

(٣) نكت الهميان ص ٢٨٢.



وسود اللحي أبصرتُ فيهم مشاركا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَبْقَى بِأَبْيَضِهِمْ وَحْدِي<sup>(١)</sup>

وأخذ الصفدي الأدب عن شيخ رابع هو شهاب الدين أبو الثناء محمود حيث قرأ عليه كتبه، وسمع منه شعره، وتدارسا فيما بعد في قضايا الأدب ومن أهم كتبه التي قرأها عليه كتابه في وصف الخيل قال «قرأت على الشيخ الإمام القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود الكاتب كتاباً أنشأه في وصف الخيل جاء منه: «لا يستن داحسٌ في مضماره، ولا تطمع الغبراء في شق غياره، ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره، تسابق يدها مرامي طرفه، ويدرك شوارد البروق ثانياً من عطفه<sup>(٢)</sup>».

وقرأ عليه كتابه الموسوم بحسن التوسل في صناعة التوسل؛ قال: «قرأت على الشيخ الإمام الكاتب أبي الثناء محمود كتابه الذي وسمه بحسن التوسل إلى صناعة التوسل وأورد فيه لنفسه قوله:

رَأَيْتِي وَقَدْ نَالَ مِنِّي النَحُولُ      وَفَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى الْخَدِّ قَيْضًا  
فَقَالَتْ: بَعْنِي هَذَا السَّقَامُ      فَقُلْتُ: صَدَقْتَ وَبِالْخَصْرِ أَيْضًا<sup>(٣)</sup>

كما قرأ عليه كتابه الموسوم بأسنى المنائح في أهني المدائح قال: «قرأت على الشيخ الإمام الأديب الكاتب القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود بن زين الدين سليمان بن فهد الحلبي بدمشق مجلدة من نظمه في مدح سيدنا رسول الله ﷺ وسمها بأسنى المنائح في أهني المدائح؛ من ذلك في أثناء قصيدة:

أَلَا حَبِذَا مَسَرَى الرُّكَّابِ وَقَدْ رَأَتْ      لَهَا مَعْلَمًا عِنْدَ الثَّنِيَّةِ مَعْلَمًا  
وَقَدْ نَزَلَ الرُّكْبَانُ عَنْهَا وَعَفَّرُوا      سُخْرِيًّا عَلَى الْأَرْضِ الْوَجُوهَ لِتَكْرُمًا  
وَلَا حَ الْحِمَى وَالصَّبْحُ فِي طَرَةِ الدُّجَى      فَلَمْ يَدْرِ مَا شَقَّ الْحَنَادَسَ مِنْهُمَا  
وَقَدْ أَشْرَفَتْ تِلْكَ الْقُبَابُ وَأَشْرِقَتْ      وَجُوهَ زَهَاهَا الْحَسَنُ أَنْ تَتَلَمَّأَ<sup>(٤)</sup>

وأجاز هذا الشيخ لصالح الدين الصفدي رواية شعره قال «أنشدني نفسه إجازة الشيخ الإمام شهاب الدين أبو الثناء محمود:

(١) نكت الهميان ص ٢٨٢، ص ٢٨٣.

(٢) الغيث المسجم ج١ ص ٤١، ص ٤٢.

(٣) الغيث المسجم ج١، ص ٢٦٢.

(٤) السابق نفسه ص ١١٤.

ياراكبا بقرى جُيُوبَ القَلا      على أمون جِسرة أو جواد  
بقرى قُتُبِدِيهِ ظُهُورُ الرُّبا      طوراً وتُخْفِيهِ بَطُونُ الرِّهَادِ<sup>(١)</sup>  
وقال في موضع آخر: «وأنشدني لنفسه إجازة الشيخ الإمام العلامة شهاب  
ابن أبي التاء محمود:

ولقد ذكرتكَ والسيوفُ لوامع      والموتُ يرقبُ تحتُ حصنِ المرقبِ  
والحصنُ مِنْ شَفَقِ الدُّرُوعِ تَحَالُهُ      حسناء تُرْقِلُ فِي رِدَاءِ مُذْهَبِ  
سأى السماءَ فَمَنْ تَطَاوَلَ نَحْوُهُ      للسمعِ مُتَرَقِّباً رَمَاهُ بِكُوكَبِ  
والموتُ يَلْعَبُ بالنفوسِ وَخَاطِرِي      يلهو بطيبِ ذكركِ المُسْتَعَذِبِ<sup>(٢)</sup>

وتنوع آثار الصفدي الأدبية تنوعاً كبيراً؛ فمنها ما كان شرحاً لأعمال أدبية<sup>(٣)</sup>  
ككتابه اتمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون<sup>(٤)</sup> وهو شرح على الرسالة الجديدة  
لابن زيدون، وكتاب «الغيث المسجم في شرح لامية العجم»<sup>(٥)</sup> الذي هو موضوع  
دراستنا هذه، ومنها ما كان في الدراسات النقدية ككتاب «نصرة الشاعر على المثل  
الشاعر»<sup>(٦)</sup> والذي انتصر فيه لابن أبي الحديد على ضياء الدين بن الأثير، ومنها ما  
كان في الدراسات البلاغية وما كان منها خاصاً بالفنون البديعية على وجه  
الخصوص كـ «فض الختام عن التورية والاستخدام»<sup>(٧)</sup> و«جان الجناس»<sup>(٨)</sup>،

(١) الغيث المسجم ص ٢٨٧ ويرى بمعنى يقطع، جيوب بمعنى مداخل، القلا بمعنى الصحراء،  
الرُّبى: المرتفعات، والرهاد: الوديان، والأمون: الناقة الوثيفة الخلق، والجسرة: العظيمة المسئلة.  
(٢) السابق نفسه ج ٢ ص ٤١.

(٣) عولت على المثل الصافي في ذكر أسماء مؤلفات الصفدي، وقامت المصادر والمراجع الأخرى  
بإيراد ثانوية تمثل في تصحيح ما بالمثل من أخطاء في أسماء بعض الكتب.

(٤) حقق هذا الكتاب الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، ونشر بالقاهرة.

(٥) وهو الكتاب موضوع دراستنا، وقد طبع أكثر من مرة، وأكثر طبعاته تداولاً طبعة دار الكتب  
العلمية، بيروت لبنان وهي التي اعتمدنا عليها في دراستنا.

(٦) حقق هذا الكتاب الدكتور محمد على سلطانى، ونشر بدمشق.

(٧) سبق أن أشرنا إلى أن هذا الكتاب قد حققه الدكتور الخناوي، ونشر بالقاهرة.

(٨) سبق أن أشرنا إلى أن هذا الكتاب قد حقق أكثر من مرة نذكر منها تحقيق سمير حليى، وتحقيق

و«الكشف والتنبية على التشبيه»<sup>(١١)</sup>، و«التهول المعجب في القول بالموجب»<sup>(١٢)</sup>، ومنها ما كان أعمالاً أدبية أو جمعاً لآثار معاصريه الأدبية كـ «جلوة المذاكرة وخلوة المحاضرة»<sup>(١٣)</sup>، و«أحان السواجع بين البادئ والمراجع»<sup>(١٤)</sup>، و«غرة الصبح في اللعب بالرمح»<sup>(١٥)</sup>، و«رشف الرحيق في وصف الحريق»<sup>(١٦)</sup> و«نجم الدياجي في نظم الأهاجي»<sup>(١٧)</sup>، و«المثاني والمثالث»<sup>(١٨)</sup>، ورسالة «عبرة اللبيب بمصرع الكتيب»<sup>(١٩)</sup>، و«الحسن الصريح في مائة مليح»<sup>(٢٠)</sup>، و«كشف الحال في وصف الخال»<sup>(٢١)</sup>، و«لوعة الشاكي ودمعة الباكي»<sup>(٢٢)</sup>، و«التذكرة الصفدية»<sup>(٢٣)</sup>، و«جر الذيل في وصف الخيل»<sup>(٢٤)</sup>، و«ديوان الفصحاء وترجمان البلغاء»<sup>(٢٥)</sup>، و«صرف

(١) حقق هذا الكتاب الأستاذ هلال ناجي، ونشر بيروت، وذكر أن اسمه «الكشف والتنبية على الوصف والتشبيه».

(٢) هذا كتاب من مؤلفات الصفدي المخطوطة، راجع مقدمة هلال ناجي لتحقيق جنان الجناس ص ٤٦.

(٣) هذا الكتاب من مؤلفات الصفدي المخطوطة، راجع مقدمة هلال ناجي المرجع السابق ص ٤٤.

(٤) حقق الجزء الأول منها أستاذنا الدكتور محمد عبد الحميد سالم وحصل به على درجة الدكتوراه في الآداب من كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، كما حقق الأستاذ الجليل الجزء الثاني منها، ذكر هذا لي في لقائي معه.

(٥) عد الأستاذ هلال ناجي هذا الكتاب ضمن كتب الصفدي المفقودة، راجع مقدمته لتحقيق جنان الجناس ص ٤٧.

(٦) حقق هذه الرسالة الدكتور سمير الدروبي ونشرها في مجلة البلغاء - جامعة عمان، وقد أمدني أستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام بنسخة مصورة منها.

(٧) عد الأستاذ هلال ناجي هذا الكتاب ضمن مؤلفات الصفدي المفقودة راجع مقدمة التحقيق جنان الجناس ص ٤٧.

(٨) وهو أيضاً من المؤلفات المفقودة كما يذكر هلال ناجي. راجع المرجع السابق والصفحة نفسها (٩) ذكر الأستاذ هلال ناجي أن له عدداً من المخطوطات بضعاء، والأسمانة، والتيسورية، راجع المرجع السابق ص ٤٥.

(١٠) ذكر الأستاذ هلال ناجي أن منه مخطوطات في الظاهرية والتيسورية، والمتحف البريطاني، وأيا صوقيا، راجع السابق ص ٤٤.

(١١) هذا الكتاب حققته سمير ضلان ونشرته دار سعد الدين بدمشق، ولم يشر هلال ناجي إلى ذلك.

(١٢) نشر هذا الكتاب، وطبع بمطبعة الجوانب بالأسمانة، ولم يشر هلال ناجي إلى ذلك.

(١٣) من مؤلفات الصفدي المخطوطة، راجع هلال ناجي مقدمته لتحقيق جنان الجناس ص ٤٣ نسخة الذخائر مرجع سابق.

(١٤) عد هلال ناجي ضمن مؤلفات الصفدي المفقودة راجع السابق نفسه ص ٤٧.

(١٥) ذكر هلال ناجي أن منه مخطوطة في فينا برقم ٣٨٩، راجع السابق نفسه ص ٤٤.

تميز عن وصف العين<sup>(١)</sup>، و«رصف الزلال في وصف الهلال»<sup>(٢)</sup>، و«مجموع  
سخار من شعر الأربعة الكبار أبي نعام والبحرئى والمنتبى وأبى العلاء»<sup>(٣)</sup>،  
والروض الباسم والعرف الناسم»<sup>(٤)</sup>، و«توشيح التوشيح»<sup>(٥)</sup>... الخ.

يرى أستاذنا الدكتور محمد زغلول سلام أن أسلوب الصفدى فى كتاباته  
يتذبذب بين الرد والتأنيق حسب الموضوع الذى يكتب فيه لكنه يعمد فى رسائله  
وإضافاته دائماً إلى تكلف السجع والبديع<sup>(٦)</sup>، وهو فى هذا لا يشذ عن ذوق عصره  
و«ريقة معاصريه فى الكتابة الأدبية؛ إذ سيطر الصبغ البديعى على الكتابات الأدبية  
فى ذلك العصر».

وقد عني الصفدى بشعره وكان حريصاً على أن يضمن تأليفه مجموعات من  
شعره، وهو فى شعره أقل مستوى من نثره على كثرتة<sup>(٧)</sup> وقد كثرت إشارات  
المنهات إلى السرقات التى تعود عليها وكان أغلبها من شعر ابن نباتة، ولا بد هنا  
أن نشير إلى أن الصفدى قد برع فى معارضته الشعراء الفحول.

ومن شعره الذى بثه فى تضاعيف شرحه على لامية العجم قوله: «وقلت فى  
فصل مملوك على خدام:

يا من يرجع وجهها كالظلام على وجه كصبح تبدى فى بشائره  
إن كان مملوك هذا مثل خادم ذا فما انتفاع أخى الدنيا بتأثيره»<sup>(٨)</sup>

(١) حقق هذا الكتاب بإشراف أ. د. محمد يونس عبد العال، وأحرزه به المحقق درجة الماجستير فى  
الأدب من كلية الآداب جامعة عين شمس، وناقشته لجنة علمية مكونة من أ. د. المشرف، وأ. د.  
إبراهيم عبد الرحمن محمد، وأ. د. نبيل نوفل.

(٢) عه الأستاذ هلال ناجى ضمن كتب الصفدى المطبوعة اعتماداً على ما قرره محققو تصحيح  
التصحيح، ونصرة الشاعر، وتحفة ذوى الأدب، وإن كاد قد عاد وقال: نعتقد أنه غير مطبوع إذ  
لم يذكروا جميعاً مكان وزمان طبعه، ولم يقف عليه مطبوعاً أحد، ثم قال: ومنه مخطوطة فى  
برلين برقم ٧٠٦٤ وراجع السابق ص ٤٠.

(٣) ذكر هذا الكتاب ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى.

(٤) عه الأستاذ هلال ناجى ضمن مؤلفات الصفدى المخطوطة، راجع السابق ص ٤٤.

(٥) حقق هذا الكتاب الأستاذ ألبير جيب مطلق، ونشر فى بيروت.

(٦) الأدب فى العصر المملوكى أ. د. محمد زغلول سلام ص ٩١ ج ٢.

(٧) سابق نفسه ص ٩٤.

(٨) نقيض ١/ ١٢٤، ١٢٥.



وقوله <sup>(١)</sup> «وقلت أيضا:

ألا فاسقنى من ريقه لذ طعمها      بفيك ولا تبخل وقل لى هى الخمر  
وحط لثامًا حجب اللثم عن قمى      فلا خير فى اللذات من دونها ستر

وقد كتب الصفدى الزجل، والموشح، وسائر فنون النظم التى سادت فى العصر  
المملوكى، فمن أزجاله التى أوردها فى الغيث المسجم قوله: «فقلت من جملة  
زجل:

يا فـواـدى لا تحـول      عن هوى ذا الظبى الأحـسـور  
إياك أن يطغىـك لائم      قال كنك بو تعذر  
ما ترى كافور خـدو      وعليه الخال عـبر  
لا تخف صولة عـذارو      دع يجى ويركب ابلق <sup>(٢)</sup>

وأما الموشح فله موشحات كثيرة وهى فى أغلبها معارضات لموشحات آخر  
كتبها وشاحون كبار، وقد جمع الصفدى قدرا كبيرا منها فى كتابه توشيح  
التوشيح، ونذكر هنا على سبيل المثال موشحته التى كتبها بناء على اقتراح شهاب  
الدين أحمد ابن فضل الله العمرى حيث طلب منه معارضة موشحة أحمد بن  
حسن الموصلى التى مطلعها:

باسم عن لآل ناسم عن عطر      نافر كالغزال سافر كالبدر

قال الصفدى <sup>(٣)</sup>: وكان الذى قلته أنا ولم أغير من القوافى شيئا:

جامع فى الدلال جانح للهجر      خاطر فى الجمال، عاطر فى النسر  
غـصـن بان رطيب      قـد زها بالطرب  
يتشنى فى كـثـيب      بالصـبـا عن كـثـب

(١) الغيث المسجم ص ١٢٥.

(٢) الغيث المسجم ج ١ ص ٣١٦.

(٣) توجد الموشحة كلها بتوشيح الصفدى لتحقيق أنير حبيب ص ٣٩ وما بعدها وقد نقلتها  
منه ومن ديوان الموشحات المملوكية فى مصر والنام جمع وتحقيق الدكتور أحمد منجد عطا  
ص ٣٤٥ الطبعة الأولى، مكتبة الآداب القاهرة ٩٩.

مما لقلبي نصيباً      منه غير النصيب  
نمرقي كمالاً، فوق عُصْنِ نَضِيرِ      طالماً لا يزال في دياجى الثَّمرِ

\*\*\*

كَمْ جَلَّالاً بِالسَّنَا      فَرَّقَهُ لى صَبَّاحِ  
وَحَلَّالاً فى الْجَنَى      مَبْنِى كَالْأَقْبَاحِ  
إِنْ رَمَا وَأَنْتَنَى      أَوْ تَبَنَّى وَلَاحِ  
يا حياء الغزال، وافتضح السُّمر      واختفاء الهلال - وكوف البدر

\*\*\*

لِلغِذَارِ الرِّقِيمِ      خَالَهُ كَالرَّقِيبِ  
حَوْلَ رَوْضِ وَسِيمِ      وَمَسَّطَ نَارِ تُذِيبِ  
فى التَّعِيمِ الْمُقِيمِ      يَتَشَكَّى إِلَهِيْبِ  
ذائق بَرْدِ الظَّلَاكِ، فى لَهيبِ الجَمْرِ      واهتدى فى الضَّلَاكِ، بِرُوقِ الثَّغْرِ

\*\*\*

شَقَّ خَدَّ الشَّقِيقِ      مِنْهُ خَدَّ أَنْبِقِ  
وَالْفَوَامُ الرِّشِيقِ      فَبِهِ مَعْنَى دَقِيقِ  
كَمْ مَقَانِي الرِّحِيقِ      مِنْ قَمِ كَالْعَقِيقِ  
بَعْدَ ذَلِكَ الزَّلَالِ مَا حَلَّ لى صَبْرِ      وَاثْقَامُ الْمَالِ قَامَ فِيهِ عُذْرِ

\*\*\*

عُصْنُ بَانِ يَمِينِ      ففى رِيَاضِ الزَّهْرِ  
رِيشُهُ الْخَنْدَرِيسِ      فى زُلَالِ ظَهْرِ  
فَبِهِ دُرُّ نَفْسِيسِ      فى عَقِيقِ ظَهْرِ  
جَفَنُهُ حِينَ صَالَ فى خبايا صدرى      لو كفانى النبل لاكتفى بالسَّحْرِ<sup>(١)</sup>

(١) الموشحة توسيع التوشيح ص ٤٥ وما بعدها.

وهي سوشحة غزلة تتميز ألفاظها بالرفة والجمال، وخرجتها عربية فصيحة، وتدل على ما أصاب الحبيب من الألم، وكيف أن المحبوب قد أصاب الحبيب بسهمين: الأول سهم جفته والآخر سهم سحره، وهي على أية حال تدل على براعة الصفدي في فن المعارضات الأدبية، ويرى البيه حبيب محقق توشيع التوشيع أن الصفدي «استطاع في أحبان قليلة أن يضارع الموشح الأصلي بل ويتفوق عليه»<sup>(١)</sup> وإنما ذكر البيه حبيب هذا الحكم مشروطاً بقوله «في أحبان قليلة» وذلك لأن التزام الصفدي «بوزن الموشح الذي يعارضه وبروحه وبألفاظه أحياناً جعله يقع تحت تأثير الناظم الأول»<sup>(٢)</sup> وعلى أية حال «تكثر المقاطع الجميلة في معارضات الصفدي ويبدو عمله متقناً أتيقاً يمتاز بالبساطة والدق السليم»<sup>(٣)</sup>. وهكذا كان الصفدي عالماً فناناً، واستطاع أن يجمع في انسجام وتناسق بين شخصية العالم وإحساس الفنان، ولعل فيما مضى من حديث ما يصور من بعض الوجوه كيف تسنى له ذلك.

#### ٦ - الحديث الشريف:

تُجمع المصادر القديمة على أن الصفدي قد سمع قدراً صالحاً من الحديث النبوي الشريف، ولعل ذلك كان في سنى عمره الأولى، ولعله قد عاوده الحنين فيما بعد ذلك إلى الاختلاف إلى حلقات العلم في الحديث الشريف فاستجاب لهذا الحنين، قال السبكي: «وعني بالحديث وسمع بالآخرة من جماعة»<sup>(٤)</sup> ويحدد ابن حجر في الدرر الكامنة هذه الجماعة فيقول: «وسمع بمصر من يونس الدبوسي، وبدمشق من المزى»<sup>(٥)</sup> ومن غيرهما.

والصفدي نفسه يروي عن شيخه الحافظ المزى أحاديث تدل على اختلافه إليه وسماع الحديث عنه ومنها قوله «وقرأت على الشيخ الإمام العلامة الحجة الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزى بدمشق، أخبرنا المشايخ الثلاثة فخر الدين

(١) توشيع التوشيع ص ١١.

(٢) السابق نقه ص ١٠.

(٣) السابق نقه ص ١١.

(٤) طبقات الشافعية ج ٦ ص ٩٤.

(٥) الدرر الكامنة ج ٢ ص ٨٧.

أبو الحسن علي بن النجاشي، وكمال الدين أبو محمد عبدالرحيم بن عبدالملك  
 المقدسيان بدمشق، وكمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالقاهر  
 الحلي بحلب قال المقدسيان: أخبرنا أبو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد  
 الكوفي وقال ابن النجاشي: أخبرنا افتخار الدين الهاشمي بحلب سنة اثنتي عشرة  
 ومائة، أخبرنا أبو شجاع عمر بن محمد البسطامي، وأبو الفتح عبدالرشيد ابن  
 السيد النولواحي، وأبو حفص عمر بن علي الكرايسي، وأبو علي الحسين ابن  
 سير النقاشي قالوا: أخبرنا أبو القاسم أحمد بن أبي منصور محمد بن عبدالله  
 الرملي الخليلي قال: حدثنا أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن عبدالله  
 الخراساني البخاري المعروف بابن المراغي سنة ثمان وأربعمائة قال: حدثنا أبو سعيد  
 ليث بن كليب الشاشي الأديب ببخارى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة قال: حدثنا  
 أبو عيسى محمد بن عيسى بن سودة الحافظ الترمذي قال حدثنا سفيان بن وكيع  
 قال: حدثنا جميع بن عمرو بن عبدالرحمن العجلي قال أخبرنا رجل من بني تميم  
 برؤس أبي هالة زوج خديجة يكنى أبا عبدالله عن ابن أبي هالة عن الحسن بن  
 علي رضي الله عنهما قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافاً عن حلية  
 أبي بكر عليه السلام وأنا أشتبهى أن يصف لي شيئاً منها فقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله فخماً  
 ضخماً، ينلألاً وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر» فذكر الحديث بطوله، قال الحسن:  
 نكح عن مخرجه كيف كان يصنع فيه؟ قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخزن لسانه  
 لا يما يعبه، ويؤلفهم ولا يفرهم، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم، ويحذر  
 أن يحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه...» وفي  
 حديث طويل <sup>(١)</sup>.

وقد أطل الصفدي حقاً في نقل سلسلة السند، وكان من الممكن له أن يختصر  
 به لأن الكتاب كتاب أدب وليس كتاب حديث، إلا أن هذا التطويل له معناه،  
 هو أنه أخذ الحديث عن شيخ محدث لا يتهاون أي تهاون في حديث سيدنا  
 رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد جعله هذا حجة وقوة، وإن الصفدي قد اكتسب شيئاً من  
 هذا شيخه، فكان حريصاً على نقل ما قرأ دون حذف أو اختصار.

والشيء الصفدي في أثناء إقامته بمصر بالشيخ علاء الدين مغلطاي شيخ الحديث



بالمدرسة الظاهرية التي كانت بين القصرين بالقاهرة، وروى عنه بعض ما حكاه من أخبار مما يدل على أنه جلس من هذا الأستاذ مجلس التلميذ أو على الأقل تذاكرا سويا في مسائل العلم الذي هو بطبيعة الحال الحديث النبوي الشريف. قال الصفدي «وأخبرني الشيخ الإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي شيخ الحديث بالمدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة قال: جاء رجل إلى الشيخ شهاب الدين الخبلي صاحب التعبير فقال له: رأيت في منامي كأن قائلًا يقول لي: اشرب شراب الهكاري، قال له: أيوجعك فؤادك؟ قال: نعم قال: اذهب فاشرب عسلا تبرأ بأذن الله تعالى. فقبل له: من أين لك هذا؟ قال: لأنني فكرت فلم أر شرابا منسوبا إلى الهكاري، فرجعت إلى الحروف فوجدتها شراب إلهك أرى، والآري هو العسل، وتذكرت حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه، فعلمت أن فؤاده يوجعه، فوصفت له العسل»<sup>(١)</sup>.

ونقل الصفدي عن مسند الشام الإمام محيي الدين النووي فقد ذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «لكل غادر لواء يوم القيامة يقال: هذه غدره فلان» برواياته المتعددة، ثم قال «قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في هذه الأحاديث بيان تغليظ تحريم الغدر لا سيما من صاحب الآلوية العامة؛ لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثير»<sup>(٢)</sup>.

وحين يورد الصفدي حديثا من أحاديث سيدنا محمد ﷺ ينص على مصدره كأن يقول «رواه مسلم»<sup>(٣)</sup> أو «متفق عليه» وهذا يدل على اطلاعه على هذه المصادر، وإلمامه بما فيها من أحاديث.

٧ - الفقه:

واهتم الصفدي بالفقه، وقرأ فيه؛ قال السيكي «وقرأ يسيرا من الفقه والأصليين»<sup>(٤)</sup> وكانت هذه القراءة تعينه على ما يريد الخوض فيه من مسائل الفقه، وإذا أشكلت عليه مسألة من المسائل سأل فيها أهل الاختصاص والعلم، قال

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ٤٤٦.

(٢) السابق ج ٢ ص ٣٤٥.

(٣) يراجع على سبيل المثال ما ورد من أحاديث في تمام المتن ص ٩٠، ص ١٩١.

(٤) طبقات الشافعية ج ٦ ص ٩٤.

السبكي: «فما صنف كتاباً إلا وسألتني فيه عما يحتاج إليه من فقه وحديث وأصول ونحو»<sup>(١)</sup>.

وكان شافعي المذهب بدليل أن السبكي قد ترجم له ترجمة وافية في كتابه طبقات الشافعية الكبرى، وبدليل أن ابن العماد الحنبلي قد ذكر اسمه ونسبه ومذهبه قائلاً: «صالح الدين أبو الصفا خليل بن أبيك بن عبدالله الصفدي الشافعي»<sup>(٢)</sup>.

ولم تكن قراءات الصفدي في الفقه محصورة في فقه مذهبه فحسب، وإنما كان له اطلاع واسع على فقه الإمامين العظيمين أبي حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، وكذا كان له اطلاع واسع على فقه الإمام ابن حزم الظاهري، فقد قرأ موطأ الإمام مالك بن أنس، وكان على حذف بتعليل الفقهاء للأحكام، فقد قال: «إذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم في المسألة قال: هذا تعبد، كما يعمل المالكي غسل الإناء سبعا من ولوغ الكلب؛ لأنه قائل بظهارته، فإذا أورد عليه الحديث وهو: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبعا» قال: هذا شيء تعبدنا الله به، والحديث رواه مالك في الموطأ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات. وفي حديث مسلم: طهور إناء أحدكم ولغ فيه الكلب: أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب. وفي حديث آخر: «وعفروه الثامنة بالتراب»<sup>(٣)</sup>.

وكثيراً ما قارن في الغيث المسجم بين مذهبه ومذهب الإمام أبي حنيفة مقارنة تدل على معرفته بفقه المذاهب، فقد قال في حكم الشهيد الذي لا يغسل ولا يُكفَّن أنه «مَنْ مات بقتال من الكفار قبل انقضاء الحرب، سواء قتله كافراً، أم أصابه سلاح مسلم خطأ، أو عاد إليه سلاحه، أو سقط عن فرسه متقطعاً، أو رمحته دابة فسات، أو وجد قتيلاً عند انكشاف الحرب ولم يعلم سبب موته، سواء كان عليه أردم أم لا، وسواء كان جنباً أم لا. أما إذا مات حنطاً أنفه، أو باغتيال، أو بقتال الكفرة بعده، أو البغاة: فتقولان في مذهب الشافعي، فإن جرح في الحرب، وبقيت فيه بعد انقضاء الحرب حياة مستقرة فتقولان: أظهروهما أنه ليس بشهيد،

(١) طبقات الشافعية ج ٦ ص ٩٤.

(٢) شذرات الذهب ج ٦ ص ٦٠٠.

(٣) الغيث المسجم ج ١ ص ٦٧.

وقيل: إن مات عن قريب فقولان، وإن بقى أياما فليس بشهيد قطعاً، أما إذا انقطعت الحرب وليس فيه إلا حركة مذبح: فشهد بلا خلاف، وإن انقضت وهو متوقع البقاء فليس بشهيد.

وحكمه أن لا يغسل لقوله صلى الله عليه وسلم: «زملوهم في ثيابهم... الحديث» ولا يُصلّى عليه لأنه مقطوع له بالجنة، والصلاة إنما هي شفاعة بالدعاء من المؤمنين له بالمغفرة ودخول الجنة، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا﴾ الآية، وفيه نظر لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم مقطوع لهم بالجنة وقد صلى على النبي «صلى الله عليه وسلم» وصلى هو «صلى الله عليه وسلم» على حمزة عمه رضى الله عنه يوم أحد سبعين مرة كلما قدموا ميتا صلى عليه معه <sup>(١)</sup>... وبه قالت الحنفية مستهدين بالصلاة على حمزة، وخالفوا الشافعية في الصغير الذي يقتل في المعركة، فقالوا يغسل لأنه لم يجب عليه فرض القتال، وخالفوهم أيضا في الصلاة على الباغي المقتول فقالوا: يمنع الصلاة عليه لأن عليا رضى الله عنه أوجب محاربتهم، والصحيح الذي قاله الأشاعرة أن القتال والمقتول في حرب على كرم الله وجهه ومعوية من أهل الجنة لأن كلاً منهم اجتهد، ولكن أصحاب علي رضى الله عنه أصابوا، وأصحاب معاوية أخطئوا، وخالفوهم أيضا في غسل الجنب الشهيد قائلين: إن القتال لا يزيل الجنابة، وقال الشافعية: إنما الغسل لأداء الفرائض ولا فرض <sup>(٢)</sup>.

وقد كان الصفدي معتدلاً في مذهبه، وكان يُجلّ الإمام أبا حنيفة ويقدّره ويعرف له منزلته ويتصف له، فقد حمل حملة شعواء على الإمام ابن حزم الظاهري لأنه انتقص من قدر الإمام أبي حنيفة، وانتهى بالتصرد على النصوص والعزوف عن التمسك بالحديث النبوي الشريف وذلك حيث قال: «وقد بالغ في الشناع - أي ابن حزم - حيث قال:

إن كنت كاذبة الذي حدثتني  
فعلبك إثم أبي حنيفة أو زُفّر  
والرائبين علي القياس تمرّداً  
والراغبين عن التمسك بالأثر

(١) حذفنا من وسط الكلام آياتاً لابن عيينة قالها في موسوس.

(٢) الفيت المسجّم ج١ ص ١٦٤، ص ١٦٥.

واستطرد استطرادا قبيحا وحاش لله، ليس أبو حنيفة وزفر عن يقال في حقهما مثل هذا الكلام»<sup>(١)</sup>، نعم فما كان أبو حنيفة ليثب على القياس، وليس أبو حنيفة من يعزف عن التمسك بالآثار النبوية الشريفة، والصفدي محق في دفاعه عن الإمام الجليل، ونرى أن الإمام ابن حزم - على جلال قدره - قد أسرف في الشطط حين اتهم الإمامين الجليلين بهذين الاتهامين البشعين، والإمام أبو حنيفة يعترف باجتهاده وأنه يبذل فيه أقصى ما في وسعه فيقول: «عَلِمْنَا هَذَا رَأْيً، وَهُوَ أَحْسَنُ مَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ، فَمِنْ جَاءَنَا بِأَحْسَنَ مِنْهُ قَبِلْنَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

ولنا نستطيع في هذا الحيز المحدود أن نستقصى كل المواطن التي تكلم الصفدي فيها في مباحث الفقه، لكنني أزعم أن ما مضى من حديث يلقي بعض الضوء على ثقافة الصفدي الفقهية.

#### ٨ - علم الكلام:

علم الكلام من العلوم التي اهتم بها علماء العصر المملوكي وكانت لهم فيه مؤلفات ومصنفات، وحقا لم نعر على نص يفيد أن الصفدي قد درس هذا العلم، وحقا لم نعر على نص يدلنا على أن للصفدي في هذا العلم جهودا أو مؤلفات، إلا أن لنا أن نزعّم أنه قد أحاط بمباحث هذا العلم وقرأها واستوعبها وذلك للأسباب الآتية:

الأول: أن مباحث هذا العلم تشبك مع مباحث عدة علوم كانت للصفدي فيها جهود واضحة وتربط معها، ويدرسها جميعا كل من يولّي وجهه شطر علوم الشرع الخفيف من مثل التفسير والحديث والفقه.

والثاني: أن الصفدي عاش فترة كان الصراع فيها على أشده بين أهل السنة والجماعة وأهل التصوف، كل يحاول أن يستدل من العقل والنقل على صحة مذهبه وبطلان مذهب الفريق الآخر، وليس هذا فحسب، وإنما كان الصفدي تلميذا لتقى الدين بن تيمية الخرائي الذي وقف عمره كله على محاربة البدع والخرافات، ورد الناس إلى الالتزام بالمنهج السلفي، ومجادلة أهل الكتاب والرد

(١) الفيت المجمع ج ١ ص ٩٥.

(٢) السابق نقه ج ١ ص ٦٥.



عليهم، وله في كل هاتيك المناحي التي هي لب علم الكلام مؤلفاته المشهورة التي لا نستبعد اطلاع الصفدي عليها، ومن هنا جاز لنا أن نزعم أن علم الكلام قد اتخذ سبيله إلى الصفدي عن طريق شيخه ابن تيمية ومؤلفاته.

الثالث: وقفاته المثانية والطويلة في كتابه الغيث المسجّم عند مباحث هذا العلم وعرضها وتحليلها وبيان رأيه فيها، وأولى هذه الوقفات هي تلك التي تحدث فيها عن المناظرة التي دارت بين أبي الحسن الأشعري وأبي علي الجبائي وموضوعها يدور حول وجوب الأصلح والصلاح على الله تعالى، وكيف كانت هذه المناظرة السبب في أن ينشق الأشعري على المعتزلة ويخالفهم في آرائهم ومذهبهم<sup>(١)</sup>.

وثانية هذه الوقفات هي تلك الوقفة الطويلة التي استغرقت خمس صفحات كاملة من الجزء الثاني من الغيث<sup>(٢)</sup>؛ فقد تحدث فيها عن المعتزلة ومبادئهم، وسبب تسميتهم بهذا الاسم، وكيف أنهم جائرون في الإطلاق على الأشاعرة «مُجْبَرَةٌ»، وموقف الإمام الشافعي عند ما رأى الفتنة ستشتد في إظهار القول بخُلُق القرآن، ثم تحدث عن ابتلاء الإمام أحمد بن حنبل في هذه الفتنة، ثم تحدث عن فرق المعتزلة وأهم مشاهيرهم فقال: «والمعتزلة جنس يطلق على فرق منهم: الراصلية، والهذلية، والنظامية، والخاصية، والمعصية، والمزدارية، والشمامية، والهشامية، والجاحظية، والبشرية، والخلطية، والجبائية، وهم: البهشية، ومن مشاهيرهم الفضلاء الأعيان: الجاحظ، وأبو الهذيل العلاف، وإبراهيم النظام، وواصل بن عطاء، وأحمد بن حائط، ويشر بن المعتمر، ومعمار بن عباد السلمي، وأبو موسى عيسى الملقب بالمزدار، ويلقب براهب المعتزلة، وقمامة بن أشرس، وهشام بن عمر الغوطي، وأبو الحسين بن أبي عمر الجباط أستاذ الكعبي، وأبو علي الجبائي أستاذ الشيخ أبي الحسن الأشعري أولاً، وابنه أبو هاشم عبدالسلام. وهؤلاء رؤساء مذاهب الاعتزال، وهم أساطين هذه البدع واليهم تنسب هذه الفرق وبينهم خلاف في مسائل معروفة بين أصحاب الكلام»<sup>(٣)</sup>.

ويربط الصفدي بين علم الكلام والفلسفة والمنطق وهو في مثل هذا الربط يقدم

(١) الغيث المسجّم ج ١ ص ٨٠، ٨١، وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

(٢) الغيث المسجّم ج ٢ ص ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥.

(٣) السابق نقه ج ٢ ص ٥٤، ٥٥.

لنا صورة لما كان عليه من الوعي بأصول هذا العلم؛ إذ نشأ نشأة إسلامية خالصة<sup>(١)</sup>، ثم يقدم صورة لما كان عليه من الوعي بما صار إليه هذا العلم في آخر الأمر من «الإغراق في الإغراب المكدر للعقول والبصائر»<sup>(٢)</sup> فقد تحدث عن إثبات الجوهر الفرد فقال: «وهو الجزء الذي لا يتجزأ، وهي مسألة عظيمة تدور عليها قواعد كثيرة في علم الكلام، وإثباته يشق على من ناظر الفيلسوف، قال الذي منع ثبوته: كل جزء تفرضه فإن يمينه يتميز عن يساره، ومتى كان كذلك قبل القسمة، وقال المتكلمون: لا بد أن ينتهي القول إلى إثبات جزء فاصل بين كل يمين ويسار فرضاً في قسمة الأجزاء، وهو المطلوب»<sup>(٣)</sup>.

ومن كلامه في المسائل المنطقية في الغيث قوله يشرح عبارة المناطق «في كل نوع حصة من جنسه»: «يعنون بذلك أن كل فرد من أشخاص الجسم النامي المتحرك بالإرادة من الناطق، والصاهل، والمفترس، والساج، والنابح وغير ذلك فيه حصة من الحيوانية التي هي جنسه؛ وهي الجسمية والنمو والتحرك بالإرادة، والنوعية هي التي امتاز بها كل نوع من غيره، وهي الفصل مثل الناطقية أو الافتراسية أو السابحية أو النابحية»<sup>(٤)</sup>.

وقوله في شرح الكلليات الخمس: «والكلليات الخمس عند أرباب المنطق هي: الجنس، والنوع، والفصل، والخاصة، والعرض العام؛ فالجنس كالحيوانية، والنوع كالإنسانية، والفصل كالناطقية، ولا يريدون بالناطقية ما يفهمه عوام الناس من أنه النطق بالكلام لأنه ينتقض بالدربة، وهي البيغاء إذا حاكت شيئاً من ألفاظ الناس يلزم أن تكون إنساناً لأنها بهذا الاعتبار حيوان ناطق، وينتقض بالأخرس، والطفل الذي لا يتكلم لأنهما ليسا من الأناسي لأنهما غير ناطقين، وإنما يريدون بالناطقية القوة المفكرة، فعلى هذا دخل الأخرس والطفل في حد الإنسان، وخُرج عنه البيغاء.

(١) أطوار الثقافة والفكر في فلال العروبة والإسلام لمحمد صالح سمك وعلى الجندى ج ٢ ص ٣٩٦. القاهرة عام ١٩٥٩ م.

(٢) السابق نفسه ج ٢ ص ٣٩٦.

(٣) الغيث المسج ج ١ ص ٢٥٠.

(٤) السابق نفسه ج ١ ص ٩٢.

والناطق هو فصل الإنسان عن سائر الحيوان، والخاصة: كالكتابة لأنها تختص ببعض النوع ولم تعمه، والعرض العام كالمضاحكية لأنها عامة لجميع النوع، ولهذا كان التعريف في الحدود بالجنس القريب والفصل مطرداً منعكساً، والتعريف بالجنس القريب والخاصة مطرداً غير منعكس<sup>(١)</sup>.

وما كان ليعيننا هذا النص في كثير أو قليل، فقد مضى من النصوص ما يدل على تعمقه في علم الكلام وحذقه للفلسفة والمنطق لولا أنه قال بعد ذلك: «ولقد قلت هذا الجماعة فلم يعرفوه حتى مثلته بأمثله كثيرة منها قول النحاة في الاسم إنه كلمة تدل على معنى غير مقترنة بأحد الأزمنة الثلاثة، وقولهم في الاسم أيضاً إنه كلمة تدخلها حروف الجر، أو الألف واللام أو التنوين.

فالتعريف الأول بالجنس القريب والفصل لا جرم أنه مطرد منعكس، حيث وجدَ الحَدُّ وُجدَ المحدود وحيث وُجدَ المحدود صدق الحد؛ لأن كل اسم هو كلمة تدل على معنى غير مقترنة بزمان، وكل كلمة تدل على معنى غير مقترنة بزمان فهي اسم، والتعريف الثاني بالجنس والخاصة لا جرم أنه مطرد غير منعكس؛ لأن كل كلمة دخلها الجر أو الألف واللام أو التنوين فهي اسم، وليس كل اسم يدخله الجر كإسباب ما لا ينصرف والمبنيات، وما لا يدخله الألف واللام مثل: كل وغير وذكاء ودجلة وغير ذلك، ولا التنوين مثل الأسماء المؤنثة المقصورة كجبل، ودنيا وبابهما، فأنت ترى كيف اطرء وما انعكس بخلاف الأول، فستنبه لهذه القاعدة فإنها فائدة جلية<sup>(٢)</sup>.

فهذا النص يحتاج منا إلى وقفتين: أولاًهما: عند فهمه الدقيق لمباحث علمي المنطق والنحو، وتطبيق القواعد المنطقية على التعريفات النحوية، فقد استطاع أن يُقَرِّب المفاهيم المنطقية عن طريق تمثيلها وتطبيقها على تعاريف النحاة، ولم أستطع فعلاً أن أفهم القضية المنطقية منعزلة عن التمثيل النحوي، وهذا دليل على أن الصفدي يمتلك القدرة على إفيهام قارئه أو سامعه القضية العلمية الدقيقة بعرضها عرضاً يعتمد على البسط أولاً والتمثيل ثانياً.

(١) الغيث المسجم ج ٢ ص ٣٧٥.

(٢) السابق نفسه ج ٢ ص ٣٧٥، ص ٣٧٦.

وثانيه هاتين الوفتين نفقيهما عند قوله «ولقد قلت هذا لجماعة فلم يعرفوه»، وهنا أجدني أتساءل: لقد تصدر الصفدي في آخر أيامه للتدريس والإفادة بالجامع الأسوى بدمشق على ما يحكى لنا ابن حجر في الدرر الكامنة<sup>(١)</sup> فهل كان يدرس الفلسفة والمنطق؟ وما دفعني إلى هذا السؤال إلا بخل المصادر القديمة بالمعلومات بخلاف يدفع الباحث إلى استنطاق النصوص، ومحاولة الإكثار من وضع الاحتمالات المتعددة والأسئلة الكثيرة والإجابة عليها.

وعلى أية حال فليست لدى إجابة قاطعة على هذا السؤال، وإنما هو احتمال ورد إلى الذهن رجحه وقواه قوله «ولقد قلت هذا لجماعة» فقلت لنفسي: أما وقد أتى الكلام مبهما هكذا فيحتمل أن يكون: ولقد قلت هذا لجماعة من طلبة العلم، كما يحتمل أن يكون: ولقد قلت هذا لجماعة من الأدباء أو العلماء أو الفضلاء، وهي إشارة لا تخلو على أية حال من طرافة لأنها تدل على أن الصفدي قد أفاد الآخرين في علم المنطق كما أفادهم في التاريخ واللغة والأدب.

#### ٩- علوم الأوائل: (العلوم الطبيعية):

وقد كان الصفدي على حفظ عظيم من العلم بها، يدل على ذلك كثرة خوضه في سائلها لأوهي سبب، وأضعف صلة، ويخيل إلى أنه أخذ حظا منها دراسة على الشيخ محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري الذي كان عالما متخصصا في هذه العلوم، ثم انكب هو بعد ذلك على كتب هذه العلوم يقرؤها وعلى آثار أصحابها يستفيد بها أو ينقل عنها، وسوف أمثل لمعرفة بكل لون منها بفقرة أو نص من نصوص الغيث، وسأتوخى في مثل هذه النصوص أن تكون موجزة - قدر إمكان - من جهة، ومعبرة عن المعنى الذي سبقت من أجله من جهة أخرى، وبعد أن أورد النص أغلق عليه وأناقشه حتى أقف على كل ما يمكن أن يوحى به النص من دلالات وإشارات.

أ - فمن علمه بالمعادن قوله: «والياقوت» هو سيد الأحجار التي لا تذوب ولا تكل بال نار، زعموا أنه تكون في كهوف الجبال وخلال الرمال، ويتم نضجه في طين سنة، وعلة تكويته أن مياه الأمطار التي ترسخ في المغارات والكهوف متى

<sup>(١)</sup> الدرر الكامنة ج ٢ ص ٨٧، ص ٨٨.



لم يخالطها شيء من الترابية والطينية، وطال وقوفها هناك ازدادت صفاءً وثقلًا وغلظةً بنسب حرارة المعدن على تحفيفها وطبخها، فانعقدت وصارت حجارة صلبة شفافه، وتكون ألوانها وخفتها وثقلها بحسب أنوار الكواكب المستوية على ذلك الجنس من الجواهر وعلى تلك البقاع على ما زعم أصحاب الكلام فى أحكام النجوم فإنهم يقولون: السواد لزحل، والحمرة للمريخ، والخضرة للمشتري، والصفرة للشمس، والزرقة للزهرة، والملون لمطاردة، والبياض للقمر.

وأصحاب الكلام فى الطبائع يقولون: سبب اختلاف الألوان اختلاف بقاع الأرض التى يتكون فيها، ذلك لأن الماء إذا وقع عليها وغاص فيها ودام تغير بما انحل فيه من ييس الأرض واسخان الشمس له، فعلى قدر حرارته يتكون؛ فإن اشتدت حرارته وأفترطت واستولى عليها اليس عرض له السواد وظهر على أعلاه وبطنت الحمرة التى هى عن الحرارة المعتدلة فى باطنه، وربما طرحت الحمرة نورها إلى خارج مع ظهور السواد فقام بينهما اللون الأسمانجوى، وإن كانت الحرارة معتدلة انعقد أحمر، وهو أجود الياقوت، وإن قصرت الحرارة لمغالبة الرطوبة لها انعقد أصفر، وإن أفترطت الرطوبة، واستولت على الحرارة انعقد أبيض صافيا والأسمانجوى والأصفر إذا وُضعا على النار أبيضاً ولا يتغيرا عن البياض، فهذه الألوان الأربعة يشملها جنس الياقوت الأحمر، منها ينقسم إلى أربعة أصناف: البهرمانى وهو أشدها حمرة وأكثرها صفاء، ويوجد منه ما وزنه اثنا عشر مثقالا، ثم الوردى وهو أرقاً أنواع الأحمر، ويوجد منه ما وزنه ثلاثون مثقالا، ثم الخمرى وأرداه ما قرب إلى البياض، ثم الأحمر العصفرى وأرداه ما قرب من لون الوردى . . . . . (١).

فهذا النص نفيس غاية النفاة، فقد عرّف فيه الصفدى الياقوت، وبين كيفية تكوينه فى باطن الأرض والعوامل التى تكسبه ألوانه المتعددة، ثم درجات هذه الألوان، وأجود هذه الدرجات، وأردأ هذه الدرجات، وهى معارف تدل على حظه من هذا العلم.

وقوله: «قلت: زعم الطبيعيون فى علة كون الذهب فى المعدن أن الرقيق لما كمل نضجه جذب إليه كبريت المعدن فأجته فى جوفه لئلا يسيل سيلان الرطوبات،

(١) الغيث المجمع ج١ ص ٩٢ . .

فما اختلطا واتحدا وذابت الحرارة في طبخهما وبضجهما انعقد عند ذلك منهما صروب المعادن، فإن كان الزئبق صافيا والكبريت نقيا واختلطت أجزاءهما على النسبة وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من البرد واليبس ولا من الملوحات والمرارات والحموضات انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الإبريز، وهذا المعدن لا يتكون إلا في البراري الرملية، والأحجار الرخوة، فتبارك الله الفعال لما يريد. ومراعاة الإنسان النار في عمل الذهب بيده على مثل هذا النظام مما يشق معرفة الطريق إليه والوصول إلى غايته، وعمل الزجاج ومعامل الفرائج بالديار المصرية مما يطمع العقول في عمل الذهب<sup>(١)</sup>.

وهذا النص لا يقل في أهميته عن النص السابق، بل ربما زاد عليه أهمية لما له من دلالة على ما كانت عليه مصر من التقدم في المجال الصناعي في تلك العصور المتقدمة من ناحية، ولأنه من ناحية أخرى يسجل سمة من سمات الكتابة الصفدية وهي أن الصفدي يحرص على تسجيل مشاهداته التي رآها في البلدان المختلفة في كتبه ومؤلفاته الأدبية.

ب - ومن علمه بالطب قوله: «وأما أرباب العقول فيقد اختلافوا في حقيقة النفس ما هي اختلافًا كثيرًا إلى الغاية؛ أما الحكماء فقالوا النفس عبارة عن هذه الأجزاء النارية السارية في هذا الهيكل؛ لأن النار خاصتها الإشراق والحركة، ولهذا قال الأطباء إن مدبر الجسد هو الحار الغريزي، وهذا رأى أفلاطون ومن تابعه، ومنهم من قال هو عبارة عن هذا الهواء، لأنه متى كان النفس مترددًا كانت الحياة باقية، فالنفس هو الهواء المستنشق المتردد في مخارج البدن ولأنه لا لون له ويدخل في المنافس الضيقة، وهذا رأى ديوجينس ومن تابعه، ومنهم من قال: النفس عبارة عن الماء لأنه سبب حصول الشوء والنمو، والنفس كذلك، فكانت هي الماء، وهذا رأى تاليس المائطي، وهذه الأقوال فاسدة؛ لأن الاشتراك في بعض الصفات لا يوجب التساوي في تمام الماهية.

ومنهم من قال: النفس عبارة عن مجموع الأخلاط الأربعة بشرط أن يكون كل واحد له قدر معين؛ لأنه ما دامت هذه الأخلاط باقية على كمياتها المخصوصة وكيفيتها المخصوصة فالحياة باقية، وهذا ضعيف أيضا لأنه لا يثبت العلم بمجرد

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ٢٢.

الدور، ومنهم من قال: النفس عبارة عن الدم لأنه أشرف أخلاط البدن ومتى نزل الدم عن الجسد فارقت الحياة وهذا رأى جالينوس ومن تابعه من الأطباء فوافقوا الفقهاء وأهل اللغة، وهذا ضعيف؛ لأن الجسد يعرض له عدم الحياة والدم فيه، ولأنه كان ينبغي أن تزيد النفس بزيادة الدم في البدن وأن تقوى معلوماتها وإدراكاتها وتضعف بقلته في البدن، والقضية بالعكس<sup>(١)</sup>.

فهذا النص يبين مدى اطلاع الصفدى الواسع على كتب هذه العلوم؛ لأنه ينسب كل رأى إلى صاحبه، ويبين أيضا تضلعه في علم الطب لأنه يناقش الآراء ويحللها ويضعف واهيها بحجج علمية قوية.

والصفدى يعرف العلل التي تؤدي إلى الإصابة ببعض الأمراض، ومثال ذلك قوله: «وأما العلة في الفالج وغيره من الآفات اللاحقة للجمع بين السك واللبن دون انفرادهما وإن تضاعف مقدار كل واحد منهما على انفراد: فهو أن المزج يحدث للممتزج صورة لم تكن لكل واحد من البائط، كما أن السكتنجيين البسير منه يقمع الصفراء ويكسر عاديتها على الفور، ولا يفعل ذلك السكر ولا الخل عند انفرادهما»<sup>(٢)</sup>.

ج- ومن علمه بالطبيعة وعلم الضوء والرياضيات قوله «مألة: لو قال فائل كانت الأشياء القائمة على الأنهار يرى أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وترى السماء تحتها مع أنها فوق؟ فالجواب أن الشعاع الخارج من العين إذا اتصل بجسم صقيل وهو الماء أو غيره لم يثبت عليه لصقالاته وزلق عنه إلى الجهة المقابلة للرائى إن لم يكن الصقيل أمامه؛ بحيث تكون زاوية الالتقاء على الصقيل مثل زاوية الانعكاس في المساحة من غير زيادة ولا نقص، مثاله هكذا:



(١) الفيت المسج ج ٢ ص ١٤٧، ١٤٨.

(٢) السابق نفسه ج ١ ص ٢١٥.

فهاثان الزاويتان فى السعة واحدة، فيتصل طرف الشعاع بالقائم ثم يجرى فيه خياله إلى الماء فينطبع فيه، فكأن القائم وقع على سطح الماء، والقائم إذا وقع بصير أعلاه أسفله وأسفله أعلاه فلذلك رأينا السماء تحته وكل ما هو أعلى من صاحبه يراه أسفله، فلو أقيم الماء واقفا كالمرآة روى على هيئته، فالقائم فى القائم قائم، والقائم فى المنبط متعكس؛ لأن موضوع الانطباع أسفل، والقائم أتى إليه، فكأنه انطبع فيه وهو قائم، فأخذه فى نفسه وانطبع، والانطباع فى الحقيقة إنما هو فى وجه الماء لا فى عمقه، وإنما الحس لا يمكنه ضبط ذلك<sup>(١)</sup>.

والصفدى فى حديثه عن مثل هذه الأمور العلمية لا يعتمد على الشرح النظرى فقط، وإنما يشفع الشرح النظرى برسم عملى يعين على تخيل المسألة ويقرب موضوعها إلى العقل مثلما فعل فيما مضى من حديث، وهو ينص على أن الحقيقة العلمية إذا ما شرحها أو قرأها الإنسان ثم نظر فى رسمها وضحت له وهو يكثّر من وضع الرسوم اللازمة التى تعين الإنسان على تصور ما يقول من نظريات العلم فى تضاعيف كتابه الغيث المسجم فقد شرح السبب فى حدوث كسوف الشمس ثم قال: «وهذا الشكل يوضح لك ما ذكرته فتأمله وتدبر وضعه يظهر لك صورة كسوف الشمس»<sup>(٢)</sup> ثم تحدث بعد ذلك عن خسوف القمر وأسبابه ثم قال: «ومن هذا الشكل يظهر لك ما ذكرته. فتأمله»<sup>(٣)</sup>.

وأجدنى بحاجة إلى التعليق على قوله: «وهذا الشكل يوضح لك ما ذكرته» وقوله: «ومن هذا الشكل يظهر لك ما ذكرته» لأن هذا الكلام حرى أن يلفتنا إلى أمر مهم وهو براعة الصفدى فى هذه العلوم، فلو كان حظ الصفدى من هذه العلوم كحظ أتراكه الذين تلقوا هذه العلوم فى أول مراحل حياتهم العلمية ما استطاع أن يكتب هذا الكلام، ولزالت هذه المعلومات العلمية من ذاكرته بمرور الأيام، أما وقد ألف الغيث فى سنى عمره الأخيرة كما سبق أن أشرت، وقد أتى حديثه عن العلوم العلمية على هذا النمط، فليس لذلك من دلالة سوى ما أشرت إليه من تضلعه فى هذه العلوم.

(١) الغيث المسجم ج ٢ ص ٢٨٢، ص ٢٨٣.

(٢) السابق نفسه ج ٢ ص ٢٥٣.

(٣) السابق نفسه ج ٢ ص ٥٣٤.



## أخلاقه وصفاته ومنزله بين أهل عصره:

يبدو لي أن الصفدي كان هادئ الطبع، رَضِيَ النفس، معتدلاً المزاج، وقد وصفه أنداده وأترابه بكل حميد من الصفات وأثنوا عليه بما هو أهله من العلم والفضل؛ فقد قال عنه ابن تغري بردي: «وذكره الحافظ أبو عبدالله الذهبي في معجمه المختص، وأثنى عليه، وكتب عنه من نظمته ونثره وقال: كان إماماً عالماً صادقاً، ماهراً، رأساً في صناعة الإنشاء، قدوة في فن الأدب، حسن الأخلاق والمحاضرة»<sup>(١)</sup>.

وذكره ابن حجر فقال: «وكان محبباً إلى الناس، حسن المعاشرة، جميل المودة»<sup>(٢)</sup>.

وكان الصفدي حسن الدين، وكانت صلته بربه قوية حيث كان دائم الدعاء والذكر لله عز وجل والثناء عليه بما هو أهله، وكان في دعائه يسأله العصمة، ويستلهمه الرشيد، وقد حفظ لنا في كتابه الغيث عدداً من الأدعية التي تدل على رقة قلب صاحبها، وعلى امتلاء نفسه من الثقة في الله، ومن أدعيت هذه قوله: «اللهم إنا نسألك لطف الهداية، والعصمة، ودوام النعمة التي لا تنالها نقمة، والنيات بالقول الثابت حتي نُحْشَر مع الفرقة الناجية من هذه الأمة؛ إنك أهل التقوى وأهل المغفرة، وولي الخيرات التي وجدناها برسولك الصادق الأمين لنا مُنْخَآرة»<sup>(٣)</sup>.

ويعترف جمال الدين بن نيابة بأن الصفدي «بهت الأفكار فضائله، وسحرت أرياب العقول عقائله»<sup>(٤)</sup>، ويأثنه «فريد أهل الأدب»<sup>(٥)</sup>.

ولقبه تاج الدين السبكي تارة بأديب العصر<sup>(٦)</sup> وتارة أخرى بشيخ الأدباء<sup>(٧)</sup>، وهذا يدل على أنه كان موضع احترام معاصريه وتقديرهم.

\*\*\*\*\*

- (١) المنهل الصافي ج ٥ ص ٢٤٣.
- (٢) الدرر الكامنة لابن حجر ج ٢ ص ٨٨.
- (٣) الغيث المسجم ج ١ ص ٨١.
- (٤) المنهل الصافي ج ٥ ص ٢٤٧.
- (٥) السابق نفسه ج ٥ ص ٢٤٧.
- (٦) طبقات الشافعية للسبكي ج ١ ص ٩٤.
- (٧) السابق نفسه ج ١ ص ٢٤.

## الفصل الثالث

### مصادر الشرح

أولاً: المصادر الشفوية.

ثانياً: المصادر المكتوبة.

ثالثاً: تعامل الصفدى مع النص المنقول من المصدر.

رابعاً: الملاحظات والمشاهدات الشخصية كمصدر من مصادر الشرح.



## أولاً: المصادر الشفهية

يمثل النقل الشفهي أول أنواع المصادر التي اعتمد عليها الصفدي في شرحه للامية، وربما كان أهم هذه المصادر جميعها، وذلك لكثرة اعتماد الصفدي عليه من ناحية، ثم لأنه العامل الأهم الذي أعطى للغيث قيمته العالية، فعن طريقه استطاع الكتاب أن يكون موسوعة فريدة تضم كثيراً من الأشعار، والأخبار التي يرم إليها الدارسون والباحثون عند الحديث عن هذا العصر، وتسجيل خصائصه ومناهج السياسة والاقتصادية والاجتماعية، ذلك لأن الصفدي لا يكثر من النقل الشفهي إلا عند الحديث عن الشرح الأدبي، ومن هنا يجد المجال أمامه متسعاً لتسجيل الأشعار، والأخبار، والظواهر الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، وغيرها، حتى إنني أستطيع أن أجزم بأن الصفدي لا يعتمد على النقل الشفهي إلا في الشرح الأدبي، وأنه عند الشرح اللغوي والنحوي لايات الامية لا يعتمد طئناً على النقل الشفهي، ولا ينقل إلا عن مصادر مكتوبة.

### ١- النقل الشفهي وحصر الألفاظ الدالة عليه:

استخدم الصفدي عدداً من التعبيرات الدالة على نقله الشفهي عن علماء العصر وأدبائه من مثل قوله: «قال شيخ قرأت عليه مآثر غطفان من كتاب...»<sup>(١)</sup>، «قوله (وحكى لي بعض من أتفق عومره في الطلب...»<sup>(٢)</sup>، «قوله (وحكى لي بعض الفضلاء...»<sup>(٣)</sup>، «قوله (حدثني من أثق به...»<sup>(٤)</sup>، «قوله (وأشددني من خط نفسه...»<sup>(٥)</sup>، «قوله (وأشددني بعض الأصحاب...»<sup>(٦)</sup>، «قوله (وحكى لي بعض الأفاضل...»<sup>(٧)</sup>، «قوله (سمعت الشيخ تقي الدين بن تيمية يشدد...»<sup>(٨)</sup>،

(١) الغيث المجمد ج١ ص ١٢.

(٢) السابق نفسه ج١ ص ٢٣.

(٣) السابق نفسه ج١ ص ٢٤.

(٤) السابق نفسه ج١ ص ٢٥.

(٥) على سبيل المثال السابق نفسه ج١ ص ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٧٣، ٩٩.

(٦) السابق نفسه ج١ ص ٥٩.

(٧) على سبيل المثال ج١ ص ٧٠، ج٢ ص ٢٣٥.

(٨) السابق نفسه ج١ ص ٨٢.



وقوله «أخبرني الشيخ الإمام العالم العلامة...»<sup>(١)</sup>، وقوله «أخبرني العالم مفتي المسلمين...»<sup>(٢)</sup>، وقوله «أخبرني مولانا قاضي القضاة...»<sup>(٣)</sup>، وقوله «وأشددني لنفسه المولى...»<sup>(٤)</sup> وقوله «ذكرت هنا ما أخبرني به الشيخ الإمام...»<sup>(٥)</sup>، وقوله «حكى لي من لفظه المولى...»<sup>(٦)</sup>، وقوله «حضرت يوماً... مجلس الشيخ... فقال<sup>(٧)</sup>»، وقوله «حكى لي الشيخ...»<sup>(٨)</sup>، وقوله «سألت الشيخ... فقال...»<sup>(٩)</sup>، وقوله «وحكى لنا...»<sup>(١٠)</sup>، وقوله «وأخبرني من أتق به...»<sup>(١١)</sup>، وقوله «وذكرت هنا ما حكاه لي المولى...»<sup>(١٢)</sup>.

وتدور سائر اللفاظ الأخرى التي تدل على نقله الشفهي عن معاصريه على مثل هذه الصور التي أوردتها وأشابهها، ولي على مثل هذه اللفاظ عدد من الملحوظات التي لا ينبغي أن تمر بذهني دون أن أسجلها.

أولها: أن الصفدي يصرح - أحياناً - باسم الشيخ الذي نقل عنه كما في مثل قوله: «ذكرت هنا ما أخبرني به الشيخ الإمام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه وأنا أقرأ عليه الأشعار السبعة (هكذا في الغيث ولعلها الستة) عند قول طرفة: «وقوقاً بها صبحي» قال: إن بعض وزراء العرب - ذكره لي ونسبته أنا - أمر بضرب بعض العمال مائة سوط فقال «إذن أهلك» وكسر اللام، فقال الوزير: وأنت من أجل أهلك الحق بأهلك<sup>(١٣)</sup>. وأحياناً لا يصرح باسم الشيخ الذي نقل عنه

(١) الغيث المسجوم ج١ ص ٨٥، ص ٩٥.

(٢) السابق نفسه ج١ ص ٩٦.

(٣) السابق نفسه ج١ ص ١٠٥.

(٤) السابق نفسه ج١ ص ١٢٣.

(٥) السابق نفسه ج١ ص ١٢٦.

(٦) السابق نفسه ج١ ص ١٥٠، ص ١٥١.

(٧) السابق نفسه ج١ ص ١٧٥.

(٨) السابق نفسه ج١ ص ٢٨٣.

(٩) السابق نفسه ج١ ص ٤١١.

(١٠) السابق نفسه ج١ ص ٤٣١.

(١١) السابق نفسه ج٢ ص ٩١.

(١٢) السابق نفسه ج٢ ص ٢٧١.

(١٣) السابق نفسه ج١ ص ١٢٦.

نفسه في مثل قوله «وحكى لي بعض الأفاضل أنه جمع في مرأى حمار أبي  
عبي الجزار مجنونة جيدة ولم أرها»<sup>(١)</sup>.

وثانيها: أنه أحياناً ينقل عن الشيخ من شيوخ الأدب دون أن يذكر اسمه وذلك  
بناءً على رغبته هو حيث يقول مثلاً: «وأنشدني بعض أشياخي لنفسه وقال لي: لا  
تروها عني:-

نَفْسُهُ شَيْخًا كَأَنَّ مَشِيئَهُ	عَلَى وَجَّتَبِهِ يَاسْمِينُ عَلَى وَرْدٍ
أَبُو الْعَقْلِ يَدْرِي مَا يُرَادُ مِنَ الَّذِي	أَمِنْتُ عَلَيْهِ مِنْ رَقِيبٍ وَمِنْ صَدِّ <sup>(٢)</sup>
أَلَا إِنِّي لَوْ كُنْتُ أَصْبُو لَأَمْرَدٍ	صَبَوْتُ إِلَى هِفَاءٍ مَائَةِ الْقَدِّ
وَسُوهُ اللَّحَى أَبْصَرْتُ فِيهِمْ مَشَارِكًا	فَرَحْتُ أَنَا صَبًا بِأَيُّضِهَا وَحْدِي <sup>(٣)</sup>

وثالثها: أن الصفدي في كثير من الأحيان لا يحدد اسم الشيخ الذي ينقل عنه  
فحسب، وإنما يحدد مكان اللقاء والسماع وزمانهما كما في مثل قوله «وحكى لي  
من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة اثنتين وثلاثين  
ربعمائة قال: أنشدت فلاناً - سمأه لي وهو بعض مشايخ أهل عصرنا ولم أذكره  
لأنه من العلم بمحل لم يشركه فيه غيره قولي في مريضة في ابن له توفى  
وعصره دون سنة - وهو:

يَا رَاحِلًا عَنِّي وَكَانَتْ بِهِ	مَسْخَايِلُ لِلْفَضْلِ مَرْجُوءُ
لَمْ تَكْتَمِلْ حَوْلًا وَأَوْرَثْتَنِي	ضَعْفًا فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ

فأعجابه وكتبهما بخطه، وكتب الثاني: فلا حول ولا قوة إلا بالله فقلت: يا

(١) الفيت المجمع ج ٢ ص ٢٣٥.

(٢) ومنط بيت بعد هذا البيت وهو:

وَقَالُوا الْوَرَى قِسْمَانِ فِي شِرْعَةِ الْهَوَى  
لِلْهُودِ السُّلْحَى نَاسٌ وَنَاسٌ إِلَى الْمُرْدِ

(٣) السابق نفسه ج ٢، ص ٣٨٥، وهي لآثير الدين الفرناطي وقد أوردها له في ترجمته في نكت  
الهميان حيث قال: «وأنشدني من لفظه تعشقه شيخاً... الأبيات... النكت ص ٢٨٢، ٢٨٣،  
مع اختلاف في رواية الأبيات.

مولانا إن كنت أردت بقولك «إلا بالله» البركة لكنت أتممت ذلك بالعلی العظيم، وإن كان غير ذلك فقد قد المعنى والوزن علی»<sup>(١)</sup>.

ورابعها: أن عددًا من هذه النقول الشفهية يدور حول ما حدث لعلماء العصر من مواقف، وما وجه إليهم من أسئلة كما في مثل قوله: «وحكى لنا الشيخ الإمام نجم الدين أبو محمد الحسن بن كمال الدين محمد القرشي الصفدي أن الشيخ تاج الدين الكندي حضرت إليه من بغداد فتيا في إعراب قوله تعالى ﴿فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩] وأن جماعة من أهل دمشق خبطوا فيها وما أجابوا بشيء، ونسيت هل قال لي إن الشيخ تاج الدين الكندي أجاب أو لا»<sup>(٢)</sup>.

وخامسها: أن أكثر هذه النقول ما هي إلا أشعار سمعها الصفدي من أصحابها أو من غيرهم وسجلها في الغيث لما بينها وبين معنى البيت الذي يشرحه أو الموضوع الذي يخوض فيه من صلة أو مناسبة.

٢ - ثبت بأسماء العلماء الذين نقل عنهم الصفدي شفهيًا في الشرح علومهم ومعارفهم وما حكوه له من أخبار:

١ - الشيخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري (ت ٧٤٩هـ)<sup>(٣)</sup>.

٢ - شرف الدين أبو عبد الله محمد بن فتح الدين بن أبي الحسن بن علي ابن إبراهيم الأنصاري القمي<sup>(٤)</sup>.

٣ - قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (ت ٧٥٦هـ)<sup>(٥)</sup>.

(١) الغيث المجمع: ج ١، ص ١٥٠، ١٥١.

(٢) السابق نفسه: ج ١، ص ٤٣١، ٤٣٢.

(٣) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ٨٥، ٩٥، ١٧٣، ج ٢، ص ٢٨٧، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٢٢٥/٤ وما بعدها.

(٤) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ٩٦.

(٥) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ١٠٥، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٤١٧/٣ - ٤٥٥.

- ٤ - الشيخ أثير الدين أبو حيان الغرناطي (ت ٧٤٥هـ) (١).
- ٥ - الشيخ شهاب الدين أبو الثناء محمود (ت ٧٢٥هـ) (٢).
- ٦ - القاضي علاء الدين علي بن غانم (ت ٧٣٧هـ) (٣).
- ٧ - الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى (ت ٧٣٤هـ) (٤).
- ٨ - الشيخ نجم الدين أبو محمد الحسن بن كمال الدين محمد القرشي الصفدي (ت ٧٢٣هـ) (٥).
- ٩ - الشيخ الإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي (ت ٧٦٢هـ) (٦).
- ١٠ - المولى رشيد الدين يوسف بن أبي البيان (ت ٧٤١هـ) (٧).
- ١١ - القاضي عماد الدين بن القيسراني (ت ٧٣٦هـ) (٨).
- ٣ - ثبت بأسماء العلماء والأدباء الذين أنشدوا الصفدي أشعارهم التي سجلها في الغنيث:

١ - المولى جمال الدين يوسف بن سليمان بن أبي الحسن الصوفي (ت ٧٥٠هـ) (٩).

- (١) يراجع الغنيث المسج: ج ١، ص ١٢٦، ج ٢، ص ٣٥٣، ٤١٦، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٣٢٥/٥ - ٣٦٣.
- (٢) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ١٩٢، ٤١٦، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٣٧٢/٥ - ٣٩٩.
- (٣) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ١٩٨، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٤٩٦/٣ - ٥٠٢.
- (٤) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ٢٨٣، ٣٨٩، ٣٩٠، ٤٣٨، ج ٢، ص ٤٦٢، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٢٠١/٥ - ٢٤٤.
- (٥) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ٤٣١، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٢٣٢/٢ - ٢٤٤.
- (٦) يراجع الغنيث المسج: ج ١، ص ٤٤٦، ٤٤٧، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٤٣٨ - ٤٣٣/٥.
- (٧) يراجع السابق نفسه: ج ٢، ص ٩٣، ٩٤، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٦٢٠/٥ - ٦٢٢.
- (٨) يراجع السابق نفسه: ج ٢، ص ٢٧١، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٥١٦/١ - ٥٢٢.
- (٩) يراجع الغنيث المسج: ج ١، ص ٤٣، ٢٣٦، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٦٢٥/٥.



- ٢ - المولى جمال الدين محمد بن نباتة (ت ٧٦٨هـ)<sup>(٢)</sup>.
- ٣ - الشيخ شهاب الدين أبو التناء محمود (ت ٧٢٥هـ)<sup>(٣)</sup>.
- ٤ - الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردى (ت ٧٤٩هـ)<sup>(٤)</sup>.
- ٥ - الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى (ت ٧٣٤هـ)<sup>(٥)</sup>.
- ٦ - المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلبي (ت ٧٥٢هـ)<sup>(٦)</sup>.
- ٧ - الأمير علاء الدين الطنبغا الجاولي (ت ٧٤٤هـ)<sup>(٧)</sup>.
- ٨ - المولى شهاب الدين الحسيني بن قاضى العسكر<sup>(٨)</sup>.
- ٩ - القاضى جمال الدين عبد القاهر التبريزي (ت ٧٤٠هـ)<sup>(٩)</sup>.
- ١٠ - المولى ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر (ت ٧٣٠هـ)<sup>(١٠)</sup>.

(١) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ٤٦، ٤٧، ٥٨، ١٢٣، ١٥١، ١٧٠، ٢٤٩، ٢٧١، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٩، ٣٠٠، ج ٢، ص ٨، ٩، ٢٠، ٢٢، ٦٨، ٢١٧، ٣٢١، ٤٥٥، وقد ترجم له الصفدى فى الوافى ٣١١/١ وما بعدها.

(٢) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ٥١، ١٢٣، ١٩٤، ٢٠٢، ٣٢٨، ج ١، ص ٧٠، ٣٤٣، ٤٦٢، ٤٦٣.

(٣) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ٧٣، ٨٦، ١٤٧، ج ٢، ص ٣٨، وقد ترجم له الصفدى فى أعيان العصر ٦٧٧/٣ وما بعدها.

(٤) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ٩٩، ١٧٤، ٣٢٨، ج ٢، ص ١١، ١٢، ١١٠، ١٧٠.

(٥) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ١٢٣، ٢١١، ٢١٣، ٢٦٨، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٨٧، ج ٢، ص ١٧، ٢٠، ٤٢، وقد ترجم له الصفدى فى أعيان العصر ٦٨/٣ وما بعدها.

(٦) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ١٢٣، وقد ترجم له الصفدى فى أعيان العصر ٦١٠/١ - ٦١٤.

(٧) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ٢٢٤.

(٨) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ٢٧٩، وقد ترجم له الصفدى فى أعيان العصر ٣/١٢٤، ١٢٩.

(٩) يراجع السابق نفسه: ج ١، ص ٣٠٣، وقد ترجم له الصفدى فى أعيان العصر ٥٠١/٢ - ٥١٢.

١١- الشيخ إبراهيم المعمار (ت ٧٤٩هـ)<sup>(١)</sup>.

١٢- الشيخ الإمام شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المعروف بابن الخيمي (ت ٦٨٥هـ)<sup>(٢)</sup>.

١٣- القاضي علم الدين سليمان بن إبراهيم متولى دمشق (ت ٧٤٤هـ)<sup>(٣)</sup>.

١٤- أثير الدين أبو حيان الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)<sup>(٤)</sup>.

١٥- المولى بدر الدين حسن بن علي الغزي (ت ٧٥٣هـ)<sup>(٥)</sup>.

١٦- المولى الحكيم شهاب الدين أحمد بن يوسف الصفدي (ت ٧٣٧هـ)<sup>(٦)</sup>.

١٧- شرف الدين عيسى الناسخ (ت ٧٣٢هـ)<sup>(٧)</sup>.

١٨- القاضي شرف الدين أبو عبد الله الحين بن ريان<sup>(٨)</sup>.

٤ - ثبت بأسماء العلماء والأدباء الذين أورد شعرهم في الغيث سماعاً عن شيوخه مع نماذج لهم:

١ - الإمام تقي الدين بن دقيق العيد القشيري<sup>(٩)</sup> (ت ٧٠٢هـ)، وما أورده له من شعر في الغيث كان عن طريق ابن سيد الناس مرة، وعن طريق جمال الدين محمد بن نباتة مرة أخرى. أما ما أورده عن طريق ابن سيد الناس فمن مثل قوله أنشدني العالم الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس إجازة وفي غالب الظن سماعاً قال: أنشدني لنفسه الشيخ الإمام العلامة القدوة تقي الدين أبو الفتح محمد بن الإمام مجد الدين أبي الحسن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري المعروف بابن دقيق العيد - رحمه الله تعالى -:

(١) راجع الغيث المسج: ج ١، ص ٣٣٦، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ١٤٦/١ وما بعدها.

(٢) السابق نفسه: ٣٨٠، ٣٨١، وقد ترجم له الصفدي في الوافي ٥٠/٤ وما بعدها.

(٣) السابق ج ٢، ص ٢٠، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٤١٣/٢.

(٤) السابق نفسه: ص ٤٢، ص ١٥٧.

(٥) السابق نفسه: ص ٨١، ٢٢٨، وقد ترجم له الصفدي في الوافي ١٤٨/١٢.

(٦) السابق نفسه: ص ١٩٨، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٤٣٥/١.

(٧) السابق: ج ١، ص ٢٨٩، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٧٢١/٣.

(٨) السابق نفسه: ص ٣٦٠.

(٩) راجع على سبيل المثال السابق نفسه: ص ١٠٥، ١٤٦، ١٤٧، ٢٠١، ٢٣٧، وقد ترجم له الصفدي في أعيان العصر ٥٧٦/٤.

أَتَغَيَّبْتُ نَفْسَكَ بَيْنَ ذَلَّةٍ كَادِحٍ      طَلَبَ الْحَيَاةَ وَبَيْنَ حِرْصٍ مُؤَمِّلٍ  
وَأَضَعْتُ عُصْرَكَ لَا خِلَافَةَ مَا جَنِّ      خَصَلْتُ فِيهِ وَلَا وَقَارَ مُبْجَلٍ  
وَتَرَكْتُ حَظَّ النَّفْسِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْأُ      خَرَى وَرَحْتُ عَنْ الْجَمِيعِ بِمَعَزِلٍ<sup>(١)</sup>

أما ما أورده له عن طريق ابن نباتة فمن مثل قوله: «أنشدني جمال الدين أبو بكر محمد بن نباتة قال: أنشدني لنفسه إجازة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد:

لَعَمْرِي لَقَدْ قَاسَيْتُ بِالْفَقْرِ شِدَّةً      وَقَعْتُ بِهَا فِي حَيْرَةٍ وَشَتَاتٍ  
فَإِنْ بُحْتُ بِالشُّكْوَى هَتَكْتُ مُرْوَعَتِي      وَإِنْ لَمْ أَبُحْ بِالضَّرِّ خِفْتُ عِمَاتِي  
فَأَعْظِمُ بِهِ مِنْ نَازِلٍ بِمُلَمَّةٍ      يُزِيلُ حَيَاتِي أَوْ يُزِيلُ حَيَاتِي<sup>(٢)</sup>

٢ - محمد بن أحمد بن حسن بن عامر التجيبي، وكل ما أورده له كان سماعاً عن الشيخ أثير الدين أبي حيان الغرناطي من مثل قوله: «أنشدني الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بمصر سنة سبعمائة وثمانية وعشرين قال: أنشدني لنفسه محمد بن أحمد بن حسن بن عامر التجيبي في مליح له رقيب أحول:

بِأَبِي رِشَا يَحْوِي مَعَ الْإِحْصَانِ      مَلَكَ مَوْضُوعَهَا إِنَانِي  
أَحْوَى الْجَفْوَةِ لَهُ رَقِيبٌ أَحْوَكُ      الشَّيْءُ فِي إِدْرَاكِهِ شَيْئَانِ  
يَا لَيْسَتْهُ تَرَكَ الَّذِي أَنَا مُبْصِرٌ      وَهُوَ الْمُخَيَّرُ فِي الْغَزَالِ الثَّانِي<sup>(٣)</sup>

٣ - ناصر الدين حسن بن النقيب الفقيسي (ت ٦٨٠هـ)، وبعض ما أورده له كان سماعاً عن الشيخ أثير الدين أيضاً؛ يقول الصغدي: أنشدني الإمام الحافظ أبو حيان قال: أنشدي لنفسه ناصر الدين حسن بن النقيب الفقيسي:

وَمَا بَيْنَ كَفِّي وَالدَّرَاهِمِ عَامِرٌ      وَكَتُّ لَهَا دُونَ الْوَرَى بِحَلِيلٍ

(١) الغيث المسجم: ج ١، ص ١٠٥.

(٢) الغيث المسجم: ج ١، ص ١٤٧.

(٣) السابق نفعه ١/١٤١، ١٤٢.

وما استوطنتها قط يوماً وإنما عمر عليها عابرات سبيل<sup>(١)</sup>

٤ - فخر الدين حسن بن علي بن مكزون السنجاري وما أورده له كان سماعاً عن الشيخ ابن ساعد الأنصاري؛ يقول الصفدي: «أنشدني من لفظه الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري قال: أنشدني من لفظه لنفسه خالي فخر الدين حسن بن علي بن مكزون السنجاري قصيدة ثائية طويلة في وزن ثائية ابن الفارض حطّ فيها عليه، منها:

ولست كمن أنسى على الحب كاذباً      مضلاً لأرباب العقول السخيفة  
بمن على الجهال من عصبه الهوى      ينسبته في الحب من غير نسبة  
فيزعم طوراً أنه عين عيناها      ويزعم طوراً أنها فيه حلت  
ويجمع ما بين التقيضين قوله      وذاك محال في العقول السليمة<sup>(٢)</sup>

٥ - شمس الدين محمد بن دانيال (ت ٧١٠هـ) وبعض ما أورده له كان سماعاً عن الشيخ ابن سيد الناس وذلك مثل قوله: «أنشدني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قال: أنشدني لنفسه الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال الموصلي:

كم قيل لي إذ دُعيت شمساً      لا بدّ للشمس من طلوع  
فكان ذلك الطلوع داءً      يرقى إلى السطح من ضلوعي<sup>(٣)</sup>

٦ - الإمام الفقيه أبو محمد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) وما أورده له سمعه من شيخه ابن سيد الناس ومثال ذلك قوله: أنشدني الحافظ المحدث الأديب فتح الدين محمد بن أبي عمرو محمد بن أبي بكر بن محمد بن سيد الناس اليعمرى بالقاهرة المحروسة قال: أنشدني والدي قال: أنشدني الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الباني قال: أنشدني أبو الوليد سعد السعدي بن أحمد بن هشام قال: أنشدني الحافظ أبو العباس أحمد بن عبد الملك قال: أنشدنا أبو أسامة يعقوب قال: أنشدني والدي الفقيه الحافظ أبو محمد بن حزم لنفسه:

(١) الفيت المسجم: ج١، ص ١٤٦، وراجع في نصوص أخرى الفيت ج٢ ص ٢٠٧.

(٢) السابق نفسه: ج١، ص ١٧٣، ١٧٤.

(٣) السابق نفسه: ص ٢٤٨، ٢٤٩.



مَنْ عَذِيرِي مِنْ أَنْاسٍ جَاهِلُوا      ثُمَّ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أَهْلُ النَّظَرِ  
رَكِبُوا الرَّأْيَ عَنَادًا فَارَوَا      فِي ظَلَامٍ تَاهٍ فِيهِ مَنْ عَبَّرَ  
وَطَرِيقَ الرَّشْدِ نَجَحَ مَهْجَعُ      مَثَلَمَا أَبْصَرْتَ فِي الْأَفْقِ الْقَمَرَ  
وَهُوَ الْإِجْمَاعُ وَالنَّصُّ الَّذِي      لَيْسَ إِلَّا فِي كِتَابٍ أَوْ أَثَرٍ<sup>(١)</sup>

٧ - القاضي محيى الدين بن الظاهر (ت ٦٩٢هـ) وبعض ما أورده له سمعه عن  
شيخه شهاب الدين أبى الشاء محمود، ومثال ما أورده له قوله: «وأنشدنى الشيخ  
الأديب الكاتب شهاب الدين أبو الشاء محمود قال: أنشدنى من لفظه لنفسه  
القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر:

وَنَاطِقَةٍ بِالنَّفْحِ مِنْ رُوحِ رَبِّهَا      تُعَبِّرُ عَمَّا عِنْدَنَا وَتُرجِمُ  
سَكَنَتَا وَقَالَتْ لِلْقُلُوبِ فَاسْمَعَتْ      فَنَحْنُ سَكُوتٌ وَالْهَوَى يَتَكَلَّمُ<sup>(٢)</sup>

٨ - الشيخ شمس الدين عبد الوهاب وما أورده له سمعه من شيخه شهاب  
الدين أبى الشاء محمود أيضاً، ومن أمثلة ما أورده من شعره قوله: «وأنشدنى  
القاضى شهاب الدين أبو الشاء محمود لشمس الدين عبد الوهاب:

مُنْقَبَةٌ مِمَّا حَلَّتْ مَعَ مُحِبِّهَا      يُرَوِّدُهَا لَثَمًا وَيَنْظُرُهَا شَرًّا  
وَنَصْحِيفَتُهَا فِي كَفٍّ مَنْ شِئْتَ فَلْتَقُلْ      إِذَا شِئْتَ فِي الْيَمْنِ وَإِنْ شِئْتَ فِي الْيَسْرِ<sup>(٣)</sup>

٩ - الإمام مجد الدين بن الظهير الإريلى: وقد نقل ما أورده له من شعر عن  
طريق السماع من شيخه أبى الشاء محمود، وأستطيع أن أدلل بهذا النص على  
ذلك؛ يقول الصفدى: «وأنشدنى الشيخ الإمام القاضى شهاب الدين محمود قال:  
أنشدنى شيخنا الإمام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر الظهير الإريلى الحنفى  
لنفسه من أبيات:

(١) الغيث المجم: ج ١١ ص ٦٤، وكذا تراجع صفحة: ٤٠٩، من الجزء نفسه.

(٢) السابق نفسه: ص ٢٨.

(٣) السابق نفسه: ص ٢٨١.

أَوَّاصِلٌ فِيهِ لَوْعَتِي وَهُوَ هَاجِرٌ      وَيُؤْنِسُنِي تَذَكُّارُهُ وَهُوَ نَافِرٌ  
غَزَالٌ مَنِيعُ الْخِدْرِ دُونَ مَزَارِهِ      مُظْلَلَةٌ بِالْبَيْضِ مِنْهُ الْجَاذِرُ<sup>(١)</sup>

١٠- الإمام شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المعروف بابن الخيمي (ت ٦٨٥هـ) وما أورده الصفدي لهذا الإمام عن طريق السماع كان بعضه عن طريق شيخه ابن سيد الناس، ومن أمثلة ذلك قوله: «أنشدني الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليمري قال: أنشدني لنفسه شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المذكور إجازة إن لم يكن سماعاً، وفي غالب الظن أنه سمع قصيدته البتة التي أولها:

يَا مُطْلَبًا لَيْسَ لِي فِي غَيْرِهِ أَرْبٌ      إِلَيْكَ أَلَّ التَّقْصِي وَانْتَهَى الطَّلَبُ  
ومنها:

بِاللهِ إِنْ جُرْتَ كُتَبَانَا بِذِي سَلَمٍ      قِفْ بِي عَلَيْهَا وَقُلْ لِي هَذِهِ الْكُتُبُ  
وَأَخُذْ بِمِثْنَا لِمَفْنَى تَهْتَدِي بِشَذَا      نَسِمْ الرُّطْبِ إِنْ ضَلَّتْ بِهِ النُّجُبُ<sup>(٢)</sup>

وهذه القصيدة نفسها قد أنشده إياها إجازة شيخه شهاب الدين أبو الثناء محمود<sup>(٣)</sup>.

١١- القاضي زين الدين عمر المعروف بابن الوردى (ت ٧٤٩هـ) وبعض ما أورده له من شعر في الغيث كان عن طريقين: أحدهما سماعاً عن شيخه ابن نباتة، والثاني سماعاً عن شمس الدين محمد بن علي بن أيك الروجي، فمثال الأول قوله: «أنشدني من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة قال: أنشدني من لفظه نفسه القاضي زين الدين عمر بن المظفر والمعروف بابن الوردى:

وَرُبُّ غَزَالَةٍ طَلَعَتْ      يَقْلِبِي وَهُوَ مَرْعَاهَا  
نَصَبْتُ لَهَا شِجَاكًا مِنْ      نُضَارٍ ثُمَّ صِدْدَانَا  
وَقَالَتْ لِي وَقَدْ صِرْنَا      إِلَى عَيْنٍ قَصْدَانَا

(١) الغيث المجمع: ج ١، ص ٣٨٦، ٣٨٧، وكذا الصفحات ٣٠٧، ٣٥٥، ٤٠٤، ٤٠٦ من الجزء نفسه.

(٢) الغيث المجمع: ج ١، ص ٣٨٠، ٣٨١.

(٣) السابق نفسه: ص ٣٨٠.

بَذَلَتِ الْعَيْنَ فَأَخْجَلَهَا بِطَلْعَتِهَا وَمَجْرَاهَا<sup>(١)</sup>

ومثال الثاني قوله: «وأنشدنى من لفظه المولى شمس الدين محمد بن على ابن أليك السروجى قال: أنشدنى من لفظه لنفسه المولى القاضى زين الدين عمر ابن الوردى:

وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ وَكَوْ عَجُورًا يُسَادِرُ بِالْقِيَامِ عَلَى الْحَرَارَةِ  
فَأَصْبَحَ لَا يَقُومُ لِبَدْرِ تَمَّ كَأَنَّ النَّحْسَ قَدْ وَلِيَ الْوَزَارَةَ<sup>(٢)</sup>

١٢- البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى (ت ٦٨٠هـ) وما أورده له من شعر كان سماعاً عن لاجين الذهبى وذلك حيث يقول: «وما أرشق قول البدر يوسف ابن لؤلؤ الذهبى أنشدنيه الحاج لاجين الذهبى قال: أنشدنى البدر يوسف لنفسه:

يَا عَاذَلَى فِى هَوَاهُ إِذَا بَدَا كَيْفَ أَسْلُو  
يُمُـسِرُّ بَى كُلِّ وَقْتٍ وَكَلَّمَا مَرَّ يَحْلُو<sup>(٣)</sup>

١٣- أبو العز المكرم وقد أورد له نصاً شعرياً وحيداً أنشده إياه الشيخ أثير الدين أبو حيان قال: «وأنشدنى من لفظه العلامة الشيخ أثير الدين أبو حيان بالقاهرة سنة تسعمائة وثمانية وعشرين قال: أنشدنى أبو عبدالله فتح الدين البكرى قال: أنشدنى الجمال الكاتب محمد بن أبى العز المكرم لأبيه:

النَّاسَ قَدْ أَثْمُوا فِينَا بِظَنِّهِمْ وَصَدَّقُوا بِالذِّى أَدْرِى وَتَدْرِينَا  
مَاذَا يَضُرُّكَ فِى تَحْقِيقِ ظَنِّهِمْ بَأْنَ نُحَقِّقَ مَا فِينَا يَظُنُّونَا  
وَحَمَلِى وَحَمَلُكَ ذَنْبًا وَاحِدًا ثَقَّةً بِالْعَفْوِ أَجْمَلُ مِنْ إِنْثِمِ الْوَرَى فِينَا<sup>(٤)</sup>

(١) الغيث المسجم: ج ٢، ص ٢٩، ص ٣٠.

(٢) هذا المثال أعوذج لما كان عليه الذوق الأدبى فى ذلك العصر حيث شاع النظم فى مثل هذه المعانى، ولا ضير فى الاستشهاد بمثل هذه النصوص فى رأينا ما دامت صحيحة النسبة إلى أصحابها، ومن حق العلم علينا ومن حق الناس أيضاً أن يقدم الباحث صورة المجتمع فى ذلك العصر بكل إيجابياتها وسلبياتها دون حجب شئ أو إخفائه. الغيث ج ٢، ص ٢٤٢ وكذا يراجع السابق نفسه ج ١، ص ٣٨٢، ج ٢، ص ١٢٠.

(٣) السابق نفسه: ج ١، ص ٢٦٩.

(٤) الغيث المسجم: ج ١، ص ٣٥٣.

١٤- تقي الدين السروجي (ت ٦٩٣هـ) وما أورده الصفدي من شعره سمعه من شيخه أثير الدين أيضاً، ومن الشواهد على ذلك قوله: أنشدني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ أثير الدين أبو حيان قال: أنشدني لنفسه الشيخ تقي الدين السروجي:

وأرى لليلَى العامرية منزلاً	بالجود يُعرفُ والندى أصحابه
فيه الأمانُ لمن يخافُ من الردى	والخيرُ قد ظفرت به طلابه
قد أشرعتُ بِنُضِّ الصوارمِ والقنأ	من حوله فهو المنيعُ حجابهُ
وعلى حمَاهُ جلالَةٌ من أهله	فلذاك طارقةُ العيون تهابهُ
كم قُلبتُ فيه الحدودُ على الثرى	شوقاً إليه وقُبلتُ أعتابه
قد أخضبتُ منه الأباطحُ والرُبى	للزائرينِ وفُتحتُ أبوابهُ <sup>(١)</sup>

١٥- علاء الدين الباجي الأصولي: وقد سمع الصفدي شعر هذا الشيخ من أستاذه أثير الدين أبي حيان، وما يدل على ذلك هذا النص من الغيث قال الصفدي: «وأنشدني الشيخ الإمام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان قال: أنشدني الشيخ علاء الدين علي بن خطاب الباجي الأصولي لنفسه:

رئى لى عُدَلِي إِذْ عَايَنُونِي	وَسُحِبْ مَدَامِعِي مِثْلَ الْعَيُونِ
وَرَأَمُوا كَحَلِّ عَيْنِي قُلْتُ كُفُّوا	فَأَصْلُ بَلِيَّتِي كَحَلِّ الْجُفُونِ <sup>(٢)</sup>

١٦- شهاب الدين العزازي (ت ٧١٠هـ) وما أورده في الغيث من شعر هذا الشاعر كان سماعاً عن ابن سيد الناس؛ يقول الصفدي: وأنشدني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى قال: أنشدني لنفسه إجازة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الله العزازي:

إِن لَمْ أُمِتْ فِي هَوَى الْأَجْفَانِ وَالْقُلِّ	فَوَاحِيَانِي مِنَ الْعُشَاقِ وَأَخَجَلِي
مَا أَطِيبَ الْمَوْتَ فِي عِشْقِ الْمَلَّاحِ كَذَا	لَاسِيَمَا بِسَيْفِ الْأَعْيُنِ النَّجَلِي
يَا صَاحِبِي إِذَا مَا مِتْ بَيْنَكُمَا	دُونَ الشَّهِيَيْنِ وَرَدِّ الْحَدِّ وَالْقُبَلِي

(١) الغيث المسجم: ص ٣٦٩.

(٢) السابق نفسه: ص ٤٠٤.



فاستغفرا لى وقولا عاشقٌ غَزَلُ  
راضٍ الفتورُ له سهمًا فأخطأه  
وللعيون اللواتى هُنَّ مِنْ أَسَدٍ  
فالجرحُ منهنَّ لَذَاتُ بَلَا أَلَمِ  
قضى صريعَ القُدودِ الهيفِ والمُثَلِ  
حتى أُتِيجَ له سهمٌ مِنَ الكَحَلِ  
إلى القلوبِ سهامٌ هُنَّ مِنْ ثَعَلِ  
والطعنُ عندَ مُحِيبِهِنَّ كَالْقَبْلِ<sup>(١)</sup>

١٧- بدر الدين أبو المحاسن يوسف المهمتدار وما أورده له من شعر كان سماعاً عن شيخه أثير الدين أبي حيان ومن ذلك قوله: «أنشدنى من لفظه الشيخ الإمام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال: أنشدنى من لفظه لنفس بدر الدين أبو المحاسن يوسف المهمتدار سنة تسع وثمانين وستمئة:

لو عاينتُ عيناك يومَ نزالنا  
وسنا الأسنَّةَ والضَّيَاءَ مِنَ الظُّبَا  
وقد اطلَحَ المَ الأمرُ وأَحْدَمَ الوغَى  
لرايتُ سداً من حديدٍ مائراً  
حتى سَبَقْنَا أسهُماً طَاشَتْ لَنَا  
والخيلُ تَصْبَحُ فى العَجَاجِ الأكْثَرِ  
كشفاً لأعْيُننا قتَامَ العَيْشِرِ  
ووهى الجبانُ وساءَ ظَنُّ المَجْتَرِ  
فَوقَ الفِراتِ وفوقَهُ ناراً تَرى  
منهم إلينا بالخيولِ الضُمَرِ<sup>(٢)</sup>

١٨- أبو الشكر حماد بن هبة الله بن حماد وما أورده له من شعر، كان سماعاً عن شيخه أثير الدين أيضاً قال الصفدى: «أنشدنى من لفظه الشيخ الإمام العلامة حجة العرب أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف فى شعبان المعظم سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بالقاهرة قال: أنشدنى أبو الحين القشيري بقراءة عليه قال: أنشدنى أبو الحسن على بن أحمد الصوفي المؤذن بسبته قال: أنشدنى أبو الشكر حماد بن هبة الله بن حماد بجران لنفسه:

قالوا نراك كثيرَ السيرِ مجتهداً  
فقلتُ لو لَمْ يَكُنْ فى السيرِ فائدةٌ  
فى الأرضِ تنزِلُها طوراً وتَرْتَحِلُ  
ما كانتِ السَّيْعُ فى الأبراجِ تَنْتَقِلُ<sup>(٣)</sup>

(١) الغيث المسجم : ج ٢، ص ١٧، ١٨.

(٢) الغيث المسجم ج ٢، ص ٦٩، وقد اجتزأت من الآيات لطولها.

(٣) السابق نفسه: ج ٢، ص ١١٨.

١٩- الصاحب عز الدين بن أبي الحديد المعتزلى وقد أورد الصفدى ما ذكره من شعره فى الغيث سماعاً عن شيخه أثير الدين أبى حيان؛ قال الصفدى: «وأخبرنى أيضاً من لفظه قال - أى أثير الدين - أنشدنا شيخنا الشيخ الناقل النسابة حافظ المشرق والمغرب شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن الديماطى يوم الأربعاء الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ستمائة وثمانية بالقاهرة بقراءتى عليه قال: أنشدنى الشيخ الإمام العالم الصاحب عز الدين عبد الحميد أبو حامد بن هبة الله بن محمد بن حسين بن أبى الحديد المعتزلى ببغداد ومولده بالمداين يوم السبت مستهل ذى الحجة سنة ست وثمانين وخمسائة لنفسه:

لولا ثلاثٌ لم أخَفْ صِرْعَتِي      ليست كما قال فتى العبدِ  
أَنْ أَضُرَّ التَّوْحِيدَ وَالْعَدْلَ فِي      كلِّ مكانٍ باذلاً جَهْدِي  
وَأَنْ أَتَأْجِيَ اللَّهَ مُسْتَمْتَعًا      بِخُلُوءِ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ  
وَأَنْ أَتِيَهُ الدَّهْرَ كِبَرًا عَلَى      كلِّ لَيْمٍ أَضْعَرَ الْخَدَّ  
لِذَاكَ أَهْوَى لَا فِتْنَةَ وَلَا      خمر ولا ذى مَيْعَةٍ نَهْدِ<sup>(١)</sup>

٢٠- الزين الجويان وما ذكره من شعره فى الغيث سمعه عن شيخه ابن سيد الناس اليعمرى ومثال ذلك قوله: أنشدنى من لفظه الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى قال: «أنشدنى شهاب الدين أحمد بن زكريا بن أبى العشائر الماردىنى قال: أنشدنى الزين الجويان لنفسه:

انظر إلى الشمسِ وقد عَمَّتْ      رُؤْسَ الْهَضَابِ الصُّلَعِ بِالْأَصْفَرِ  
كَأَنَّهَا فِي الْجَوْ قَلَاعَةٌ      وجاءَ فلاحٌ عليها خَرِي<sup>(٢)</sup>

٢١- عفيف الدين التلمسانى: وإذا كنا قد قررنا فيما سبق أن هذا الشاعر قد جمع ديوانه بنفسه وكانت عند الصفدى نسخة ينقل عنها، فلإننا هنا نضيف أن

(١) الغيث المسجم: ١٥٦/٢، ١٥٧.

(٢) الغيث المسجم: ج ٢، ص ٢٦٣.

الصفدى قد أثرى شرحه للامية العجم بالكثير من شعر هذا الرجل الذى كان شاعراً مجيداً، وذلك الشعر لم ينقله من الديوان وإنما سمعه من أترابه من الأدباء والعلماء ومثال ذلك قوله: «وأنشدنى جمال الدين محمود بن طى المعروف بالحافى قال: أنشدنى عفيف الدين التلمسانى لنفسه من أبيات:

ولى على عاذلى حقوقى عليه شكرى ببغضها يجب  
لام فلماً رآه هام به فكنت فى عشقه أنا السبب»<sup>(١)</sup>

٢٢- ظهر الدين إبراهيم البارزى (ت ٦٨٠هـ) (\*) الحموى وما أورده الصفدى له من شعر فى الغيث أخذه سماعاً عن شيخه أثير الدين أبى حيان قال: «أنشدنى من لفظه الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو حيان قال: أنشدنى ظهير الدين إبراهيم البارزى الحموى لنفسه:

تعجبت الدنيا كثير عجيها لشخص تلاقى عنده الخبث والريا  
بدا سبل فى عينه وهو مخصب ولم أرها يوماً ألم بها حياء»<sup>(٢)</sup>

٢٣- بهاء الدين بن النحاس وقد سمع الصفدى شعر هذا العالم المصرى عن شيخه ابن سيد الناس وأورد منه فى الغيث، ومثال ذلك قوله: «وأنشدنى الإمام العلامة فتح الدين<sup>(٣)</sup> محمد بن سيد الناس إجازة قال: أنشدنى الإمام العلامة بهاء الدين بن النحاس لنفسه:

قالوا حبيبك قد بدى شيه فإلام قلبك فى هواه يهيم  
قلت أقصروا فالآن تم جماله وبدى شقاء فتى عليه يلوم

(١) الغيث المسجم: ج ٢، ص ٣٦٤.

(\*) ظهر الدين البارزى: قاضى حماة وابن قاضيه الإمام نجم الدين عبد الرحيم بن هبة الله الجهنى

الشافعى كان إماماً فى الفقه والكلام والأدب، ولد بحماة سنة ٦٠٨هـ، وتوفى سنة ٦٨٠هـ.

تراجع ترجمته فى فوات الوفيات تحقيق محيى الدين: ٥٧/١.

الوافى بالوفيات: ٦/ ١٨٧، العبر: ٣/ ٣٥٢، شذرات الذهب: ٥/ ٣٨٢.

(٢) السابق نفسه: ج ٢، ص ٣٢٨.

(٣) وردت بالغيث بهاء الدين وهى خطأ، والصواب ما أثبتته.

الصَّبْحُ غُرَّتُهُ وَشَعَرُ عَذَارِهِ لَيْلٌ وَنَبْتُ الشَّيْبِ فِيهِ نُجُومٌ<sup>(١)</sup>

٢٤- ابن المتيتي: وقد أورد له الصفدي بيتين سمعهما من شيخه ابن سيد الناس قال: «وإنما الكامل في مثل هذا التندير ما أنشدني الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة سبعمئة وثمان وعشرين قال: أنشدني ابن المتيتي نائب دار العدل بمصر لنفسه يخاطب زين الدين خالد الأشعري:

قُلْتُ لِلزَّيْنِ: كَيْفَ لَا تَرَى الْبَعْثَ وَتَنْفَى إِنْكَارَهُمُ لِلْحَشْرِ؟

قال: أُثْبِتُ فَقُلْتُ: ذَقْنِكَ فِي إِسْتِي قَالَا أَنْفٍ، فَقُلْتُ: فِي وَسْطِ حِجْرِي<sup>(٢)</sup>

٢٥- يحيى بن محمد بن زكريا الحموي الخباز وقد أورد من شعره بيتين سمعهما من شيخه جمال الدين بن نباتة وذلك حيث يقول: «وأنشدني جمال الدين بن نباتة قال: أنشدني القاضي زين الدين عمر بن الوردي قال: أنشدني الأديب يحيى بن محمد بن زكريا الحموي الخباز لنفسه:

طَلَبْتُ مِنْهُ قُبْلَةً قَالَ لِي إِيَّاكَ أَنْ تَطْمَعَ فِي الْقُورِبِ  
البُوسُ جَالِيشُ وَأَخْشَى بَأْسَ تَسْتَبِيعَ الْجَالِيشَ بِالْقَلْبِ<sup>(٣)</sup>

٢٦- شرف الدين محمد بن موسى المقدسي وما أورد له سمعه عن شيخه أثير الدين أبي حيان، ومثال ذلك قوله: «وأنشدني من لفظه الشيخ الإمام أثير الدين أبو حيان: قال: أنشدني لنفسه الشيخ شرف الدين محمد بن موسى المقدسي:

الْيَوْمُ يَوْمٌ سُرُورٍ لَا شُرُورَ بِهِ فَرْوَجُ ابْنِ سَحَابٍ بَابِنَةِ الْعِنَبِ  
مَا أَنْصَفَ الْكَأْسَ مَنْ أَبْدَى الْقُطُوبَ لَهَا وَغَرَّهَا بِاسْمٍ عَنْ لَوْلُوِ الْحَبِّ<sup>(٤)</sup>

(١) الغيث المسجم: ج٢، ص ٣٨٥.

(٢) السابق نفسه: ج١، ص ١٣٣.

(٣) الغيث المسجم: ج٢، ص ٤٥٠.

(٤) السابق نفسه: ج١، ص ٤٤٠.



٢٧- أبو حفص عمر بن محمد النجاشي البجلي اللغوي وما أورده له سمعه عن  
 شيخه أثير الدين أيضاً يقول «أنشدني الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو حيدر  
 لأبي حفص عمر بن محمد النجاشي البجلي اللغوي قوله:

مِيرُكَ إِنِ أَوْدَعَتْهُ ثَانِيَا      فاعلم بأن قد أن أن تُفْشِيَةً  
 لَأَنَّ مَا أَضْمَرَ فِي حَالَةٍ      الأفراد تستخرجهُ التَّشْيِيَةُ (١)

٢٨- السلطان ابن الأحمر ملك الأندلس وقد سمع الصفدي له أبياتاً أوردها  
 في الغيث عن طريق شيخه أثير الدين وفي هذا إثراء للغيث المسجوم ولقد حرصت  
 على إثبات نصّ أمام كل شاعر أو عالم أو أديب حتى إذا ما وصلت إلى هذا  
 الرجل خرجت بنتيجة مهمة وهي أن هذه النصوص التي أوردها لهؤلاء الأعلام  
 سماعاً عن شيوخه - كما تنوعت زماناً وموضوعاً - تنوعت مكاناً؛ يقول  
 الصفدي: «وأنشدني من لفظه الشيخ الإمام العلامة أثير الدين أبو حيان الأندلسي  
 للسلطان أبي عبد الله محمد بن السلطان الغالب بأمر الله أبي عبد الله محمد بن  
 يوسف بن نصر الخزرجي يُعرف بابن الأحمر ملك الأندلس قال: رأيته مراراً  
 بغرناطة وأنشدته شعراً، وحضرت عنده إنشاد الشعر، وكان رجلاً جميلاً حسن  
 السياسة متظاهراً بالدين:

أَيَا رَبَّةَ الْفُرْطِ الَّتِي حَسَنْتُ هَتَكِي      على أي حال كان لا بد لي منك  
 فَلِمَا يَذُلُّ وَهُوَ أَلْيَقُ بِالْهَوَى      وإما بعزٍّ وهو أليقُ بالملك (٢)

وهذا النص نفيس لأنه يدل على ما كان عليه سلاطين المسلمين وأماؤهم في  
 العصور الخالية من حرص على الثقافة وولع بالعلم والأدب وتذوق للجمال الحسي  
 والجمال المعنوي، وتغنُّ بمباهج الحياة، ومشاركة رعاياهم في ذلك.

(١) الغيث المسجوم: ج ٢، ص ٤٢٦.  
 (٢) السابق نفسه: ص ٣٦٩.



٢٩- قاضى القضاة أحمد بن صصرى الثعلبى وقد أورد الصفدى له بيتا واحدا يذكر أنه سمعه ضمن أبيات له أنشدته إياها بعض الأفاضل يقول: «وأنشدنى بعض الأفاضل لقاضى القضاة نجم الدين أحمد بن صصرى الثعلبى أبياتا منها:

وما لى أنصار سِوى فيضٍ أدْمعى إذا باتَ من أهواه وهو مهْاجِرٌ<sup>(١)</sup>

فهذه قائمة بأسماء تسعة وعشرين علما شكل نتاجهم الفنى جزءا غير يسير من مصادر الشرح، وكان السماع عن شيوخ الأدب والعلم هو الطريق الذى وصل به هذا النتاج الفنى إلى الصفدى، فإذا أضيف إليه ما سمعه من شعر شيوخه وما حكوه له من أخبار، تبين إلى أى مدى كان اعتماد الصفدى على النقل الشفهى فى إقامة صرح موسوعته الأدبية الفريدة.

وغنى عن البيان فى مثل هذا المقام أن نذكر أن مثل هذه الأخبار والأشعار قلما يقع الإنسان عليها مجموعة فى كتاب واحد، ومن ثمَّ كان الكتاب وثيقة أدبية كبرى يجب أن يستعان بها عند تحقيق الأعمال الفنية والأدبية لأهل هذا العصر.

\*\*\*\*\*

### ثانياً: المصادر المكتوبة:

١- وقد رجع الصفدى إلى عدد كبير من المصادر المكتوبة، بيد أنى أحب أن أبدأ الحديث عن هذه المصادر بما اعتمد عليه الصفدى من مؤلفاته هو، حيث ألف الغيث فى آخرىات عمره وبعد أن قطع رحلة طويلة فى العلم استفاد فيها وأفاد، وحصل وقراء، وقيد وألف، ولا بد لى هنا أن أحدد - ما أمكن - زمان تأليف الكتاب حتى أستطيع أن أسير فى بحثى على هدى وبصيرة، وحتى أدلل على صدق ما زعمته؛ فقد وجدت الصفدى يتحدث عن خلفاء المسلمين وحكامهم منذ أول الإسلام، ونقل عن الصولى قوله: «الناس يرون أن

(١) الغيث المسجوم ج ٢، ص ٣٩٥.

كل سادس يقوم بأمر الناس منذ أول الإسلام لا بد أن يُخلع»<sup>(١)</sup> ومضى الصفدي يدل على ذلك بتبع الخلفاء، يعدد خمسة ثم يشير إلى خلع السادس أو موته أو قتله إلى أن قال: «ثم ولي الصالح إسماعيل، ثم الكامل شعبان، ثم المظفر حاجي، ثم الناصر حسن، ثم الصالح صالح، ثم عاد الناصر حسن أدام الله أيامه»<sup>(٢)</sup>.

إذن الصفدي قد ألف كتابه في عهد الناصر حسن بعد أن تولى السلطة للمرة الثانية، ولما كانت سلطنة الناصر حسن الثانية تقع في المدة من عام ٧٥٥هـ إلى عام ٧٦٢هـ، فلنا أن نزعم إذن أن الصفدي قد ألف كتابه في هذه الفترة أي في أواخر العقد السادس وأوائل العقد السابع من عمره، ولما لم يتم الصفدي عقده السابع حيث توفي عن ثمانية وستين عاماً عام ٧٦٤هـ، فقد تبين بما لا يدع مجالاً للشك أن الصفدي قد ألف الغيث في آخر عمره.

وقد جرى الصفدي في تأليف الكتاب على ما تجرى عليه سنة الكتاب والمؤلفين قديماً حيث يستعين الكاتب عادةً في آخر عمره عند تأليف كتاب أو إخراج عمل علمي بما سبق له في هذا الميدان من بحوث ودراسات ومؤلفات، وقد أشار الصفدي إلى عدد من أعماله في ثنايا الغيث المسجّم، وأحال القارئ عليها، وطلب منه الرجوع إليها، وهذه الأعمال هي:

١- التنبيه على التشبيه: فقد عقد في أول الغيث فصلاً عن الهلال في إبداع الشعراء، وازن فيه بين ما قال الطغرائي وابن طباطبا العلوي وابن المعتز العباسي وغيرهم في وصف الهلال، ثم دلف إلى الحديث عن تشبيه الهلال، فذكر أن المقدم فيه تشبيه القرآن العظيم «حيث شبهه بالعرجون القديم، ثم أخذ يعدد ما شبهه به الشعراء» حيث «شبه بحاجب النوى الشائب، وبقلامة الظفر، وبضلع ملقاة في قلاة، وبالصّدع في الزجاج، وبالزورق، وبحرف النون، وبشفرة السكين، وبالنوى، وبالسرج، وبمخلب الطائر، وبناّب الفيل، وبالخلخال، . . .»<sup>(٣)</sup>.

(١) الغيث المسجّم ج ٢ ص ١١٢

(٢) السابق نقه ١١٣/٢.

(٣) الغيث ج ٢، ص ٥٢

ثم أحال قارئه على كتاب «التنبيه» إذا أراد أن يقف على الشواهد على هذه التشبيهات فقال: «وقد ذكرت الشواهد على هذه التشبيهات في مقتضب لي مسعى بانتبيه على التشبيه»<sup>(١)</sup>.

٢- التذكرة الصفدية: ويبدو لي أن الصفدي قد أتم تذكرته هذه قبل شروعه في تأليف الغيث، ودليلي على ذلك أنه أحال القارئ على كثير من أجزائها ولا سيما الجزء الأخير؛ فقد أحال القارئ على جزئها الأول مرة، ثم أحاله على جزئها السابع مرة ثانية، و أحاله على جزئها الثاني عشر مرة ثالثة، ثم في المرة الرابعة أحال القارئ على جزئها الأخير وهو الجزء الرابع عشر.

وقد أتى حديثه عن الجزء الأول من التذكرة في معرض الحديث عن بائية ابن الخيمي التي مطلعها:

«يا مطلباً ليس لي في غيره أرب»<sup>(٢)</sup>.

حيث يقول: «وقد جمعت ما اتفق لابن الخيمي، وابن إسرائيل، والشهاب محمود، والعفيف التلمساني، وصدر الدين بن الوكيل، ولي أنا في معارضة هذه القصيدة، وأودعته في الجزء الأول من التذكرة التي جمعتها»<sup>(٣)</sup>.

وقد أتى حديثه عن الجزء السابع من التذكرة في معرض الحديث عن قصيدة عمارة اليمنى في رثاء أهل القصرين التي أولها:

رَمِيتَ يَا دَهْرُ كَفَّ الْمَجْدَ بِالشَّلَلِ      وَجِيْدَهُ بَعْدَ حُسْنِ الْخَلَى بِالْعَطَلِ

حيث أورد منها بعد هذا المطلع ستة أبيات ثم قال: «وهي طويلة في غاية الحسن مثبتة في الجزء السابع من التذكرة»<sup>(٤)</sup>.

ثم يأتي بعد ذلك الموضع الثالث الذي أحال فيه الصفدي قارئه على الجزء الثاني عشر من التذكرة، وقد كان في معرض الحديث عن كتاب جمال الدين إبراهيم

(١) الغيث المسجم ج ١، ص ٥٢.

(٢) والشطر الثاني من البيت هي: «إليك آل النضى وانتهى الطلب».

(٣) الغيث المسجم ج ١ ص ١٩٤.

(٤) السابق ج ٢ ص ٣٠٦.



الوطواط المسى «فتوى الفتوة ومراة المروة» حيث قال: «وقد وقفت أنا على ذلك الكتاب، و نقلته بخطى وهو فى الجزء الثانى عشر من التذكرة»<sup>(١)</sup>.

ثم نأتى بعد ذلك إلى الموضوع الأخير الذى أشار فيه الصفدى إلى آخر أجزاء هذه التذكرة، وهو الجزء الرابع عشر كما قدّمنا، وقد كان ذلك فى معرض الحديث عن الألفاظ حيث قال: «و كنت قد وقفت على لغز أنشأه المولى الفاضل شرف الدين حسين بن ريان فى المئذنة وهو نثر أنى فيه بأشياء مليحة، وكُلِّفت الجواب عنه، فأجبت عن ذلك، ومن جملة الجواب:

شهادته ما ردها غير كافرٍ      ويقضى بها من كان بالحق قاضيا  
يقول معانى الطب: يا عجبا له      يصح وقد ضمت حشا المراقيا  
وهذا اللغز والجواب أثبتهما فى الجزء الرابع عشر من التذكرة التى جمعتها»<sup>(٢)</sup>.

هذه هى كل المواضع التى نص الصفدى فيها على اسم هذا الكتاب وإفادته منه، إلا أنى أرى أن استفادة الصفدى من هذا الكتاب فى تأليف الغيث أكبر من ذلك بكثير، وأنه حين أشار إلى هذا الكتاب فى هذه المواطن الأربعة قد أغفل الإشارة إليه فى كثير من النقول، وربما كان هذا سهواً، وربما كان هذا عمداً لأن صاحبنا ذكى ولماح، وهو لا يعنيه أن يشير إلى المصدر فى كل مرة يعتمد عليه فيها، فحسبه أن يدل قارئه على المصدر مرة أو مرتين أو ثلاث مرات على أكثر تقدير، ثم على القارئ أن يفتن إلى المصدر كلما تكرر الأخذ منه.

وأستطيع أن أقصر هادى البال أن الصفدى قد اعتمد فى الغيث على الجزء الرابع عشر من التذكرة، ونقل عنه كل النصوص الشعرية التى أوردها لشمس الدين محمد بن دانيال الكحال، حيث انتخب ديوان هذا الشاعر وأثبت مختاراته منه فى هذا الجزء الأخير من التذكرة.

ولعل سائلاً يسأل: ولم هذا الجزم؟ أليس يحتمل أن الصفدى نقل هذه النصوص عن الديوان الذى انتقى منه المختارات التى وضعها فى التذكرة؟

والإجابة عن هذا السؤال سهلة ميسورة، فمن الممكن أن يكون لهذا الاحتمال نصيب من الصحة لو أورد الصفدى فى الغيث أبيانا ليست فى المختارات الموجودة

(١) السابق نفسه ج ٢، ص ٢٥٣ - ٢٥٤

(٢) السابق نفسه ج ٢، ص ٢١٩.

في التذكرة، ولقد طبقت كثيرا من النصوص الموجودة في الغيث على ما انتقاء  
وضعت هذا الجزء الرابع عشر من التذكرة ووجدتها فيها بتمامها، وإن وجدت  
طبعة الحال فروقا في بعض الألفاظ ترجع إلى تصحيف النسخ وتحريفهم عند  
نقح النص وكتابتها، وأستطيع أن أضرب أمثلة على ذلك.

أ- فقد أورد لابن دانيال في الغيث قوله:

مَا عَايَنْتُ عَيْنَيَّ فِي عُنُقَاتِي      أَقْلٌ مِنْ حَظِي وَمِنْ بَخْسِي<sup>(١)</sup>  
قَدْ بَعْتُ عَبْدِي وَحِمَارِي وَقَدْ      أَصْبَحْتُ لَا فَوْقِي وَلَا تَحْتِي

وهذا البيت موجودان بالجزء الرابع عشر من التذكرة الصفدية بالورقة رقم ٥٧  
من النسخة المخطوطة<sup>(٢)</sup>.

ب- كما أورد له قوله:

أَنَا لَا أَكَلِّمُ وَاصِبِيَا      إِلَّا بِإِذْنِ مَنْهُ يُمْلِكُ<sup>(٣)</sup>  
شَرَطِي شِفَاءَ الْهَالِكِينَ مِنْ      نِ الْأَذَى وَالشَّرُّطُ أَمْلِكُ

وهذان البيتان موجودان أيضا بالجزء الرابع عشر من التذكرة وبالورقة رقم ٤٩  
من النسخة المخطوطة<sup>(٤)</sup>.

ج- وكذا أورد له قوله:

كَمْ قَبِيلَ لِي إِذْ دُعِيتُ شَمْسًا      لَا بُدَّ لِلشَّمْسِ مِنْ طُلُوعٍ<sup>(٥)</sup>  
فَكَانَ ذَلِكَ الطُّلُوعُ دَائِمًا      يَرْقَى إِلَى السُّطْحِ مِنْ ضُلُوعِي

وهذان البيتان موجودان بالورقة رقم ٧٩ من الجزء الرابع عشر من التذكرة،  
وهذا من النسخة المخطوطة<sup>(٦)</sup>.

(١) الغيث المجمع ج ١ ص ١٤٥ ، ص ١٤٦ .

(٢) التذكرة الصفدية لصالح الدين الصفدي الجزء الرابع عشر مخطوط بدار الكتب المصرية رقم  
٤٢٠ أدب .

(٣) الغيث المجمع ج ١ ص ٢٠٨ .

(٤) التذكرة الصفدية ورقة رقم ٤٩ . ج ١٤ .

(٥) الغيث المجمع ج ١ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٦) التذكرة الصفدية مخطوط ج ١٤ ورقة ٧٩ .

وأرى أن هذه الأمثلة الثلاثة كافية لإيضاح الفكرة، وقد أضربت عن مطابقة ما تبقى من نصوص على ما هو موجود بمخطوطة التذكرة لما في أكثرها من فحش لا يتسيفه الذوق العام.

### ٣- فض الختام عن التورية والاستخدام: -

وهذا كتاب ثالث من كتب الصفدي التي اعتمد عليها، ونقل عنها، وأحال القارئ عليها في الغيث المسجم، وذلك في معرض الحديث عن نقل أبي الحسين الجزار لمعنى كلمة الراح من الخمر في بيت أبي نواس الى جمع راحة وهي اليد حيث قال: «وقد ذكرت لهذا نظائر في كتابي المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام؛ فمن أراد الوقوف على ما يهز عطفه ويخلب لبه فليقف عليه هناك» (١).

وقد ذكره في موضع آخر وأحال القارئ عليه فقال: «وقد وضعت كتاباً وسميته بفض الختام عن التورية والاستخدام أوضحت فيه هذين النوعين؛ فمن أراد الوقوف على ذلك فلينظره لعله يظفر منه ببعض مراده» (٢).

### ٤- جنان الجناس:

وقد أخذ الصفدي عن هذا الكتاب، ونصّ على ذلك مرتين، وأخذ عنه مرة ثالثة دون أن ينصّ على ذلك، أما أولى المرتين اللتين نصّ فيهما على اسم الكتاب فقد كانت في معرض الحديث عن قول أبي الفتح البستي:

عَوَّلَ عَلَى رَأْيِهِ إِذَا حَزَبْتَ      نَائِبَةً مِنْ نَوَائِبِ الزَّمَنِ  
فَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَعْقِلٌ أَشَبَّ      كَرَائِهِ مِنْ كَرَائِهِ الْمُحَنِ

حيث قال: «هذان الجناسان اللذان في هذين المقطوعين من أنواع الجناس المرفوع وهو أن يكون أحد ركني الجناس مركباً من جزأين أولهما حرف من حروف المعاني، وقد ذكرت ذلك مستوفى في كتابي المسمى جنان الجناس» (٣).

(١) الغيث المسجم ج٢ ص ٥٠.

(٢) السابق نفسه ج٢ ص ٣٠.

(٣) السابق ج١ ص ٧٧.

وأما المرة الثانية التى نص فيها على اسم هذه الكتاب فقد كانت فى معرض الحديث عن الجنس المعنوى حيث قال: «وهذا النوع استدركه المتأخرون، وهو عندى باطل لأن هذا الباب إذا فتحناه كان غالب الشعر جناساً معنوياً، وقد ثبت القول على هذا فى مكانه من كتابىسمى جنان الجنس»<sup>(١)</sup>.  
وأما الموضوع الذى نقل فيه عن جنان الجنس دون أن يشير إلى ذلك فقد كان هذا الحديث عن القلب حيث أورد قول الشاعر.

رَقَّتْ شَمَائِلُ قَاتِلِي      فَلِذَاكَ رُوْحِي لَا تَقْـرُ  
رَدَّ الْحَبِيبُ جَوَابَهُ      فَكَأَنَّهُ فِي اللَّفْظِ دُرُّ

ثم قال «وسميت أنا هذا النوع مجنح القلب، وفى هذه التسمية تورية مطبوعة، وقد فكرت فى هذين البيتين فوجدت الكلمة الأولى ثلاثية والثانية ثنائية فقلت: لو تفقت الكلمتان فى العدد لكان أكمل فى الصناعة فامتحننت الخاطر بنظم شيء فى هذا النوع كاملاً ففتح الله علىَّ بالمطلوب عاجلاً فقلت فى الوزن والروى:

رَضْتُ فَرُودِي غَادَةً      مَا كُنْتُ أَحْسَبُهَا تَضُرَّ  
رَدَّتْ رُسُولِي خَائِبًا      فَمَدَامِي أَبَدًا تُدِرُّ<sup>(٢)</sup>

وهذا الكلام مأخوذ بنصه من جنان الجنس<sup>(٣)</sup> مع تصرف يبر فى العرض وكتابة الفكرة.

#### ٥- التعليقة على الحاجةية:-

وهو كتاب من كتب الصفدى النحوية، وقد أحال قارئه على مباحثه خمس مرات فى ثانيا الشرح النحوى لايات اللامية.  
الأولى: عند حديثه عن مسألة العامل وأقوال العلماء فى رافع المتبدأ والخبر حيث قال: «وقد استوفيت هذه المسألة فى تعليق لى على الحاجةية»<sup>(٤)</sup>.

(١) السابق نفيه ج ١، ص ٢٨٥.

(٢) السابق ج ٢، ص ٤٥٧.

(٣) جنان الجنس ص ٧٥.

(٤) القيث المجم ج ١ ص ٦٨.



والثانية: عند الحديث عن اختلاف آراء العلماء في ناصب المفعول به حيث تحدث عن رأى سيبويه في هذه المسألة، كما عرض لمذهب ابن هشام فيها ودحضه، ثم عرض رأى الفراء في هذه القضية، وكذلك عرض رأى الأخفش ووهنه ثم قال: «وقد أثبتت القول على ما يتعلق بهذا في التعليق على الحاجبية»<sup>(١)</sup>.

الثالثة: عند الحديث عن المنوع من الصرف حيث قال: «وبالجملة ففي باب ما لا ينصرف مباحث دقيقة استوفيتها في التعليق على الحاجبية من أول الباب إلى آخره»<sup>(٢)</sup>.

الرابعة: عندما تحدث عن اختصاص الفاعل بالرفع لأوليته وقوته وقلته، واختصاص المفعول بالنصب لتأخيره وضعفه وكثرته؛ حيث عرض هذه القضايا وضرب لها أمثلة توضحها ثم قال: «وهذه المباحث ملخصة مما ذكرته في التعليق على الحاجبية»<sup>(٣)</sup>.

الخامسة: وذلك في معرض الحديث عن حروف النداء حيث ذكرها وبين استخداماتها المختلفة ثم تحدث عن قول النحاة «إن الكلام لا يتركب من اسم وحرف» واعترض على ذلك لأن قولنا يا زيد كلامٌ بإجماعهم وهو يتركب من اسم وحرف، وأخذ يورد آراءهم في هذه المسألة ثم قال: «وقد استوفيت البحث فيه في أول التعليق على الحاجبية»<sup>(٤)</sup>.

#### ٦- مباحث في الواو: -

وهي عبارة عن عدد من البحوث في حرف الواو واستخداماته المختلفة في العربية، قد جمعها المؤلف ورتبها وبوبها ونقل منها فقرات في الغيث ولم يشتملها كاملة وذلك حتى لا يطيل حبل الكلام وقد قال عنها: «ففي الواو مباحث جلية جمعتها في كراسة أضربت عن إثباتها هنا خوفاً من الإطالة»<sup>(٥)</sup>.

(١) السابق نفسه ج ١، ص ٢٣٣.

(٢) السابق نفسه ج ١، ص ٣٠٦.

(٣) السابق ج ٢ ص ١١.

(٤) السابق ج ٢ ص ٣٨٠.

(٥) السابق ج ١ ص ٧١.

ولنا أن نزع أن الصفدي وقد أشار إلى هذه الكراسة قد فعل الشيء الذي  
يفعله أساتذتنا وباحثونا الآن حين يؤلفون بحوثهم وكتبهم؛ فقد يكون لأحدهم  
بحث أو مقالة في موضوع الكتاب المؤلف أو بعض أجزائه ومن ثم فهم يشيرون  
إليها ويحيلون القارئ عليها.

#### ٧- رسالته في البشارة بالنيل: -

وكما كانت مؤلفات الصفدي مصادر استعان بها في تأليف الغيث، كانت  
رسالته الأدبية أيضاً من أهم هاتيك المصادر، ونستطيع أن ندلل على ذلك بهذا  
النص الذي أورده في ثانياً شرحه لمعنى قول الطغرائي «رضى الذليل بخفض  
العيش مَكْنَةً البيت من رسالته التي كتبها في البشارة بالنيل حيث يقول:  
«وكتب أنا في البشارة بالنيل كتاباً جاء منه: «قلو خاصم النيل مِياة الأرض لقال:  
عندي قبالة كل عين إصبع، ولو فاخرها لقال: أنت بالجبال أنقل، وأنا بالملق  
أطبع، والنيل له الآياتُ الكبر، وفيه العجائبُ والعبر، منها وجودُ الوفاء عند عدم  
الصفاء، وبلوغُ الهرم إذا احتدَّ واضطرم، وأمنُ كل فريق إذا قُطع الطريق، وفرحُ  
قُطان الأوطان إذا كسروا الماء كما يقال سلطان، إلى غير ذلك من خصائصه،  
وبرائه مع الزيادة من نقائصه، وهو أنه في هذا العام المبارك جذب البلاد من  
الجذب، وخلصها بذراعه وعصمها بخناده التي لا ترام من تراعه، وحصنها  
بسواري الصواري تحت قلوعه، وما هي إلا عمد تحت قلاعه، ورأى الأدب بين  
أيدينا الشريفة بمطالعنا في كل يوم بخبر قاعه في رقاعه، حتى إذا أكمل الستة  
عشر ذراعاً، وأقبلت سوابق الخيرات سراعاً، وفتح أبواب الرحمة بتخليقه، وجدَّ  
في طلب تخليقه، تضرَّع بمد ذراعه إلينا، وسلَّم عند الوفاء بأصابعه علينا، ونشر  
علم سيره، وطلب لكرم طباعه جهر العالم بكسره، فرسمنا بأن يخلق، ويعلم  
تاريخه هنائه ويعلق، فكسر الخليج وقد كاد يعلوه فوجُ موجه، ويُهيلُ كتيبَ سدِّه  
حول هَيْجِه، ودخل يدوس زرايى الدور المشرقة، ويجوس خلال الخنايا كان له فيها  
خبايا موروثة، ومرق كالسهم من قسى قناطره المنكوسة، وعلاه زيد حركته ولولاه  
لظهرت في باطنه من بدور أناسه أشعتها المعكوسة، وبشر بركة الفيل ببركة الفال،  
وجعل المجنونة من تياره المنحدر في السلاسل والأغلال، وازدحمت في عبارة  
شكره أفواج الأفياء، وملا أكف الرجاء بأموال الأمواه، وأعلم الأقلام بمعجزها

عما يدخل من خراج البلاد، وهنأت طلائعه بالطلائع التي نزلت ببركاتها من الله تعالى على العباد<sup>(١)</sup>.

هذا هو الجزء الذي أورده الصفدي في ثانيا شرحه لبيت الطغرائي «رضى الذليل بخفض العيش مسكنة» من رسالته في البشارة بالنيل ولعله لطوله يدل على أن رسائل الصفدي كانت من أهم المصادر التي اعتمد عليها في تأليف الغيث.

#### ٨- نصرة الثائر على المثل السائر:-

وهذا كتاب من كتب الصفدي النقدية التي رجع إليها في أثناء تأليفه للغيث، وأخذ عنه وأحال القارئ عليه، وهو كما يدل عليه عنوانه في الانتصار لابن أبي الحديد والرد على ضياء الدين ابن الأثير، وتفنيد ما ذهب إليه في كتابه «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر» من آراء.

وما نقله الصفدي من نصوص هذا الكتاب وأورده في تضاعيف الغيث فيه تحامل شديد على ابن الأثير، بل فيه سب صريح له، وقد وقف الصفدي معارضا لأرائه ومخالفا لها، وما عاب ضياء الدين رسالة «ووصلنا حصن كوكب، وهو حيث أورد الصفدي قول القاضي الفاضل من رسالة «ووصلنا حصن كوكب، وهو شيم في سحاب، وعقاب في عقاب، وهامة لها الغمامة عمامة، وأتملة إذا خضبها الأصل كان الهلال لها قلامة<sup>(٢)</sup>» حيث عتب الصفدي على هذا الكلام بقوله: «قلت: ما أحسن هذا التخيل، وألطف هذه الاستعارات<sup>(٣)</sup>» ثم ذكر موقف ابن الأثير منها وردَّ عليه فقال: «وقد عاب ضياء الدين بن الأثير هذا الفصل في المثل السائر وأجبت عنه في كتابي المسمى بنصرة الثائر على المثل السائر<sup>(٤)</sup>».

وفي الجزء الثاني من الغيث أنكر الصفدي على ابن الأثير الكثير، واتهمه بأنه «تصور الخطأ صوابا ثم أخذ يتبجح<sup>(٥)</sup>» وكان ذلك في معرض الحديث عن (أن)

(١) الغيث المسجّم ج ٢ ص ٧٥، ٧٦.

(٢) السابق ج ١ ص ٢٩٥.

(٣) السابق نفسه ص ٢٩٥.

(٤) السابق نفسه ص ٢٩٥.

(٥) السابق ج ٢ ص ١٨٦.

رأى أنها قد تكون مفسرة، وقد تكون زائدة، وقد تكون مصدرية؛ حيث تطرق الحديث لتفسير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا...﴾ [يوسف: ٩٦] وأورد رأى ابن الأثير في فهم الآية وكيف أنه أخطأ في فهم معنى (أن)، وأورد كلامه في الضمير بنفسه والاعتداد بها وكيف أنه استطاع أن يصل إلى ما لم يصل النحاة إليه، وعقّب الصفدي على ذلك كله بقوله: «ولابن الأثير من هذه الشاعات على النحاة وغيرهم أشياء أجبت عنها في كتاب نصره الثائر على مثل السائر»<sup>(١)</sup>.



هذا ما اعتمد عليه الصفدي في تحرير الغيث من كتبه ومؤلفاته، وبقي أن أشير إلى أنه كما كانت كتب الصفدي السابقة على الغيث مصدرا من مصادر الغيث كان الغيث نفسه منطلقا انطلق منه الصفدي لتأليف نكت الهميان حيث قال في خطبة هذا الكتاب: «وجرى يوما في بعض اجتماعاتي بجماعة من الأفاضل ذكر فصل استوردت بذكره في شرح لامية العجم ذكرت فيه جماعة من أشراف العيان فقال لي بعض من كان حاضرا: لو أفردت للعيان تصنيفا تخصيهم فيه بالذكر لكان ذلك حسنا، فحداني ذلك الكلام، وهزت عطفى نشوة هذه المدام، على أن عزمتم على جمع هذه الأوراق في ذكر من أمكن ذكره، أو وقع إلى خبره، وسميته نكت الهميان في نكت العيان»<sup>(٢)</sup>.

ب- وقد كان من جملة مصادر الصفدي في تحرير الغيث وتأليفه عدد من الكتب التي ذكر أسماء مؤلفيها ولم يذكر أسماءها، وعدد آخر من الكتب أغفل الإشارة إلى أسماء مؤلفيها مثلما أغفل الإشارة إلى ذكر أسمائها ومن هذه الكتب جميعها ما نقل الصفدي عنه في الشرح، ومنها ما استفاد منه وأرشد إليه دون أن ينقل عنه.

أما تلك الكتب التي ذكر الصفدي أسماء مؤلفيها ولم يذكر أسماءها ونقل عنها بكثرة ومتوعة في موضوعاتها فمنها ما كان في علوم الأوائل كالكيمياء والفلسفة الأرسطية فعند الحديث في أول الغيث عن الكيمياء نقل نصا عن ابن باجة الأندلسي دون أن يذكر اسم الكتاب الذي نقل عنه وذلك حيث يقول: «وحكم أبو بكر بن

(١) العتب المسجج ج ٢ ص ١٨٧.

(٢) نكت الهميان ص ٥ خطبة الكتاب.



الصانع المعروف بابن باجة الأندلسي في بعض تعاليقه عن الشيخ أبي نصر الفارابي أنه قال: قد بين أرسطوطاليس في كتبه في المعادن أن صناعة الكيمياء داخلة تحت الإمكان إلا أنها من الممكن الذي يعسر وجوده بالفعل اللهم إلا أن تتفق قرائن يسهل بها الوجود<sup>(١)</sup>.

ومنها ما كان في الأدب؛ فقد نقل نصاً من كتاب أنشاء شهاب الدين محمود في وصف الخيل دون أن يذكر اسم الكتاب كاملاً يقول: «وقرات علي الشيخ الإمام القاضي شهاب الدين أبي النشاء محمود الكاتب كتاباً أنشاء في وصف الخيل جاء منه: لا يستمن داحس في مضماره، ولا تطمع الغبراء في شق غباره، ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره، تسابق يداه مرامي طرفه، ويدرك شوارد البروق ثانياً من عطفه<sup>(٢)</sup>».

ونقل نصاً آخر عن ابن خلكان دون أن يشير إلى اسم الكتاب الذي نقل عنه يقول: «نقلت عن بعض مجاميع القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان قال: أنشدني بعض الأدباء بيتاً في الجمال أبي الحسين الجزار وما عرفت قائله ولا بقية الأبيات المضافة إليه، فقلت لأبي الحسين ذلك، وقلت إن كنت تعرف ذلك فأنشدني إياه وعرفني قائله فقال: وما البيت ؟ فأنشدته:

فليس يرجوه غير كلبٍ      وليس يخشاه غير ثورٍ

فاستحسن ذلك، وجاءني ثاني يوم فقال: قد عملت في ذلك المعنى أبياتاً

وأنشد:

لُ عَنْ قَوْمِي وَعَنْ أَهْلِي	أَلَا قُلْ لِلَّذِي بَنَى
كِرَامِ الْفِرْعِ وَالْأَصْلِ	لَقَدْ تَنَالُ عَنْ قَوْمٍ
مُ فِي حَزْنٍ وَفِي سَهْلٍ	يُرِيقُونَ دَمَ الْأَنْعَامِ
نَ مِنْ بَأْسٍ وَمِنْ بَذْلِ	وَمَا زَالُوا لِمَا يُبْدُو
وَيَخْشَاهُمْ بَنُو عِجْلٍ <sup>(٣)</sup>	يُرَجِّبِيهِمْ بَنُو كَلْبٍ

(١) الغيث المسجم ج١، ص ٢١.

(٢) السابق نفسه ج١، ص ٤١ - ٤٢.

(٣) الغيث المسجم ج١، ص ١٠١.

واقعد نص الصفدي على انتهاء ما نقل من ابن خلكان بقوله: «انتهى ما نقلت»<sup>(١)</sup>.

ومنها ما كان في الدين فقد نقل نصا في تفسير معنى الروح عن مصنف لكمال الدين بن الزملكاني حيث يقول: قال الشيخ الإمام العالم العلامة كمال الدين محمد بن الزملكاني في مصنف له: قال القاضي عياض ما معناه: اختلف الناس في الروح اختلافاً كثيراً لا يكاد ينحصر<sup>(٢)</sup>.

وإذا كنا قد رأينا الصفدي يحدد نوع مصدره بقوله: «في بعض تعاليقه» أو بقوله: «في مصنف له» فإنه في بعض المواضع يذكر المؤلف والمعلومة دون أن يحدد مصدرها ودون أن يبين نوعه أو حتى يشير إليه، كأن يقول مثلاً: «وقد رأيت للشيخ جمال الدين بن واصل كلاماً على قول البهاء زهير:

يَا مَنْ لَعِبَتْ بِهِ شُمُولٌ      مَا الْطَفَ هَذِهِ الشُّمَائِلُ

فقال فيها: إنها غير داخلة في أبحر العروض، وتابعه جماعة؛ والصحيح أنها من بحر الوافر»<sup>(٣)</sup>.

فهو هنا قد نقل كلاماً تحدث به الشيخ جمال الدين بن واصل، وزعم أنه رأى هذا الكلام مكتوباً فأين وجده ورآه؟ والأغرب من هذا والأعجب أنه ينقل عن مصادر أدبية فيما يزعم دون أن يذكر أسماءها ودون أن يذكر أسماء أصحابها كأن يقول مثلاً: «رأيت في بعض المجاميع الأدبية أن السلطان صلاح الدين قال يوماً للقاضي الفاضل: لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف، امض إليه وتنفذ أحواله. فلما دخل القاضي الفاضل إلى دار العماد وجد أشياء أنكرها في نفسه مثل آثار مجلس أنس وطيبة ورائحة خمر وآلات طرب، فأشده:

مَا نَاصَحَتَكَ خَبَايَا الْوَدِّ مِنْ رَجُلٍ      مَا لَمْ يَنْلِكَ بِمَكْرِهِ مِنَ الْعَذَلِ  
مَحَبَّتِي فِيكَ تَأْتِي أَنْ تُسَامِحَنِي      بَأَنَّ أَرَاكَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الزُّكْلِ

(١) الفيت ج١، ص ١٠١.

(٢) السابق ج٢، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٣) السابق ج١، ص ٥٦، ٥٧.

فلما قام من عنده خرج العمادُ عن كل ما كان فيه ولم يَعدْ إلى ذلك البتة<sup>(١)</sup>.

وفى موضع ثان يأتى الحديث أكثر تحديدا فيقول: «رأيت فى بعض المجاميع لبعض المغاربة:-

لستُ وجيهاً لدى إلهي      هذا مَدَى دَهْرِي اعتقادي  
لو كنتُ وجيهاً لما براني      فى عالم الكَوْنِ والْفَادِ<sup>(٢)</sup>

ج- والكتب التى أشار إليها واستفاد منها ولم يذكر أنه نقل عنها مباشرة كثيرة أيضا ومتعددة فى موضوعاتها وفنونها، ومنها ما أشار إلى أسماء مؤلفيها، ومنها ما أغفل الإشارة إلى أسماء مؤلفيها. وأول هذه الكتب رسالة يعقوب الكندي فى إبطال دعوى الذين يدعون صنعة الذهب و الفضة، وقد ذكر الصفدى هذه الرسالة فى أول الغيث، وقد وصفها بقوله: «جعلها مقالتين يذكر فيهما تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وجهلهم<sup>(٣)</sup>». ووصف الصفدى الآثار التى أحدثتها هذه الرسالة فى الأوساط العلمية وقتذاك فقال: «ورد عليه أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ردًا غير طائل<sup>(٤)</sup>». ولعل فى هذا الكلام ما يشير إلى قراءة الصفدى لهذه الرسالة ولِردِّ الرازى عليها.

وثانى هذه الكتب كان فى شرح لامية العرب للشنفرى الشاعر الجاهلى الصعلوك فقد عقد الصفدى فى أول الغيث فصلاً عن لامية الطغرثانى وسبب تسميتها بلامية العجم وهو مضاهاتها للامية الشنفرى المسماة بلامية العرب ثم قال: «ورأيت لها شرحاً حسناً تام المقاصد كثير الفوائد، وهو مجلد جيد<sup>(٥)</sup>».

ولا شك عندى أن الصفدى قد قرأ هذا الشرح ووقف على ما به من علم وفن وأعجب بما جمع فيه مؤلفه من أخبار وأشعار وذلك لأنه وصفه بالحسن وكثرة الفوائد، ولقد أذهب إلى أبعد من ذلك فأزعم أنه من الممكن أن يكون الصفدى قد تأثر بهذا الكتاب وهو يؤلف الغيث.

(١) الغيث المجمع ج١، ص ١٥٥.

(٢) الغيث المجمع ج١، ص ٢٣٩.

(٣) السابق نفسه ج١، ص ٢٢.

(٤) السابق نفسه ج١، ص ٢٢.

(٥) السابق نفسه ج١، ص ٢٧.

ولم يعطنا الصفدي أية إشارة تتعرف بها على هذا الكتاب وصاحبه، وليس من جملة مصادر شرحه الأدبية أى كتاب فى لامية العرب أو شرحها الأمر الذى يجعل من محاولة التكهّن بهذا الكتاب، والتعرف عليه ضرباً من البحث عن السحبل.

وثالث هذه الكتب كان موضوعه ذكاء إياس بن معاوية، فقد عقد فصلاً فى أول الغيث تحدث فيه عن إياس وعن توليه قضاء البصرة فى عهد خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز وعن ذكائه وفطنته ثم قال: «وقد جمع بعضهم مجلداً فى ذكاء إياس بن معاوية<sup>(١)</sup>».

ويبدو لى أن الصفدي لم ير هذا المجلد وبالتالي لم يأخذ عنه شيئاً، وإنما دل القارئ عليه فحسب لأن الصفدي عودنا على منهج واضح وثابت يلتزمه من أول الكتاب إلى آخره فعندما يرى كتاباً يقول: (ورأيت)، وعندما ينقل عن كتاب يقول (ونقلت)، وعندما يسمع اسم كتاب يقول (وسمعت)، وهو هنا لم يقل شيئاً من هذا القبيل، وما حكاة لا يعدو أن يكون روايةً لخبر مشهور، فقد كانت العرب تضرب المثل بذكاء إياس وفطنته، وقطعاً كان هذا الذكاء وكانت هذه القطة ينبوعاً ثرا لمن يريد أن يجمع نوادره، وقد عقد كثير من العلماء فصولاً لذكاء إياس ضمنوها كتبهم المشهورة كما فعل الجاحظ فى الجزء الأول من البيان والتبيين<sup>(٢)</sup> على سبيل المثال، وما رواه الصفدي فى الغيث عن إياس وذكائه إنما هو من قبيل رواية الأمور المشهورة بين الناس.

ورابع هذه الكتب كان معجماً لغوياً جمع فيه صاحبه أسماء أعضاء الرجال والنساء على حروف المعجم وقد كان معرض الحديث عن هذا الكتاب عند الشرح اللغوى لعنى كلمة الكف فى قول الطبراني «صفر الكف منفرد» حيث استطرد الصفدي ليذكر أسماء أعضاء الإنسان التى يبدأ كل واحد منها بحرف الكاف ثم قال: «وقد

(١) السابق فـه جـ ١، ص ٨٤.

(٢) البيان والتبيين لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق عبدالسلام محمد هارون الجزء الأول مكتبة الخانجي مصر الطبعة الرابعة سنة ٧٥ من ص ٩٨ إلى ص ١٠١.



رأيت أنا مجلداً لم أعرف اسم مصنفه قد جمع فيه أسماء أعضاء الرجال والنساء على حروف المعجم<sup>(١)</sup>.

وفي هذا الموضوع دل على كتابين آخرين في هذا المجال أحدهما لابن خالويه حيث قال: «ويقال إن ابن خالويه وضع مسألة سماها الأنطاكية اشتملت على ثلاثمائة عضو من أعضاء الإنسان أول كل كلمة منها كاف<sup>(٢)</sup>» وثانيهما لم يذكر اسم مؤلفه حيث قال: «وأذكر أني وقفت على فصل فيه تسمية أعضاء الإنسان بأسماء وحروف المعجم من أولها إلى آخرها<sup>(٣)</sup>».

ولا أستبعد أن يكون الصفدي قد استفاد من هذين الكتابين اللذين رأهما ونقل عنهما شيئاً مما ذكره في هذا الباب، ولم يُعطنا الصفدي أية إشارة نتعرف بها على هذين الكتابين وصاحبيهما مما يجعل التكهن بهما أمراً صعباً.

وخامس هذه الكتب كان في علم المناظر وهو كتاب ابن الهيثم يقول الصفدي: «ولابن الهيثم فيه كتاب جليل رأيته في سبع مجلدات<sup>(٤)</sup>» وقد ذكر الصفدي هذا الكتاب في معرض حديثه عن كذب الحس وغلطه، ولعلني لا أعدو الصواب إذا ادعيت أن الصفدي قد أُتيحت له الفرصة لقراءة هذا الكتاب والوقوف على ما به من بحوث لأنه وصفه بأنه جليل.

وسادس هذه الكتب كان في موضوع من أطرف موضوعات الموازنات الأدبية وهو المفاضلة بين الورد والترجس فقد تحدث عن ابن الرومي ومخالفته للقياس، وتقبيحه للحسن وتحسينه للقيبح، وقد جره هذا للحديث عن تفضيله للرجس على الورد ثم نقل كثيراً من شعر الفحول في تفضيل الورد على الترجس ثم قال: «وقد وضع بعضهم كتاباً في المفاضلة بين الورد والرجس لأن الشعراء أولعوا بذلك فأطالوا وأطابوا، والمفاضلة بينهما ممكنة<sup>(٥)</sup>»، ثم دلف من الحديث عن المفاضلة بين الورد والرجس إلى الحديث عن مصنفات الأدباء في المفاخرة بين السيف والقلم،

(١) الغيث المسجم ج١ ص ١٢٧.

(٢) السابق نفسه ج١، ص ١٢٧.

(٣) السابق نفسه ج١، ص ١٢٨.

(٤) السابق نفسه ج١، ص ١٤٣.

(٥) السابق ج٢ ص ٢٦٨.

والدرهم والدينار وغيرها فقال: «كما صنف الفضلاء مفاخرة السيف والقلم، ومفاخرة الدرهم والدينار، ومفاخرة البخل والكرم، ومفاخرة مصر والشام، ومفاخرة الشرق والغرب، ومفاخرة العرب والعجم، ومفاخرة النظم والنثر، ومفاخرة الجوارى والمردان، إذ كل ذلك يمكن فيه الإتيان بالحجة للجانبين، وأما مفاخرة المسك والرماد فما للعقل في ذلك مجال، وما عسى البليغ أن يقول في الرماد إذا فاخر المسك، وللجاحظ في ذلك رسالة بديعة»<sup>(١)</sup>.

ولا أعتقد أن الصفدي قد فاتته قراءة هذه المصنفات التي تحدث عنها؛ فهذا الحصر الدقيق لموضوعات المفاخرات في الأدب العربي من جهة ووصفه لرسالة الجاحظ بالجمال والروعة الفنية من جهة أخرى دليلان يرجحان قراءة الصفدي لرسالة الجاحظ خاصة وسائر الرسائل الأخرى عامة.

وسابع هذه الكتب في موضوع عجيب حقاً، فقد كان يتحدث عن المشهور بين الأدباء فقال: «وما اشتهر بين الأدباء قولهم: أخف من دينار يحيى... وشرطة وهب»<sup>(٢)</sup> وذكر نصين شعريين أحدهما لابن الرومي وثانيهما لابن قلاص في شرطة وهب ثم قال: «ولأحمد بن أبي طاهر مصنف في الاعتذار عن شرطة وهب»<sup>(٣)</sup> وامتد الحديث عن شرطة وهب بعد أن دلنا على هذا المصنف صفحتين كاملتين مما يدل على أنه من الممكن أن يكون الصفدي قد استفاد شيئاً من هذا الكتاب ضمنه هذا الحديث الطويل.

وأرأى في هذا المقام أشير إلى اطلاع الصفدي الواسع على ما كتبه العلماء في السيرة النبوية الشريفة، وفي شمائله عليه السلام، وعلمه بمناهجهم في تناول هذه الموضوعات وإرشاراته إلى بعض الكتب التي تعد من أجود ما صنف في هذا الباب وهذا كله أوحاه إلى قوله بعد أن تحدث عن بعض صفاته عليه السلام حيث قال: «قد دون الناس جملة من صفاته وشمائله، ووضعوا كتباً كأنها رياض تتأرجح سمات سماته، وأودعوها نكتاً بدورها في التمام، ورصعوها جواهر تروق في التأليف والانتظام،... وبوبوا ورثبوا، وهذبوا وذهبوا، وذكروا ونصوا،

(١) الفئح المسجم ج٢، ص ٢٦٨.

(٢) السابق نفسه ج٢، ص ١٠٥.

(٣) السابق نفسه ج٢، ص ١٠٦.

وخبروا وقصوا، وحبروا وديجوا، وحكوا الصحيح وماروجوا، . . . . . فما كتاب  
القاضي عياض إلا رياض، ولا الشماثل إلا خمائل، ولا كتاب الدلائل، إلا  
فوائد جلائل، ولا الشهاب إلا مطفى التهابة<sup>(١)</sup>.

وكل هذا التقريظ والثناء على هذه الكتب ومناهجها يدل دلالة ظاهرة على  
قراءة الصفدي لها وتأثره بها واستفادته منها في كل ما أورده عن النبي ﷺ  
وحياته وغزواته وأخلاقه ومعاملاته في الغيث.

وتفرض الأمانة العلمية على الصفدي أن يشير إلى مؤلفات الآخرين حتى ولو  
لم يرها، وقد فعل الصفدي ذلك مرتين الأولى عندما ذكر بيتي شهاب الدين أبي  
جلنك:

لِلَّهِ بِسْمَانٌ حَلَلْنَا دَوْحَهُ      فِي جَنَّةٍ قَدْ فَتَّحَتْ أَبْوَابَهَا  
وَالْبَانُ تَحَبُّهُ سَنَانِيرًا رَأَتْ      قَاضِي الْقِضَاةِ فَنَفَّشَتْ أُذُنَابَهَا

ثم قال: «قيل إن الشيخ بدر الدين بن مالك أملى عليهما كراسة في البديع ولم  
أرها»<sup>(٢)</sup>.

والثانية عند الحديث عن المعتزلة ومبادئهم حيث أورد أبيات الشافعي:

مَا شِئْتَ كَانَ وَإِنْ لَمْ أَشَأْ      وَمَا شِئْتُ إِنْ لَمْ تَشَأْ لَمْ يَكُنْ  
خَلَقْتَ الْعِبَادَ لِمَا قَدْ عَلِمْتَ      فِي الْعِلْمِ يَجْزِي الْفَتَى وَالْمُسْنُ  
فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ      وَمِنْهُمْ قَبِيحٌ وَمِنْهُمْ حَسَنٌ  
عَلَى ذَا مَتَّتَ وَهَذَا خَلَّدْتَ      وَهَذَا أَعْنَتَ وَذَا لَمْ تُعِينَ

ثم قال: «ويلغني أن الإمام فخر الدين شرح هذه الأبيات في مجلدة ولم أرها  
إلى الآن»<sup>(٣)</sup>.

د- الكتب والرسائل المكتوبة بأيدي أصحابها وخطوطهم:

وقد أثرى الصفدي الغيث بكثير من النصوص التي أخذها عن مصادر مكتوبة

(١) الغيث ج١، ص ٢٧٤.

(٢) السابق نفسه ص ٤٧.

(٣) السابق ج٢، ص ٥٣.

بأيدي أصحابها، وحينما نظرت في هذه المصادر وجدت أكثرها مخطوطاً لم ينشر إلى الآن، وتنوع هذه المصادر تنوعاً كبيراً؛ فمنها الديوان الشعري كديوان السراج الوراق، وديوان مجير الدين محمد بن تميم، وديوان شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني، وديوان عبدالصمد بن يابك، ومنها الكتاب التاريخي كمجاميع شمس الدين بن خلكان، ومنها رسائل تبادلها علماء العصر وكتابه بعضهم مع بعض؛ كالرسائل التي تبادلها الصفدي مع أستاذه وشيخه جمال الدين بن نباتة.

قائمة بأسماء العلماء والأدباء الذين نقل الصفدي عن أصول كتبهم المكتوبة بأيديهم في الشرح:-

- ١- سراج الدين الوراق<sup>(١)</sup>.
- ٢- مجير الدين محمد بن تميم<sup>(٢)</sup>.
- ٣- شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني<sup>(٣)</sup>.
- ٤- القاضي محيى الدين بن عبدالظاهر<sup>(٤)</sup>.
- ٥- علاء الدين الكندي الوادعي<sup>(٥)</sup>.
- ٦- القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان<sup>(٦)</sup>.
- ٧- عماد الدين بن القيراني<sup>(٧)</sup>.
- ٨- ناصر الدين حسن بن النقيب<sup>(٨)</sup>.

(١) الفيت المسجم ج ١ ص ٤٦، ص ٥٨، ص ٦٣، ص ٧٢، ص ٧٣، ص ١٢٢، ص ١٤٥، ص ١٤٦، ص ١٥٠، ص ١٥٩، ص ١٦٠، ص ١٩٦، ص ٢٤٨، ص ٢٦٤، ص ٢٦٥، ص ٣٦٣، ج ٢ ص ١٢٧، ص ١٤٦، ص ٢٠٦، ص ٢٢٠، ص ٢٣٩، ص ٢٤١، ص ٢٦٦، ص ٣٥١، ص ٣٥٢.

(٢) السابق نفسه ج ١ ص ٤٨، ص ١٢٢، ص ١٩٤، ص ٢٠٢، ص ٢٩٨، ج ٢ ص ٤٠، ص ٧٠، ص ٢٦٨، ص ٤١١.

(٣) السابق نفسه ج ١ ص ١١٩، ص ١٣٧، ص ٢٠٣، ص ٢٦٥، ص ٢٨٩، ص ٣٢٥، ج ٢ ص ٢٢، ص ١٦٢، ص ٢١٧، ص ٤٣٢.

(٤) السابق نفسه ج ١ ص ٢٤٣، ص ٢٧٥، ص ٣٠٢، ص ٣٩٥، ص ٤٣٩، ج ٢ ص ٢١، ص ١٣٩، ص ٢٠٣، ص ٢٠٦، ص ٣٧٦، ص ٣٨٧، ص ٤٥٥.

(٥) السابق نفسه ج ١ ص ١٣٣، ص ٤٣٢، ج ٢ ص ٧٤، ص ٢٠٨، ص ٣٣٩، ص ٤٥٦.

(٦) السابق نفسه ج ٢ ص ٢٦، ص ١١٨، ص ١٣٤، ص ١٤٤، ص ٢١٨، ص ٤٣١.

(٧) السابق نفسه ج ١ ص ١٦٩، ص ٣٨٥، ج ٢ ص ٤١، ص ٩٤.

(٨) السابق نفسه ج ١ ص ٢٤٩، ج ٢ ص ١٢٩، ص ١٣٠، ص ٢٣٨.



٩- المولى جمال الدين محمد بن نباتة<sup>(١)</sup>.

١٠- الفقيه كمال الدين أبو العباس أحمد بن سليمان بن إبراهيم الطوخى الشافعى<sup>(٢)</sup>.

١١- ابن خروف النحوى<sup>(٣)</sup>.

١٢- القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود<sup>(٤)</sup>.

١٣- القاضى زين الدين عمر بن الوردى<sup>(٥)</sup>.

١٤- المولى بهاء الدين أبو بكر بن غانم<sup>(٦)</sup>.

١٥- على بن ظافر<sup>(٧)</sup>.

١٦- المولى صفى الدين الحلى<sup>(٨)</sup>.

١٧- الإمام فتح الدين بن سيد الناس اليعمرى<sup>(٩)</sup>.

وإذا كان الصفدى قد نص على أنه أخذ ما روى فى الغيث عن خط هؤلاء العلماء فإنه أحياناً يخالف هذا النظام، وينقل نصوصاً ولا يذكر اسم العالم أو الأديب الذى نقلها من خطه؛ كأن يقول «وما أحسن ما نقلت من خط بعض الفضلاء»:

بدا لى فى خلق الحواجب فتنة	فقلتُ بعقلٍ ذاهلٍ فيه ذاهبٍ
حببى بحنِّ الله قل لى ما الذى	دعاك إلى هذا فقال مجاوبى
وَعَدْتُ بِوَصْلِي لِلْعَاشِقِينَ تَعْظُفًا	فلم يشقوا واسترهنوا قوسَ حَاجِبِي <sup>(١٠)</sup>

وهو هنا لم يحدد الأديب الذى نقل من خطه هذا النص أو هذه الآيات ومن ثم

(١) السابق نفسه ج ٢ ص ٤٠٧، ص ٤٢٩، ص ٤٦١.

(٢) السابق ج ١ ص ٦٢.

(٣) الغيث المجمع ج ١ ص ٣٨٧، ج ٢ ص ٣٩٤.

(٤) السابق ج ١ ص ٣٢٨، ص ٣٨٧.

(٥) السابق ج ١ ص ٣٨٢، ج ٢ ص ١٢٠.

(٦) السابق ج ٢ ص ١٧٦.

(٧) السابق نفسه ج ٢ ص ١٩٠.

(٨) السابق ج ٢ ص ٢٠.

(٩) السابق نفسه ج ٢ ص ١٧٠.

(١٠) السابق نفسه ج ٢ ص ٣٤٧.

فقد أصبحت هذه الأبيات مجهولة النسبة مثلها في هذا مثل عدد كثير جدا من الأشعار التي أوردها في الغيث دون أن ينسبها إلى أصحابها، فقد تعود الصفدي أن يقول: «وانشدت». قول القائل»<sup>(١)</sup> وكثيرا ما يقول: «وما أحسن قول القائل»<sup>(٢)</sup> ويقول: «وقال الآخر»<sup>(٣)</sup> أو «وقال آخر»<sup>(٤)</sup> دون أن يحدد القائل، ومن ثم تبقى الآثار الشعرية دون نسبة إلى أصحابها، وهو في هذا يجرى على نمط أهل عصره في التأليف والكتابة وجمع الآثار الأدبية؛ إذ كانوا كثيرا ما يستخدمون مثل هذه التعبيرات المبهمة التي لا تشير إلى صاحب النص الأدبي، ولقد قمت بعمل إحصاء للنصوص الشعرية التي وردت في الغيث بجزأيه دون أن ينسبها إلى أصحابها فكان مجموعها ٦٢٧ نصا كان نصيب الجزء الأول منها ٣٠٨ ونصيب الجزء الثاني ٣١٩ نصا.

### الكتب المشهورة<sup>(٥)</sup>:

وقد اعتمد الصفدي على عدد كبير من الكتب المشهورة، وقد بلغ عدد هذه الكتب ثمانية وتسعين كتابا وتنوعت تنوعا كبيرا في موضوعاتها؛ حيث كان منها الكتاب الأدبي، والكتاب اللغوي والكتاب التاريخي، والكتاب النحوي، والكتاب الديني، والكتاب النقدي، والكتاب البلاغي، وسوف أورد في الصفحات الآتية قوائم بأسماء هذه الكتب، وسأحيل في الهوامش إلى أرقام الصفحات التي استعان فيها الصفدي بهذه الكتب<sup>(٥)</sup>.

### أ- مصادر الشرح الأدبية:-

١- خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني الكاتب<sup>(٦)</sup>.

٢- الاغانى لأبى الفرج الاصفهاني<sup>(٧)</sup>.

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ٢٤ على سبيل المثال.

(٢) السابق نفسه ج ١ ص ٣٨ على سبيل المثال.

(٣) يراجع على سبيل المثال السابق نفسه ج ١ ص ٩٩، ٢٨.

(٤) يراجع على سبيل المثال السابق نفسه ج ١ ص ١٢٩.

(٥) أعنى بكلمة «المشهورة» المعروفة ذاتة الشهرة بين يدى الأدباء وبعض هذه الكتب نشر حديثا ثرات محققة وأخرى غير محققة وبعضها لا يزال مخطوطا.

(٥) لقد رتب الكتب في هذه القائمة وما يليها من قوائم حسب ورودها في الغيث واستفادة الصفدي منها.

(٦) يراجع على سبيل المثال الغيث المسجم ج ١ ص ١٧.

(٧) يراجع على سبيل المثال السابق ج ١ ص ٢٥، ص ٩٩، ص ٢٣٥، ص ٣٣٣، ص ٣٩٠، ص ٤٤٨ ج ٢ ص ١٧٩، ص ٢١٥، ص ٢٢١، ص ٤٠٢، ص ٣٦٧.

- ٣- رسالة الغفران لأبي العلاء المعري<sup>(١)</sup>.
- ٤- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام<sup>(٢)</sup>.
- ٥- أسنى المنائح في أهني المدائح لشهاب الدين أبي الشاء محمود<sup>(٣)</sup>.
- ٦- اختيار شعر مسلم بن الوليد للمخالدين<sup>(٤)</sup>.
- ٧- التذكرة لابن حمدون البغدادي<sup>(٥)</sup>.
- ٨- منح المدح لابن سيد الناس اليعمرى<sup>(٦)</sup>.
- ٩- بشرى اللبيب بذكرى الحبيب لابن سيد الناس اليعمرى<sup>(٧)</sup>.
- ١٠- الألفية في الألفاظ المخفية لغرس الدين أبي بكر الإبريلي<sup>(٨)</sup>.
- ١١- كتاب الأذكياء لابن الجوزي<sup>(٩)</sup>.
- ١٢- كتاب طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي<sup>(١٠)</sup>.
- ١٣- مصارع العشاق لأبي محمد جعفر بن أحمد بن السراج<sup>(١١)</sup>.
- ١٤- المجلس والآنيس لأبي الفرج المعافى بن زكريا<sup>(١٢)</sup>.
- ١٥- شرح المقامات للمسعودي<sup>(١٣)</sup>.
- ١٦- كتاب الأزمنة للمبرد<sup>(١٤)</sup>.
- ١٧- ديوان ابن الفارض<sup>(١٥)</sup>.
- ١٨- مقامات بديع الزمان<sup>(١٦)</sup>.
- ١٩- رسالة ابن عبد الظاهر في بشارة النيل<sup>(١٧)</sup>.
- ٢٠- المطارحة لابن أياز النحوي المتوفى ٦٨١ هـ<sup>(١٨)</sup>.

- (١) يراجع على سبيل المثال السابق نفسه ج ١ ص ٢٩.
- (٢) يراجع السابق ج ١ ص ١١٣.
- (٣) يراجع السابق ١/ ١١٤.
- (٤) السابق نفسه ج ١ ص ٢٣٥، ج ٢ ص ٢٧٨، ص ٣١٨.
- (٥) السابق ج ١ ص ٢٤٥.
- (٦) السابق ج ١ ص ٢٧٦.
- (٧) السابق ج ١ ص ٢٧٦.
- (٨) السابق ج ١ ص ٢٨٤.
- (٩) السابق ج ١ ص ٣٩٠، ج ٢ ص ٤٠٤.
- (١٠) السابق ج ١ ص ٤٣٠.
- (١١) الغيث المسجم ج ١ ص ٤٣٠.
- (١٢) السابق ج ١ ص ٣٤، ج ٢ ص ١٢٣، ص ١٣٣، ص ١٦٥.
- (١٣) السابق ج ١ ص ٨٣، ص ٨٤، ج ٢ ص ٢٠١.
- (١٤) السابق ج ٢ ص ٥٩.
- (١٥) السابق ج ٢ ص ٦٤.
- (١٦) السابق ج ٢ ص ٦٨.
- (١٧) السابق ج ٢ ص ٧٥.
- (١٨) السابق ج ١ ص ٨٧، وراجع كشف الظنون ٢/ ١٧١٤.

- ١٠- العقد الفريد لأبي عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي<sup>(١)</sup>.
- ١١- روائع الوقائع لأسعد بن محماتي<sup>(٢)</sup>.
- ١٢- رسالة ابن سينا في العشق<sup>(٣)</sup>.
- ١٣- كتاب الحلى للأصمعي<sup>(٤)</sup>.
- ١٤- لأجوبة المسكنة لابن عبد ربه<sup>(٥)</sup>.
- ١٥- مقامات الحريري<sup>(٦)</sup>.
- ١٦- نظم السلوك في وعظ الملوك لأبي بكر بن اللبانة<sup>(٧)</sup>.
- ١٧- مجاني العصر لأثير الدين أبي حيان الغرناطي<sup>(٨)</sup>.
- ١٨- فتوى الفتوة ومرآة المروة لجمال الدين الوطواط<sup>(٩)</sup>.
- ١٩- آمالي ابن الشجري<sup>(١٠)</sup>.
- ٢٠- ديوان الأسعردى<sup>(١١)</sup>.
- ٢١- المستقصى في أمثال العرب لجار الله الزمخشري<sup>(١٢)</sup>.
- ٢٢- المهذب لأبي اسحاق<sup>(١٣)</sup>.
- ٢٣- كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي أبي علي التتوخي<sup>(١٤)</sup>.

(١) الغيث المسجم ج٢ ص ٢٠١.

(٢) السابق ج٢ ص ١٩٥.

(٣) الغيث ٤٢٧/١.

(٤) السابق ج٣ ص ٢٣٥.

(٥) السابق ج٢ ص ٢٣٦.

(٦) السابق ج٢ ص ٢٦٦، ص ٤٥٦.

(٧) السابق نفسه ج٢ ص ٢٩٧ وما بعدها.

(٨) السابق نفسه ج٢ ص ٣٥٣.

(٩) الغيث المسجم ج٢ ص ٣٥٣.

(١٠) السابق نفسه ج٢ ص ٤١٧.

(١١) السابق ج١ ص ٣٣٥ على سبيل المثال.

(١٢) السابق ج٢ ص ٤٣٨.

(١٣) السابق ج٢ ص ٨٩.

(١٤) السابق ٤١٣/٢.



## ب- مصادر الشرح النقدية والبلاغية:

- ١- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ<sup>(١)</sup>.
- ٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير الجزري<sup>(٢)</sup>.
- ٣- المنصف لابن وكيع التنيسي<sup>(٣)</sup>.
- ٤- تعليقة ابن جبارة على شعر ابن سناء الملك<sup>(٤)</sup>.
- ٥- حسن التوسل إلى صناعة التوسل لشهاب الدين أبي السناء محمود<sup>(٥)</sup>.
- ٦- الأتموزج لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني<sup>(٦)</sup>.
- ٧- أسفار الصباح لبدر الدين بن النحوي<sup>(٧)</sup>.
- ٨- أجناس التجنيس لأبي الوفا صادق بن كامل<sup>(٨)</sup>.
- ٩- الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد<sup>(٩)</sup>.
- ١٠- الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري<sup>(١٠)</sup>.

## ج- مصادر الشرح اللغوي والنحوية:

- ١- كتاب الصحاح للجوهري<sup>(١١)</sup>.

---

(١) السابق ج١ ص ٧٤.

(٢) السابق ج١ ص ١٥٧، ص ١٨٥، ص ٢٤٥، ص ٢٤٩، ص ٣٠٥، ص ٣٨٦، ص ٣٨٦، ص ١٨٦، ص ١٨٧ على سبيل المثال.

(٣) السابق ج١ ص ١٨٦، ج٢ ص ١٩ على سبيل المثال، ص ١٣٩.

(٤) السابق ج١ ص ٢٠٩، ص ٤٠١، ص ٤٣٨، ج٢ ص ١٨، ص ٣٠٩، ص ٣٧١ على سبيل المثال.

(٥) السابق ج١ ص ٢٦٢، ص ٢٨٣ على سبيل المثال.

(٦) السابق ج١ ص ٣٨١.

(٧) السابق ج٢ ص ٢٩.

(٨) السابق ج٢ ص ٣٠٢.

(٩) السابق ج١ ص ٣٠٤، ص ٣١٩ على سبيل المثال.

(١٠) السابق نفسه ج١ ص ٣٥٦ ويسميه الصقدي كتاب طبقات الشعراء.

(١١) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٩١، ص ٢٣٤، ص ٣٦٦.

- ١- الحشيب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها لابن جني<sup>(١)</sup>.
- ٢- ذرة الغواص في أوهام الخواص لأبي محمد القاسم بن علي الحريري<sup>(٢)</sup>.
- ٣- التنبيه على حدوث التصحيف للأصفهاني<sup>(٣)</sup>.
- ٤- شرح اللمع للأصفهاني<sup>(٤)</sup>.
- ٥- أسرار العربية لابن الأنباري<sup>(٥)</sup>.
- ٦- التحكم في اللغة لأبي الحسن بن سيده<sup>(٦)</sup>.
- ٧- إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري<sup>(٧)</sup>.
- ٨- خلاصة لجمال الدين بن مالك<sup>(٨)</sup>.
- ٩- المقدمة لجمال الدين بن الحاجب<sup>(٩)</sup>.
- ١٠- شرح التسهيل لجمال الدين بن مالك<sup>(١٠)</sup>.
- ١١- شرح الخلاصة لبدر الدين بن مالك<sup>(١١)</sup>.
- ١٢- التعليقة على المقرب لابن النحاس<sup>(١٢)</sup>.
- ١٣- الكتاب للسيبويه<sup>(١٣)</sup>.
- ١٤- كتاب الأزمنة للمبرّد<sup>(١٤)</sup>.

- 
- (١) يرجع على سبيل المثال ج١ ص ١٠٩، ص ٢٣٨.
  - (٢) يرجع على سبيل المثال ج١ ص ٣٣٢، ج٢ ص ٧٢، ص ٨٠، ص ١٣٨، ص ١٤٢.
  - (٣) يرجع على سبيل المثال ج٢ ص ١٤٦.
  - (٤) يرجع على سبيل المثال ج١ ص ٤٠٩.
  - (٥) يرجع على سبيل المثال ج٢ ص ٢٠١.
  - (٦) يرجع على سبيل المثال ج٢ ص ٣٨٩.
  - (٧) يرجع على سبيل المثال ج١ ص ١١٠، ج٢ ص ٢٠٢.
  - (٨) يرجع على سبيل المثال ج١ ص ١٤٩، ص ٤٣٤.
  - (٩) يرجع على سبيل المثال ج١ ص ١٨٠.
  - (١٠) يرجع على سبيل المثال ج١ ص ٢١٣، ص ٤٣٤.
  - (١١) يرجع على سبيل المثال ج١ ص ٢٧٠، وج٢ ص ٤٣٤.
  - (١٢) يرجع على سبيل المثال ج١ ص ٣٧١.
  - (١٣) يرجع على سبيل المثال الغيث ج٢ ص ٣١٠.
  - (١٤) يرجع على سبيل المثال الغيث ج٢ ص ٥٩.

١٦- المذكر والمؤنث لابن السكيت<sup>(١)</sup>.

١٧- شرح الجمل لابن عصفور<sup>(٢)</sup>.

١٨- سفر السعادة لعلم الدين السخاوي<sup>(٣)</sup>.

١٩- المحرر لفخر الدين الرازي<sup>(٤)</sup>.

#### د- مصادر الشرح التاريخية:

١- وفيات الأعيان للقاضي شمس الدين أحمد بن خلكان<sup>(٥)</sup>.

٢- نصرة الفطرة وعصرة القطرة للعماد الأصفهاني الكاتب<sup>(٦)</sup>.

٣- كتاب الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير<sup>(٧)</sup>.

٤- المستوفى تاريخ إربل لأبي البركات<sup>(٨)</sup>.

٥- التاريخ الكبير لشمس الدين الذهبي<sup>(٩)</sup>.

٦- كتاب المغازي لشمس الدين الذهبي<sup>(١٠)</sup>.

٧- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي<sup>(١١)</sup>.

٨- مروج الذهب للمعري<sup>(١٢)</sup>.

٩- تاريخ حلب لابن أبي طي<sup>(١٣)</sup>.

١٠- مفرج الكروب في دولة بني أيوب لجمال الدين بن واصل<sup>(١٤)</sup>.

---

(١) يراجع على سبيل المثال ج١ ص ٤١٠.

(٢) يراجع على سبيل المثال ج٢ ص ٣٧.

(٣) يراجع على سبيل المثال ١/ ٣٧١.

(٤) يراجع على سبيل المثال ١/ ١٥١.

(٥) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ١٦، ج٢ ص ١٢٤، ص ٢٩٦، ص ٤١١.

(٦) يراجع على سبيل المثال ج١ ص ١٦.

(٧) يراجع على سبيل المثال ج١ ص ١٧.

(٨) يراجع على سبيل المثال ج١ ص ١٦.

(٩) يراجع على سبيل المثال ج١ ص ٨٤، ص ١٠٨، ص ٥٧٣، ص ٣٣٩، ج٢ ص ١٩٤.

(١٠) يراجع على سبيل المثال ج١ ص ١٤٣.

(١١) يراجع على سبيل المثال ج١ ص ٨٤.

(١٢) يراجع على سبيل المثال ج٢ ص ٩٤.

(١٣) يراجع بالغيث على سبيل المثال ج٢ ص ١٢٣.

(١٤) يراجع على سبيل المثال ج٢ ص ١٣٤، ص ٣٠٧.

- ١- الموطأ للإمام مالك بن أنس<sup>(١)</sup>.
- ٢- طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار<sup>(٢)</sup>.
- ٣- مراتب الإجماع للإمام ابن حزم<sup>(٣)</sup>.
- ٤- الروضة للإمام محي الدين النووي<sup>(٤)</sup>.
- ٥- أنوار البروق لشهاب الدين القرافي<sup>(٥)</sup>.
- ٦- ناسيس التقديس لفخر الدين الرازي<sup>(٦)</sup>.
- ٧- الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي<sup>(٧)</sup>.
- ٨- منيخ الخلق في اختيار الأحق للإمام الجويني<sup>(٨)</sup>.
- ٩- الكشاف لجار الله الزمخشري<sup>(٩)</sup>.
- ١٠- صحيح الإمام مسلم<sup>(١٠)</sup>.
- ١١- سنن ابن ماجه<sup>(١١)</sup>.
- ١٢- سنن الدارقطني<sup>(١٢)</sup>.
- ١٣- المذهب لأبي إسحاق الشيزاري<sup>(١٣)</sup>.
- ١٤- مفاتيح الغيب للرازي<sup>(١٤)</sup>.

- 
- (١) يراجع على سبيل المثال ج١ ص ٦٧.
  - (٢) يراجع على سبيل المثال ج١ ص ٨٠.
  - (٣) يراجع على سبيل المثال ج١ ص ١٣٧.
  - (٤) يراجع على سبيل المثال ج١ ص ١٦٦.
  - (٥) يراجع على سبيل المثال ج١ ص ١٧٥، ص ٣٥٤، ج٢ ص ١٣٤.
  - (٦) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٢١٩.
  - (٧) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٢٤٧.
  - (٨) يراجع على سبيل المثال الغيث ج٢ ص ١٢٤.
  - (٩) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٣٢٤، ٣٩٩.
  - (١٠) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ١٦٦، ص ٣٦٥.
  - (١١) يراجع على سبيل المثال ج١ ص ٣٦٥.
  - (١٢) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ١٦٦.
  - (١٣) الغيث ٨٩/٢.
  - (١٤) الغيث ٢٦/٢.



## و- مصادر الشرح العلمية:

- ١- المباحث المشرقية لفخر الدين الرازي<sup>(١)</sup>.
  - ٢- نخب الذخائر في أحوال الجواهر لابن ساعد الأنصاري<sup>(٢)</sup>.
  - ٣- الشفاء للشيخ الرئيس أبي علي بن سينا<sup>(٣)</sup>.
  - ٤- حلية البرء لجالينوس<sup>(٤)</sup>.
  - ٥- الطب الكبير لفخر الدين الرازي<sup>(٥)</sup>.
  - ٦- الاستبصار فيما تدركه الأبصار لشهاب الدين القرافي<sup>(٦)</sup>.
  - ٧- التذكرة في الهيئة لنصير الدين الطوسي<sup>(٧)</sup>.
  - ٨- رسالة ما ذكره فاضل بن ناطق عن الرجل المسمى بكامل لعلاء الدين بن النفيس<sup>(٨)</sup>.
  - ٩- السرّ المكتوم للرازي<sup>(٩)</sup>.
  - ١٠- رسائل إخوان الصفا<sup>(١٠)</sup>.
  - ١١- كشف الحقائق لأثير الدين الأبهري<sup>(١١)</sup>.
- هذا عدا ما رجع إليه من:

١- دواوين الشعراء على اختلاف عصورهم وتباين اتجاهاتهم الفنية، ولقد قمت بعمل إحصاء للنصوص الشعرية الواردة في الغيث فكانت في جملتها ٢٥٨٣ نصاً، وكان جملة المنسوب فيها إلى أصحابه ١٩٥٦ نصاً يتنظم الجزء الأول منها ٩٤٥ نصاً ويتنظم الجزء الثاني بقية هذه النصوص وعددها ١٠١١ نصاً، وهو عدد كبير بلا ريب، ولا يمكن أن يكون الصفدي قد رجع في كساية كل هذا الكم

(١) يراجع على سبيل المثال الغيث ج ١ ص ٢٠، ١٤٠.

(٢) يراجع على سبيل المثال الغيث ج ١ ص ٩٤.

(٣) يراجع على سبيل المثال الغيث ج ١ ص ٢٤٨.

(٤) يراجع على سبيل المثال الغيث ج ١ ص ٢٤٦.

(٥) يراجع على سبيل المثال ج ١ ص ٢٧٧، ٣٢٠.

(٦) يراجع على سبيل المثال الغيث ج ١ ص ٣٤٠.

(٧) يراجع على سبيل المثال الغيث ج ٢/٢٥٧.

(٨) يراجع على سبيل المثال الغيث ٤١٤/٢.

(٩) يراجع على سبيل المثال الغيث ٢/٢١٢.

(١٠) يراجع الغيث ٢/٢٥٧.

(١١) يراجع الغيث ١/٢٥٠.

الشعري وتسجيله في الغيث إلى الذاكرة وحدها، أو إلى كتب الأدب الجامعة وحدها، والمعقول المقبول هنا أن يكون الصفدي قد رجع إلى ذاكرته، وإلى كتب الأدب الجامعة، وإلى دواوين هؤلاء الشعراء جميعاً؛ لأنني باستعراضى لقائمة مصادره الأدبية وجدت أن معظم كتب الأدب الجامعة التي رجع إليها تنحو منحى متخصصاً ببعض التخصص، وحقاً منها ما يهتم بالأدب في العصور الجاهلية والإسلامية والأموية والعباسية؛ ككتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهاني، ومنها ما يهتم بالأندلس وآثار الأندلسيين؛ ككتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بام، ومنها ما يهتم بأدب العصور الوسطى الإسلامية في بيئات متعددة كإيران ومصر والشام وغيرها؛ ككتاب خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب، على حين قد روى الصفدي لشعراء كثيرين في العصور الجاهلية والإسلامية والأموية والعباسية ولشعراء الأندلس وغيرهم من مثل امرئ القيس والناطقة الدياني وزهير بن أبي سلمى والأعشى والسنفرى من شعراء العصر الجاهلي، والخنساء، وحسان بن ثابت من المخضرمين، وذو الرمة وشار وأبى نواس وابن المعتز وأبى دلالة وأبى تمام والبحتري وأبى الطيب المتنبي وأبى العلاء المعري من الأمويين والعباسيين، وابن خضاجة وابن عمار وابن اللبانة والمعتمد بن عباد وابن زيدون وابن هانئ وابن حمديس الصقلي من الأندلسيين والمغاربة، وابن حيوس وابن التعاويذي وابن قلاقس وابن مطروح وابن سناء الملك وأبى الحسين الجزار وغيرهم من شعراء الفاطميين الأيوبيين والمماليك... إلخ.

وطبيعي أن كتب الأدب الجامعة لا تستقصى كل ما للشعراء من شعر؛ وإنما تمثل لمتجهااتهم الفنية ببعض النماذج التي تدل عليها فحسب ومن ثم فلا استبعد أن يكون الصفدي قد رجع إلى كثير من دواوين هؤلاء عند تأليفه للغيث وتسجيله لشعريهم في ثانيا شرحه لأبيات اللامية وأخذ بعضها من كتب الأدب.

٢- رسائل الكتاب: على اختلاف عصورهم وتباين منازعهم ومتجهاتهم الفنية أيضاً، فقد اكتظ الغيث بعدد كبير من نصوص هذه الرسائل الأدبية بشقيها الديواني والإخواني، فقد أشار الصفدي في أكثر من موضع إلى رسائل الجاحظ، ونقل نصوصاً من رسائل عبد الحميد بن يحيى الكاتب، ويديع الزمان الهمذاني، والصاحب بن عباد، وأبى العلاء المعري، والقاضي الفاضل، وابن سناء الملك، ومحيى الدين بن عبد الظاهر، وجمال الدين محمد بن نباته وغيرهم.

فمن الرسائل الديوانية تلك الفقرة التي أوردها الصدقي من رسالة كتبها القاضي  
 الفاضل لصالح الدين الأيوبي يصف حصنا للفرنجية<sup>(١)</sup> أشعل فيه الجيش الإسلامي  
 النيران حيث يقول: «وبات الناس»<sup>(٢)</sup> مطيقين بالحسن والنيران به<sup>(٣)</sup> وعليهم  
 مشتملة، وعذبات ألتها على وجهه مندلة<sup>(٤)</sup>، ومن خلفه مسيلة<sup>(٥)</sup>، ولفحاتها  
 جهنمية<sup>(٦)</sup> وقودها الناس والحجارة، والبلاء ينادى طبرية بلان مصابها: إياك  
 أعنى واسمعى يا جارة<sup>(٧)</sup>، فوالت النار موالج تضيق عنها الفكر<sup>(٨)</sup>، وتعجز عنها  
 الإبر، وخولف المثل في أن السعادة تلحظ<sup>(٩)</sup> الحجر، وأغنى ضوء نهارها سواد  
 كل بقعة أن يسأل هذا أو ذا ما الخير<sup>(١٠)</sup>، إلى أن<sup>(١١)</sup> بدا الصباح وكأنه منها  
 أمتار<sup>(١٢)</sup>، وانشق الشرق وكأنه من عصفرها صبغ الإزار، وسرى داء النقوب إلى  
 المعازل، ودب سكرها بين الفاصل، وغدت الجدران قائمة، والبلى سار في  
 أعقابها متجلدة، والنار تحت ثيابها<sup>(١٣)</sup>»<sup>(١٤)</sup>.

- (١) يراجع القاضي الفاضل دراسة ونماذج ص ١٠٦ للدكتور أحمد أحمد بدوى مكتبة نهضة مصر  
 القاهرة د.ت. وقد أورد الدكتور بدوى هذا الجزء من رسالة القاضي الفاضل محققاً ومشرح  
 المعاني، وسوف أعتمد على تحقيقه في إقامة نص الرسالة، وذلك لأن الغيث المسجوم غير محقق.
- (٢) عند الدكتور بدوى «وبات الناس في ليلة الجمعة مطيقين» ص ١٠٦.
- (٣) عند الدكتور بدوى «والنار به مطيقة وعليه مشتملة» ص ١٠٦.
- (٤) عند الدكتور بدوى «عذبات ألتها على تاجه مسيلة» ص ١٠٦.
- (٥) سقط من النص الذي أورده الصدقي تلك الجملة «ونارهم قد أطفأها الله بتلك النار الواقعة  
 ومنعتهم قد أذهبها الله بتلك الأبرجة الساجدة، وبنفج الظلماء قد استحال جنانا، والشفق قد  
 عمم الليلة فلم يختص آصالاً ولا أسحاراً».
- (٦) عند الدكتور بدوى «ولفحاتها حميمة».
- (٧) هذه الجملة ليست موجودة عند الدكتور بدوى.
- (٨) عند الدكتور بدوى «يضيق منها الفكر».
- (٩) عند الدكتور بدوى «تلحظ».
- (١٠) عند الدكتور بدوى «وأغنى ضوءها لسان كل إمعة أن يسأل هذا ما الخير» ص ١٠٧.
- (١١) سقطت من النص الذي أورده الصدقي تلك الجملة «وقدفت بشرر كالجبال الصغرى، وزفرت  
 بغيط تحضر له حدود الجبال الصغرى» وينسحقها بالكتب العفر» وبات الليل والنهار يثنُّ، وكلما  
 أعمد الحمد جعل الوقود يسلم».
- (١٢) عند الدكتور بدوى «أمتار الأنوار».
- (١٣) الجمل من أول وسرى داء النقوب ليست موجودة عند الدكتور بدوى.
- (١٤) الغيث المسجوم ج ١ ص ٤٢٥.

وتنوع موضوعات الرسائل الإخوانية التي أوردها الصفدي في الغيث تنوعا كبيرا منها ما كان في المجون كتلك الرسالة التي كتبها أبو يعلى بن الهبارية إلى الخطيري ابن منصور وقد أورد الصفدي بعضها منها ويبدو أنها كانت طويلة جدا؛ لأن الصفدي لم يذكرها كاملة وإنما ذكر جزءا منها فقط ومع هذا جاء هذا الجزء في أربع صفحات كاملة ومنها قوله «أسعد الله سيدنا الأستاذ الخطيري الرئيس الأثير النفس بهذا اليوم السعيد، وعرفه بركات هذا الشهر الجديد، نعم أسعده الله بهذا اليوم، وعرفه بركات هذا الصوم، وحشره في زمرة القوم، وأعاذ جده السعيد وأمره الجديد من النوم، فإن من أصعب الأمور نوم الأيور لاسيما عند مخالطة الرقيب ومخالسته، ومسامحة الحبيب ومساعدته في دهليز مظلم، أو حمام معتم، أو طريق لهرقل سائر أو مجلس أنس نام سامره، أو ضرورة داعية إلى الديب، أو حاجة حاملة على خيانة الحبيب...»<sup>(١)</sup>.

وهي في غاية الفحش والإغراق في المجون ولم أستطع أن أمثل إلا بهذا المطلع الاستفتاحي الذي به تبدأ الرسالة عادة وهو في الأغلب الأعم يكون دعاء من المرسل إلى المرسل إليه كما في هذا المطلع؛ حيث يدعو المرسل الله عز وجل أن يشعل بسعادته الأستاذ الخطيري وأن يعرفه فضل شهر الصوم الكريم وأهميته في تغير سلوك الإنسان إلى الأحسن والأكمل ثم بعد ذلك يذلل المرسل إلى الحديث في موضوع الرسالة متخلصا - في لطف وأناة - من موضع الافتتاح كما في هذه رسالة أيضا حيث قال «وأعاذ جده السعيد وأمره الجديد من النوم فإن من أصعب الأمور نوم الأيور... إلخ»

ومن هذه الرسائل ما ينطوي موضوعها على النصيح والإرشاد وإسداء التوجيه والحكمة؛ كقول ابن سناء المالك: «إياك أن تغتر بقلب لسان، أو تثق بقلب إنسان، أو تركز إلى صداقة صديق، أو تأمن من شقاق شقيق، أو يروقك ملقى تلق أو بشر بشر أو تشيم صفو سحائب الأخلاء فإنها تهيم بكدر، أو تتخدع بسيم أنفاس الأعداء فإنها ترمى بشر، وعليك بالاحتراز من أبناء جنك، والاحتراز حتى من نفسك»<sup>(٢)</sup>.

(١) الغيث المسجوم ج ٢ ص ٣٢٢.

(٢) الغيث المسجوم ج ٢ ص ٣٣٢.



ومنها ما كان موضوعها ذم الزمان كرسالة بديع الزمان الهمذاني التي رد فيه على أستاذه أبي الحسين بن فارس حيث يقول «نعم - أطال الله بقاء الشيخ -»  
الحما المسنون، وإن ظننت الظنون، والناس لآدم، وإن كان العهد قد تقدم،  
فالاستاذ يقول: فسد الزمان، ولا يقول متى كان صالحاً؟ أفي الدولة العباسية وذ  
رأينا آخرها وسمعنا أولها؟، أم في الدولة المروانية وفي أخيارها لا تكع السيل  
بأغيارها، أم في السنين الحربية والسيف يغمد في الطلاء، والرمح يركز في الكلا  
والحرثان وكربلاء<sup>(١)</sup>، أم البيعة الهاشمية والعشرة براس من بني فراس؟، أم الأيام  
الأموية والنفير إلى الحجاز، والبعوث على الأعجاز؟ أم الإمارة العدوية وصاحبها  
يقول وهل بعد الطلوع إلا النزول؟ أم في الخلافة التيمية وهو يقول طوبى لمن مات  
في نائاة الإسلام؟ أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتي يا فلانة فقد ذهب  
الامانة؟ أم في الجاهلية؟ وليد يقول:

ذَهَبَ الَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْثَانِهِمْ      وَبَقِيَتْ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الْأَجْرَبِ  
أَم قَبْلَ ذَلِكَ؟ وَأَخْرَعَادُ يَقُولُ:

بِلَادٌ بِهَا كُنَّا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا      إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ زَمَانٌ  
أَم قَبْلَ ذَلِكَ؟ وَيُرْوَى عَنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا      فَوَجَّهَ الْأَرْضَ مُغْبِرٌ قَبِيحٌ

أَم قَبْلَ ذَلِكَ؟ وَقَدْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾  
[البقرة: ٣٠] ما فسد الناس وإنما اطرده القياس، ولا أظلمت الأيام وإنما امتد  
الظلام، وهل يفسد الشيء إلا عن صلاح؟ ويمسى المرء إلا عن صباح؟<sup>(٢)</sup>.

ومنها ما كان موضوعها في السؤال عن الأحوال، وتحسب الأخبار؛ كذلك الرسالة  
التي بعثها جمال الدين بن نباتة إلى صلاح الدين الصفدي يسأله فيها عن حاله  
حيث يقول: «وما حال مولانا مع من استجده من صاحب وخدين، وأهل رفا  
وبنين؟، وما هذه المداجنة لأخباره التي لا يزال فعل وعدها يستصحب النين؟»<sup>(٣)</sup>.

(١) يشير إلى موقعة كربلاء وقد أُلْجِءَ الحُرُصُ علي السَّجْعِ إلى حذف الهمزة.

(٢) الغيث السَّجْمُ ج ٢ ص ٣٣٩، ص ٣٤٠.

(٣) السابق نفسه ج ٢ ص ٤٠٧.

ومنها ما كان موضوعها يدور حول نقد الأشعار فقد أعجب الفاضل  
بقصيدة ابن سناء الملك التي فيها قوله:

تَرْخُفُ مِنْهَا وَجْهُهَا وَهِيَ جَنَّةٌ وَيَخْضَرُ مِنْهَا نَضْرَةٌ فَهُوَ سُنْدُسٌ  
صَلْبِيٌّ وَهَذَا الْحُسْنُ بَاقٍ فَرُبَّمَا يُعْزَلُ بَيْتُ الْحُسْنِ مِنْهُ وَيُكَنَسُ

فكتب إليه يقول من جملة رسالة: «وما قلت هذه الغاية إلا وتعلمني أنها  
البدائية، ولا قلت هذا البيت إنه القصيدة إلا تلا ما بعده وما نريهم من آية، أفسح  
هذا أم أنتم لا تبصرون؟ ولا عيب في هذه المحاسن إلا قصور الأفهام، وتقصير  
الأنام، وإلا فقد لهج الناس بما تحتها، ودونوا ما دونها، وشغلوا التصانيف  
والخواطر والأقلام بما لا يقاربها، وسارت الأشعار وظالت بما لا يبلغ مداها لا  
لصيفه، والقصيدة فائقة في حسناتها، بدیعة في فنائها، وقد ذلت السنين فيها  
واقذات، فلو أنها الرأى لما زادت، وبيت يعزل ويكنس أردت أن أكنسه من  
القصيدة؛ فإن لفظة الكنس غير لائقة بمكانها»<sup>(١)</sup>.

ومنها ما كان في الشكر على الإهداء كذلك الرسالة التي بعث بها جمال الدين بن  
نباته إلى صلاح الدين الصفدي يشكره فيه على السمك الفراتي الذي بعث به إليه  
من رحبة مالك بن طوق حيث يقول: «فأهله رفدا لم يكن فيه عيبٌ غيرُ السرق،  
وجوداً لو تمكَّن المملوكُ منه لوصلَ فيه القولُ ووصفُ، ولكن أشار مولانا إلى  
مصلحة كتبه، وجرى في امتثال الإشارة على رسمه، وخشى أن يجرى له في  
هذه المطالعة ذكرا يحكمه، ويأخذ من أقمصته اللؤلؤية معنى بشره أو ينظمه،  
فيؤهم مولانا أن المملوك يشيع أمره طلباً لإشاعة كلامه، وإذاعة نثاره ونظامه،  
فكت والأقوال تعتلج، وصمت وألفاظ الآثار تكاد في مامع العين تلج، ومنه  
على أن المملوك إن سكت مقالته فقد تكلمت مقالاته، وجاش غليانها بشكر ماهبت  
به من مولانا وهباته، وليست والله كما قال بعض العرب مقالة تزور، ولكن ذات  
نتائج أود منها القرى ونزور:

هَبَاتٌ عَنِ الْبَحْرِ الْقَصْرَاتِ تَحَدَّثَتْ فَقَدْ عَظُمَتْ عَنْ قَوْلِي الْمَتَغَالِي  
وَقَدْ أَفْصَحَتْ عِنْدِي الْمَقَالِي بِشُكْرِهِ فَلَمْ تَخُلْ عِنْدِي مِنْ ثَنَاءٍ مَقَالِي<sup>(٢)</sup>

(١) النيث المسج ج ٢ ص ٤٢١.

(٢) السابق نفسه ص ٤٢٩، رفدالي الأولى: جمع مقالة، وهي وعاء للقلوب، ومقالى الثانية: بمعنى كلامي أو قولي.

وكل هذه الرسائل وغيرها بما احتوت عليه من هاتيك الفنون والأغراض تعبر لفارئها عن أصالة المصادر التي اعتمد عليها الصفدي في تحرير موسوعته هذه الأدبية التي أدارها حول شرح أبيات لامية الطغراني.

٣- المؤلفات التي لم يشر إليها: وقد رجع الصفدي إلى آراء عدد من اللغويين والنحويين والأدباء والعلماء في عصره وما سبقه من عصور، واستشهد بها في الغيث ونقلها عنهم دون أن يشير إلى المصدر الذي أخذ عنه هذه الآراء، وهذا يجعلنا وقوفا إزاءها حائرين لا ندري هل أخذها الصفدي عن كتبهم أم نقلها عن كتب أخرى أوردتها؟ فقد تعود الصفدي أن يقول: «قال ابن الأعرابي...»<sup>(١)</sup>، وأن يقول: «قال أبو عبيدة...»<sup>(٢)</sup>، وأن يقول: «وقال الحارث بن أسد المحاسبي...»<sup>(٣)</sup>، ثم يذكر آراءهم ومقولاتهم دون أن يحدد المصدر الذي نقل عنه هذه الآراء والمقولات وثمة أمر تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، وهو أن مما يدل على أصالة المصادر التي اعتمد عليها الصفدي في تأليف الغيث رجوعه بكثرة إلى آراء اللغويين والنحاة المتقدمين؛ كسيبويه، والفراء، وابن الأعرابي وغيرهم.

قائمة بأسماء العلماء الذين استشهد بآرائهم دون أن يذكر مصادرها التي نقلها عنها:

١- الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(٤)</sup>.

٢- الإمام عبيد الله بن عباس رضي الله عنه<sup>(٥)</sup>.

٣- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ<sup>(٦)</sup>.

٤- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد<sup>(٧)</sup>.

٥- أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي<sup>(٨)</sup>.

---

(١) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٣٠٤.

(٢) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٣١٧.

(٣) يراجع على سبيل المثال الغيث ج٢ ص ٢٩٢.

(٤) استشهد الصفدي في الغيث بكثير من حكم وأقوال الإمام علي بن أبي طالب دون أن يحدد هل

أخذها عن نهج البلاغة أم عن كتب أخرى، يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٧٤، ص

٣٢٨ ج٢ ص ١٦٩، ص ٢٩٢.

(٥) يراجع على سبيل المثال الغيث ج٢ ص ١٦.

(٦) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ١٢، ص ٥٤، ج٢ ص ١٨٢.

(٧) يراجع على سبيل المثال الغيث ج٢ ص ١٧١.

(٨) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٣٥٠.

- ٦- الأصمعي عبد الملك بن قريب الباهلي<sup>(١)</sup>.
- ٧- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي<sup>(٢)</sup>.
- ٨- أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكيت<sup>(٣)</sup>.
- ٩- يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور القراء<sup>(٤)</sup>.
- ١٠- أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي<sup>(٥)</sup>.
- ١١- الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الفوطي<sup>(٦)</sup>.
- ١٢- شيخ الإسلام الإمام العز بن عبد السلام<sup>(٧)</sup>.
- ١٣- الحارث بن أسد المحاسبي<sup>(٨)</sup>.
- ١٤- أبو عمرو بن العلاء<sup>(٩)</sup>.
- ١٥- ابن أبي الإصبع المصري<sup>(١٠)</sup>.

#### رابعاً - تعامل الصفدي مع النص المنقول من المصدر:

والآن، وبعد هذا التطواف مع الصفدي في مصادره بأنواعها المختلفة تتساءل: كيف تعامل الصفدي مع مصادره؟ كيف نقل عنها؟ وكيف استخدم النص المنقول في ثنايا شرحه؟ ما موقفه منه؟ أوافقها؟ أم يخالفها؟ أم يمزج بين الموافقة والمعارضة؟

- (١) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٢٦٩، ص ٣٤٨، ج٢ ص ١٢، ص ١٣، ص ٧٩، ص ١٥٥ ص ١٨٣، ص ٢٢٢، ص ٤٣٨.
- (٢) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٣١٧، ج٢ ص ٧١، ص ١٧١.
- (٣) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٨٧، ص ٣٨١، ص ٣٨٢.
- (٤) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٤٠٧، ج٢ ص ٤٥، ص ٤٢٥.
- (٥) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٣٠٤.
- (٦) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ١٦٤.
- (٧) يراجع على سبيل المثال الغيث ج٢ ص ٣٧.
- (٨) يراجع على سبيل المثال الغيث ج٢ ص ٢٩٢.
- (٩) يراجع على سبيل المثال الغيث ج١ ص ٩١.
- (١٠) يراجع الغيث ١ / ٢٦٠.



ويحسن أن نعرض الإجابة عن كل هذه الأسئلة في نقاط مرقمة يأخذ بعض برفاق بعض حتى نصل في نهاية الحديث إلى الإجابة المسبقة بالأدلة عليها، حتى نصل في نهاية الحديث إلى نتيجة تصافرت عدة مقدمات معروضة في يده على برهنتها وإثباتها.

١- إن النص الذي ينقله الصفدي - في الأعم الأغلب - ليس بالطويل المبرر الطول، ولا بالقصير المخل بمعالجة القضية وهذا يدل على أمرين:

أولهما: أن الصفدي يعتمد عمداً إلى نقل ما يفيد مباشرة من المصدر بمعنى أنه يعرف ما يريد ويأخذه دون أن يزيد عليه أو ينقص منه.

وثانيهما: أن الصفدي يعرف جيداً وظيفة النص المنقوس؛ وهي إيضاح الفكرة أو دعمها بما يقويها من الحجج أو نقضها بما يوهيها من البراهين، فمتى وضعت الفكرة وقويت بما أسعفها النص المنقول من الحجة، أو وهيت وانتقضت بما يحمل النص المنقول من البراهين رفع الصفدي يده عن مصدره فلم يعد عندئذ للفر مكان، ولا للاقتباس موضع.

وليس معنى هذا الكلام أن كل نقول الصفدي تتميز بالتوسط والاعتدال؛ فقد بطول النص المنقول طويلاً مفرقاً حتى يعتذر الصفدي عن ذلك ويحاول أن يبرز موقفه لقارئة، مثلما فعل عند الحديث عن أحرف المضارعة حيث قال «والقاعدة في حرف المضارعة أنه إذا دخل على رباعي كان مضموماً تقول: تريد، تحسن، تقب؛ لأن الماضي أراد، أحسن، أقام، وإن كان الفعل ثلاثياً مثل ضرب وذهب، أو خماسياً مثل انطلق واقتل، أو سداسياً مثل استخرج واحرنجم، فإن حرف المضارعة يكون مفتوحاً في ذلك كله تقول يضرب، ويذهب، وينطلق، ويقتل، ويستخرج، ويحرنجم؛ وإنما أعرب الفعل المضارع دون الأمر والماضي؛ لأن المضارع شابه الاسم بجواز شبه ما وجب له»<sup>(١)</sup> ثم نقل بعد ذلك من الشيخ جمال الدين محمد ابن مالك نصاً من شرح السهيل استغرق صفحتين كاملتين<sup>(٢)</sup> ثم قال: «قلت: إن أثبت هذا الفصل بطوله من كلام الشيخ جمال الدين لما فيه من الفوائد»<sup>(٣)</sup>.

(١) الغيث ٢١٣/١.

(٢) هما صفحتي ٢١٣، ٢١٤ من الجزء الأول من الغيث.

(٣) السابق نفسه ص ٢١٥.

وقد بقصر النص المنقول - أيضا - لأن الصفدي قد تخلص من الاستطراد ونفذ إلى المراد وذلك مثل قوله: «قال الشيخ بدر الدين بن مالك: اعلم أن اسم المعنى الصادر عن الفاعل كالضرب أو القائم بذاته كالعلم ينقسم إلى مصدر وإلى اسم مصدر، فإن كان أوله ميمًا مزيدة لغير مفاعلة كالضربة والمحمدة أو كان لغير ثلاثي كالغسل والوضوء فهو اسم لمصدر وإلا فهو المصدر<sup>(١)</sup>».

٢- وقد ينقل الصفدي نصا، ويقطع فيه شوطا، ثم يختمه قبل أن يتمه ليضيف إليه شيئا، أو يكمل في كلام المصنف نقصا ثم يصل ما انقطع بعد ذلك من حبل الكلام، ومثال ذلك قوله: «قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس: اعلم أن حتى في الكلام على أربعة أضرب: تكون لانتهاه الغاية فتجر الأسماء على معنى إلى، وتكون عاطفة كالواو، ويبدأ بعدها الكلام، وتضمّر بعدها «أن» فت نصب. أما إن كانت عاطفة فشرطها يكون ما بعدها آخر جزء مما قبلها نحو: أكلت السمكة حتى رأسها، أو يكون فيه معنى التعظيم كقولك: مات الناس حتى الأنبياء، أو التحقير كاجترأ على السفلة حتى الزبالون». قلت ينبغي أن يزداد هنا: أو التعجب ليدخل فيه مثل قول أبي الطيب:

ويا قلب حتى أنت بمن أفارقُ

رجع إلى كلام بهاء الدين: قال وإن كانت جارة فلا بد أيضا أن يكون ما بعدها آخر جزء مما قبلها نحو: أكلت السمكة حتى رأسها، أو ملاقى آخر جزء: كاقمت البارحة حتى الصباح...<sup>(٢)</sup>.

فهو هنا قد تدخل في النص وقطع حبل الكلام ليزيد في شروط حتى العاطفة شرطا: وهو أن يكون فيه معنى التعجب، وقد أتى بقوله قلت ليفرق بها بين كلامه وكلام بهاء الدين، ولما أنهى كلامه عاد إلى حديث بهاء الدين، ودل القارئ عليه

(١) السابق ج ٢ ص ٣٣٥.

(٢) الغيث المسجم ج ١ ص ١٦٢.

بقوله: رجع إلى كلام بهاء الدين أى عودة إليه؛ لأن النص لم يكمل ولأنه لم يأخذ بعد كل ما يريده منه.

٣- وقد يختصر الصفدى النص المنقول ويخلصه ويكتفه مثلما فعل فى النص الذى نقله من كتاب الأزمنة للمبرد فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]. حيث قال «قال المبرد فى كتاب الأزمنة: قول المتكلمين للتفسير بغير معرفة إن معنى ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾: بل يزيدون يقال لهم: بل للإضراب، والإضراب إما للغلط أو للنسيان، ولكن يجوز أن يكون ذلك النبى صلوات الله عليه افتراض عليه ربه وألزمه الرسالة إلى مائة ألف وأباحه ما بعد ذلك، فيكون إلى مائة ألف معدودين معلومين عنده لا بد منهم أو يزيدون إن شاء ذلك النبى وهذا كلام بين صحيح، أو يجوز أن يكون أرسله إلى عالم لم يقع عليهم عدد عاد إلا الذى خلقهم، فقال: إلى مائة ألف أو يزيدون عندكم، هذا ملخص كلام المبرد<sup>(١)</sup>».

٤- والصفدى أحيانا لا ينقل النص من المصدر بلفظه وإنما ينقله بمعناه بعد اختصاره، مثلما فعل فى النص الذى أورده من رسالة علاء الدين بن النفيس، المسماة برسالة ما ذكره فاضل بن ناطق عن الرجلسمى بكامل فى خراب العالم وسببه حيث قال: «فقال ما معناه ملخصا: وإذ قد ثبت أن ميل الشمس إلى الشمال والجنوب يتناقص دائما، فإذا بطل هذا الميل أو قرب منه صارت الشمس دائمة المسامطة لخط الاستواء أو ما يقرب منه، فلذلك تحدث حرارة شديدة جدا، ويحدث فى البقاع التى لها عرض بعيد برد مفرط فتفسد الأمزجة، وتضعف القلوب، ويكثر موت المفجأة، وتورء الأخلاق، تفسد المعاملات، وتكثر الشرور والمخاصمات، وتكثر الحروب والفتن، ويتقدم الأشرار وتفسد الأذهان، وبفسادها تبعد الناس عن قبول العلوم والحكمة، فلذلك يقبض العلم، ثم إذا بطل ميل

(١) الفيت السجم ج ٢ ص ٥٩.

النفس جداً اشد الحر في البقاع القريبة من خط الاستواء، وكثرت النيران واللهيب خاصة في البلاد الغورية والكبريتية، فلذلك تحدث نار بأرض اليمن، وعند حتى تعم الأرض التي عند خط الاستواء، فحينئذ تكثر الأدخنة، وتولد الصواعق والبروق الهائلة، والرياح الرديئة ويظلم الجو ويكدر، ويلزم من ارتفاع ذلك عن أرض خط الاستواء وما يقرب منه أن يقل جرم الأرض هناك، ويثقل ما يقابل القطبين من الأرض، فلا جرم يلزم من ذلك سقوط الجبال ويقل الماء جداً لأجل سيلانه إلى قرب خط الاستواء، بسبب الخف ثم يبخره بقوة الحرارة التي هناك فيجف كثير من البحار، ولذلك تقل مياه الأرض جداً لكثرة ما يتصاعد منها متدخناً، فكذلك تظهر الكنوز وما يكون في باطن الأرض، وإذا دام فقدان ميل الشمس مدة أفرط الخروج عن الاعتدال حتى أفد الأمزجة الحيوانية والنباتية وكان من ذلك القيامة انتهى<sup>(١)</sup>.

٥- قد يمزج الصفدي بين نصين، وقد يكون هذان النصان لعالم واحد، وقد يكونان لعالمين مختلفين فمثال مزجه لنصين لعالم واحد قوله: «قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك: رب: حرف تقليل وتعمل في الكثير كما قال الشاعر:

رَبٌّ رَفِدٌ هَرَقَتْهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرِ أَقْيَالِ

وقال تعالى ﴿رَبِّمَا يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]. فرب هنا معناها الكثير كما جاء في كلامهم وهو كثير، نحو رب ساع لقاعد، ورب غافل يتظره الموت<sup>١</sup>. هـ ثم قال بدر الدين وتختص بالنكرات نحو: رب رجل لقيته<sup>(٢)</sup>.

فهو هنا قد مزج بين نصين لعالم واحد، وقد حدد الصفدي نهاية النص الأول بكتابه<sup>١</sup>. هـ وهو رمز يدل على انتهاء الفقرة المنقولة شاع استخدامه في كتابات علمائنا الأقدمين، ثم وطأ في الوقت نفسه للنص الثاني بقوله «ثم قال بدر الدين».

ومثال مزجه لنصين لعالمين مختلفين قوله عند الحديث عن الإضافة اللفظية: «إذن كان المضاف بعض ما أخيف إليه، وصالحاً لحمله عليه؛ كما في خاتم فضة،

(١) الغيث ج ٢ ص ٤١٤.

(٢) الغيث ج ١ ص ٢٥٣.



وثوب خز، وباب ساج، وخمسة دراهم فالإضافة بمعنى من، وإن لم يكن كذلك كما في غلام زيد، ولجام فرس، وبعض القوم، ورأس الشاة؛ فالإضافة بمعنى اللام، ومن النحاة من ذهب إلى أنها تكون بمعنى في كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثَرْبًا أَرْبَعًا أَشْهُرًا﴾ [البقرة: ٢٢٦]. وقوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبِي السَّجْنِ...﴾ [يوسف: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبا: ٣٣]. وهذا اختيار الشيخ جمال الدين محمد بن مالك، قال ولده بدر الدين في شرح الخلاصة: يعني أن الإضافة على ثلاثة أنواع، والضابط فيها إن تعين تقديرها بمن لكون المضاف إليه؛ إما للجنس الذي منه المضاف فهي بمعنى من، أو تقديرها بفي لكون المضاف إليه ظرفا وقع فيه المضاف فهي بمعنى في، وإن لم يتعين تقديرها بهما فهي بمعنى اللام<sup>(١)</sup>. وهو هنا قد مزج بين نصين أو رأيين أحدهما لجمال الدين بن مالك، والثاني لولده بدر الدين وغنى عن البيان أنه أورد النص الأول بمعناه والثاني بلفظه.

فهذه خمس نقاط يظهر منها كيف يتعامل الصفدى مع مصدره من حيث الأخذ والنقل، وتبقى نقاط ثلاث تبين تعامل الصفدى مع المادة العلمية الموجودة بالنص.

٦- وقد يوافق الصفدى على ما بالنص المنقول من الآراء، ومن هنا يؤيده، ولا يكتفى بذلك وحسب؛ وإنما يتعقب كل ما يثار حوله من جدل وكلام يرد عليه ويجيب عنه مثال ذلك قوله: «قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب في مقدمته المفعول له هو ما فعل لأجله فعل مذكور ثم قال: وشرط نصبه تقدير اللام؛ وإنما يجوز حذفها إذا كان فعلا لفاعل الفعل المعلن<sup>١</sup>». هـ قلت: وقد نقضوه بمثل قعدت عن الحركة جينا؛ فإن الجين ليس فعلا لفاعل الفعل والجواب أن المراد بالفعل هنا أعم من أن يكن بالحواس الباطنة أو الظاهرة، والجين من فعل الحواس الباطنة، ونقضوه أيضا بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢] أجمعوا على أنه منصوب بكونه مفعولا لأجله وليس فعلا لفاعل الفعل؛ إذ الخوف والطمع مستحيلان في حق الله عز وجل، والجواب أنه محمول على باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مكان كأنه قال تعالى هو الذي يريكم البرق لإرادة خوفكم وطمعكم<sup>(٢)</sup>.

(١) الفيت المسج ج١ ص ٢٧٠.

(٢) الفيت المسج ج١ ص ١٨٠، ص ١٨١.

٧- وقد يخالف الصفدي ما بالنص المقول من الآراء وهنا يعقب عليه لبيان رأيه فيما ورد فيه فحسب؛ وإنما يعقب عليه ببيان رأيه المخالف، ثم يبرهن على صحة رأيه هو، ويأتى بالأدلة الكافية لدحض ما ورد بالنص من الآراء. قد حدث هذا - على سبيل المثال - عندما تحدث عن التصحيف حيث أورد نصاً من كتاب التنبيه على حدوث التصحيف لأبي عبد الرحمن حمزة الأصفهاني، حكى فيه عن ابن دريد وقوع الجاحظ في التصحيف، والصفدي يرفض هذا الكلام ورأيه يخالف ما بالنص فماذا يفعل؟ أورد أولاً كلام الأصفهاني كاملاً، وحين انتهى به على ذلك ثم أخذ يناقش هذا الكلام ويدحضه بحجج قوية مقنعة تقوى رأيه وتؤكد أنه يقول: «وقال أبو عبد الرحمن حمزة الأصفهاني في كتاب التنبيه على حدوث التصحيف سمعت ابن دريد يقول: وجدت للجاحظ في كتاب البيان تصحيفاً شنيعاً في الموضع الذي يقول فيه: حدثني محمد بن سلام الجمحي، قال سمعت يونس يقول: ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن النبي ﷺ، وإنما هو النبي فأما النبي ﷺ فلا شك عند المسلم والذمي أنه أفصح الخلق. انتهى كلام حمزة (١)».

هكذا أورد الصفدي كلام حمزة كاملاً ثم ما هو ذا يرد عليه قائلاً: «وهذا فيه بعد كبير على الجاحظ وهو ماهر في الأدب وغيره، ولا يجوز أن يقع الجاحظ في مثل ذلك لوجوه: الأول أنه لا يخفى هذا على من هو دونه. الثاني: لعله قال النبي بالباء والتاء، وإنما النسخ هو الذي حرف ذلك وصحفه بالنبي بالنون والباء؛ وما رأى ذكر النبي دون أن يقول ﷺ على عادة النسخ، الثالث: أن الجاحظ قال: سمعت يونس يقول فهو نقله عنه سماعاً من لفظه، والسماع لا يقع فيه التصحيف (٢)».

هكذا انتهى رد الصفدي، نفى عن صاحبه الشبهة، ودفع عنه ما اتهم به من الوقوع في التصحيف بهذه الأدلة الثلاثة التي أوردتها، وقد تدرج فيها وتلطف حيث اتخذ من مكانة الجاحظ الأدبية سبيلاً إلى نفى الشبهة عنه حيث جعلها عاصماً له من الوقوع في التصحيف، ثم ألصق التهمة بعد ذلك بالنسخ ثم جاء أقوى أدلته في النهاية؛ وهو أن الجاحظ نقل هذا الكلام سماعاً ولا يقع في السماع تصحيف.

(١) الغيث المجمع ج٢ ص ١٤٦.

(٢) الغيث المجمع ج١ ص ١٤٦.

٨- قد يتأرجح الصفدي بين الموافقة على ما بالنص من الآراء ومخالفة هذه الآراء فينقل النص ثم يأتي له بما يؤيده ويدعمه ثم يعرض وجهة نظره الثانية في فهم الكلام، تلك الوجهة التي يخالف فيها ما بالنص من الآراء ثم يأتي لها بما يدعمها ويرجحها، ثم يدع الرأيين بعد ذلك للقارئ يحكم عليهما، ويوازن بينهما، ويختار لنفسه أيهما بعد ذلك إن شاء.

ومن هذه المواقف التي تذبذب فيها الصفدي بين الموافقة على ما بالنص المنقول من الآراء والمخالفة لهذه الآراء؛ ما كان منه عند شرح معنى كلمة المجد في قول الطغرائي: «مجدى أخيراً..» فقد نقل عن ابن السكيت قوله: «الشرف والمجد إنما يكونان بالآباء، يقال: رجل شريف ماجد له آباء متقدمون في الشرف، قال: والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن لأبائه شرف». هـ<sup>(١)</sup>. ثم أتى له بما يدعمه ويقويه فقال، «قلت: قول امرئ القيس:

لو أن ما أسعى لإدنى معيشة      كفاني ولم أطلب قليل من المال  
ولكنما أسعى لمجد مؤثلي      وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

يؤيد ما ذهب إليه ابن السكيت؛ لأن المجد المؤثل هو الموروث<sup>(٢)</sup>».

والى هنا يبدو أنه يوافق على رأى ابن السكيت؛ لأنه أقام قول امرئ القيس شاهداً يدعمه، إلا أنه سرعان ما يخالفه عندما يعرض وجهة النظر الثانية في تفسير البيت فيقول: «ويحتمل أن يكون المجد مما يكتسبه الرجل بنفسه بدليل قوله: أسعى، والسعى إنما يكون لتحصيل ما لم يكن للإنسان، والوراثة لا يسعى لها لأنها حاصلة<sup>(٣)</sup>».

حقاً لقد اشترط لقبول هذا الرأي شرطاً هو «هذا إن قلنا إن اللام هنا للتعليل<sup>(٤)</sup>، إلا أنه رجع وقال: «وإن قلنا إنها شبه الملك فيترجح قول ابن السكيت<sup>(٥)</sup>».

(١) الغيث المسج ج١ ص ٨٧.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

هو إذن قد وصف الحالة التي يقبل فيها كلام ابن السكيت، ووصف الحالة التي يرفضه فيها، وترك القارئ يختار الرأي الذي يقبله ويرجحه، ولم يستقر هو على رأي في هذه المسألة.

ومن هذا العرض لهذه النقاط جميعها يتبين لنا أن الصفدي كان في تعامله مع مصادره ذكياً ولماحاً، كما تبين لنا إلى أي مدى كان الصفدي يتصرف في النص المنقول من المصدر بالحذف منه واختصاره مرة، وبإيراده بمعناه أخرى، بالموافقة على ما به من الآراء تارة وبالمخالفة أخرى، وهذا كله يعطينا صورة لما كان عليه الصفدي من الوعي بوظيفة المصدر من ناحية، وبأهمية موقفه من النص المنقول من المصدر من ناحية ثانية؛ ذلك لأن طريقة استخدام المؤلف للمصدر هي التي تبلور فيها له، وتبين ماذا يريد منه.

#### خامساً: الملاحظات والمشاهدات الشخصية كمصدر من مصادر الشرح:

نادراً ما كان الصفدي يعتمد في شرحه وتوثيق معلوماته داخل الشرح بذكر حكايات جرت له أو شاهدها، ومع هذا وجدت لزماً على وفاء بحق العلم - أن أشير إلى المواقف التي استخدم الصفدي فيها الملاحظة أو المشاهدة الشخصية بوصفها من مصادر الشرح، أو وسيلة توثيق للمعلومة داخل الشرح على الرغم - كما قلت - من ندرتها وعدم تمثيلها لظاهرة تستحق الدراسة.

وأول هذه المواقف كان عند شرحه لقول المناطقة: لكل نوع حصّة من جنسه فقد تحدث عن هذه المسألة ثم قال: «وقد رأيت الشيخ الإمام الفاضل ركن الدين محمد بن القريع غير مرة ينكر على من ضرب كلباً أو بهيمة، ويقول له بحق: لاى شيء تفعل به هذا وهو شريكك في الحيوانية<sup>(١)</sup>».

فهذا النص يدل على رؤية الصفدي للشيخ ركن الدين وهو ينهر الضاربين للكلاب والبهائم ويذجرهم ويوبخهم، ولا شك أن إيراد هذا النص يوثق المعلومة المنطقية من طريق غير مباشر؛ لأن القارئ الذي لا يعتقد في هذه المقولة عندما يقرأ أن شيخاً وإماماً فاضلاً يعتنقها ويطبقها في نفسه أولاً وفي غيره ثانياً قد يتخذ من سلوك هذا الشيخ سبيلاً إلى الاقتناع بها.

(١) الغيث المجمع ج١ ص ٩٢.



وثانى هذه المواقف كان عند الحديث عن لعبة الشطرنج؛ حيث أورد لابن الرومي أبيانا فيمن يلعب بالشطرنج غائبا ثم قال: «وقد رأيت أنا غير مرة بالديار المصرية شخصا متجنبا يعرف بعلاء الدين بن قيران هو أعمى يلعب بالشطرنج مع العوام يحطهم ويغلبهم، وما راعى فيه إلا أنه يقعد ويتحدث، ينشد لنا الأشعار، ويحكى كل منا حكاية في شأنه وهو يشاركنا فيما نحن فيه. ويدع اللعب ويقوم إلى الخلاء ويحضر ولم يغب عنه شيء مما هو فيه، وهذا غريب، وهو مشهور بالقاهرة لا يكاد يجهله من يلعب بالشطرنج إلا أناسا قلائل»<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن هذا النص نفيس غاية النفاسة، لا لأنه يوثق كلام ابن الرومي فحسب؛ وإنما لهذا ولأنه يحمل كثيرا من المؤكدات التي تدفع قارئه إلى تصديقه؛ أولها: ما صرح به الصفدي من أن هذه المشاهد لم تكن عابرة وإنما تكررت أو رآها مرات، بل وجالس القوم وهم يلعبون، وثانيها: تعجبه من هذا الأعمى، وثالثها: نصه على شهرته بالقاهرة حيث لا يكاد يجهله من لاعبي الشطرنج إلا القليل.

ولما كانت هذه الحكاية غريبة في بابها، وتوهم الصفدي أن القارئ لا يمكن قبولها أو تصديقها شغعا بثانية توثقها وتؤكددها فقال: «ورأيت غير مرة أيضا بدمشق سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة شخصا يعرف بالنظام العجمي، وهو يلعب الشطرنج غائبا في مجلس صاحب شمس الدين أول ما رأيته يلعب مع الشيخ أمير الدين سليمان رئيس الأطباء»<sup>(٢)</sup>.

ولما تعجب الصفدي من ذلك حكى له النظام «أنه كان يلعب غائبا على رقعتين»<sup>(٣)</sup>. وحكى له المولى بدر الدين الغزي «أنه رآه يلعب على رقعتين غائبا وقدأمه رقعة يلعب فيها حاضرا وغلب في الثلاث»<sup>(٤)</sup>.

ولما توهم الصفدي أن قارئه لن يصدق هنا الكلام أخلى نفسه من التبعة ووضعها على عاتق الغزي قائلا: «والعهدة في ذلك عليه»<sup>(٥)</sup>.

(١) السابق ج ٢ ص ٨٩.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) الفيت المسجم ج ٢ ص ٨٩.

## الفصل الرابع

### منهج الشرح

محتويات الفصل :

أولاً : أسباب تأليف الكتاب .

ثانياً : ظروف تأليف الكتاب .

ثالثاً : منهج الشرح كما رسمه الصفدي في المقدمة .

رابعاً : مدى التزام الصفدي بأسس منهجه في الشرح .

خامساً : ملاحظات أبرزتها قراءتي للغيث .

سادساً : الشرح اللغوي لأبيات اللامية .

سابعاً : مظاهر غلبة النزعة التعليمية على الشرح .

ثامناً : الفكاهات والتوارد في الشرح .

تاسعاً : لامية الطغرائي كما وردت في الغيث مع ترقيم أبياتها .

عاشراً : لامية الصفدي التي عارض بها لامية الطغرائي .



أولاً : أسباب تأليف الكتاب :

أوضح الصفدى فى مقدمة الكتاب الأسباب التى دعتة إلى تأليفه ، والقصد من يهدف إليه من وراء هذا التأليف ، وأرجع هذه الأسباب إلى ثلاثة أمور :

أولها : ما عنتاز به لامية الطغرائى من كريم المعانى ، ورائع الألفاظ ؛ إذ تدور حول شكوى الزمان ، وتأديب النفس بالاستفادة من تجارب الآخرين ، والاعتبار بما وقع لهم من خلطوب ، والدعوة إلى التجمل بالصبر والتعلق بأهدابه إذا نابت الحزن ، وقد عبر الطغرائى عن هذه المعانى فى ألفاظ جزلة ، فيها فخامة ، وبها ضخامة ، ثم فيها بعد ذلك بيان أسر ، وجمال فنى ساحر ؛ مما جعل الناس يعفون بها ويحفظونها وتجرى أبياتها على ألسنتهم ، وهذا كله دفع الصفدى دفعاً إلى وضع شرح عليها فهو يقول : « فإن القصيدة الموسومة بلامية العجم - رحم الله ناظم عقدها وراقم بردها - مما تعاطى الناس مدام أكوابه ، وتجادبوا هُدأب لهدب ، وتداولوا ضرب مثله الذى علا عن أضرابه ، واقتطفوا ثمر معانيه متشابهاً وغير متشابه . . . . . وقد أحسيت أن أضع عليها شرحاً يزيد جيلها فرائداً ، وتصيدتها فوائداً » (١) .

وثانيها : أن مشيلتها المصاة بلامية العرب للشعرى قد نالت من اهتمام العلماء والشرح ما لم تنله لامية العجم ولما رأى الصفدى للامية العرب « شرحاً حسناً تام القصد كثير الفوائد » (٢) . حذاء الشرق إلى أن يضع على لامية العجم شرحاً بظرفه وبمائله ، ويقاربه روعة وحسناً وكثرة فوائد .

وثالثها : أن الصفدى أراد أن يضع كتاباً جامعاً لأحسن ما أقر عن العرب من علوم لغون وآداب ليكون ذلك « عنواناً على التفضيلة التى امتاز بها لسان العرب » (٣) . ونجد من شرح أبيات لامية الطغرائى سبيلاً إلى تصنيف هذا الكتاب الجامع .

ثانياً : ظروف تأليف الكتاب :

وقد ألف الصفدى هذا الكتاب فى ظروف صعبة لسان ندرى ما هى على وجه

(١) الغيث المجمع ج ١ ، ص ١ .

(٢) السابق نفسه ص ٢٧ .

(٣) السابق نفسه ص ١ .



التحديد؛ إذ لم يفصح عن شيء منها، وإنما ألح إليها بقوله: «وقد علفت هذا الشرح وأنا في هموم قد علم الله ثوائف بصوئها، وانسكاب غصائهم غمومهم وغبوئها، وافتراس فوارسها، وأذهلني الجناس عن ذكر ليونها». أتخرج كؤوساً على بها العلقم، وأساور على الأرق منها ما هو أنفث سماً من الأرقم، وأتلقى بصدرى كل صدع قد ينس من الجبر، وألتزم بحملها التزام واصل بن عطاء بالقدر، أو جهابض صفوان بالجبر، وأعالج منها كل جراحة بعد غورها عن السبر، وأتطلب رضى الأيام وهى على أشد حقداً من سلامة بنت سعد على عاصم حمى الدبر، وألقى جيوش الخطوب وأنا عار، ونعم ذكرت بالسجع أن لى درعاً من الصبر، وأعد في الأحياء وأنا من الأموات ولكن ما ضمتني جوانح القبر»<sup>(١)</sup>.

وقد جعل الصفدى من بيان هذه الظروف الصعبة سبيلاً إلى الاعتذار للقارئ عن الخطأ والزلل حيث يقول: «اعترضت بهذا الفصل، وقطعت به لذة ذلك الروصل، ليعذر الواقف على الخطأ، ويتحقق السبب في عدم نوم القطا؛ لأن هذه الأوراق ما فيها غير هذه القصيدة ثمر، ولو عاين الطغراني - رحمه الله - هذا الشرح لقال: «أراني السها لما أريته القمر»، وما أولاني بقول العماد الكاتب:

هِيَ كُنْبِي فَلَيْسَ تَصْلُحُ بَعْدِي      لِيَغْيِرَ الْعِطَارَ وَالْإِسْكَافَ  
هِيَ إِسْمًا مَزَاوِدُ لِلْعَقَاقِيرِ      وَإِذَا بَطَانَتُ لِلْخِفافِ»<sup>(٢)</sup>

وإذا كان الصفدى قد ألف هذا الكتاب المهم من كتب الشروح الأدبية في هذا العصر في مثل هذه الظروف والأحوال البالغة الصعوبة، فماذا كان يصنع لو ألفه في ظروف أحسن وأفضل؟ وعلى أية صورة كان سيأتي هذا الكتاب؟ وإذا كان هذا رأى الصفدى في كتابه فإنى أرى أنه قد ظلم نفسه، وبخس الكتاب حقه بهذا الحكم الجائر؛ لأن هذا الكتاب قد أحدث ردود فعل واسعة، وكان مصدراً لكثير من كتب الشروح التى تناولت هذه اللامية من بعده بالشرح والتفسير، وهذا هو ذا الشيخ جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرى يضع شرحاً على هذه اللامية يقول في مقدمته: «جردت أكثر من شرحها للأديب الفاضل المتفقه خليل

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ١٤.

(٢) الغيث المسجم ج ١ ص ١٥.

بن أبيك الصفدي رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup>. ويصفه بأنه «أبلغ فيه وأوعب، وأظن  
وأعجب، وأغرب، وأطال داعية الأقلام، وجر أذيال فضول الكلام،  
وأسهل وأوعر، وأنجد وأغور، واستطرد من فن إلى فنون...»<sup>(٢)</sup>.

ولم يأخذ جمال الدين الحضرمي على الصفدي وكتابه إلا أنه «استرسل في  
شجون الجدل والمجون حتى صار ذلك التطويل سبباً للعجز عن التحصيل، هذا مع  
ما خرج فيه عن الحد، وطغى الماء به في المد، من مستهجنات هزلة، لا تليق  
بعلمه وفضله، مما لا يحل ذكره وإيداعه، بل يخل بالعدالة روايته وسماعه»<sup>(٣)</sup>.

وما هو ذا الشيخ عبد الرحمن الشافعي العلواني الطبيب يضع شرحاً عليها  
يقول في مقدمته: «وقد شرحها أوجد زمانه، وفريد أوانه، الشيخ صلاح الدين  
الصفدي - سقى الله ثراه وجعل الجنة مأواه - شرحاً تضرب آباط الإبل فيما  
دونه، وتقف فحول الرجال عنده ولا يعدونه، والتزم أن يذكر فيه ما سمع فوعى،  
وما جمع فأوعى، ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائده وفرائده إلا أظهرها، ولا  
نكتة بديعة من لطائف معناه إلا وفي الكتاب سطرها»<sup>(٤)</sup>.

ثم يصف شغفه بالغيث، وإفراغه الوُسع في الحصول على نسخة منه فيقول:  
«كنت حين سمعت بهذا الكتاب أتطلبه من أولى الأسباب، وأحث إلى الوصول  
إليه عزم الركاب، إلى أن وجدتته؛ فإذا هو كبحر عجاج متلاطم الأمواج، ريحه  
عاصف ووابله واكف، وجواهره منضودة، وفرائده معقودة. لم ينسج في فنه على  
منواله، ولا سمحت قريحة بمثاله»<sup>(٥)</sup>.

ولعل لا أعدو الصواب إذا قلت: إن الصفدي قد ناقض نفسه في حكمه على  
عمله؛ لأنه اعترف في أول المقدمة بأهمية كتابه، واحتوائه على فوائد وقواعد

(١) نشر العلم في شرح لامية العجم: لجمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي ص ٣، طبع

نصر عام ١٢٨٣ هـ.

(٢) السابق نفسه ص ٣.

(٣) السابق نفسه ص ٣.

(٤) قطر الغيث المسحوم في شرح لامية العجم لعبد الرحمن الشافعي العلواني الطبيب. طبع على

هامش صفحات الأزهار على نسمات الأسحار في مدح النبي المختار للشيخ عبد الغنى النابلسي

ص ٣. الناشر عالم الكتب بيروت - مكتبة الشبي زهرة د. ح.

(٥) السابق نفسه ص ٥.

وشواهد على درجة عالية من القيمة العلمية حيث قال : « فقد أودعت فيه فوائد  
جَمَّة ، وقواعد مهمة ، وشواهد هي لجامحات المعاني أَرَمَّة » (١) .

هو إذن يشعر بأهمية الكتاب وقيمته ، كما يشعر بقيمة ما أودعه فيه من العلوم  
والفنون ، فكيف نوفق إذن بين هذا الشعور وقوله : « وما أولاني بقول العماد  
الكاتب :

هِيَ كُتَيْبِي فَلَيْسَ تَصْلُحُ بَعْدِي      لِعَلَّيْرِ الْعَطَّارِ وَالْإِسْكَافِ  
هِيَ إِمَّا مَزَادٌ لِلْعَفَّاقِيرِ      وَإِمَّا بَطَّائِنٌ لِلْخِصَافِ

وقول مجير الدين محمد بن تميم الأسعدي :

عَرَضْتَ كِتَابِي كَيْ يُسَاعِدِيهِمْ      عَلَى مُشْتَرِي عِنْدَ الْوَفَاءِ شَحِيحِ  
رَأَى خَطُّهُ ذَا عِلَّةٍ قَاعَادُهُ      وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحِ (٢)

وأرى أن التوفيق بينهما ليس بالأمر العسير؛ لأن تناقضه في تصوري مرده إلى  
الحالة النفسية التي كان عليها عند كتابة الرأيين، فعندما شرع في كتابة المقدمة كان  
مستريح النفس، هادئ الأعصاب، فأثنى على ما في الكتاب من فكر وفن، ولما  
أخذ في شرح الظروف والأحوال التي عاناها أثناء تأليفه انتابه حالة من اليأس  
والإحباط فأثرت هذه الحالة عليه، فجرى قلمه بما كتب من رأى .

ثالثاً : منهج الشرح كما رسمه الصفدي في المقدمة :

وقد وضع الصفدي في المقدمة الخطوط العامة لمنهجه الذي سيسير عليه في  
شرحه أبيات اللامية، وهو منهج يتسم بما تتسم به مناهج العرب القدماء في  
التأليف والكتابة العلمية من الموسوعية والشمول (٣)، ويقوم هذا المنهج على تسع  
دعائم أساسية هي :

١- التناول اللغوي لألفاظ الآيات بالشرح والتحليل ، والإيضاح والتفسير،

(١) القيث المسجم ج ١ ، ص ١٠ .

(٢) السابق نفسه ج ١ ، ص ١٥ .

(٣) يراجع في هذه القضية كتاب مناهج العرب في التأليف للدكتور / مصطفى الشكعة . دار العلم  
للملايين . بيروت د . ت .

وقد نصح على ذلك حيث يقول «وقد أحببت أن أضع عليها شرحاً يزيد جودها  
فرائداً وقصبتها فرائداً . . ولا أغادر فيها لغة ولا إعراباً» (١) .

٢- إعراب جميع ألفاظ أبيات اللامية، ثم الحديث عما ينصل بإعراب ألفاظها  
من مسائل نحوية مختلفة وذلك نفهمه من النص السابق ذكره حيث يقول «ولا  
أغادر فيها لغة ولا إعراباً» (٢) .

٣- إيضاح معاني أبيات اللامية إيضاحاً يزيل ما بها من غموض ، ويقرب  
معانيها إلى الأفهام، وذلك نفهمه من النص السابق - أيضاً - إذ أضاف قائلاً «ولا  
إيضاح معنى ولا إعراباً» (٣) .

٤- الحديث عن كل المعاني التي تقارب معاني أبيات اللامية وشرحها، وذلك نفهمه  
من بقية النص حيث يقول «ولا ما يضمه إليها سلك أو يدخل معها جراباً، إلا  
نبهت عليه، وأشرت بحسب الإمكان إليه» (٤) .

٥- الاستطراد في الشرح لذكر ما يمكن ذكره من الأمور التي تتوارد على ذهن  
مَن ما كان فيها نفعاً، وبها فائدة، حتى يكون الكتاب نموذجاً فريداً لما ينبغي أن  
يكون عليه كتاب الأدب الدال على ما يمتاز به لسان العرب وذلك نفهمه من قوله :  
«هذا إلى ما يستطرد إليه الكلام من نكتة، وتعرض جملة ذكره بغنة، وببديه  
الضمير على لسان القلم، وكم لسان قلته، وبشبه النعمد إذا علمت أن الجيد  
الإطلاع إليه لفظة» (٥) . وقوله «فما شامت عيونه برق علم إلا انتجعت قطره  
الصيب، وصبرت على ثمره الردي حتى رأيت الطيب، ولا تطلعت أعناقها إلى  
مرعى بحث إلا أسمته سعدانه، وأثقلت بالفوائد إذا انصرف من مأدبة أردانه، ولا  
قرمت شهواته إلى نكت بديع إلا أنزلته بمن يمنحه العطا ويمنعه العطب، وتبعت  
نقرا ذوائب النيران التي وقودها المثل الرطب لا الحطب» (٦) ، وقوله : «فلهذا لا

(١) الغيث المسجم ج ١ ، ص ١٠ .

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٤) الغيث المسجم ج ١ ، ص ١٠ .

(٥) السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٦) الغيث المسجم ج ١ ، ص ١٠ ، ص ١١ .



نجدني في الشرح واقفاً مع ضيق المقام، ولا فأراً من مشق القواضب ولا رشح  
 السهام، بل أشرف على كل مكان فأسقط، وأتوخى الحب من الدور الكبار فالتقط،  
 فمهما استطرد الكلام إليه وفيته حقه، ومهما نعلق به ملكتنه رقه، فمن غور إلى  
 نجد، ومن ربوة إلى وهد، ومن ظهر أرض إلى بطن مهد، ومن اقتناص بصقر إلى  
 اصطيد بفهد<sup>(١)</sup>. وقوله «فقد يتسلل الاستطراد والقلم معه، ويتشعب الكلام فلا  
 أدعه يجد دعه، فأترك كثيراً مما طلب، وأطلب ما يحق له الفرار والهرب، وأذكر  
 بالصد غيره عند الرجوع والمنقلب، وأعطف على نظائره فأفوز بالغلب»<sup>(٢)</sup>.

ولقد رد الصفدي على من يحاول أن يتقده من هذه الناحية، وينتهمه بالخروج  
 عن الشرح، ونشيت الذهن في مسائل كثيرة مما يؤدي إلى العجز عن التحصيل،  
 فعلل كثرة استطراده بتشابك المعاني وارتباط بعضها ببعض فقال: «ولا بدع فالمعاني  
 بعضها ببعض مشبك، والمباحث لا يزال نافرهما في شرك الذهن يرتبك»<sup>(٣)</sup>.

ثم بين أنه لم يتدع طريقة جديدة في التأليف، وكل ما فعله هو أنه جرى على  
 سنن السابقين من المؤلفين القدماء الذين كانوا يفرقون بين العالم والأديب، ثم أورد  
 قول ابن قتيبة: «من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً، ومن أراد أن يكون أديباً  
 فليتسع في العلوم»<sup>(٤)</sup>، ثم استشهد بالجاحظ ومنهجه في تأليف كتاب  
 الحيوان، وغيره من الكتب فقال: «من وقف على كتاب الحيوان للجاحظ وغالب  
 تصانيفه، ورأى تلك الاستطرادات التي يستطردها، والانتقالات التي يتقل إليها،  
 والجمل التي يعترض بها في غضون كلامه، ويدرجها في أثناء عباراته بأدنى  
 ملاسة، وأيسر مشابهة، علم ما يلزم الأديب، وما يتعين عليه من مشاركة  
 المعارف»<sup>(٥)</sup> ثم قال: «إني لم أقصد بما استطردت به إلا إلى أمرين: أولهما صلة  
 العائد من الفائدة، وبعث النفوس التي هي في قبور الفتور هاملة سامدة، فإن  
 المطالعة تتروح إليها النفوس، وتجد في مراجعتها ما تجده في معاطاة الكؤوس»<sup>(٦)</sup>.

(١) السابق نفسه ص ١١.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) الغيث المجمع ص ١١، ص ١٢.

(٤) السابق نفسه ص ١١.

(٥) السابق نفسه ص ١٢.

(٦) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

ونانيهما: «ما يتسلط به الواقف على الانتقاء والانتقاد ، ويتوصل به إلى حسن الأرباء والارتياح» (١) .

ولقد بين بعد هذا الدفاع عن موقفه فوائد الاستطراد بعامة فقال: «والخروج من فن إلى فن أقدر على البحث وأسلط ، والانتقال من نوع إلى نوع أنشط للمطالعة أبسط ، والمشاركة أقوى على الظفر بالصواب وأقوم وأقسط» (٢) .

٦- سادس هذه الدعائم التي يقوم عليها منهج الشرح تخير ما يورده أثناء الشرح من كلام الأدباء كتاباً وشعراً ، وتوخى أن تكون النصوص المختارة ذات قيمة أدبية عالية، وذلك نفسه من قوله: «على أنني لم أدعُ الجفلى إلى هذه المأدبة، ولا غبتُ طفيليَّ الكلام أن يتصدر في هذه المرتبة ، فكم توقف القلم في الإذن على ما حصل فيه أدنى لبس ، وكم ضاق بواحد من غسان ولم يسع جميع بنى عبس ، وكم دفع عن صدر كثير من المحاسن ، وأعرض عن منهل كان مأواه العذب غير آمن» (٣) .

٧- الاختصار والإيجاز كلما وجد إلى ذلك سبيلاً حتى لا يكون تطويله سبباً في ملل أو دافعاً إلى ضيق؛ يقول: «نعم خشيتُ الإطالة، واجتنبتُ العثرة خوفاً من عدم الإقالة، وفررت من الزيادة حتى لا يكون ضغنا على إبالة، وقلت: مع ضوء الشمس لا يظهر فضل الذبالة، فأضربت عن التحلل بالأثيل الأثير، وعلمت أن من الناس من يقرأ لنافع ولا يقرأ لابن كثير، فاختصرتُ على الزيد واختصرت» (٤) .

فكثيراً ما كان الصفدي يمتنع عن الاستطراد والامترسال في الحديث مع ما فيه من متعة وفكر، فقد قال مرة عند الحديث عن حرف الواو: «ففى الواو صباحات جيلة، جمعتها في كرامة أضربت عن إثباتها هنا خوفاً من الإطالة» (٥) . وقال في موضع ثان: «وفى المفعول به كلام طويل ، وبحث حسن ، ادخرتهما لغير هذا

(١) السابق نفسه ، والصفحة نفسها .

(٢) السابق نفسه ، والصفحة نفسها .

(٣) الغيث المسجم ج ١ ، ص ١٣ .

(٤) السابق نفسه ، والصفحة نفسها .

(٥) السابق نفسه ص ٧١ .

المكان<sup>(١)</sup>، وقال في موضع ثالث عند الحديث عن القصائد ذات الألفاظ الفخمة التي فيها حث على القوة «وآيات بشر بن أبي عوانة<sup>(٢)</sup> في وصف الأسد، وآيات البحري، وآيات أبي الطيب، الجصع مشهور فلا فائدة في التطويل بذكر ذلك<sup>(٣)</sup>».

٨- تأييد مواقف المتأخرين من العلماء، والانتصار لهم ما وجد إلى ذلك سبيلاً وهذا نفهمه من قوله: «وملت في المباحث إلى قول المتأخرين وانتصرت، اللهم إلا فيما ندر، وخان هذا الشرط وغدر<sup>(٤)</sup>».

٩- التوطئة بالحديث عن الطغرائي وحيته وشعره، ثم الحديث عن اللامية وقيمتها بقول: «ومن هنا أشرع في ذكر الطغرائي - رحمه الله - وتاريخ مولده ووفاته وسبب قتله، وما اتفق له في ذلك، ثم أتلوه بشيء من شعره المقاطع التي له ثم أتكلم فيما بعد على عروض القصيدة وقافيتها وما يتعلق بذلك<sup>(٥)</sup>». وبعد أن ينتهي الصفدي من هذه المقدمة يشرع في شرح الآيات بيتاً بيتاً على الأمر الثمانية السابقة بحيث لا يتقل من واحد إلى غيره إلا بعد أن يوفيه حقه من البحث والدرس، يقول الصفدي: «وإذا انتهى الأمر إلى ذلك أجمع، سردت القصيدة بيتاً بيتاً، ولا أذكر الثاني حتى أفرغ من الأول، وأسوق فيه ما له به علاقة لا يستغنى الأديب عنها<sup>(٦)</sup>».

الصفدي إذن يسير وفق منهج محدد، وخطة مرسومة، وهو حقاً يتم بالموسوعية والشمول إلا أنه يدور على محور، وله ركيزة أساسية يرجع إليها دائماً

(١) السابق نفسه ص ٢١٦.

(٢) هكذا ورد الاسم بالغيث وتصحيحه «بشر بن عوانة» وظاهر كلام الصفدي يدل على اقتناعه بأن بشر بن عوانة شخصية حقيقية لها إنتاج شعري وليس الأمر كذلك؛ فبشر بن عوانة شخصية خيالية أوردتها بديع الزمان في مقامته المسماة بالمقامة البشرية والآيات التي قالها بشر في وصف نزاله وقتله للأسد إنما هي من تأليف البديع الذي كتبها على لسان بشر. ويمكن أن يراجع للشيث من هذا الكلام مقامات البديع بشرح الأستاذ الإمام محمد عبده، وتحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ص ٤٤٩ وما بعدها.

(٣) الغيث المسجم ج ٢، ص ٧٠، ٧١.

(٤) السابق ج ١، ص ١٣.

(٥) السابق نفسه ص ١٥.

(٦) الغيث ١/١٥.

بهما شطح به الخيال أو سرح به القلم ، ونعني بهذا المحور أو هذه الركيزة أبيات اللامية، فكثيراً ما قال بعد استطراد طويل: «رَجَعُ القول إلى الإعراب»<sup>(١)</sup>، أى إلى إعراب البيت، وكثيراً ما كان يقابل بين معنى الطغرائى ومعانى غيره من الشعراء وتطول هذه الموازنات الأدبية ثم يقول: «رجع وهذا المعنى الذى فى بيت الطغرائى لطيف»<sup>(٢)</sup> فهو - إذن - لا ينسى أبيات اللامية ولا يتجاهلها وإنما تظل فى ذهنه ومخيلته، ولا يفتأ يبعد عنها حتى يعود إليها ثانية لأنها هى الأساس والأصل الذى يدور عليه ويرتكز إليه، ومن العجيب بعد هذا كله أن ينهم أحد الدارسين الصفدى به «تلفيق ما يعن له من مباحث اللغة والنحو وغيرها»<sup>(٣)</sup>، ولا يجيز وصف خطته أو منهج شرحه بالمنهج إلا بحذر شديد حيث يقول فى تعليقه على استطراد الصفدى «والحق أن هذا الذى ذكره هو التعبير الحقيقى عن مضمون كتابه وسير منهجه لو جاز أن نسّم عمله بالمنهج» ولست أدري لم لا يجوز أن نسّم عمله بالمنهج، وقد وضحه فى مقدمته وأقامه على هذه الدعائم النع التى شرحتها وكنت فيها حريصاً على استنطاق نصوصه، والاستنباط منها حتى لأقرر - هادئ البال - أنى لم أقحم عليها شيئاً ولم ألو عتق نص منها ليدل على ما أريد!!

#### رابعاً: مدى التزام الصفدى بأسس منهجه فى الشرح :

ونريد الآن أن نبين إلى أى مدى التزم الصفدى بمنهجه الذى وضعه فى المقدمة، وهل التزم بكل بنوده؟ أم أحل ببعض هذه البنود والتزم ببعضها الآخر؟ ولعل خير إجابة عن هذا السؤال أن نحلل شرحه لبيت من أبيات اللامية ثم نحكم بعد ذلك على مدى التزامه حتى يكون الحكم موضوعياً ، ولنأخذ شرحه للبيت الأول على سبيل المثال فقد كتب البيت وهو :

أَصَالَهُ الرَّأْيُ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطَلِ      وَحَلِيَّةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ

ثم بدأ شرحه بالحديث عن لغة البيت ومعانى مفرداته فتحدث عن كلمة أصالة، وبين أنها مصدر وذكر رأى ابن الأنبارى فى تعريف الأصل، ثم أتى إلى

(١) السابق نفسه ص ١٣٣ على سبيل المثال .

(٢) السابق نفسه ص ٤٤٧ .

(٣) شروح لامية العجم دراسة تحليلية نقدية - د/ إبراهيم محمد منصور ص ٣٦ . الطبعة الأولى

١٩٩٨ م المركز المصرى العربى للصحافة والنشر والتوزيع - القاهرة .



لفظة الرأي وبين معناها لغة واصطلاحاً، وجرة هذا إلى الحديث عن أصحاب  
الرأي كأبي حنيفة النعمان وغيره من أصحاب القياس والتأويل، وبين أنهم - حين  
تضارب آراؤهم في فهم النصوص وتفسيرها - غير مخطئين، وكلهم مجتهد،  
وكلهم يستغنى من الله - تعالى - الأجر والثوبة، وذكر أن آراءهم ليست ملزمة  
لاتباع مذاهبهم، ثم تحدث عن أهل الظاهر وهم الذين يقولون بظاهر النص  
واستطرد فذكر أن بين أهل الظاهر وأهل الرأي خلاف في الوقف في قوله تعالى:  
﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ [آل عمران: ٧]،  
وشرح أوجه الوقف المختلفة التي تحملها تلاوة هذه الآية، وبين آراء أكابر أهل  
العلم بالقرآن في هذه المسألة كابن عباس وغيره، كما بين آراء اللغويين والمكلمين  
والفقهاء في هذه المسألة، وبعد أن انتهى من هذا البحث رجع إلى معاني الكلمات  
فاستوفى الحديث عن بقية مفردات البيت، ثم شرع في إعرابه، فذكر أن أصالة  
تعرب مبتدأ، وأخذ يورد تعاريف العلماء للمبتدأ كما تحدث عن العوامل عند  
النحاة وقسمها إلى قسمين: معنوية، وحقيقية، وذكر أن العامل المعنوي في تقدير  
النحاة يكون في موضعين: الابتداء، ووقوع الفعل المضارع موقع الاسم، ويبدو أن  
الصفدي لا يعترف بالعامل المعنوي لأنه تهكم عليه وذمه، وذم من يلجأ إليه من  
النحويين؛ حيث ذكر أن النحوي لا يلجأ إلى العامل المعنوي إلا عجزاً تماماً كما  
يعجز الفقيه عن إدراك علة الحكم في مسألة فيعلق عدم إدراكه وفهمه وقصور باعه  
في العلم على التعبد، وتظهر شخصية الصفدي النحوية قوية باهرة متمكنة من  
مادتها العلمية حين يرفض قول النحاة بأن رافع المبتدأ هو التجرد عن العوامل،  
وحين يرفض - أيضاً - قولهم بأن رافعه الخبر، ويرد كل آرائهم هذه عليهم،  
وبين لهم بطلانها، وكأنني به إذ يقف منهم هذا الموقف - وهو يقف منهم ومن  
غيرهم من العلماء في كل ضروب العلم والمعرفة موقف المدقق المتفحص - يتبع  
كل القواعد والأصول العلمية التي أقرها وارتضاها العلماء مناهج للبحث والدرس  
الأكاديمي المتخصص، ثم يكمل الصفدي إعراب البيت حتى إذا ما جاء إلى الواو  
في قول الطغرائي «وحلية الفضل» تحدث عنها حديثاً مفصلاً من ناحية اللغة

واستطرد في الحديث حتى أتى إلى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل  
 عمران: ٥٥] ، وأخذ يورد آراء المفسرين وغيرهم من العلماء في هذه الآية ، ثم  
 تحدث عن واو عمرو ، وعن رأى الجاحظ فيها ، ثم تحدث عن تشبيه الصدغ  
 بالواو ، وأورد نماذج له ، وعاد إلى إعراب بقية أبيات الشطرة الثانية من البيت ، ثم  
 تحدث عن معنى البيت ، وعن اعتداد العرب برأى الشيوخ الكبار الذين تمسوا  
 بالحياة ، وحلبوا الدهر أشطرها ، وذاقوا حلوته ومره ، حتى انحنت منهم الظهور ،  
 وبطأت خطوات أقدامهم ، وذهب عنهم الترق والطيش اللذان هما أظهر صفات  
 الشباب ، وأورد في ذلك شعراً لأبي فراس وغيره ، كما أورد في ذلك أثراً عن  
 الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ، وجوه الحديث عن امتداح  
 رأى العقلاء إلى امتداح المشورة وعدم الانفراد بالرأى دون الآخرين ، وروى عن  
 أهمية المشورة الكثير من الآثار التي من أجلها ما أشار به الحباب بن المنذر - رضي  
 الله عنه - على النبي ﷺ في غزوة بدر ، حيث ارتأى وهو الخبير بالحرب أن يتزل  
 المسلمون على آخر ماء بدر حتى يتسنى لهم الانتفاع بالماء على خير وجه حيث  
 يشربون ولا يشرب الأعداء ، ويستفيدون بالماء ويحرم منه الأعداء ، وبين الصفدي  
 أن أخذ النبي ﷺ برأى الحباب يعطى المسلمين قدوة صالحة في النزول على أحسن  
 الآراء ، ثم تحدث عن أولى الألباب من العرب ، وذوى الرأى فيهم ، ومن اشتهروا  
 بالدهاء والحكمة ، ثم أورد عدداً كبيراً من المقطوعات الشعرية الأسيرة ذات القيم  
 الفنية والجمالية العالية في امتداح العقل وتركيبته ، للمتنبي ، والبحتري ، وابن  
 المعتز ، والطغرائي ، وأبي الفتح البستي ، ويأبى أن ينقل هذا الشعر دون أن يعلق  
 عليه ، وبين رأيه فيه ، ويطلعنا على ما يحويه من فنون البديع ، وأورد بعد ذلك  
 قصة تدل على حنكة الإسكندر حيث كتب إلى أرسطو يأخذ رأيه فيما عزم عليه  
 من أمر فارس لما استولى عليها ، فأشار عليه أرسطو بأن يوزع عليهم مملكتهم حتى  
 يبدب الخلاف بينهم ، وذكر الصفدي أن الإسكندر عمل بهذه المشورة ، وتحدث بعد  
 ذلك عن الخليفة المأمون ، وانفتاح الثقافة العربية الإسلامية في عهده على ثقافات  
 الأمم والشعوب الأخرى مما أثرى الفكر العربى وزوده بروافد ثرة أتاحت له أن

يكون فكراً عالمياً له ثقله وأهميته ومكانه المشرق بين الأفكار والفلسفات التي بنت الحضارات وأسهمت في تقدم العلم والمدنية، وجسراً الحديث عن المأمون إلى الحديث عن الإمام ابن تيمية ونعيه على المأمون ترجمته لفلسفة اليونان، وإذنه للعلماء والمفكرين أن ينأحوا في الأرض يُطْلَعُوا على ثقافات الشعوب الأخرى ويترجموا أروع ما عندهم إلى العربية، ولقد دافع الصفدي عن المأمون، وبين أن الإمام ابن تيمية قد جانب شاكلة الصواب في رأيه هذا، وذكر أن النقل والترجمة لم يتدعهما المأمون، وذلك لأن الترجمة كانت موجودة من عهد بني أمية من قبل المأمون، ومن قبل قيام دولة بني العباس. ثم تحدث عن الترجمة والنقل وبين أن لهما طريقتين إحداهما جيدة والأخرى رديئة؛ الجيدة طريقة إسحاق بن حنين، والرديئة طريقة يوحنا بن البطريق، وشرح الطريقتين شرحاً وافياً، ثم تحدث عن اختلاف الأمة الإسلامية وانقسامها فرقاً وشيعاً وأحزاباً، وذكر حديثاً للرسول ﷺ في ذلك، وتحدث عما فعل أهل الأهواء والبدع بالسنة المطهرة، وذكر أن السنة الشريفة ستظل أبد الدهر شامخة سامقة لا يضرها كيد الحاقدين، ولا يزعزعها عن مكانتها تربص المتربصين بها، وسفه الوثائين عليها، وتحدث عن المعتزلة والمناظرة التي جرت بين أبي الحسن الأشعري وأبي علي الجبائي في وجوب الصلاح أو الأصلح على الله تعالى في حق عباده، وبعد أن تحدث عن ذلك تحدث عمّا أسماه بالإلزام وهو عنده إجابة الخصم بما يفهم خصمه، ويُلْزِمه السكون الثام، وأورد مقطوعات لابن الرومي وأبي العلاء المعري في الإلزام ثم تحدث بعد ذلك عن العلم والفضل ومكانة العلماء والفضلاء بين الناس وكيف أن الملوك والعلماء يحتفون بهم، ويتخذون منه أساندة لأبنائهم، وتحدث عن ذكاء إياس بن معاوية، كما تحدث عن القضاء والقضاء وما ينبغي لهم أن يكونوا عليه من الاستقامة والوضوح والتزاهة والبعد عن الشبهات حتى يمكن لهم أن يحكموا بين الناس بالعدل، وأورد شعراً لعدد من النحاة بين حساسية هذا المنصب وخطره، وكيف أن الفوز والنجاة إنما يكونان في النخلص من تبعات هذا المنصب وأعبائه الجسام؛ إذ لا شيء أحسن من حسن الاحذوثة بين الناس؛ فمأصالة العروق وصراحة



السبب لا يغبان أبداً عن حسن الأحدثنة، والسير بين الناس سير الرشيد والصالح،  
وبهذا الموضوع ينتهي شرح الصفدي للبيت الأول من أبيات اللامية وتنتهي معه  
جولانه وخواطره الفكرية التي أوحى بها المناسبات والمواقف التي كان يتعرض لها  
ويضع تحت تأثيرها أثناء الشرح ليبدأ في شرحه وتعليقه على البيت الثاني، فنراه  
كما قال في المقدمة يثبت البيت ثم بعد ذلك يشرع في الشرح، وطبعي أن المنهج  
هو المنهج الذي اتبعه الصفدي في شرح جميع أبيات اللامية؛ يبدأ بالشرح اللغوي  
ثم الشرح النحوي ثم الشرح الأدبي الذي يمنحه الفرصة التي بها يصول ويجول  
في كل ميادين العلم والفن .

ولعلنا بعد هذا العرض التحليلي لشرح البيت الأول من أبيات اللامية نستطيع  
أن نحكم على مدى التزام الصفدي بأسس منهجه الذي بينه في أول الكتاب حكماً  
يستند من هذا التحليل الدعائم التي تؤيده، فقد التزم الصفدي بكل ما اشترطه  
على نفسه في مقدمة الكتاب التزاماً يكاد يكون حرفياً، وقد كان هذا الالتزام ديدنه  
في شرحه جميع أبيات اللامية، ومع هذا فهناك عدة ملاحظات أبرزتها قراءتي  
للغيت، وهي في مجموعها لا تمس أية دعامة من دعائم الشرح التسع التي أقام  
الصفدي عليها منهجه من حيث عدم الإخلال بها أو عدم توفيقها حقها من  
الشرح، وإن كانت بطبيعة الحال تتعلق بهذه الدعائم لأنها تدور حولها وتنبثق  
منها، وسيدور الحديث في الفقرات القادمة حول هذه الملاحظات .

#### خامساً : ملاحظات أبرزتها قراءتي للغيت :

١- وأول هذه الملاحظات : أن الصفدي قد ضمن شرحه لأبيات اللامية عدداً  
كبيراً من مقطوعاته الشعرية، وكان حريصاً على أن يتضمن كل بيت من أبياتها  
مقطوعة أو أكثر من هذه المقطوعات، وإن خافه هذا الخرص أحياناً، ولم يلتزم  
الصفدي بموضع ثابت لهذه المقطوعات، أي لم يجعل لها فصلاً مستقلاً داخل  
شرح البيت، وإنما كان يأتي بها حسبما يقتضي الحال ويستدعي السياق، فتارة  
تأتي في أول شرحه للبيت، وتارة ثانية تأتي في وسط شرحه للبيت، وتارة ثالثة  
تأتي في آخر شرحه للبيت، وقد كان نصيب الشرح الأدبي للبيت الأول من أبيات



اللامية خمس مقطوعات من هذه المقطوعات الشعرية أثبتها الصفدي في وسط الشرح، وكان لشرح البيت الثالث من أبيات اللامية نصيب الأسد من هذه المقطوعات الشعرية فقد ضمن الصفدي الشرح الأدبي لهذا البيت ثلاثاً وعشرين مقطوعة من مقطوعاته الشعرية، وأورد منها أربع مقطوعات في وسط الشرح، وتسع عشرة مقطوعة في آخره، ومما ختم به شرحه لهذا البيت قوله:

«وكتبت على مجلد قديم قد رث :

ملكْتُ كتاباً أخلَقَ الدَّهْرُ جِلْدَهُ      وما أَحَدٌ في دَهْرِهِ بِمُخَلِّدِ

إذا عاينتُ كُتُبِي الجَدِيدَةَ حالَهُ      يقولون: لا تهلك أُنَى وَنَجَلِدِ<sup>(١)</sup>

وقد تأتي هذه المقطوعات الشعرية في أول شرحه للبيت كما في المقطوعات التي أوردتها في شرحه للبيت الرابع حيث قال : «وقلت أنا من أبيات :

عَلِقْتُهَا مِنْ بَنَاتِ التُّرْكِ قَدْ غَنِيَتْ      بِدَمْعِ عاشِقِهَا عَنْ مَنَةِ الشَّفِيفِ

يا للهِوى عَيْنُهَا عَيْنٌ وَحَاجِبُهَا      نُونٌ وَتَمَّ العَنَا مِنْ قَدِّهَا الأَلْفِ<sup>(٢)</sup>

وقال: «وقلت :

سَيْنُ الثَّنايا حَوَّتْهَا مِيمٌ مَبِيمُهُ      طُوبَى لِمَنْ ذَاقَ مِنْهَا كَاسَ تَنِيمِ

وَمِنْ عَجَائِبِ وَجَدِي أَنْ بِي سَقَمًا      ما بَرَّؤُهُ غَيْرَ تِلْكَ السَّيْنِ وَالْمِيمِ<sup>(٣)</sup>

ولقد بلغ عدد مقطوعاته الشعرية التي بثها في تضاعيف الغيث سبعةً وثمانين ومائة مقطوعة يبلغ عدد أبياتها سبعةً وأربعين وأربعمائة بيت، ومن هذه المقطوعات أربع وستون ومائة مقطوعة ثنائية الأبيات، وسبع مقطوعات ثلاثية، وثمانى مقطوعات رباعية، وثلاث مقطوعات خماسية، ومقطوعة سداسية، واثنان سابعيتان، وواحدة ثمانية، هذا عدا بيت واحد مفرد مستقل في شرحه على البيت السادس من اللامية .

ومعظم هذه المقطوعات ينصوى تحت غرض شعري واحد هو المجون والغزل

(١) الغيث ١/١٢٦ .

(٢) السابق نفسه ص ١٢٨ .

(٣) السابق نفسه ص ١٢٩ .

الذكر، وهي في مجملها أشعار غثة باردة متكلفة يظهر فيها أثر المحاكاة والتقليد والصنعة، وحتى لا يطول حبل الكلام في هذه الفكرة أكتفى بما أوردته منصوص لتكون شاهداً عليها وأورد هنا أرقام الأبيات إلى ضمن شرحها عدداً من نصوصه الشعرية مع الإحالة في الهوامش إلى أرقام الصفحات التي وردت بها هذه المقطوعات، والأبيات هي: الأول<sup>(١)</sup>، والثالث<sup>(٢)</sup>، والرابع<sup>(٣)</sup>، والخامس<sup>(٤)</sup>، والسادس<sup>(٥)</sup>، والثامن<sup>(٦)</sup>، والتاسع<sup>(٧)</sup>، والعاشر<sup>(٨)</sup>، والحادي عشر<sup>(٩)</sup>، والثاني عشر<sup>(١٠)</sup>، والثالث عشر<sup>(١١)</sup>، والرابع عشر<sup>(١٢)</sup>، والخامس عشر<sup>(١٣)</sup>، والسادس عشر<sup>(١٤)</sup>، والثامن عشر<sup>(١٥)</sup>، والتاسع عشر<sup>(١٦)</sup>، والعشرون<sup>(١٧)</sup>، والثاني والعشرون<sup>(١٨)</sup>، والثالث والعشرون<sup>(١٩)</sup>، والرابع والعشرون<sup>(٢٠)</sup>، والخامس والعشرون<sup>(٢١)</sup>، والسادس والعشرون<sup>(٢٢)</sup>، والسابع والعشرون<sup>(٢٣)</sup>، والثامن والعشرون<sup>(٢٤)</sup>، والتاسع والعشرون<sup>(٢٥)</sup>، والثلاثون<sup>(٢٦)</sup>، والثالث والثلاثون<sup>(٢٧)</sup>، والرابع والثلاثون<sup>(٢٨)</sup>، والخامس والثلاثون<sup>(٢٩)</sup>، والسادس والثلاثون<sup>(٣٠)</sup>، والسابع والثلاثون<sup>(٣١)</sup>، والتاسع والثلاثون<sup>(٣٢)</sup>، والأربعون<sup>(٣٣)</sup>، والثالث والأربعون<sup>(٣٤)</sup>، والخامس والأربعون<sup>(٣٥)</sup>،

- |  |                                  |
|--|----------------------------------|
| (١) يراجع الغيث : ٧٨ ، ٧٧/١ .                      | (٢) الغيث : ١٢٦ ، ١٢٥/١ .        |
| (٣) الغيث : ١٢٩ ، ١٢٨/١ .                          | (٤) الغيث : ١٦٠ ، ١٥٩ ، ١٥٣/١ .  |
| (٥) الغيث : ٣-٣/١ .                                | (٦) الغيث : ٢٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٢٤/١ .  |
| (٧) الغيث : ٢٤٣/١ .                                | (٨) الغيث : ٢٦٧ ، ٢٦٦ ، ٢٦٠/١ .  |
| (٩) الغيث : ٢٨٨ ، ٢٨٢/١ .                          | (١٠) الغيث : ٣٠١ ، ٣٠٠/١ .       |
| (١١) الغيث : ٣١٦/١ .                               | (١٢) الغيث : ٣٣٤/١ .             |
| (١٣) الغيث : ٣٤٣/١ .                               | (١٤) الغيث : ٣٥٣/١ .             |
| (١٥) الغيث : ٣٧٢/١ .                               | (١٦) الغيث : ٣٨١/١ .             |
| (١٧) الغيث : ٣٩٥ ، ٣٩٢/١ .                         | (١٨) الغيث : ٤٠٨/١ .             |
| (١٩) الغيث : ٤٢٥/١ .                               | (٢٠) الغيث : ٤٣١/١ .             |
| (٢١) الغيث : ٤٥٢ ، ٤٥١ ، ٤٥٠/١ .                   | (٢٢) الغيث : ٩ ، ٨ ، ٧/٢ .       |
| (٢٣) الغيث : ٢١ ، ١٥/٢ .                           | (٢٤) الغيث : ٣٥/٢ .              |
| (٢٥) الغيث : ٤٣ ، ٤٢/٢ .                           | (٢٦) الغيث : ٥١ ، ٥٠/٢ .         |
| (٢٧) الغيث : ٧٦/٢ .                                | (٢٨) الغيث : ٧٩/٢ .              |
| (٢٩) الغيث : ١٠٢/٢ .                               | (٣٠) الغيث : ١١٩/٢ .             |
| (٣١) الغيث : ١٣٨ ، ١٣٧ ، ١٢٥/٢ .                   | (٣٢) الغيث : ١٧٠ ، ١٥٨ ، ١٥٧/٢ . |
| (٣٣) الغيث : ج ١٧٧/٢ .                             | (٣٤) الغيث : ٢٠١/٢ .             |
| (٣٥) الغيث : ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٣٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٢ ، ٢١٩/٢ . |                                  |

والسادس والأربعون<sup>(١)</sup>، والسابع والأربعون<sup>(٢)</sup>، والثامن والأربعون<sup>(٣)</sup>، والحادي والخمسون<sup>(٤)</sup>، والثاني والخمسون<sup>(٥)</sup>، والثالث والخمسون<sup>(٦)</sup>، والرابع والخمسون<sup>(٧)</sup>، والسادس والخمسون<sup>(٨)</sup>، والسابع والخمسون<sup>(٩)</sup>، والثامن والخمسون<sup>(١٠)</sup>، والتاسع والخمسون<sup>(١١)</sup>.

٢- وثاني هذه الملاحظات : حرصُ الصفي على الاستشهاد بما للطغرائي من شعر في ثانيا تحليله الأدبي لآيات اللامية، وحرصه على الموازنة بين أبيات الطغرائي وغيرها من شعر الشعراء في العصور السابقة عليه ، وهذا بطبيعة الحال بخلاف ما أورده له من شعر في مقدمة الكتاب؛ لأن ما أورده في المقدمة قد نص عليه في منهج الشرح ، وما أريد أن أعقب به على هذه الملاحظة هو أن الصفي يهدف من وراء منهجه هذا في إبراز شيء من نظم الطغرائي في ثانيا شرحه لآيات اللامية إلى أمرين :

أولهما : أنه يريد أن يدلل على رسوخ قدم الطغرائي في نظم الشعر ، وأنه لا يقل في إجادته له عن الفحول المبرزين في هذا الفن القولي في كل العصور وحتى عصره .

وثانيهما : أنه يهدف إلى تنمية الذوق الأدبي لدى قارئه ، وتدريبه على إجراء الموازنات الأدبية بين ما يقول الشعراء على اختلاف منازعهم في الموضوع الواحد ، وبذلك تتكون لدى القارئ ملكة النقد العربي .

هذا مع ما كان يهدف إليه أساساً من إعطاء القارئ أكبر قدر ممكن من شعر الشعراء ، ونثر الكتاب ليكون كتابه بمثابة موسوعة أدبية أو دائرة معارف أدبية - كما نقول بلغة عصرنا - عمدة الدارس والقارئ بما يطلبان ، وتغني عن مجموعة كبيرة من الكتب في كل فن على حده .

وإن كنت ألاحظ أن الصفي لم يتوسع في الاستشهاد بشعر الطغرائي وعرضه

- |                           |                               |
|---------------------------|-------------------------------|
| (١) الغيث : ٢٧٧/٢ ، ٢٨٩ . | (٢) الغيث : ٢٩٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ . |
| (٣) الغيث : ٣٢١ .         | (٤) الغيث : ٣٥٢ .             |
| (٥) الغيث : ٣٦٠ .         | (٦) الغيث : ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ . |
| (٧) الغيث : ٣٨٥ ، ٣٨٦ .   | (٨) الغيث : ٤٠٢ ، ٤٠٣ .       |
| (٩) الغيث : ٤٢٤ .         | (١٠) الغيث : ٤٢٩ .            |
| (١١) الغيث : ٤٦٤ .        |                               |

في ثنايا الشرح مثلما أفاض في عرض مقطوعاته هو، مع أن شعر الطغرائي أجود وأرق من شعر الصفدي الذي تغلب عليه الصنعة، ويظهر عليه التكلف، ويشتقر إلى المعنى الشعري في كثير من الأحيان.

والصفدي حين يستشهد بما للطغرائي من شعر في ثنايا الشرح الأدبي لأبيات الالامية يأتي به لا على صورة واحدة أو غلط واحد، بل على صور وأشكال مختلفة ولاغراض متعددة منها:

أ - أن يذكره وسط مقطوعات شعرية له ولغيره من الشعراء كأن يقول: «وقال بهيار الديلمي:

لا تحسب الهمة العلياء موجبة	رزقاً على قسمة الأرزاق لم يجب
لو كان أفضل ما في الناس أسعدهم	ما انحطت الشمس عن عالٍ من الشهب
أو كان أسير ما في الأفق أسلمه	دام الهلال فلم يحق ولم يغيب

وقال الطغرائي:

واعظم ما بي أنني بفضائل	حُرمت وما لي غيرهن ذرائع
إذا لم يردني مورد غير غلة	فلا صدرت بالواردين مزارع

وقال القاضي الفاضل:

ما ضرَّ جهلُ الجاهلين ولا انتفعتُ أنا بحذقي

وزيادتي في الحذق فهي زيادة في نقص رزقي<sup>(١)</sup>

فهو هنا قد أتى بشعر الطغرائي وسط أبيات لمهيار الديلمي الشاعر العباسي، والقاضي الفاضل الشاعر والنائر الأيوبي، دون أن يحلله أو ينقده أو يعقب عليه بأي لون من ألوان التعقيب.

ب - ومنها أن يذكره ليستشهد به على فكرة أو معنى كأن يقول «ولا بد للزمان من انتباهة للفضلاء بعد رقاده عنهم» قال مؤيد الدين الطغرائي:

لا تياسن إذا ما كنت ذا أدب ..	على خمورك أن ترقى إلى القلك
بنا يرى الذهب الإبريز مطرحاً	في معدن إذ غدا تاجاً على الملك <sup>(٢)</sup>

(١) الغيث المسجم: ج ٢، ص ١٢٦.

(٢) الغيث ج ٢، ص ١٤١.



جـ- ومنها أن يذكره ليلتمس منه صورة لأخلاقه وسجاياه ، وخصاله وخلاله .  
 كأن يقول : «وما يبعد أن الطغرائي كان ذا نفس شريفة سخيّة ، وهمّة عالية ، يؤثّر  
 المال لينفقّه في مصارفه ، ومن شعره - رحمه الله - وقد تقدم ذكره في المقدمة :  
 ساحجبٌ عني أسرتي عند عسرتي وأبرزُ فيهم إن أصابت ثراء  
 ولي أسوة بالسدر ينفق نوره فيخفى إلى أن يستجد ضياء  
 وهذه نفوس الأشراف تظهر عند الثروة طلباً للإتفاق ، وتخفى عند الفقر طلباً  
 لكتمان حالها فلا تكلف الناس سؤالاً»<sup>(١)</sup> .

وحتى لا يطول حبل الكلام في هذه الفكرة أكتفى بالنصوص السابقة  
 لنسدل عليها ، وأورد هنا أرقام الأبيات التي ضمن شرحها عدداً من  
 مقطوعات الطغرائي الشعرية مع الإحالة في الهوامش إلى أرقام الصفحات  
 التي وردت بها هذه المقطوعات ، والأبيات هي : الأول<sup>(٢)</sup> والثامن<sup>(٣)</sup> والرابع  
 عشر<sup>(٤)</sup> والسابع والثلاثون<sup>(٥)</sup> والثامن والثلاثون<sup>(٦)</sup> والتاسع والثلاثون<sup>(٧)</sup> والثاني  
 والأربعون<sup>(٨)</sup> والسابع والأربعون<sup>(٩)</sup> والسادس والخمسون<sup>(١٠)</sup> والثامن والخمسون<sup>(١١)</sup> .

٣- وثالث هذه الملاحظات يتعلق باستطراد الصفدى في الشرح ، حيث ينقسم  
 استطراده إلى أنواع ثلاث :

النوع الأول : استطراد لذكر أشياء تخدم الفكرة التي يشرحها وترتبط معها برباط  
 قري ، وذلك يكون عادة في تحليله للنصوص الأدبية ، ونقده إياها ، وحكمه عليها ، وما  
 ولكي يزيّد فكرته رسوخاً في الأذهان يستطرّد ليأتى بنصوص شعرية أخرى لشعره  
 آخرين عبّروا عن معاني النص المحلل بأساليب شعرية أكثر دقة وجسّالاً وتلافياً لمواطن  
 الزلل والخطأ ، ومثال هذا النوع من الاستطراد قوله في ثانيا شرحه لبيت الطغرائي :

- |                                |                                |
|--------------------------------|--------------------------------|
| (١) الغيث ج ١ ، ص ٢٢٢ .        | (٢) اراجع السابق نفسه ص ٧٧ .   |
| (٣) اراجع السابق نفسه ص ٢٢٢ .  | (٤) اراجع السابق نفسه ص ٣٣٤ .  |
| (٥) اراجع السابق ج ٢ ص ١٢٦ .   | (٦) اراجع السابق نفسه ص ١٤١ .  |
| (٧) اراجع السابق نفسه ص ١٦٥ .  | (٨) اراجع السابق نفسه ص ١٩٧ .  |
| (٩) اراجع السابق نفسه ص ٢٦٥ .  | (١٠) اراجع السابق نفسه ص ٤٠٠ . |
| (١١) اراجع السابق نفسه ص ٤٢٨ . |                                |

ملحوظة : لم ترد اللامية مرقمة في الغيث ، وسوف أوردّها مرقمة في نهاية الفصل .

فيم الإقامة بالزوراء لاسكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي  
وما أعرف أحدا ضمن هذا المثل - أعني لا ناقة لي في هذا ولا جمل - أمكن  
ولا أحسن من قول الشهاب أبي الثناء محمود أنشدني لنفسه إجازة من قصيدة:

استغفرُ اللهَ أينَ الغيثُ منفصلاً      من يرهْ وهوَ طُولُ الدهرِ مُتَّصِلُ  
من حاتمٍ عَدُّ عنه واطَّرحُ قَبِه      في الجُودِ لا يسواه يُضْرَبُ المَثَلُ  
أين الذي يرهْ الآلافُ يُثْبِعُهَا      كرائم الخيلِ ممن يرهْ الإيلُ  
لو مَثَلُ الجودِ سرحاً قالَ حاتمُهُم      لا ناقة لي في هذا ولا جملُ

انظر إلى قلقه في بيت الطغرائي لأنه عطف الناقة والجمل على السكن ولو  
عطف ما يناسب ذلك من أهلٍ وولدٍ لكان أحسن وأوقع في النفس، وانظر إلى  
بروده في أبيات الشهاب محمود؛ فإنه جاء في مكانه منسجم التركيب ثابتاً في معناه  
حتى كأنه ما برز إلى الوجود إلا في هذا المكان ولا ظهر إلا في هذا القالب<sup>(١)</sup>.

فقد دعاه تضمين الطغرائي للمثل - لا ناقة لي في هذا ولا جمل - في بيت  
اللامية إلى الحديث عن تضمين الشهاب محمود له والموازنة بين تضمين الطغرائي  
وتضمين الشهاب، وهذا لون من الاستطراد الذي يخدم فكرة الشرح ويدعمها.

والنوع الثاني من أنواع الاستطراد في الشرح: هو ذلك الاستطراد الذي يقدم  
معلومات لا تخدم فكرة الشرح ولا ترتبط معها برباط قوى، وإنما دعت إليه الغاية  
التعليمية التي يحرص عليها والنزعة الموسوعية التي تهيم عليه، وذلك واضح -  
فأشبه ما يكون الوضوح - في كل ما ساقه الصفدي من أبواب النحر المختلفة التي  
يكتب بها الكتاب، فأعراب كلمة ما على أنها مجرورة بحرف الجر على سبيل المثال  
لا يوجب على معربها أن يكتب بحثاً في «إلى» واستعمالاتها في العربية، ولا أن  
يتبع بحث ثانٍ في قوله تعالى «إلى المرافقة» واختلاف الفقهاء في غسل المرافق في  
الوضوء، فهذه أشياء لا يطلبها قارئ الإعراب، فكان يكفي الصفدي - من وجهة  
نظري - أن يعرب ألفاظ أبيات اللامية ذلك الإعراب العادي دون الدخول في  
فصائل دقيقة لا تهتم قارئ الكتاب الأدبي بالدرجة نفسها التي تهتم الدارس  
التخصص في النحو والتصريف أو الفقه والأصول.

(١) الغيث ج ١ ص ١١٨، ص ١١٩.

والنوع الثالث: من أنواع الاستطراد في الشرح هو ذلك الاستطراد الذي يمد معلومات لا تخدم فكرة الشرح، ولا ترتبط معها برباط قوى، ولا تحتاجه التعليمية، ولا تدعو إليه النزعة الموسوعية، ومثال ذلك حيث تحدث عن إعراب قول الطغرائي: «فسر بنا في ذمام الليل... البيت» حيث أعرب فسر، ثم استطراد بعدها وذكر بيتين يشتملان على فعل ومصدره ليذكر أن هذا المصدر ليس مفعولاً للفعل وإنما هو مفعول به لفعل سابق حيث قال: «قَرِ الفاء للتعقيب أي عن كلامه بقوله فسر، وسر فعل أمر من السير مجزوم لكونه أمراً، وذكرت هنا بيتين من أبيات المعاني وهما:

سَأَلْتُ وَنَحْنُ فِي الْبَيْدَاءِ عَمْرًا      عَلَى عَجَلٍ وَنَحْنُ نَسِيرُ سَبِيلًا  
فَجَادَ بِهِ وَلَمْ يَتَحَلَّ عَلَيْنَا      فَقُلْتُ لَهُ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا

ولا يظهر في بادئ الرأي أنه جاد له بشيء؛ لأن الذهن يتبادر إلى أن سير مفعول مثل ضربت ضرباً، وإنما هو مفعول به لسألت وتقدير الكلام: وسألت ونحن في البيداء عمراً سيراً فجاد بالسير<sup>(١)</sup>.

ولا يمكن أن أتخيل - حقيقة - أن هناك سبباً معقولاً يسوغ له الإتيان ببيتين البيتين والتعقيب عليهما، فلا النزعة الموسوعية التي تهيمن عليه، ولا النزعة التعليمية التي يحرص عليها، ولا الفكرة التي يشرحها، ولا غير ذلك مما يمكن أن يقال يوجب عليه أن يأتي بهذين البيتين ويعقب عليهما، فقد قطع تسلسل الأفكار، وأوهى الروابط بين عناصر الشرح وأفكاره، وأحدث طفرة بشعة بهذا الاستطراد الذي لا مبرر له ولا داعي إليه.

ولعل هذا النوع الأخير من أنواع الاستطراد في الشرح قد كان السبب الرئيس في كثير من الأحيان في إيجاز الصفدى في الحديث عن علوم وفنون كان من حقه أن تأخذ كل هذه المساحة المكانية التي احتلتها الأفكار والآراء والخواطر التي استطرده ليتحدث عنها، ولنقرأ على - سبيل المثال - خواطره وآراءه وتعليقاته على البيت الأول من أبيات اللامية الذي سبق أن حللت شرحه له فماذا نرى؟ نرى أنه شرحه لهذا البيت قد أتى في أربع وعشرين صفحة أظن فيها وأسهب، وأعجب وأعجب، وأعجب، واستطرده من فن إلى فنون، واسترسل في شجون الجد والمجون على حد

(١) الغيث المجمع ج ١ ص ٣٧٣، ص ٣٧٤.

عمر جمال الدين بن الحضرى<sup>(١)</sup>، ثم قال فى معرض الحديث عن الفنون البديعية  
 ان الشئ عليها البيت: «وفى بيت الطغرائى من البديع نوعان وهما: الموازنة فى  
 مستى وزانتى، والنوع الثانى لزوم ما لا يلزم؛ فإنه التزم الطاء فى الخط  
 بطل»<sup>(٢)</sup>.

هكذا فى سطرين يوجز الصفدى الحديث عن الفنون البديعية التى يكتظ بها  
 بيت الطغرائى، ولو أنه استطرد هنا وعرف بالموازنة، وضرب لها الأمثال من الشعر  
 جيد، ثم تحدث عن القيمة الجمالية لهذه الموازنة فى بيت الطغرائى وما أحدثت  
 به من موسيقا داخلية، ولو أنه عرف التصريح ودوره فى الارتقاء بقيمة البيت  
 الشعرى الفنية، ثم عرف لزوم ما لا يلزم وقيمه - بوصفه محسناً بديعاً - فى  
 مساعدة على تجميل البيت وتحسينه من ناحية، وفى دلالة على مقدرة الشاعر  
 لغوية الفائقة من ناحية ثانية لكان أحسن وأليق، ولكان الشرح كتاباً فريداً فى  
 نقد والبلاغة على المستويين النظرى والتطبيقي فضلاً عن كونه أحد الشروح  
 لأدب الهامة الموسوعية الطابع فى ذلك العصر.

ولقد كان الحديث عن هذه الفنون البديعية - دون شك - أولى وأجدز وأحق  
 أن تستغل به صفحات الكتاب بدلاً من الحديث عن آراء الفقهاء فى غسل الإناء  
 سبع مرات إذا ولغ فيه الكلب، أو الحديث عن غير هذه المسألة من المسائل التى  
 عرض لها الصفدى ولا تمت إلى الشرح الأدبى بحال من الأحوال.

وهذا الاستطراد بأنواعه الثلاثة يدل على سمة من سمات الصفدى العلمية،  
 رعى أنه قد أوتى قوة فى اللجاج والمجادلة تمكنه من الانتصاف لرأيه، والانتصار  
 له، وهذا يظهر جلياً فى كل صفحة من صفحات الشرح، والصفدى لا يجادل فى  
 علم أو فن واحد من العلوم أو الفنون، وإنما يتحدث فى كل علوم عصره  
 ومعارفه، ويساجل أربابها والمبرزين فيها ويناقشهم ويحاوهم ويجادلهم ويخرج  
 آخر الأمر إلى إقرار ما يريد، فقد دار بينه وبين الإمام ابن تيمية حوار سأل  
 الصفدى فيه عن بعض المسائل التى أشكلت عليه فى تفسير عدد من آيات الكتاب  
 العزيز، وأجاب عنها الإمام ابن تيمية، وكلما أجاب عن سؤال حاوره الصفدى فى  
 لإجابة، وجادله فى آرائه وتخريجاته مبطلاً إياها، ولما لم يجد الصفدى عند  
 الشيخ ما يقتنع به من الإجابات تركه وانصرف، وقد أورد الصفدى هذا الحوار فى  
 الجزء الثانى من الغيث، وهو حوار طويل لذا سوف أقتصر فى الاستشهاد على

(١) نشر العلم فى شرح لامية العجم ص ٣.

(٢) الغيث المسجود ص ٨٦، ٨٧.



هذه الفكرة بالجزء الأخير منه قال الصفدى: «وسألته أيضا عن تفسير قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] إلى قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] فأجاب بما قاله المفسرون في الجواب وهو آدم وحواء، وأن حواء لما أثقلت بالحمل أتاها إبليس في صورة رجل وقال: أخاف من هذا الذى فى بطنك أن يخرج من دبرك أو يشق بطنك وما يدريك لعله يكون بهيمة أو كلبا، فلم تزل فى هم حتى أتاها ثانية وقال: سألت الله أن يجعله بشرا سويا، وإن كان كذلك فسميه عبد الحارث، وكان اسم إبليس فى الملائكة الحارث فذلك قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [الأعراف: ١٩٠] وهذا مروي عن ابن عباس رضى الله عنهما<sup>(١)</sup>، هذه هى إجابة ابن تيمية فى تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩) فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠].

فلننظر بم أبطل الصفدى تفسير ابن تيمية لهاتين الآيتين الكريمتين، وكيف حاوره وجادله فى تفسيره وفهمه قال: «فقلت له: هذا فاسد من وجوه: الأول: أنه تعالى قال فى الآية الثانية «فتعالى الله عما يشركون» فهذا دليل على أن القصة فى حق جماعة.

الثانى: أنه ليس لإبليس فى الكلام ذكر.

الثالث: أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها فلا بد وأنه كان يعلم أن الحارث اسم لإبليس.

الرابع: أنه تعالى قال ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١] وهذا يدل على أن المراد به الأصنام لأن (ما) لما لا يعقل، ولو كان إبليس لقال (من) التى هى لمن يعقل»<sup>(٢)</sup>.

ولما سمع ابن تيمية هذه الأدلة الأربعة التى أبطلت تأويله بنى رأيا ثانيا فى تفسير الآية، فأبطله الصفدى، فأورد له تفسيرا ثالثا للآية كان سببا فى أن يترك الصفدى المناقشة مع ابن تيمية وينصرف، قال: «فقال الشيخ تقي الدين: قد ذهب

(١) التبعث ج ٢ ص ٢٤، ص ٢٥.  
(٢) التبعث ج ٢ ص ٢٥.

٥ - وخامس هذه الملاحظات التي أبرزتها قراءتي للغيث أن الصفدي لم يراعِ التوازن بين شرحه لأبيات اللامية؛ حيث أطل في شرحه للأبيات الأولى من القصيدة، تلك الأبيات احتواها أول الجزء الأول من الغيث حتى لقد أتى شرحه للبيت الأول في أربع وعشرين صفحة<sup>(١)</sup>، وأتى شرحه للبيت الثاني في عشرين صفحة<sup>(٢)</sup>، وشرحه للبيت الثالث في عشرين صفحة أيضاً<sup>(٣)</sup>، ثم بعد ذلك أخذت صفحات شرحه للأبيات الوسطى من اللامية، تلك الأبيات التي احتواها النصف الثاني من الجزء الأول من الغيث في التناقص شيئاً فشيئاً حتى لقد أتى شرحه للبيت السادس عشر في سبع صفحات<sup>(٤)</sup>، وأتى شرحه للبيت السابع عشر في ثماني صفحات<sup>(٥)</sup>... إلخ.

وليس معنى هذا أن عدد صفحات شرحه للأبيات أخذت في التناقص التدريجي من أول البيت السادس عشر وحتى نهاية اللامية، وإنما معناه أن الصفدي لم يراعِ التوازن بين شرحه لأبيات اللامية حيث أطل في شرح بعض الأبيات، وأوجز في شرح بعضها الآخر..

٦ - كما ألاحظ أن الصفدي كان على وعي تام بما سيكتبه في شرح أبيات اللامية من مباحث علمية وأدبية قبل شروعه في تأليف الغيث، حتى لا يستطيع أن أقول أنه رتب هذه المباحث والمسائل على أبيات اللامية قبل التأليف، ودليلي على ذلك ما ذكره عند شرحه للبيت السابع والثلاثين من أبيات اللامية حيث عقد فصلاً عن ولوع الزمان بخمول الأدباء، والتكبر للفضلاء والعلماء والأمراء، أشار في ثناياه إلى ما حدث للمعتمد بن عباد ثم قال «ومستأني نبذة من خبره بعد»<sup>(٦)</sup>. وظللت أقرأ في الغيث حتى رأيت الصفدي قد عقد للمعتمد بن عباد فصلاً في

(١) الغيث ج ١ من ص ٦٣ إلى ص ٨٧.

(٢) الغيث ج ١ من ص ٨٧ إلى ص ١٠٧.

(٣) الغيث ج ١ من ص ١٠٧ إلى ص ١٢٦.

(٤) الغيث ج ١ من ص ٣٤٨ إلى ص ٣٥٥.

(٥) الغيث ج ١ من ص ٣٥٥ إلى ص ٣٦٣.

(٦) الغيث ج ٢ من ص ١٣٥.

نما شرح البيت السابع والأربعين من أبيات اللامية استغفر في أربع صفحات تحدث فيها عن مصيبتيه، وأثرها في الشعر، حيث أفرد لها ابن اللبانة «جزءاً سماه نظم السلوك قصره على واقعة المعتمد وأشعاره في السجن، وأشعار أولاده»<sup>(١)</sup>.

ولا نستطيع أن نزعم أن المصادفة هي التي أخرجت الحديث عن المعتمد إلى هذا الموضع من الكتاب؛ لأن معنى بيت الطغراني يدور حول الصبر وعدم الضجر من مصائب الزمان وحوادث الدهر، وقصة المعتمد تدعو إلى المعنى نفسه، ومن ثم نأيت الموضع الذي ساقها الصفدي فيه، وكان الصفدي على وعي تام بما يقدم ويؤخر كما قلت في أول الحديث عن هذه الملاحظة.

### سائلاً: الشرح اللغوي لأبيات اللامية:

١- يجري الصفدي في شرحه اللغوي لأبيات اللامية على نهج ثابت تقريباً؛ حيث يبدأ أولاً ببيان معنى اللفظة، ويدلل على هذا المعنى بسورودها في شواهد كثيرة بالمعنى نفسه الذي استخدمه الطغراني، ثم يتحدث عن تصريفها، وبعد ذلك يتاولها من جانب النطق أو ما يطلق عليه في العربية اللهجات، لكنني رأيت في بعض الأحيان يشغل بهذا الجانب عما سواه فلا يبين معنى الكلمة، ولا يتحدث عن تصريفها، وإنما يخوض في مباحث اللهجات مباشرة، ومثال ذلك شرحه لكلمة شغل من قول الطغراني «واخْطُ عني بالجهال في شغل» حيث يقول «شغل» فيه أربع لغات شغل بضم الشين وسكون الغين، ويضمهما، وشغل بفتح الشين وسكون الغين، وشغل بفتحهما<sup>(٢)</sup>، ونراه رغم انصرافه عن كل الجوانب اللغوية الأخرى لا يعمق هذا الجانب، فلم يبين لنا مثلاً القبائل العربية التي كانت تنطق اللهجة الأولى، ولا الأقوام التي كانت تنطق اللهجة الثانية، ولا من من العرب المتقدمين الذي تحدث باللهجة الثالثة، ولا لغة من الرابعة كما عودنا في غير هذا الموطن حيث كان يذكر اللهجة وينسبها إلى أصحابها كما فعل عند الحديث عن كلمة (وجل) التي وردت في البيت الخمسين من اللامية حيث قال «الوجل الخوف نقول: وجل يوجل ويأجل ويوجل بكسر الياء» فمن قال يأجل جعل الواو ألفاً

(١) السابق نفسه ص ٢٩٧.

(٢) الغيث جزء ٢ ص ١٢٠.

لنفتح ما قبلها ومن قال يجعل بكسر الياء فعلى لغة بنى أسد فإنهم يقولون أنا  
ايجل، ونحن نيجل، وأنت تيجل»<sup>(١)</sup>.

٢- ومن المعالم المميزة لشرح الصغدي التي أكسبته قيمته اللغوية العالية تخطته  
للشعراء في استخدامهم لبعض الكلمات في معان لا تدل الألفاظ التي استخدموها  
عليها، ومثال ذلك تخطته لاستخدام أبي الفوارس سعد بن محمد بن محمد بن الصفي  
للفظ الرؤيا بمعنى الرؤية البصرية في قوله:

لَوْ نِيلَ بِالنَّوْلِ مَطْلُوبٌ لَمَّا حَرَّمَ الرُّوْيَا الْكَلِيمُ وَكَانَ الْحَقُّ لِنَجَّابِ

والصغدي في مثل هذه المواقف يأتي أولاً بالفروق اللغوية بين الألفاظ المتشابهة  
كما تعارف عليها أهل العلم بالعربية، ثم يعتمد إلى سوق شاهد من كلامهم  
أو موقف من مواقفهم الكثيرة من أساليب الشعراء وألفاظهم يحتاج به، ثم ينتهي  
بهذه الخيشيات جميعاً إلى تخطته شاعره، وهو هنا قد أورد أبيات أبي الفوارس  
سعد بن محمد بن الصفي، ثم ذكر الفروق اللغوية بين لفظي الرؤيا والرؤية  
فقال: «قلت: قد فرق أرباب العربية بين الرؤيا والرؤية فقالوا: الرؤيا مصدر رأى  
للحلم، والرؤية مصدر رأى للعين»<sup>(٢)</sup> ثم يذكر تخطتهم للمتنبي في خلطه بين  
الاستعمال في قوله: «ورؤياك أحلى في العيون من الغمض» «فيقول: «وغلطوا أبا  
الطيب في قوله:

مضى الليل والفضل الذي لم يمضِ ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

قالوا: الرؤيا للحلم قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٢٤]،<sup>(٣)</sup> ثم ينتهي إلى تخطته شاعره فيقول: «وقد وهم هذا الشاعر  
في استخدام الرؤيا هنا في قوله لما حرم الرؤيا الكليم، وإنما حرم الرؤية»<sup>(٤)</sup>، ثم  
يسارع الصغدي بعد ذلك إلى تبرير خطأ شاعره، والتماس المذرة له حيث يقول:  
«وهذا الغلط قد وقع فيه كثير من الفضلاء»<sup>(٥)</sup>.

(١) السابق نفسه ص ٣٣٤.

(٢) السابق نفسه ص ١٢٢.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) السابق نفسه، والصفحة نفسها.



٢٠ - ومن معالم الشرح اللغوي لأبيات اللامية أن الصفي لا يشرح معنى كلمة سبق أن شرحها في بيت سابق، وكل ما يفعله أنه يحيل القارئ إلى شرحه سابق، لكن اللافت للنظر حقاً أنه في زحمة هذه الإحالات المتتابعة ينسى أن يشرح معنى كلمة من كلمات البيت لم ترد في بيت سابق ولم يسبق له شرحها، ومثال ذلك أنه لم يفسر معنى كلمة (درجوا) في قول الطغرائي «هذا جزء امرئ قرأه درجوا» حيث قال: «امرئ تقدم الكلام عليه في قوله: حب السلامة البيت، أقرانه: الأقربان جمع قرين وهو المصاحب، من قبله: قبل نقيض بعد، فتمنى: نيت فعلت من النية، فحة: تقدم الكلام عليها في قوله أعلل النفس، الأجل: مدة الشيء وغاية العمر»<sup>(١)</sup>.

فهو هنا بين معنى أقرانه، ثم معاني مفردات الشطرة الثانية من البيت، وأغفل الحديث عن كلمة (درجوا) مع أنه لم تسبق الإشارة إليها؛ لأنه لو سبق وشرحها لقال تقدم الكلام عليها عند الحديث عن كذا مثلما فعل في لفظتي (امرئ) و(فحة).

٤ - وعندما يتناول الصفي معاني مفردات أبيات اللامية يشرح اللفظة، ويأتي بعابها المختلفة ويدلل على هذه المعاني بشواهد وردت فيها هذه اللفظة بالمعنى الذي ذكره، وهو يتوغل إلى حد كبير في شواهد ما زجاً فيها بين الشعر والنثر، فارة يستدل على معنى اللفظة بورودها بالمعنى نفسه في حكمة أو مثل قديم، وهو يعتمد على القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف اعتماداً ظاهراً وكبيراً، ويوليها اهتماماً خاصاً إيماناً منه بأن القرآن أفصح النصوص العربية على الإطلاق، ومن ثم كثرت شواهد في شرحه لمفردات التعصيدة، وإيماناً منه بأن النبي «صلى الله عليه وسلم» أفصح العرب، وأن كلامه الشريف في أعلى درجات البيان.

إلا أنني ألاحظ أن شواهد من الحديث الشريف أقل بكثير من شواهد من القرآن العظيم، وربما يعزى هذا إلى أن الصفي عالم متخصص في اللغة والنحو، واللغويون والنحاة لهم على الاستدلال بالحديث النبوي الشريف في هذا المجال تحفظات كثيرة لأسباب معلومة منها عدم ضبط متنه وثباته مما عرض النص الواحد لأن يأتي بأكثر من رواية، ومنها أن روايته قد تناولها أناس أعاجم<sup>(٢)</sup>، إلى غير ذلك من الأسباب.

(١) الفيت ج ٢ ص ٢١٩.

(٢) الأعراب الرواة د. عبد الحميد الشلقاني ص ٧ طبع دار المعارف بمصر د. ت.

فعمد شرحه لمفردات بيت الطغرائي:

لو أنَّ في شَرْفِ المَأْوَى بُلُوغَ مَنَى      لم تُبْرِحِ الشَّمْسُ يوماً دَارَةَ الحَرَى

قال: «الشرف: العلو والمكان العالي؛ قال الشاعر:

أتى الندى فلا يقرب مجلس      وأقود للشرف الرفيع حمالي

.. المأوى: كل مكان يأوى إليه الشيء ليلاً أو نهاراً، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا

سَآوِيَ إِلَى الْيَمِّ جِبَلٍ يَفْصِلُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [هود: ٤٣].. بلوغ: مصدر بلغت المكان إذا

وصلت إلى حده، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٤]،<sup>(١)</sup> أي وصلن<sup>(٢)</sup>.

وهذه الفقرة التي نقلتها من شرحه اللغوي لمفردات البيت تبين في وضوح اعتماده على الشعر وعلى القرآن الكريم في شرح معاني الكلمات، وبهذه الطريقة يسير الصفدي في شرحه اللغوي لمعظم أبيات القصيدة تقريباً، فلا يكاد يخلو شرحه اللغوي من الاعتماد على الشعر والقرآن الكريم في تفسير معاني المفردات، ونادراً كما قلت ما يعتمد على الحديث النبوي في الشرح اللغوي، وهذه الندرة في الاستشهاد بالحديث تنطبق أيضاً على شرحه الأدبي، وعلى تناوله لفضايا النحر أثناء إعرابه للأبيات، ومن صور اعتماده على الحديث في الشرح اللغوي ما ذكره في تفسير كلمة الإمامة من قول الطغرائي:

لَعَلَّ إِمَامَةً بِالْجِرْعِ قَانِيَةً      يَدْبُ مِنْهَا نَيْمُ الْبُرِّ فِي عِلَلِي

حيث قال الإمام: النزول، وقد ألمَّ به: أي نزل، وغلام ملهم: قارب البلوغ، وفي الحديث: «إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يُلِمَّ» أي يقرب من ذلك<sup>(٣)</sup>.

وإذا ما أردنا أن نقارن بين طريقة اعتماده على القرآن الكريم وطريقة اعتماده على الحديث الشريف وجدنا وجهاً ثانياً من وجوه المقارنة يكمن في طريقة الاستشهاد بكل منهما؛ فإذا ما كان الشاهد آية من القرآن الكريم قال الصفدي:

(١) سورة البقرة آية ٢٣٤، وسورة الطلاق آية ٢.

(٢) الغيث ج ٢ ص ٣، ١.

(٣) الغيث ج ١ ص ٥.

أيمنه قوله تعالى « كما رأينا في الفقرة السابقة ، أي ومن هذا الاستخدام اللغوي جاء قوله تعالى أو جاءت اللفظة في قوله تعالى ، أما إذا كان الشاهد من الحديث جرى الشرف فيقول انصفدي : « وفي الحديث كما في الشاهد المتقدم » وهي كما ترى نوطنة بين يدي الشاهد لا تعطى ما تعطيه لفظة (من) من القوة واليقين .

ومثال اعتماده على الحكم والأمثال في شرح لغويات القصيدة ما فسر به معنى كنسة (يدب) في البيت السابق - أيضا - لعل الإمامة . . حيث قال : « دب على لأرض يدب ديبا ، وكل ماشي على الأرض دابة ، وديب هذا وضع اللغة ، وفولهم : « أكذب من دب ودرج » معناه أكذب الأحياء والأموات »<sup>(١)</sup> .

\*\*\*\*\*

---

(١) سبق نفسه ، والصفحة نفسها .

سابعاً: مظاهر غلبة النزعة التعليمية على الشرح:

يستطيع القارئ أن يدرك بسهولة ذلك المنزع التعليمي الذي يتجه إليه الصفدي في الغيث، وذلك لما يبدو من مظاهره التي من أهمها:

١- حرصه على إيراد الأشياء المتشابهة والتفريق بينها، وعلى إيراد الأشياء المتقابلة وحصرها، وعلى حصر جميع الأسماء التي يسمي بها الشيء الواحد، وهذا لون من ألوان الاستطرادات التي لا تخدم فكرة الشرح ولا مبرر لوجودها والإتيان بها في ثنائه سوى ما يسيطر عليه من غلبة النزعة التعليمية كما أشرت في غير هذا الموضع، وأستطيع أن أضرب لهذا المظهر أمثلة كثيرة منها عند شرحه لفظة المأوى من قول الطغرائي: «ولو أن في شرف المأوى... البيت قال: «جنة المأوى أحد الجنات الثمانية، وقد نطق بها القرآن الكريم وهي: جنة الفردوس، وجنة النعيم، وجنة المأوى، وجنة عدن، وجنة الخلد، ودار المتقين، ودار السلام، ودار القرار»<sup>(١)</sup>.

فهذه جميعاً أسماء مختلفة لسمى واحد جمعها الصفدي ليسهل على المتعلم حفظها، ثم أورد ما يقابلها وهي أسماء النار حيث قال: «والنار سبع: وهي جهنم، والجحيم، وسقر، ولظى، والحطمة، والسعير، والهاوية»<sup>(٢)</sup>.

٢- حرصه على الإكثار من ذكر الأشياء المشهورة بين الأدباء، المتداولة فيما بينهم، وإطالة الحديث فيها والشرح لها، وهو هنا يجري على ما سار عليه العرب القدماء من تلقين الناشئة ما اشتهر بين الأدباء من جيد اللفظ والمعنى تدريباً لهم على صنعة الأدب عن طريق التقليد والمحاكاة، وعن طريق حفظ الكثير من الأشعار الرائقة، والأمثال الفاتكة في الموضوع الواحد؛ إذ الكلام عندهم من الكلام، وإذا حسن عندهم حل المنظوم ونظم المنشور.

وأستطيع أن أضرب على هذا المظهر أمثلة كثيرة منها قوله: «ومما اشتهر بين الأدباء قولهم: أخف من دينار يحيى بن علي بن منارة بلى بالعباس بن الوليد المصيصي الخياط لما أعطاه ديناراً خفيفاً، فقال فيه عدة مقاطيع منها:

(١) السابق نفسه ص ١٠٣.

(٢) السابق نفسه، والصحة نفسها.



يَسْرُوحُ بِحَيِّ وَأَتَدُ النَّصَّانِ فِيهِ عِلَامَةُ سَكَّةِ الْحَرَمَانِ  
لَدَرْقٍ مَنَظَرُهُ وَدَقَّ خَيَالُهُ فَكَأَنَّهُ رُوحٌ بِلَا جُنَمَانِ  
أَهْدَاهُ مُكْتَنِيَتِمَا إِلَى بَرْقَعَةٍ فَوَجَدْتُهُ أَخْفَى مِنَ الْكِنَمَانِ

وضرطة وهب، وما أحسن قول ابن الرومي يعتذر له:

لَدَ كَثَرِ النَّاسِ فِي وَهْبٍ وَضَرْطِهِ حَتَّى لَقَدْ مَلَّ مَا قَالُوا وَقَدْ بَرَدَا  
لَمْ تَعْلُ ضَرْطُهُ هَاجِبٍ كَضَرْطِهِ فِي الْذَاكِرِينَ وَلَمْ يُحْضِدْ كَمَا حُدَا  
يَا وَهْبُ لَا تَكْتَرِثُ بِالْعَائِيَيْنِ لَهَا فَإِنَّمَا أَنْتَ غَيْثٌ رُبَّمَا رَعْدَاهُ<sup>(١)</sup>

ومن هذا القبيل أيضاً إيراده ما له شهرة بين الإخباريين بقول: «وما له شهرة بين ذوى الأخبار درة عمر بن الخطاب رضى الله عنه... وقميص عثمان وهو الذى فرج بدمه يوم قتل، وقفه العبادلة وهم: عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وذكاء إياس بن معاوية القاضى، وشجرة عبد الحميد بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب وكان من أجمل أهل عصره أصابته شجرة فى وجهه فلم تشه»<sup>(٢)</sup>.

كما يدل إيراده لما له شهرة بين المحدثين على ذلك المنزاع التعليمى الذى يتجه إليه حيث قال: «ومن له شهرة بين المحدثين غسيل الملائكة وهو حنظلة بن أبى عامر الأنصارى خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله ﷺ: «هذا صاحبكم قد غسلك الملائكة»، وقتل الجن وهو سعد بن عباد، ومصافح الملائكة وهو عمران بن الحصين، وحمى الدبر وهو عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح حمته التحل إلى أن كان الليل فاجتحفه السيل ولم يصل عباده إلى حز رأسه، وذو الشهادتين وهو خزيمة بن ثابت الأنصارى شهد لرسول الله ﷺ فى قضاء دين اليهودى...»<sup>(٣)</sup>.

فالعنفدى إذن يهدف إلى أن يعلم الناشئة كل ما له شهرة بين الأدباء والعلماء والرواة، وليس هذا فحسب بل إنه من أجل ذلك الهدف التعليمى الذى يسيطر

(١) الغيث ج ٢ ص ١٠٥.

(٢) السابق نفسه ص ١٠٨.

(٣) السابق نفسه ص ١٠٧، ص ١٠٨.

عليه عقد فصلاً عدّد فيه أفاضل العميان حيث قال: «وأشراف العميان: شعيب النبی عليه السلام، ويعقوب صلوات الله عليه قبل أن یجیء إليه قميص يوسف عليه السلام، وزهرة بن كلاب بن كعب بن مرة بن عبد المطلب بن هاشم، والعباس بن عبد المطلب، والحکم بن أبی العاص، وأبو سفیان بن حرب، والحارث ابن عباس ابن عبد المطلب، ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف...»<sup>(١)</sup>.

٣- حرصه على الإتيان بما شاع في ذلك العصر من مسائل رياضية غايتها تنشيط الذهن، وتدريبه على الحساب حيث يقول: «وذكرت هنا ما تمتحن به الأذهان في الحساب قالوا: صفان من الحمام قال الأعلى للأسفل: كم عددكم؟ فقالوا: إذا طلع منا إليكم واحد كنتم مثلينا، وإذا نزل منكم إلينا واحد تساوينا، فكم عدد كل صف؟ الجواب: الصف الأعلى سبعة والصف الأسفل خمسة»<sup>(٢)</sup> ولقد ذكر الصفدي بعد هذه المسألة أربع مسائل آخر ختمها بهذه المسألة قال: «مسألة أخرى: بركة تمتلئ من نهر في يومين، ومن نهر في ثلاثة أيام، ومن نهر في أربعة أيام، وفتحت الأنهار الثلاثة دفعة واحدة، في كم تمتلئ؟ الجواب: في اثني عشر جزءاً من ثلاثة عشر جزءاً من يوم»<sup>(٣)</sup>.

ولم يكتف الصفدي في هذه المسألة بإيراد الحل أو الجواب فحسب، بل أخذ يشرحه ويعلل له فيقول «لأنك تأخذ مخرج النصف والثلث والرابع وهو اثنا عشر وتقسمه على مجموع الأجزاء وهي ثلاثة عشر جزءاً، الخارج اثنا عشر جزءاً من ثلاثة عشر جزءاً من يوم، لأنه ينصب إليها من النهر الأعظم ستة أجزاء من ثلاثة عشر، ومن الأوسط أربعة أجزاء، ومن الأصغر ثلاثة أجزاء، وذلك مجموعها»<sup>(٤)</sup>.

٤- ما يغلب عليه - أحياناً - من ميل إلى الوعظ الديني، والإرشاد الخلقى، وسوق الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، وحكم الفضلاء، وعظات المتأدبيين من أئمة الوعظ والدين عند الحديث عن الأخلاق العامة

(١) السابق نفسه ص ٣٢٧.

(٢) السابق نفسه ص ٢١٣، ٢١٤.

(٣) السابق نفسه ص ٢١٤.

(٤) الغيث ج ٢ ص ٢١٤، ٢١٥.

تأصّدق، والبر، والوفاء، والصبر، والحلم، وغيرها؛ فقد تحدث عن الصبر عند شرحه لبيت الطغرائي:

فاصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجِيرٍ      فِي حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْحِيلِ  
نقال: «اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لتزولها؛ فإن في حادث الدهر روقائه ما يغنيك عن الحيل، ويأتيك بما لا تقدر عليه بحيلك وحولك، ولو لم يكن في الصبر إلا ما جاء في القرآن الكريم من الثناء على من اتصف به، ومن يعد له بالعقبى، وما جاء عن النبي ﷺ من قوله: «انتظارُ الفرج بالصبر عبادة» كان في ذلك كفاية، وروى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه - عن النبي ﷺ: إن الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله، وقالت عائشة رضى الله عنها: لو كان الصبر رجلاً لكان كريماً، وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: أى شيء أقرب إلى الكفر؟ قال: ذو فاقة لا صبر له، وقال الحارث بن أسد اندحاسي: لكل شيء جوهر، وجوهر الإنسان العقل، وجوهر العقل الصبر<sup>(١)</sup>».

٥- تعمّد توزيع أبواب النحو العربى على شرحه لأبيات اللامية، وعندما نقرأ الشرح نشعر بهذا المظهر، ونحس به إحساساً قوياً، ونرى له أدلة كثيرة تؤيده منها إحاطة في كثير من الأحيان قارئه إلى شرحه لبيت مضى أو شرحه لبيت آت، أما إحالة القارئ إلى شرحه لبيت مضى: فمثل قوله عند إعراب لفظة رقة من البيت الحادى عشر من أبيات اللامية حيث قال «رقة: مرفوع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله لمزجت، وقد تقدم الكلام على مفعول ما لم يسم فاعله فى قوله ناء عن الأمل... البيت<sup>(٢)</sup>». ومثل قوله عند إعراب لفظة يحمون من البيت الثامن عشر من أبيات اللامية حيث قال: «يحمون: فعل مضارع من حمى يحمى والوار ضمير تفاعلين، والنون علامة الرفع للفعل المضارع... وقد تقدم الكلام على مزجب إعراب الفعل المضارع فى قوله أريد بسطة كف<sup>(٣)</sup>».

وأما إحالة القارئ على شرحه لبيت آت فمثل قوله عند إعراب لفظى (قد) (ومزجت) من البيت الحادى عشر من أبيات اللامية حيث قال: «قد: حرف

(١) السابق نفسه ص ٢٩٢.

(٢) السابق ج ١ ص ٢٧٢.

(٣) السابق نفسه ص ٣٦٣، ص ٣٦٤.



يصحب الأفعال، ويقرب الماضي من الحال، وهي هنا لتحقيق الفعل وسيأتي الكلام عليها في قوله «نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت»<sup>(١)</sup>.

وأمثال هذه الإحالات كثيرة، ويجدها القارئ مبثوثة في ثنايا الشرح، وهي تدل على ما ذهبت إليه من أن حرصه على الغاية التعليمية جعله يضع نصب عينيه هذا التوزيع الدقيق لأبواب النحو على أبيات اللامية حتى يستطيع القارئ بعد قراءة الشرح أن يكون على إلمام بكل المسائل النحوية التي تجعله راسخ القدم، ثابت الجنان إذا ما تعرض للحديث عن النحو، أو حاول الخوض في إحدى مسائله، أو تعرض لإعراب جملة، أو بيت، أو فقرة من رائع البيان.

### ثامناً: الفكاهات والنوادر في الشرح:

لعل من أهم المعالم التي تميز شرح الصفدى للامية العجم، وتجعله - رغم ما يحمل بين طياته من مادة لغوية وأدبية، وتاريخية ودينية لا يقوى عليها سوى نفر قليل من ذوى الدربة والتمرس بقراءة كتب الأدب القديم - محبباً إلى القارئ ومفضلاً لديه: أن الصفدى يأتي - بين الحين والحين - ببعض النوادر الفكاهات والمداعبات التي تجري في مجالس السلاطين أو في متديات الأدباء، ولعل براعة الصفدى تظهر في إيراد هذه النوادر أكثر من ظهورها في أثناء عرض القضايا العلمية؛ لأن القارئ لا يشعر معها بأنه ترك الشرح أو التفسير اللغوي أو الأدبي إلى شيء آخر يسعد عنه كثيراً أو قليلاً، وإنما يشعر بأن الصفدى قد انتقل به - بلطف وخفة - إلى جو من المرح واللهو، والإمتاع والمؤانسة يجعله أكثر نشاطاً، وأقدر على مواصلة الاستيعاب والفهم من أي جو آخر.

فمن تلك النوادر التي جرت في بلاط السلاطين ما حكاه في شرحه للبيت الثالث والأربعين من أبيات اللامية حيث قال: «قيل: إن شيخ الشيوخ صدر الدين قدم من بغداد رسولاً إلى السلطان صلاح الدين، فحضر يوماً عنده، فلما قام قدم صلاح الدين مدامه، فأراد الشيخ لبسها، فقال القاضي الفاضل: هذه النعل تشرفت ولم تعد تصلح إلا للرؤوس، فقال الشيخ صدر الدين: باسم الله أنا فقير، ومذهبي الإيثار، فلم يحجر القاضي الفاضل جواباً»<sup>(٢)</sup>.

(١) السابق منه ص ٢٧٢.

(٢) الغيث ج ٢ ص ١٩٨، ١٩٩.



ومن نوادر الأدباء ما حكاه عن أبي نواس حيث قال: «وحكى أن أبا نواس كان في يوم شديد البرد وعليه فروة، فمر به بعض السائل فطلب منه ما يلبسه، فقال: ما أملك غير هذه الفروة، فقال السائل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] فقال أبو نواس: هذه الآية أنزلها الله تعالى في الحجاز في شهر تموز فيما يؤكل، ولم ينزلها في شهر كانون في الرهى فيما يلبس<sup>(١)</sup>».

ومن النوادر التي أوردها الصفدي أيضاً ما حكاه عن بعض الأثرياء حيث ألح عليه أحد المساكين في الطلب، فلما ينس السائل منه صاح فيه قائلاً: أين الذين يؤثرون على أنفسهم؟ فأجابه الغني قائلاً: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً<sup>(٢)</sup>.

وقد روى الكثير عن أشعب ونوادره وطمعه حيث قال: «وأما نوادر أشعب فكثيرة مشهورة، ومن أحسنها أنه قيل له: ما بلغ من طمعك؟ قال لمن قال له ذلك: ما قلت لي هذا الكلام إلا وقد أخبأت لي شيئاً تعطيني إياه. وقيل له أيضاً: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما رأيت عروساً بالمدينة تُزَفُّ قط إلا كنتُ بيتي ورششته طمعاً في أن تُزَفَّ إلي<sup>(٣)</sup>».

ومن هذه النوادر التي رواها والأخبار التي أوردها عن أشعب قوله أيضاً: يقال: إنه مر يوماً فجعل الصبيان يعبثون به، فقال لهم: ويلكم، سالم بن عبد الله يفرق من صدقة عمر، فمر الصبيان يعدون إلى دار سالم، وغدا أشعب معهم وقال: وما يُدريني لعله يكون حقاً<sup>(٤)</sup>».

ومن هذا القبيل ما أورده الصفدي عند الحديث عن كذب الحس وغلظه من طرائف، وعجائب، ومواقف، ولعل أروع هذه الطرائف والمواقف ذلك الموقف الذي أضحك النبي ﷺ، فقد حكى الصفدي أن عبد الله بن رواحة كانت له امرأة شرسة الطباع، وكان - رضى الله عنه - يتقيها، وكانت عنده جارية فواقعتها، ورأته امرأته وهو يأتيها، فغضبت وثار، وحاول - رضى الله عنه - إيهامها بأنه لم

(١) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه ص ٣١٦، ص ٣١٧.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

يفعل، فاشتريت لتصديقه شرطاً وهو أن يقرأ عليها شيئاً من القرآن، فأنشد ابن رواحة:

شَهِدْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّدًا      رَسُولُ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ مِنْ عَالٍ  
وَأَنَّ أَبَا يَحْيَى وَيَحْيَى كِلَاهُمَا      لَهُ عَمَلٌ مِنْ رَبِّهِ مُتَقَبَّلٌ  
وَأَنشدها:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ      وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ  
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ      وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ  
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةُ كِرَامٍ      مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُقَرَّبِينَ

فهدأت ثورة المرأة وقالت بعد أن سمعت شعر ابن رواحة -وقد حبه قرآنا-:  
«آمنت بالله وكذب البصر»<sup>(١)</sup>.

والكتاب يكتظ بما أورده الصفدي من أخبار البخلاء، والحمقى، والمغفلين، وهي معين لا ينضب للتسرية عن النفس، والإضحاك والإمتاع، وبما أورده الصفدي من هذا القيل قوله: «حكى أن بعضهم كتب إلى امرأة كان يهواها: مَرَى خيالك أن يلم بي، فكتبت إليه: ابعث إليَّ بدينار حتى أجيء إليك بنفسى في البقطة. ومثلُ هذا ما حكى أن بعض البخلاء كتب إلى غلام يهواه: وضعت على الثرى خدى لترضى، فكتب إليه الغلام: ابعث إليَّ بدينار حتى أدعك تضع خدك على خدى. وقيل: إن بعض المغفلين تعب في تحصيل من كان يهواه مدة طويلة، فلما حصل عنده وضع العاشق رأسه ونام، فقال له: لأي شيء تفعل هذا؟ قال: من عشقى فيك أنام لعلى أرى خيالك فى المنام»<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن مثل هذه النوادر تخفف من حدة الجور العلمى الذى يعيشه قارئ الكتاب، وتجعله يقبل على قراءته بشغف؛ الأمر الذى أعطى هذه النوادر أهميتها فى هذا الكتاب.

(١) الفيت ج١ ص ١٤٣، ص ١٤٤.

(٢) السابق نفسه ص ٢٤٨.

ناسعاً: لامية الطغرائي كما وردت في الغيث مع ترقيم أبياتها:

قال الطغرائي:

الصفحة

- ١- أصالة الرأي صانتني عن الخطل
- ٢- مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع
- ٣- فيم الإقامة بالزوراء لا سكتي
- ٤- ناء عن الأهل صفر الكف مقرد
- ٥- فلا صديق إليه مشتكى حزني
- ٦- طال اغترابي حتى حن راحلي
- ٧- وضع من لغب نضوي وعج لما
- ٨- أريد بسطة كف استعين بها
- ٩- والدمع يعكس آمالي ويقنعني
- ١٠- وذي شطاط كصدر الرشح معتقل
- ١١- حلوا الفكاهة مر الجد قد مرجت
- ١٢- طردت سرح الكرى عن ورد مقلته
- ١٣- والركب ميل على الاموار من طرب
- ١٤- فقلت ادعوك للجللى لتصبرني
- ١٥- تنام عني وعين النجم ساهرة
- ١٦- فهل تعين علي غي همت به
- ١٧- إني أريد طروق الحى من إضم
- ١٨- يحمون بالبيض والسمر اللدان به
- ١٩- قبر بنا في ذمام الليل معتقاً
- ٢٠- فالحب حيث العدا والأسد رابضة
- ٦٣- وحيلة الفضل زانتني لدى العطل
- ٨٧- والشمس رآد الضحى كالشمس في الطفل
- ١٠٧- بها ولا نأقني فيها ولا جملي
- ١٢٦- كالسيف عرى مثناه عن الخل
- ١٤٧- ولا أنيس إليه متهي جدلي
- ١٦١- ورخلها وقرى العسالة الذبل
- ١٧٩- ألقى ركايب ولج الركب في عدلي
- ٢١٢- على قضاء حقوق للعلی قبلي
- ٢٣١- من الغنيمه بعد الكد بالفضل
- ٢٥٢- ينثله غير هباب ولا وكل
- ٢٦٨- بشدة الباس منه رقة الغزل
- ٢٨٩- والليل أغرى سوام النوم بالمقل
- ٣٠٣- صاح وآخر من خمر الكرى ثعل
- ٣١٦- وأنت تخذلني في الحادث الجلل
- ٣٣٨- وتستحيل وصبح الليل لم يحل
- ٣٤٨- والغى يزجر أحياناً عن الفضل
- ٣٥٥- وقد حماء رمة من بني ثعل
- ٣٦٣- سود الغدائر حمر الحلي والخلل
- ٣٧٣- فتفحة الطيب تهدينا إلى الحلل
- ٣٨١- حول الكناس لها غاب من الأسلي



- ٢١- تَوُّمٌ نَاشِئَةٌ بِالْجِزْعِ قَدْ سَقِيَتْ  
 ٢٢- قَدْ رَادَ طِيبَ أَحَادِيثِ الْكِرَامِ بِهَا  
 ٢٣- تَبَيَّتْ نَارُ الْهَوَى مِنْهُنَّ فِي كَيْدِ  
 ٢٤- يَقْتُلْنَ أَنْصَاءَ حُبٍّ لَأَحْرَاكِ بِهِمْ  
 ٢٥- يُشْفَى لَدَيْغِ الْعَوَالِي فِي بِيوتِهِمْ  
 ٢٦- لَعَلَّ الْمَامَةَ بِالْجِزْعِ ثَانِيَةً  
 ٢٧- لَا أَكْرَهُ الطَّعْنَةَ النَّجَلَاءَ قَدْ شُفِعَتْ  
 ٢٨- وَلَا أَهَابُ الصَّفَاحِ الْبَيْضَ تُسْعِدُنِي  
 ٢٩- وَلَا أُخِلُّ بِغَزْلَانٍ أُغَارِلُهَا  
 ٣٠- حُبُّ السَّلَامَةِ يُثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ  
 ٣١- فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا  
 ٣٢- وَدَعْ غِمَارَ الْعُلَى لِلْمُقَدِّمِينَ عَلَى  
 ٣٣- رِضَا الدَّلِيلِ بِخُفْضِ الْعَيْشِ مَكْنَةً  
 ٣٤- قَادِرًا بِهَا فِي نُحُورِ الْبَيْدِ جَافِلَةً  
 ٣٥- إِنَّ الْعُلَا حَدَّثَتْنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ  
 ٣٦- لَوْ أَنَّ فِي شَرْفِ الْمَأْوَى بُلُوغَ مَنَى  
 ٣٧- أَهْبَتْ بِالْحِظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمَعًا  
 ٣٨- لَعَلَّهُ إِنْ بَدَأَ قَضِييَ وَتَقْصُصُهُمْ  
 ٣٩- أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا  
 ٤٠- لَمْ أَرْضَ الْعَيْشَ وَالْأَيَّامَ مُقْبِلَةً  
 ٤١- غَالِي بِنَفْسِي عِرْفَانِي بِقِيَمَتِهَا  
 ٤٢- وَعَادَةُ النَّصْلِ أَنْ يَزْهِيَ بِجَوْهَرِهِ
- نَصَالُهَا بِمِيَاهِ الْغُنْجِ وَالْكَحْلِ ٣٩٥  
 مَا بِالْكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ بَخْلٍ ٤٠٧  
 حَرَى وَنَارُ الْقِرَى مِنْهُمْ عَلَى الْقَلْلِ ٤١٤  
 وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ ٤٢٦  
 يَتَهَلَّهَ مِنْ غَدِيرِ الْخَمْرِ وَالْعَسَلِ ٤٤١  
 يَدُبُّ مِنْهَا نَسِيمُ الْبُرَى فِي عِلْيَ ٤٥٥  
 بِرَشَقَةٍ مِنْ نِبَالِ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ ١٤  
 بِاللُّمْعِ مِنْ خَلَلِ الْأَسْتَارِ وَالْكَكَلِ ٢٢  
 وَلَوْ دَهَشْنِي أَسْوَدُ الْغَيْلِ بِالْغَيْلِ ٣٥  
 عَنِ الْمَعَالِي وَيُغْرِي الْمَرْءَ بِالْكَكَلِ ٤٥  
 فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي الْجَرِّ فَاعْتَرِلِ ٥١  
 رُكُوبَهَا وَافْتَتَحَ مِنْهُنَّ بِالْبَلَلِ ٦٢  
 وَالْعِزُّ عِنْدَ رَسِيمِ الْأَيْتَنِ الدُّكُلِ ٧١  
 مَعَارِضَاتٍ مَثَانِي اللَّجْمِ بِالْجُدُلِ ٧٩  
 فِيمَا تُحَدِّثُ أَنَّ الْعِزَّ فِي الثَّقَلِ ٨٥  
 لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمَلِ ١٠٣  
 وَالْحِظُّ عَنِّي بِالْجُهَالِ فِي شُغْلِي ١١٩  
 بِعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَبَّهَ لِي ١٣٨  
 مَا أَضْيَقَ الدَّهْرَ لَوْلَا فُسْحَةُ الْأَمَلِ ١٤٧  
 فَكَيْفَ أَرْضَى وَقَدْ وَلَّتْ عَلَى عَجَلِي ١٧١  
 فَصَتْهَا عَنْ رَحِيصِ الْقَدَرِ مَبْتَذَلِ ١٧٨  
 وَلَيْسَ يَغْمَلُ إِلَّا فِي يَدَيَّ بَطْلِي ١٨٥



٤٢- مَا كُنْتُ أَوْفَرُ أَنْ يَمْتَدَّ بِي زَمَنِي  
 ٤٣- فَقَدَّمْتَنِي أَنَاسٌ كَانَ شَوَاطِئُهُمْ  
 ٤٤- هَذَا جَزَاءُ أَمْرِي أَفَرَأَنَّهُ دَرَجُوا  
 ٤٥- وَإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبُ  
 ٤٦- فَاصْبِرْ لَهَا غَيْرَ مُحْتَالٍ وَلَا ضَجِيرٍ  
 ٤٧- أَعْدَى عَدُوِّكَ أَدْنَى مَنْ وَثِقْتَ بِهِ  
 ٤٨- فَبَاغًا رَجُلُ الدُّنْيَا وَوَاحِدُهَا  
 ٥٠- وَحَسَنُ ظَنِّكَ بِالْأَيَّامِ مَعْجَزَةٌ  
 ٥١- غَاضَ الْوَقَاءُ وَقَاضَى الْعَدْرُ وَانْفَرَجَتْ  
 ٥٢- وَشَانَ صِدْقَكَ عِنْدَ النَّاسِ كَذِبُهُمْ  
 ٥٣- إِنْ كَانَ يَنْجِعُ شَيْءٌ فِي ثَبَاتِهِمْ  
 ٥٤- يَا وَارِدًا سُورَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَعْدَرُ  
 ٥٥- فِيمَ افْتِحَامُكَ لِحْجِ الْبَحْرِ تَرْكِبُهُ  
 ٥٦- مُلْكُ الْقَنَاعَةِ لَا يُخْشَى عَلَيْهِ وَلَا...  
 ٥٧- تَرْجُو الْبَقَاءَ بِدَارٍ لَا ثَبَاتَ لَهَا  
 ٥٨- وَيَا خَيْرًا عَلَى الْأَسْرَارِ مُطْلِعًا  
 ٥٩- قَدْ رَشَّحُوكَ لِأَمْرٍ إِنْ فَطِنْتَ لَهُ

حَتَّى أَرَى دَوْلَةَ الْأَوْغَادِ وَالسَّقَلِ ١٩٨  
 وَرَأَى خَطَرِي لَوْ أَمْشَى عَلَى مَهْلٍ ٢٠٧  
 مِنْ قَبْلِهِ فَتَمَنَّى فُسْحَةَ الْأَجَلِ ٢١٨  
 لِي أَسْوَأَ بِأَنْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ رُحْلٍ ٢٤٢  
 فِي حَادِثِ الدَّهْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْحِيلِ ٢٨٩  
 فَحَاقَرِ النَّاسَ وَاصْحَبْهُمْ عَلَى دَخَلٍ ٣١٠  
 مَنْ لَا يُعْرَفُ فِي الدُّنْيَا عَلَى رَجُلٍ ٣٣٠  
 فَظُنَّ شَرًّا وَكُنْ مِنْهَا عَلَى وَجَلٍ ٣٣٤  
 مِسَاحَةُ الْخُلْفِ بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ٣٤٣  
 وَهَلْ يُطَابَقُ مُعْجُزٌ بِمُعْتَدِلٍ ٣٥٤  
 عَلَى الْعُهُودِ فَسَبَقَ السَّيْفُ لِلْعَدَلِ ٣٦١  
 أَنْفَقْتَ صَقْرَكَ فِي أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ ٣٧٤  
 وَأَنْتَ يَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الْوَشَلِ ٣٩٠  
 يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْأَنْصَارِ وَالْخَوَلِ ٣٩٥  
 فَهَلْ سَمِعْتَ بِظِلٍّ غَيْرِ مُتَقَلٍّ ٤٠٧  
 اصْمُتْ فِي الصَّمْتِ مَنَاجَاةً مِنَ الزَّلَلِ ٤٢٥  
 قَارِبًا بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْغَى مَعَ الْهَمَلِ ٤٣٨

\*\*\*\*\*

عاشراً : لامية الصفدى التى عارض بها لامية الطغرائى :-

- ١- الجَدُّ فى الجِدِّ والحِرمانُ فى الكَلِّ
  - ٢- وشِمُّ بَروقِ المعالى فى مخائِلِها
  - ٣- واصْبِرْ على ما يُؤاتيكَ الزَّمانُ بِهِ
  - ٤- لا تُمَسِّينَ على ما فاتَ ذا حَزَنِ
  - ٥- فالدَّهْرُ أَقْصَرُ مِنْ هَذَا وَذَا أَمَدًا
  - ٦- وجانِبِ الحِرْصِ والأطْماعِ تَحْظَ بما
  - ٧- وصاحبِ الحَزَمِ والعَزَمِ اللَّذينِ هُما
  - ٨- والبسِ لِكُلِّ زَمانٍ ما يلائِمُهُ
  - ٩- واصمِتْ ففى الصمتِ أسرارٌ تَضُمُّها
  - ١٠- واستشعرِ الحِلْمَ فى كُلِّ الأُمُورِ ولا
  - ١١- وإنْ بُلِّيتَ بِشَخْصٍ لا خِلاقَ لَهُ
  - ١٢- ولا تَمَارِ سَفِيهاً فى مُحاوِرَةِ
  - ١٣- ثم المَزاخِ قَدَّعَهُ ما اسْتَطَعَتْ ولا
  - ١٤- ولا يَغُرُّكَ مَنْ تَبَدُّو بِشاشَتِهِ
  - ١٥- وإنْ أَرَدْتَ نَجاحاً أو بُلُوغَ مَنِى
  - ١٦- وابكرِ بِكورٍ غرابٍ فى شِذا نَميرِ
  - ١٧- بِجُودِ حاتمٍ فى إقْدامِ عَتِرَةِ
  - ١٨- وَهَنٍ وَعِزٍّ، وباعِدْ واقتَرِبْ، وأَنْلِ
- فانصَبْ تُصِيبُ عن قَريبِ غايَةِ الأَمَلِ  
 بناظِرِ القلبِ تُكْفى مِؤنَةَ العَمَلِ  
 صَبْرَ الحُسامِ بِكَفِّ الدَّارِعِ البَطَلِ  
 ولا تَظَلَّ بِما أُوتِيتَ فى جَدِّكَ  
 وربما حَلَّ بَعْضُ الأَمْرِ فى الوَجَلِ  
 تَرجُو مِنَ العِزِّ والتَّأيِيدِ فى عَجَلِ  
 فى الحِلِّ والمَحَلِّ ضِدُّ العِىِّ والخطَلِ  
 فى العُزِّ واليُسْرِى مِنَ حِلِّ ومرْتَحِلِ  
 ما نالها قَطُّ إلا سَيِّدُ الرُّسُلِ  
 تَبَدُّرُ بِيادِرَةِ إلا إلى رَجُلِ  
 فَكُنْ كائِنَكَ لَمْ تَسْمَعْ وَلَمْ يَقُلِ  
 ولا حَلِيمًا لَكى تَنجِبُوا مِنَ الزَّلَلِ  
 تَكُنْ عَبوسًا ودارِ الناسِ عَن كَمَلِ  
 مِنْهُ إِلَيْكَ فَإِنَّ السُّمَّ فى العَسَلِ  
 فاكْتُمْ أُمُورَكَ عَنِ حافٍ وَمُتَعَلِّ  
 فى بَأْسِ لَيْثٍ كَمِى فى دَها نَعَلِ  
 فى حِلْمٍ أَحْتَفَ فى عِلْمِ الإمامِ على  
 وابْخَلْ وَجَدًا، وانْتَمِ واصْفَحْ، وَصِلْ وَصَلِ

(١) نقلًا عن كتاب نفعه اليمين فيما يزول بذكره الشجن من ص ٣٠٤ - ص ٣٠٦، واللائق للنظر - حقًا - أن الصفدى لم يضعها فى الغيث، ولم يُشر أحدٌ من كتبوا عنه إلى معارضته للامية الطغرائى، ولقد كان وقوفى عليها فى كتاب نفعه اليمين للشيخ الأديب أحمد بن محمد الأنصارى اليمنى الشروانى مفاجأة لم أكن أتوقعها، فائتُها هنا مكتفياً بذلك إلى حين.

٢١- بَلَا غُلُوبٌ وَلَا جَهْلِي وَلَا سَرْفٌ  
 ٢٢- وَكُنْ أَشَدَّ مِنَ الصَّخْرِ الْأَصَمِّ لَدَى الْ-  
 ٢٣- حُلُوِّ الْمَذَاقَةِ مُرًّا لَيْتًا شَرِهَا  
 ٢٤- مُهَذَّبًا لَوْدَعِيًّا طَيِّبًا فَكَيْهَا  
 ٢٥- صَافِي الْوُدَادِ لِمَنْ أَصْفَى مَوَدَّتَهُ  
 ٢٦- لَا يَظْمِنُ إِلَى مَا فِيهِ مَنَقَصَةٌ  
 ٢٧- وَلَا يُقِيمُ بِأَرْضٍ طَابَ مَكْنُهَا  
 ٢٨- وَلَا يُصَيِّحُ إِلَى دَاعٍ إِلَى طَمَعٍ  
 ٢٩- وَلَا يُضَيِّعُ سَاعَاتِ الدَّهْرِ فَلَنْ  
 ٣٠- وَلَا يِرَاقِبُ إِلَّا مَنْ يِرَاقِبُهُ  
 ٣١- وَلَا يَعُدُّ عُيُوبَ النَّاسِ مُحْتَقِرًا  
 ٣٢- وَلَا يَظُنُّ بِهِمْ سُوءًا وَلَا حُسْنًا  
 ٣٣- وَلَا يُؤَمِّلُ أَمَالًا بِصُبحِ غَدٍ  
 ٣٤- وَلَا يَنَامُ وَعَيْنُ الدَّهْرِ سَاهِرَةٌ  
 ٣٥- وَلَا يَصُدُّ عَنِ التَّقْوَى بَصِيرَتُهُ  
 ٣٦- مَنْ لَمْ تَكُنْ حُلُلُ التَّقْوَى مَلَابِسَهُ  
 ٣٧- مَنْ لَمْ تُفِدَّهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَجْرِبَةٌ  
 ٣٨- مَنْ سَأَلَتْهُ اللَّيَالِي فَلْيَتَّقِ عَجَلًا  
 ٣٩- مَنْ كَانَ هِمَّتُهُ وَالشَّمْسُ فِي قَرْنٍ  
 ٤٠- مَنْ ضَيَّعَ الْحَزْمَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ  
 ٤١- مَنْ جَالَسَ الْغَايَةَ النُّوْكَى جَنَى نَدَمًا  
 ٤٢- مَنْ جَادَ سَادًا، وَأَمْسَى الْعَالَمُونَ لَهُ

وَلَا تَوَانٍ وَلَا سُخْطٍ وَلَا مَذَلٍ  
 ٢١- وَأَسِيرَ فِي الْأَفَاقِ مِنْ مَثَلٍ  
 ٢٢- صَعْبًا ذُلُولًا عَظِيمَ الْمَكْرِ وَالْحِيلِ  
 ٢٣- غَشْمَشَمًا غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَكَلٍ  
 ٢٤- حَقًّا وَأَحَقَّ لِلْأَعْدَاءِ مِنْ جَمَلٍ  
 ٢٥- عَلَيْهِ إِلَّا لِأَمْرِ مَا عَلَى دَخَلٍ  
 ٢٦- حَتَّى يَقْدَأَ أَدِيمَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ  
 ٢٧- وَلَا يُنْخِ بِقَاعٍ نَارِجِ الْعَلَلِ  
 ٢٨- يَعُودَ مَا فَاتَ مِنْ أَيَّامِهَا الْأَوَّلِ  
 ٢٩- وَلَا يُصَاحِبُ إِلَّا كُلَّ ذِي نَبَلٍ  
 ٣٠- لَهُمْ وَيَجْهَلُ مَا فِيهِ مِنَ الْخَلَلِ  
 ٣١- يُصَابُ مِنَ أَصُوبِ الْأَمْرَيْنِ بِالْغَيْلِ  
 ٣٢- إِلَّا عَلَى وَجَلٍ مِنْ وَثْبَةِ الْأَجَلِ  
 ٣٣- فِي شَأْنِهِ وَهُوَ سَاهٍ غَيْرُ مُحْتَغِلٍ  
 ٣٤- لِأَنَّهَا لِلْمَعَالِي أَوْضَحُ السُّبُلِ  
 ٣٥- عَارٍ وَإِنْ كَانَ مَغْمُورًا مِنَ الْحُلَلِ  
 ٣٦- فِيمَا يَحَاوُلُ فَلْيَرْعَى مَعَ الْهَمَلِ  
 ٣٧- مِنْهَا بِحَرْبٍ عَدُوٌّ غَيْرُ ذِي مَهَلٍ  
 ٣٨- كَمَا تَمْنِيَّتُهُ فِي دَارَةِ الْحَمَلِ  
 ٣٩- وَمَنْ رَمَى بِسِهَامِ الْعُجْبِ لَمْ يَنْلِ  
 ٤٠- لِنَفْسِهِ وَرُمَى بِالْحَادِثِ الْجَلَلِ  
 ٤١- رَقَا وَحَالَةُ أَهْلِ الْكَفِّ لَمْ تَحُلِ



٤١- مَنْ لَمْ يَصُنْ عِزَّهُ سَاءَتْ خَلِيقَتُهُ  
 ٤٢- مَنْ رَامَ نَيْلَ الْعُلَى بِالْمَالِ يَجْمَعُهُ  
 ٤٣- مَنْ هَاشَ عَاشَ وَخَيْرُ الْعَيْشِ أَشْرَفُهُ  
 ٤٤- عَاجَمْتُ أَيَّامَ دَهْرِي شِدَّةً وَرَخَا  
 ٤٥- وَخُضْتُ فِي كُلِّ وَادٍ مِنْ مَسَالِكِهَا  
 ٤٦- طَوْرًا مُقِيمًا مَقَامَ الصَّيْدِ فِي صَدَفٍ  
 ٤٧- بِالشَّرْقِ يَوْمًا وَيَوْمًا فِي مَغَارِبِهِ  
 ٤٨- وَتَارَةً عِنْدَ أَمْلَاكِ غَطَارِفِهِ  
 ٤٩- هَذَا وَلَمْ أَرْضَ حَالًا ظَفَرْتُ بِهِ  
 ٥٠- وَلَا أَيْمُمٌ بَحْرًا جَاشَ غَارِبُهُ  
 ٥١- حَتَّى إِذَا لَمْ أَدْعُ لِي فِي الثَّرَى وَطْنَا  
 ٥٢- فَالْيَوْمَ لَا أَحَدٌ لِي عِنْدَهُ أَرْبُ  
 ٥٣- وَفِي الْفَوَازِ أُمُورٌ لَا أَبُوحُ بِهَا  
 ٥٤- وَإِنْ أُمْتُ فَلَقَدْ أَعْدَدْتُ فِي طَلَبِ  
 ٥٥- نَمَتْ بَرَسْمٍ أَخٍ مَا زَالِ يَسْأَلُنِي  
 ٥٦- فَقُلْتُهَا لَا أَرَى مَفْرُوضَ طَاعَتِهِ  
 ٥٧- وَلَا أَبَالِغُ فِي تَوْقِيفِ أَكْثَرِهَا  
 ٥٨- لَكِنِّهَا حِكْمٌ مَمْلُوءٌ هِمَمًا  
 ٥٩- ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى أَرْكَى الْوَرَى حَبَا  
 ٦٠- مَا أَرْمَضَ الْبَرْقُ فِي الدِّيَجُورِ مُبْتِمًا

بِكُلِّ طَبْعٍ لَثِيمٍ غَيْرِ مُتَقِيلٍ  
 مِنْ غَيْرِ حِلٍّ بَلَى مِنْ جَهْلِهِ وَيَلَى  
 وَشَرُّهُ عَيْشُ أَهْلِ الْجُبْنِ وَالْبَخْلِ  
 وَبَوُتُ فِيهَا بِأَثْقَالٍ عَلَى وَ لِي  
 بَلَا فُتُورٍ وَلَا عَجْزٍ وَلَا قُتْلٍ  
 وَتَارَةً فِي ظُهُورِ الْإِنْتِ الْذَلِّ  
 وَالغُورِ يَوْمًا وَيَوْمًا فِي ذُرَى الْقُلَلِ  
 وَتَارَةً أَنَا وَالْغَوَغَاءُ فِي زُحَلٍ  
 إِلَّا وَثَقْتُ بِحَبْلِ مِنْهُ مَفْصَلِ  
 إِلَّا وَجَدْتُ سَرَابًا أَوْ صَرَى وَشَلٍ  
 اقْصَرْتُ مِنْ غَيْرِ لَا وَهْنٍ وَلَا مَلَلٍ  
 وَلَا فَتَى أَبَدًا ذُو حَاجَةٍ قَبْلِي  
 مَا قَرَّبَ النَّأْيُ أَيْدِيَ الْحَيْلِ وَالْإِبْلِ  
 وَإِنْ عَمَرْتُ فَلَنْ أَصْغِي إِلَى عَذَلٍ  
 إِنْشَاءَهَا أَبَدًا فِي الصُّبْحِ وَالطُّغْلِ  
 وَالْقَلْبُ شَغْلُ نَاهِيكَ مِنْ شَغْلٍ  
 وَلَا ذَكَرْتُ بِهَا شَيْئًا مِنَ الْعَزَلِ  
 تُغْنِي اللَّيْبُ عَنْ التَّفْصِيلِ بِالْجُمَلِ  
 مُحَمَّدٌ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ  
 وَمَا سَفَحَنَ دَمُوعَ الْعَارِضِ الْهَظَلِ

\*\*\*\*\*



## الفصل الخامس

### الآراء النقدية والبلاغية في الشرح

#### محتويات الفصل

- المبحث الأول: الصفدي وموسيقا الشعر.
- المبحث الثاني: موقف الصفدي من شعر المتنبي.
- المبحث الثالث: الصفدي وشعر ابن سناء الملك.
- المبحث الرابع: الصفدي وسرقات الطغرائي في لاميته.
- المبحث الخامس: الفنون البديعية في الشرح.



## المبحث الأول

### الصفدى وموسيقا الشعر

لعل من أطرف موضوعات النقد الأدبي تلك الدراسات التي تسعى جاهدة للتعرف على علاقة الشعر بالموسيقا، ودراسة الدور الذي يلعبه النغم في إقامة بنية العمل الشعري.

وعلاقة الشعر بالنغم قضية من تلك القضايا الشائكة التي شغلت بال نقادنا قديماً وحديثاً، وقد حاول كل منهم أن يدلى بدلوه في الميدان، وأن يبين لنا وجهة نظره في تلك العلاقة، ومع هذا فقد ظلت هذه القضية - وستظل في نظري - دون حسم لأنها تقوم على مقاييس ذوقية تختلف من ناقد لآخر، ومن دارس لآخر.

وقد تحدث الصفدى في مقدمة الغيث المسجم عن عدد من قضايا علمي العروض والقافية؛ إذ عرّفهما لغةً واصطلاحاً، وتحدث عن الخليل بن أحمد والدوائر العروضية، إلى غير ذلك من مباحث هذين العلمين.

وقد رأينا أن نركز الحديث في هذا المبحث على قضيتين أثارهما الصفدى وهو يتحدث في هذين الفنين؛ إحداهما تتعلق بعربية نشأة علم العروض، والأخرى تتعلق بالدور الذي تلعبه القافية في إقامة بنية العمل الشعري.

#### عروض الشعر العربي وموسيقا الشعر اليوناني:

في اعتقادي أن الصفدى قد أثار قضية من أخطر قضايا العلم حين قال «وذكر لي العالم العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري أن الشعر اليوناني له وزن مخصوص، ولليونان عروض لبحور الشعر، والتفاعيل عندهم تسمى الأيدي والأرجل، قال ولا يبعد أن يكون وصل إلى الخليل بن أحمد شيء من ذلك فأعانه على إبراز العروض إلى الوجود»<sup>(١)</sup>.

ذلك لأنه فجر بهذا الكلام قضية على درجة عالية من الأهمية؛ لأنها تتعلق

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ٥٤.

بأصل علم العروض وهل هو عربى النشأة أو يونانى النزعة؟ وهذه القضية رغم خطورتها مفيدة؛ لأن فى التعرض لها ما يكشف عن أصالة التفكير العلمى عند أسلافنا، ويضع كما نقول - بلغة عصرنا - نُقْطَ الحروف فى كثير من تلك القضايا المختلف فيها.

والشعر العربى يتسم بخصائص تميزه من جميع فنون الشعر التى فى اللغات الأخرى؛ لأن الشاعر العربى فى العصر الجاهلى قد «اهتدى بفطرته إلى وحدة النغم فى كلامه... واستطاع برهافة حسه أن يحدث نغمات موسيقية مختلفة»<sup>(١)</sup>. هى تلك التى أطلق عليها الخليل فيما بعد اسم البحور أو بحور الشعر.

ولكن هل تأثر الخليل بن أحمد بمؤثرات يونانية أو بقواعد عروض اليونان، وهو يضع للشعر العربى أوزانه وأعارضه؟

ولعل خير إجابة عن هذا السؤال أن نعرض بشيء من التفصيل الأسس التى أقام اليونانيون عليها شعرهم وأوزانه لنقارن بينها وبين أسس العروض العربى وطريقة بناء الخليل له، لنجعل هذه المقارنة مقدمة من عدة مقدمات أحاول أن أستخلص منها نتيجة هى الإجابة عن هذا السؤال.

أما أوزان الشعر اليونانى فكانت تعتمد كما يقول الدكتور محمد مندور «على الكم اللغوى للمقاطع وأنواع من التنسيق الموسيقى بين تلك المقاطع المختلفة الكم، وكل مجموعة من المقاطع المختلفة الكم كانت تكون ما يسميه الأوريون قديماً FOOT... وذلك لأن علماء العروض عند اليونان والرومان القدماء أقاموا موسيقا الشعر على التمييز بين ما يسمونه بالمقطع الطويل، والمقطع القصير، والمقطع يتكون من حرف صامت وآخر صائت، وهم يقسمون المقاطع إلى قصيرة وطويلة، والمقطع القصير يتكون من حرف صامت وحرف صائت قصير، وأما المقطع الطويل فيتكون من حرف صامت مع حرف صائت طويل أو من ثلاثة أحرف هى صامت وصائت قصير وصامت، ويسمى هذا الأخير بالمقطع المخلق، وهو يساوى فى كَمِّه الزمنى المقطع الطويل المفتوح، والأقدام أو التفعيلات تتكون

(١) الشعر العربى من الجاهلية حتى نهاية القرن الأول هجرى النشأة والسطور، للدكتور محمد مصطفى هدار، دار المعارف ١٩٨١م، ص ٩.



من تركيبة محددة من المقاطع كأن تتكون من مقطع طويل ومقطعين قصيرين، أو من مقطعين طويلين، وما إلى ذلك من التشكيلات المختلفة التي حصرها علماء العروض عند اليونان والرومان القدماء، ومن تتابع هذه الوحدات الزمنية المختلفة الكم وفقاً لأنماط محددة تتكون موسيقا الشعر عندهم<sup>(١)</sup>.

هذه هي الأسس التي أقام اليونانيون موسيقا شعرهم عليها، وهي تتشابه - إلى حد كبير - مع تلك الأسس التي قام عليها عروض الشعر العربي؛ لأن المقطع عندهم يشبه السبب عندنا، وليس هذا فحسب، بل إن للمقطع عندهم نوعين: المقطع القصير والمقطع الطويل، كما أن السبب ينقسم في عروضنا إلى قسمين: السبب الخفيف والسبب الثقيل، وعندهم ما يسمى بالمقطع المغلق الذي يتكون من حرف صامت وحرف صائت وحرف صامت، وهو يشبه الوزن المفروق عندنا؛ حيث يتكون من متحركين بينهما ساكن، ومقاطعهم تُكوّن ما يسمى عندهم بالأقدام، كما تُكوّن الأسباب والأوتاد ما يسمى عندنا بالتفعيلات، ولست أغلر حين أزعّم أن وجوه التشابه هذه لا يمكن أن تتفق مصادفةً، وكان هذا وحده كفيلاً بإقناعي بتأثر الخليل بن أحمد بمؤثرات يونانية وهو يضع أصول علم العروض وقواعده لولا أنني عدت إلى ما كتبه أسلافنا لأبلو ما عندهم في هذا الميدان، فوجدتهم يُجمعون في جميع مروياتهم على عريّة نشأة علم العروض، ولعل أخطر مروياتهم في هذا الميدان تلك التي لا تُرجع للخليل بن أحمد فضل سبق والابتكار، وإنما تُرجع إليه فضل الإحياء بعد اندثار إذ تزعم إحدى هذه المرويات أن العرب كان لهم سابق معرفة بعروض الشعر قبل الخليل، بل في زمن الجاهلية، ثم أتى على الناس حين من الدهر نسوا فيه هذا العلم، فاندثر، وقل عارفوه، وتستدل هذه الرواية على صدق هذا الكلام بما روى عن الوليد بن المغيرة - وكان عالماً بالسحر والشعر والكهانة - حين سُئل عن القرآن الذي ينزل على النبي ﷺ؛ إذ نفى عنه أن يكون سحراً يصنعه محمد ﷺ، أو كلاماً يُمليه عليه أحد الكهّان، أو شعراً مما يتوله الشعراء؛ لأنه عرض هذا القرآن على بحور الشعر هزجه ورجزه وغيرهما فلم يوافق هذه البحور، ولم يجر على عروضها وموسيقاها، قال أحمد ابن فارس في كتابه الصحاحي في فقه اللغة: «فإن قال قائل فقد تواترت الروايات بأن

(١) الأدب وفنونه للدكتور محمد مندور، دار نهضة مصر بالقاهرة، د.ت، ص ٣٠.

أبا الأسود الدؤلى أول من وضع العربية وأن الخليل أول من تكلم فى العروض. قيل له: نحن لا نكر ذلك بل نقول إن هذين العلمين قد كانا قديماً وأتت عليهما الأيام وقلاً فى أيدي الناس ثم جددهما هذان الإمامان... وأما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفاً اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا - أو قال بعض منهم - إنه شعر، فقال الوليد بن المغيرة منكراً عليهم: لقد عرضت ما يقرؤه محمد على أقرأء الشعر هزجه ورجزه وكذا وكذا فلم أره يشبه شيئاً من ذلك، أفيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر؟! (١).

وحقاً لقد قال الوليد بن المغيرة فى القرآن الكريم قولة حق جرى بها لسانه أول الأمر ثم صُرف عنها، لكننا لا نعرف نصّها على وجه التحقيق، ومن هنا فأنا أنساءل مع ابن فارس - إن صحَّ ما نسب إلى الوليد - أفيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر؟!.

ويأتى الجواب بالنفى على هذا التاؤل بطبيعة الحال؛ لأنه لا يعقل أن يقول الوليد مثل هذا الكلام وهو لا يدري عن بحور الشعر وأعارضه شيئاً.

وهذه رواية من روايات عديدة تثبت عرية نشأة علم العروض، وقد قدمتها على غيرها لأهميتها البالغة، وخطرها الشديد، لأنه إن صح ما نسب ابن فارس إلى الوليد بن المغيرة من الحديث السابق لدل ذلك دلالة جازمة على تعارف العرب - مبدعين ونقادا - على وضع موسيقى للشعر العربى يقترب من ذلك الوضع الموسيقى الذى أوضح الخليل لنا معالنه وأطره، هذا إن لم يكن هو نفس الوضع الموسيقى الذى وصل إليه الخليل.

وتأتى بعد هذه الرواية رواية أخرى تثبت - أيضاً - عرية نشأة علم العروض، وتنفى تأثر الخليل بمؤثرات أجنبية عند ضبطه لأصوله وقواعده؛ لأنها تصل عمل الخليل بعلم كان معروفاً عند العرب ويسمى «علم التنعيم»، وكان هذا العلم كما تقول الرواية شيئاً يتوارثه الأخلاف عن الأسلاف وهذا يعنى - بداهة - أن هذا العلم علمهم وقد ورثوه عن آبائهم وأجدادهم دون تأثر فيه بمؤثرات أجنبية؛ تقول

(١) الصحاحى فى فقه اللغة، لأبى الحسین أحمد بن فارس، ص ١٣، ص ١٤، بتحقيق السيد أحمد صفر مطبعة عيسى البابى الحلبي بالقاهرة عام ١٩٧٧ م.



الرواية: «يقول أبو بكر محمد القضاة: تكاد تجزئة الخليل تكون مسموعة من العرب؛ فإن أبا الحسن الأخفش روى عن الحسن بن يزيد أنه قال: سألت الخليل بن أحمد عن العروض فقلت له: هلا عرفت لها أصلاً؟ قال نعم مررت بالمدينة حاجاً فينا أنا في بعض طرقاتها إذ بصرتُ بشيخ على بابٍ يُعَلِّمُ غلاماً وهو يقول له: قل:

نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم نعم      نعم لا نعم لا لا نعم لا نعم لا لا

قال الخليل: فدنوتُ منه فَكَلَّمْتُ عليه وقلت له: أيها الشيخ ما الذى تقوله لهذا الصبي؟ فذكر أن هذا العلم شئ يتوارثه هؤلاء الصبية عن سلفهم، وهو علم عندهم يسمى التنعيم لقولهم فيه نعم، قال الخليل: فحججبت ثم رجعت إلى المدينة فأحكمتها<sup>(١)</sup>.

فالخليل قد أجاب عن سؤال الحسن بن يزيد الذى يتعلق بأصل علم العروض، وكانت إجابته فى غاية الدقة؛ إذ بين أنه استمد أصول علم العروض من علم التنعيم الذى تعرفه العرب.

وهو إذن قد أرجع أصل علم العروض إلى هذا الأصل العربى<sup>(٢)</sup>، ولم يذكر له أصلاً آخر، ولم يذكر أنه تأثر بمؤثر أجنبى فى وضع هذا العلم، ولو تأثر الخليل بمؤثر أجنبى فى وضع أصول هذا العلم لنص عليه، وأشار إليه.

وإذا ما ربطنا بين هذه الرواية والرواية التى تقول إن الخليل دعا الله أثناء حجه أن يلهمه وضع أصول علم لم يُسبق إليه اتضحت لنا الصورة كاملة؛ حيث رأى هذا الشيخ الذى يعلم الغلام، وهو فى طريقه إلى الحج فدنا منه وسأله عما يفعل فأخبره الشيخ عن العلم الذى يعلمه الغلام فلما واصل الرحلة وتمكن من أداء المناسك، دعا الله أن يلهمه وضع أسس هذا العلم المتوارث، فاستجاب الله له، ووضع أسس علم العروض.

ثم إن الشعر العربى ينفرد دون سائر فنون الشعر عند الأمم الأخرى بخاصية

(١) نقلاً عن د. سيد البحراوى فى بحثه «العروض العربى فى ضوء كتاب الأخفش» مصدر سابق

(٢) من المفيد هنا أن أشير إلى أنه من (نعم) و(لا) تتكون تفعيلات الخليل فعلى سبيل المثال: نعم = لا فعولن، لا نعم = فاعلن، نعم لا لا = مفاعيلن، لا لا نعم = مستغعلن، لا نعم لا = فاعلاتن... وهكذا...

تكاد تكون وقفًا عليه دون غيره؛ وهى القافية الموحدة عبر القصيدة كلها التى يرجع الأستاذ العقاد السبب الرئيسى فى وجودها فى الشعر العربى وحرص الشاعر القديم عليها إلى الخداء؛ لأن «الخداء غناء مفرد موقع على نغمة ثابتة، وهى حركة الجمل فى حالتى الإسراع والإبطاء. ولا بد للغناء المفرد من القافية؛ لأنها هى التى تنبه السامع إلى المقاطع والنهايات خلافاً للغناء المجتمع الذى يشترك فيه الكثيرون فيعرفون من سياقه أين يكون الوقوف، وأين يكون الاسترسال<sup>(١)</sup>».

وهذا لا شك فارقٌ جوهري بين الشعر العربى والشعر اليونانى الذى لا يعرف هذا اللون من التقفية، وهذا الفارق الجوهري من شأنه أن يحدث اختلافاً جوهرياً فى النظام الموسيقى للشعر العربى عن النظام الموسيقى للشعر اليونانى، وقد أشار الصفدى نفسه إلى هذا الفارق حيث قال: «اللغة اليونانية فيها شعر . . . . . وليس عندهم ما يكون ذا وزن وقافية، ولا ذلك ركن فيه<sup>(٢)</sup>».

وقد أصاب الصفدى فى هذه الفقرة وأخطأ، أما الصواب: فحين ذكر أن الشعر اليونانى لا يعتمد على هذا النوع من التقفية ولا هى ركن فيه، وأما الخطأ فحين زعم أن الشعر اليونانى يخلو من الوزن، ولا يختص به، ولا يعتمد عليه.

ثم إن الصفدى قد تناقض مع نفسه حين نفى - هنا - اختصاص الشعر اليونانى بالوزن ثم عاد بعد ذلك لينقل عن شيخه ابن ساعد الأنصارى أن الشعر اليونانى له عروض تأثر به الخليل عند وضعه للعروض العربى.

وقد تحدث الصفدى عن عروض اللامية فقال: «وأما عروض قصيدة الطغرائى هذه فإنها من الضرب الأول من البسيط<sup>(٣)</sup>». وأشار إلى أن مطلع هذه القصيدة مُقَفًى وليس مَصَرَّعًا فقال: «والبيت مقفًى لأنه فى العروض بحرف الروى وهو اللام، استعجالاً لبيان القافية للسامع، ثم فى التقفية لم يلتزم ذلك، وليس بمصرع لأن من شرط التصريع تغيير العروض عن زنتها إلى زنة الضرب، وهنا لم يتغير للعروض وزن، والتصريع أخص من التقفية؛ لأن كل مصرعٍ مقفًى من غير عكس<sup>(٤)</sup>».

(١) اللغة الشاعرة للأستاذ العقاد ص ٣٤.

(٢) الغيث المسجم ج١ ص ٥٤.

(٣) الغيث المسجم ج١ ص ٥٧.

(٤) السابق نفسه والصفحة نفسها.



## قافية اللامية، وأنواع القوافي:

ثم تحدث الصفدي عن قافية القصيدة فقال «وأما القافية فإنها من المتراكب<sup>(١)</sup>». ثم أخذ يوضح ذلك فقال: «المتراكب من القوافي ما كان في آخر البيت فاصلة صغرى وهي ثلاث حركات بعدها ساكن، وكذلك الخطل الخاء والطاء واللام متحركات، والياء ساكنة، وسمى هذا النوع متراكباً لمتراكب حركاته<sup>(٢)</sup>». وبين الصفدي حرف الروي لهذه القصيدة فقال: «فالروي في هذه القصيدة هو اللام لأنها الحرف الذي بُنيت عليه القصيدة. . . . والياء التي بعد اللام في القصيدة هي الوصل، وسمى الوصل بذلك لأنه وصل حركة المجرى، وهي حركة الروي<sup>(٣)</sup>».

ويرى الصفدي أن قافية القصيدة في غاية الحسن والتمكن بحيث لا يمكن لشاعر مهما بلغت شاعريته من الكمال والنضج الفني أن يتبدل بها قافية أخرى ثم يكون لها هذا الحسن والتمكن والجمال الذي في هذه القافية. قال الصفدي فوزعم بعضهم أن بعض الشعراء غيروا قوافي هذه القصيدة من اللام إلى حرف العين، وهذا عندي يتعذر لأن ألفاظ هذه القصيدة في غاية الفصاحة، وتراكيب كلماتها كلها منسجمة عذبة غير قلقة ولا نافرة، ومعانيها بليغة، وقوافيها في غاية التمكن، فهي كما قال ابن عني:-

معنى بديع وألفاظ منقحة غريبة وقوافٍ كُلُّها نخب<sup>(٤)</sup>

والصفدي يبنى رأيه هذا على أسس منها ما يتعلق بالألفاظ، ومنها ما يتعلق بالمعاني، ومنها ما يتعلق بعملية النظم نفسها؛ فألفاظ اللامية فصيحة، وقد انتظمت هذه الألفاظ في انسجام وعذوبة أدبا إلى بلاغة معانيها، وتمكن قوافيها، ومن ثم تعذر تغيير هذه القوافي عنده.

(١) السابق نفسه ص ٦٠.

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه ص ٦٠، ص ٦١.

(٤) السابق نفسه ص ٢٧.

كان الصفدى يريد أن يقول إن القافية ليست كلمة يؤتى بها لإتمام الوزن وحسب، دوغما نظر إلى حسن ورواق تضيفه إلى بقية ألفاظ البيت ومعانيه غير هذا الحسن الشكلي الذي يتمثل في المحافظة على الجرس الموسيقى للقصيدة العربية، بل هو قد قال هذا بالفعل حين شرع يدلل على تعذر تغيير قوافي لامية الصغراني بقوله «وليت شعري بماذا يُغَيَّرُ قوله:

لَوْ أَنَّ فِي شَرْفِ الْمَأْوَى بُلُوغَ مَنَى      لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَطَا  
وقوله أيضًا:

وإنَّ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ      لِي أَسْوَةٌ بَانِحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ رُحَا  
إلى غير ذلك من بقية القوافي المتمكنة التي هي في البيت بمثابة القاعدة التي إذا زُحزحت أو نُقلت تهدم البيت وخرب، وذهب حسنه وزال رونق تركيبه، وإذا غير مثل هاتين القافيتين فقد زال طرازها، وذهب ثمنها وقمرها، ومحيت آية حسن<sup>(١)</sup>».

ومضى الصفدى يقارن بين لونين من ألوان القوافي: اللون الأول القافية المتمكنة أي التي أسس البيت عليها فلا انفصام لها، واللون الثاني القافية الفلقة؛ أي التي جلبها صاحبها لإتمام الوزن، والمحافظة على بناء القصيدة وحسب؛ يقول الصفدى: «والقافية المتمكنة هي التي يبنى البيت من أوله إلى آخره عليها فإذا خُجِم البيت بها نزلت في مكانها ثابتة فيه متمكنة في محلها قد رسخت في قرارها، ودُفِعت إلى مركزها فهي لا تتزحزح ولا تتغير منه، بخلاف القافية التي اجتلبت وجيء بها لتمام الوزن، وهي أجنبية منه، غريبة من تركيبه، عارية من الالتحاق به، والالتحاق بحبه، ومتى غيرت القافية المتمكنة بغيرها جاءت نافرة عن الطباع في غاية الركة<sup>(٢)</sup>».

فهو هنا يركز على ضرورة أن تكون القوافي من جنس ألفاظ الأبيات، وأن تكون في مستوى هذه الألفاظ من ناحيتي العذوبة والانسجام حتى يتحقق لها

(١) الغيث المجمع ج ١ ص ٢٨.

(٢) السابق نفسه ص ٢٨.

للممكن الذى أشار إليه، وحتى يبعد بها الشاعر عن تلك الأوصاف التى ذكرها الصفدى فى نعت القافية الغلقة من مثل أن تكون «أجنبية منه، غريبة من تركيبه غارية من الالتحاف به والالتحاق بحسبه».

والصفدى هنا قد عبّر عن العمل الإبداعى أو الإبداع الفنى بالبناء، فكما تماسك أركان البيت ودعائمه ينبغى أن تماسك وتشابك ألفاظ البيت الشعرى وتتحد فى انجم وتوافق يؤديان فى النهاية إلى القافية التى هى من جنس هذه الألفاظ، وحيث تكون هذه القافية - كما قال - «متمكنة فى محلها، وقد رسخت فى قرارها ودفعت إلى مركزها فهى لا تنزعج ولا تتغير منه» وحيث - أيضاً - يصعب تغييرها؛ بحيث إذا غيرت نفرت منها الطباع السليمة وكانت ركاكتها شاهد صدق على قلقها مما يؤدى إلى نبو الذوق عنها.

والصفدى حين يدعو إلى أن يحكم الشاعر بيته حتى يكون كالبناء التماسك، وحين يدعو إلى أن توافق القافية ألفاظ البيت، إنما يردد ما قاله ابن طباطبا العلوى فى عيار الشعر حيث دعا هذا الناقد الشاعر إلى إحكام قصيدته عن طريق اختيار المعانى، ثم اختيار الألفاظ التى توافقها، ثم اختيار البحور والقوافى التى تناسب هذه المعانى والألفاظ؛ قال ابن طباطبا: «إذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذى يريد بناء الشعر عليه فى فكره نثرًا، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التى تطابقه والقوافى التى توافقها، والوزن الذى يسلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذى يرويه أثبتته وأعمل فكره فى شغل القوافى بما تقتضيه من المعانى<sup>(١)</sup>».

ومنى حاول الشاعر جاهداً أن تكون قافيته مؤلفة من ألفاظ بيته ومن جنسها، كان من الصعب تغييرها، وحتى لو غيرت فلن تكون القافية الجديدة أحسن منها ولا أمكن، ولن يتوفر لها من شروط الجمال الفنى ما توفر للقافية الأساسية. ومن هنا قال الصفدى فى حكمه للمرة الثانية على من يدعى إمكانية تغيير قوافى اللامية: «وتغيير قوافى هذه اللامية أراه متعذراً إلا أن يتهدم جانب جيد من كل بيت، ومع ذلك فلا يكون لغير قوافيها ديباجة استأثر بها الطغرائي<sup>(٢)</sup>».

(١) عيار الشعر ص ٤٣.

(٢) الغيث المجمع ج ١ ص ٣٥.



والملاحظ أن الصفدي قد عاود التركيز على علاقة القوافي بالأبيات ألفاظاً ومعاني؛ حين أكد أن تغييرها يؤدي إلى هدم جانب جيد من كل بيت من أبياتها، وهذه الملاحظة مهمة في هذا المكان لأنه بعد أن أعطانا هذه الإشارة إلى علاقة القوافي بألفاظ الأبيات ومعانيها ذكر الحدود التي من الممكن أن يتناول الشاعر أو الناقد في إطارها تغيير قوافي بعض الأبيات فقال: «وتغييرُ القوافي في البيت أو البيتين أمر يهون»<sup>(١)</sup> لأنه قد تتفق لشاعر قافية لبيت أو بيتين ثم ينظر شاعر آخر أو ناقد إليها فيجد غيرها أحسن منها فيغيرها إلى الأحسن والأمكن، أما أن تغير قوافي قصيدة بأكملها فهذا عنده يتعذر، وقد أورد ما يدل على هذا التعذر حين قال: «وأنشدت يوماً بعض الأفاضل قولَ البحري من قصيدته المشهورة:

وَأَزْرَقُ الصُّبْحُ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ      وَأَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرُهُ ثُمَّ يَنْسَكِبُ

فقال: بدل ينسكب ينهمر، فقلت: كيف تصنع في الأول وهو قوله:

هَذِي مَخَالِيلُ بَرَقَ خَلْفَهُ مَطَرٌ      جُودٌ وَوَرَى زِنَادٍ خَلْفَهُ لَهَبٌ

فقال: بدل لهب شرر، فقلت: هذه القصيدة بائنة أولها:

نَحْنُ الْفِدَاءُ فَمَا جُودٌ وَمَرْتَقِبٌ      يَنْوِبُ عَنْكَ إِذَا هَمَّتْ بِكَ التُّوبُ

فلم يُحِرْ جَوَابًا»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الدليل الذي أوردته الصفدي يشير إلى أن الصفدي قد صدر في رأيه النقد عن تجربة شخصية؛ حيث لم يستطع مناظره أن يغير من قوافي قصيدة البحري سوى قافيتين لبيتين متتاليين، وعجز تماماً عن تغيير قافية البيت الأول منها<sup>(٣)</sup>، ومعنى هذا أن تغيير قافية البيت الواحد أو البيتين أمر سهل، وليست فيه صعوبة على الإطلاق، أما تغيير قوافي قصيدة بأكملها فأمر في غاية الصعوبة والعسر، أو كما قال الصفدي أمر متعذر.

ويعترف الصفدي بأن أصحاب القدرات الخاصة أو الفائقة بإمكانهم تغيير قافية

(١) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٢) السابق نفسه ص ٣٦، ص ٣٧.

(٣) على الرغم من أن تغييره سهل فمن الممكن أن يقال بدل «التوب» «الغير».



البيت أو البيتين من شعرهم أو من شعر غيرهم أكثر من مرة ثم يُظهرون براعة فنية فائقة مثلما «صنع أبو القاسم علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي بيتين هما:

لَمَّا غَدَوْتَ مَلِيكَ الْأَرْضِ أَفْضَلَ مَنْ      جَلَّتْ مَفَاخِرُهُ عَنْ كُلِّ إِطْرَاءٍ  
تَغَايَرَتْ أَدَوَاتُ النَّطْقِ فَبِكَ عَلَى      مَا يَصْنَعُ النَّاسُ مِنْ نَظْمٍ وَإِنْشَاءٍ

ثم إنه غير رَوَى البيتين على جميع حروف المعجم»<sup>(١)</sup>، ومثلما صنع أبو العلاء المعري «في رسالة الغفران في ذينك البيتين اللذين للنمر بن تولب وهما:

أَلَمْ بَصُحْبَتِي وَهُمْ هُجُوعٌ      خِيَالٌ طَارِقٌ مِنْ أُمَّ حِصْنٍ  
لَهَا مَا تَشْتَهَى عَسَلٌ مَصْفَى      مَتَى شَاءَتْ وَحُوَارَى يَسْمَنُ»<sup>(٢)</sup>

حيث «غير القوافي منها، ونزلها على سائر حروف المعجم خلا حرف الطاء»<sup>(٣)</sup>، مما دل على «تمكن أبي العلاء من الأدب واطلاعه على اللغة»<sup>(٤)</sup>.

وإذا كانت هذه المحاولات لتغيير القافية في نطاق البيت الواحد أو البيتين قد أصابت حظاً من النجاح والجمال، فإنه قد يتيسر للشاعر أن ينظم قصيدة كاملة على قافيتين أو أكثر «لأنه يراعى ذلك في أصل التركيب، ويوفق بين ذلك من أول العمل»<sup>(٥)</sup>.

وأشار الصفدي إلى محاولتين لشاعرين مختلفين في ذلك فشلت محاولة أولهما مع أنه نظم قصيدته على قافيتين فقط، ونجحت محاولة الثاني مع أنه نظمها على أربع وعشرين قافية.

أما المحاولة الأولى فكانت للشاعر الأيوبي سيف الدين بن المشد «في قصيدته التي مدح بها السلطان نجم الدين أيوب، وهي مشهورة، أولها:

(١) السابق نفسه ص ٢٩.

(٢) الغيث المسجم ج ١ ص ٢٩، ص ٣٠.

(٣) السابق نفسه ص ٣٠، وتراجع رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ص ١٥٤ وما بعدها تحقيق بنت الشاطئ، دار المعارف، الطبعة السابعة عام ١٩٨١م. ذخائر العرب.

(٤) الغيث المسجم ج ١ ص ٣٠.

(٥) السابق نفسه ص ٢٨.

اسْتَفْنَى الرَّاحَ قَدْ تَجَلَّى النَّهَارَ (الظلام) وَتَفَنَّى عَلَى الْأَرَاكِ الْهَيَّارُ (الحمام)  
وَبَدَأَ الرُّوضُ فِي ثِيَابٍ مِنَ الزَّهْرِ رَسَدَهَا بَنَفْسَجٍ وَعَرَارُ (وثنام)  
فَاسْقَنِيهَا مِثْلَ الْخُدُودِ احْمِرَارًا وَكَتَفِرِ الْحَبِيبِ فِيهِ اقْتِرَارُ (ابتنام)  
قَهْوَةً مُزَّةً رَحِيقُ شَمُولٍ قَرَفَتْ لَذَّةُ سُلَافٍ عُقَارُ (مدمام)  
مِنْ يَدَيَّ أَوْطَفِ الْجُفُوفِ غَرِيرٍ زَانَهُ الْخَصَرُ وَاللَّمَى وَالْعِدَارُ (القوام)  
بَدَرْتُمْ يَلُوحُ فِي رِيِّ ظَلْبِي قَصُرَتْ عَنْ صِفَاتِهِ الْأَفْكَارُ (الأنهزام)<sup>(١)</sup>

وأشار الصفدي إلى ما في هذه المحاولة من ضعف فقال: «ثم سار على هذا النموذج إلى تمام أحد وعشرين بيتاً، ولا يخفى ما في هذه الأبيات من الانحلال والانحطاط، وما فيها من الإيراد لمن يروم النقد عليه»<sup>(٢)</sup>.

ولقد أصاب الصفدي في حكمه على هذه المحاولة؛ لأن الشاعر استخدم ألفاظاً ظنّها مترادفة وهي ليست مترادفة، وبالتالي فقد أعطت معاني بخلاف تلك المعاني التي يقصدها الشاعر؛ فهناك بون شاسع بين قول الشاعر «وكشغ الحبيب فيه اقترار» وبين قوله «فيه ابتنام» لأن في قوله (اقترار) ما يوحي بانفراج شغ الحبيب دون إحساس حقيقي بالفرح والسرور، ذلك الإحساس الذي نقله إلينا قوله «فيه ابتنام»، كما أن الأفكار هي الخواطر، والأفهام هي العقول، ثم إن تعبيره «فقد تجلّى النهار» يحمل شحنة من الجمال الفني والانفعالات النفسية والوجدانية التي تضيع تماماً إذا استبدلنا كلمة الظلام بكلمة النهار، كما أن انعدام التجلّي، وإنما يناسبه إرخاء السدول كما قال امرؤ القيس.

والمحاولة الثانية التي أشار إليها الصفدي هي قصيدة ابن الذرؤي المسماة بذات القوافي والتي مطلعها:

نُورِي أَطْلَعَتْ مِنْهَا الْقِفَارُ الْبَسَاسُ بِخَلِيلٍ مَطِيٍّ طَلَعُوهُنَّ أَوَانِسُ

وقد تحدث الصفدي عنها فقال: «وهي تزيد على العشرين بيتاً، جعل لكل بيت

(١) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها.

أربعاً وعشرين قافية، وهذه القصيدة تنشد أربعاً وعشرين قصيدة، وهذا في غاية القدرة<sup>(١)</sup>.

وأرجع الصفدى نجاح ابن الذرورى فى محاولته إلى أنه هو الذى بنى كل بيت فى الأصل على ما يريد ختمه به من القوافى المتعددة<sup>(٢)</sup>.

وأشار الصفدى إلى أن محاولته هذه ما كان ليتم لها هذا النجاح لو أنه تناول قصيدة من قصائد شاعر آخر وحاول تغيير قوافيها؛ لأن المعنى ما كان لينقاد له كما انقاد له معنى قصيدته؛ قال الصفدى: «ولو أخذ قصيدة لغيره وأراد تغيير قوافيها لتعأس المعنى عليه، ولم يتقد له»<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان الصفدى قد رأى أن تغيير قوافى لامية الطغرائى لا يجوز إلا إذا تهدم جانب جيد من كل بيت من أبياتها، فإنه رأى أن تشطيرها يجوز، بمعنى أنه من الممكن أن يتصرف الشاعر فى الشطرة بأكملها فيحذفها، ويأتى بشطرة أخرى من عنده ليتم بها البيت، وقد أورد الصفدى محاولة من هذا القبيل، وحكم عليها بالظرف والحسن قال: «وأنشدنى لنفسه من لفظه المولى نور الدين على بن محمد بن فرحون المالكى اليعمرى المدنى بدمشق المحروسة فى سنة إحدى وأربعين وبعمائة هذه اللامية وقد ركب على كل صدر عجزاً، وعلى كل عجز صدرًا، فناسبها، وهذا قصد ظريف، ومما أنشدنى قوله:

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطَلِ	وَسُرْعَةُ الْحَزَمِ دَادَتْنِي عَنِ الْمَذَلِ
وَحِلَّةُ الْعِلْمِ أَعْتَتْنِي مَلَابِسُهَا	وَحِلَّةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ
مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوَّلًا شَرَعُ	وَسُودْدِي ذَاعَ فِي حِلٍّ وَمُزْمَلِ
وَمِمْنِي فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَاحِدَةٌ	وَالشَّمْسُ رَأَدَ الْفُحَى كَالشَّمْسِ فِي الطُّفْلِ
لِسِمِّ الْإِقَامَةِ بِالزُّورَاءِ لَا سَكْنِي	دَانِ، وَلَا أَنَا فِي عَيْشٍ بِهَا خَضَلِ

(١) الغيث المسجوم ج١ ص ٢٩.

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه والصفحة نفسها.



وَلَيْسَ لِي أَرْبٌ فِيهَا وَلَا خَوَلِي بِهَا، وَلَا نَأْتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي<sup>(١)</sup>

وابن فرحون المالكي هنا لم يحذف شطرة من كل بيت، وإنما ركب على كل صدر عجزاً، وعلى كل عجز صدرًا، بمعنى أنه استخدم شطرتي البيت الواحد في تكوين بيتين اثنين، ولا شك أن هذا الأمر يهل عليه حسبما يرى الصفدي ويحسن؛ لأن الصفدي يركز على أن ترتبط القافية بالمعنى، وابن فرحون هنا لم يغير القافية، وإنما غير الشطرة سواء أكانت صدرًا أم عجزاً وأتى بشطرة أخرى على الوزن نفسه، وعلى القافية نفسها، ومن ثم جازت المحاولة وظرفت عند الصفدي.

ومن القوافي الحسة التي نالت إعجاب الصفدي كلمة يوافقها من قول الشاعر:

يُوشِكُ مَنْ قَرَّ مِنْ مَنِيتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَفِّقُهَا

فقد قال فيها الصفدي: «هذه القافية وأمثالها نهاية ما يمكن أن يجتمع في قافية، وذلك لأنه اجتمع فيها خمسة أحرف وهي: التأسيس، والدخيل، والروى، والصلة، والخروج، وكل واحد من هذه يلزم تكراره إلا الدخيل، واجتمع قبله أربع حركات وهي: الرُّس، والإشباع، والإطلاق، والنفاذ، فهذه تعة أشياء اجتمعت في قافية واحدة كما ترى؛ فالألف في الكلمة تأسيس، وحركة الواو التي قبلها رس، والفاء دخيل وحركتها إشباع، والقاف روى، وحركتها إطلاق، ومجرى إن شئت، والهاء صلة وحركتها انفاذ، والألف خروج»<sup>(٢)</sup>.

وواضح من هذا النص مدى إتقان الصفدي لأسماء حروف القافية، وأسماء حركات هذه الحروف، وكأن الصفدي يريد من هذا الكلام أن يقول أنه كلما اشتملت القافية على عدد أكبر من الحروف وحركاتها كلما قويت، وتمكنت وحسنت.

والصفدي بهذا الكلام يشترط في القافية الحسة شرطين هما:

١- أن تكون القافية من جنس ألفاظ الأبيات فصاحةً وعدوبةً، مع ائتلافها مع المعنى.

(١) السابق نفسه ص ٣٥.

(٢) السابق نفسه ص ٦١.



٢- أن تحتوى على أكبر قدر ممكن من حروف القافية وحركاتها.

وفى معرض الحديث عن تغيير القوافي لم يفت الصفدى أن يشير إلى أنه قد يتفق الشاعران فى الفاظ أبياتهما ويختلفان فى القافية؛ حيث قال: «وأما اتفاق الشاعرين فى الأبيات وتخالفيهما فى القافية فكثير فمне قول النابغة:

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ      عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةَ مُتَعَبِدٍ  
لَرْنَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا      وَلِحَالِهِ رُشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرُشِدِ  
وقول ربيعة بن مقروم الضبى:

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ      عَبْدَ الْإِلَهِ صَرُورَةَ مُتَبَتِّلٍ  
لَرْنَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا      وَلَهُمْ مِنْ تَأْمُورِهِ بِتَنْزُلٍ  
وقول الأقيصر العجلي:

جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الْعَتِيقِ      وَهَانَ عَلَى مَأْثُورِ الْفُسُوقِ  
وَجَدْتُ أَلَذَّ عَارِيَةِ اللَّيَالِي      قِرَانَ النِّعَمِ بِالنُّوْرِ الْخَفُوقِ  
وَمُسِمَعَةٍ مَتَى مَا شِئْتُ غَنَّتْ      مَتَى نَزَلَ الْأَحَبَّةُ بِالْعَقِيقِ  
تَمَتَّعَ مِنْ شَبَابٍ لَيْسَ يَبْقَى      وَصَلَ بِعُرَى الصُّبُوحِ عُرَى الْمُبُوقِ  
وقول أبى نواس:

جَرَيْتُ مَعَ الْهَوَى طَلَقَ الْجُمُوحِ      وَهَانَ عَلَى مَأْثُورِ الْقَبِيحِ  
وَجَدْتُ أَلَذَّ عَارِيَةِ اللَّيَالِي      قِرَانَ النِّعَمِ بِالنُّوْرِ الْقَصِيحِ  
وَمُسِمَعَةٍ مَتَى مَا شِئْتُ غَنَّتْ      مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحِ  
تَمَتَّعَ مِنْ شَبَابٍ لَيْسَ يَبْقَى      وَصَلَ بِعُرَى الْغُبُوقِ عُرَى الصُّبُوحِ<sup>(١)</sup>

ومضى الصفدى يعرض نماذج كثيرة لاتفاق الشاعرين فى الأبيات وتخالفيهما فى القافية، لكننى لاحظ أن حديثه عن هذه النقطة كان عبارة عن عرض لهذه النماذج فقط دون التعليق عليها ودون أدنى محاولة للتعليل لهذه الظاهرة، وقد كان من

(١) السابق ص ٣٠ وما بعدها.

الممكن أن يرجع هذه الظاهرة إلى توارد الخواطر، أو تأثير الخالف بالسالف، أو حتى إلى سرقة الشعراء لآثار سابقينهم كما قال بذلك كثير من النقاد<sup>(١)</sup>، إلا أن المصنف لم يفعل، مع أنه أخذ يتعقب معاني كثير من الشعراء وألفاظهم، ويُرجعها إلى أصولها التي أخذوها منها، وبلغت هذه التعقبات عددًا يفوق الحصر مما يُشكّل صرحًا ضخماً لقضية السرقات الشعرية سوف يأخذ حظه من الدرس في مبحث مستقل من مباحث هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

وقد تحدث الصفي في مقدمة الغيث عن قضايا عروضية أخرى؛ وهي عبارة عن بعض التعريفات لبعض المصطلحات العروضية؛ كتعريف الخن<sup>(٢)</sup>، والحديث عن دوائر التحليل العروضية<sup>(٣)</sup> وبعض أبيات المعاية في العروض<sup>(٤)</sup>، وقد رأيت أن أضرب عنها صفحاً لخلوها من الآراء والدلالات النقدية.



---

(١) ينظر مشكلة السرقات في النقد العربي للدكتور محمد مصطفى هدارة ص ١٥، ص ١٩ طبعة الكتب الإسلامية، د. ت.

(٢) الغيث المجمع ج ١ ص ٥٧.

(٣) السابق نفسه ص ٥٩.

(٤) السابق نفسه ونفس الصفحة.

## المبحث الثاني الصفدي وشعر المتنبي

شهد القرن الرابع الهجري نزوح موهبة فنية كبرى، ملأ صاحبها الدنيا، وشغل الناس، وتبوأ مكاناً علياً في دنيا الأدب - على الرغم من اختلاف الناس في الحكم عليه، وتفرقهم في ذلك شيعاً وأحزاباً- تلك هي شاعرية أبي الطيب المتنبي.

ولقد كان شعر المتنبي مصدراً أساسياً من المصادر التي اعتمد عليها الصفدي في تأليف الغيث؛ حيث كان يستشهد به في مواضع كثيرة، ونادراً ما كانت تخلو هذه المواضع من تعقيبات على هذا الشعر تكشف عن موقف الصفدي - بوصفه ناقدًا متأخرًا من نقاد القرن الثامن الهجري- من هذا الشاعر الفذ الذي اختصم النقاد حول شعره خصومة لا نظير لها في تاريخ نقدنا القديم<sup>(١)</sup>.

ونقد الصفدي شعر المتنبي يدور حول محور يرتكز عليه ويستند إليه، وهو محاولة إنصاف فن هذا الرجل ما وجد الصفدي إلى ذلك سبيلاً، والإشادة بحاسته وفنائه، وإظهار مساوئه ومقابحه دون تحن عليه، ثم الانتصاف له من ناقدَيْن كبيرين؛ أحدهما لغوى، والآخر أدبي.

أما الأول فهو أبو القاسم الحريري الذي ذكر بعض أخطاء المتنبي اللغوية في كتابه «درة الغواص في أوهام الخواص»، وأما الآخر فهو ابن وكيع التنيسي الذي تتبع سرقات المتنبي في كتابه «المنصف في السارق والمسروق منه من شعر المتنبي».

ومعنى هذا أن الصفدي يتناول شعر المتنبي بالنقد من ناحيتي اللفظ والمعنى.

### نقد الألفاظ:

فمن ناحية اللفظ نجد الصفدي يركز على ما يتعلق أولاً بفصاحة ألفاظ أبي الطيب وعذوبتها، حيث عاب على المتنبي إخلاله - في بعض أبياته - بتلك

(١) يراجع: الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها أ. د. عثمان موافي، من ص ٩١ إلى ص ١٢١، نشر دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية: ١٩٨٤ م.



الشروط التي يجب أن تتوافر في الألفاظ القصيدة وذلك حين استخدم ألفاظاً ثقيلة، ثم كرر هذه الألفاظ دون مراعاة لما قد يحدثه تكرارها من عدم تقبل السامع للبيت، وضرب الصفدى أمثلة لاستخدام المتنبي لمثل هذه النوعية من الألفاظ وتكرارها حين قال: «ومن تكرار الألفاظ الثقيلة قول أبي الطيب أيضاً:

وَكَمْ أَرَى مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامٌ  
وكذا قوله:

فَقَلَقَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَلَ الْحَسَا قَلَقِلَ هَمْ<sup>(١)</sup> كُلُّهُنَّ قَلَقِلُ  
وكذا قوله:

عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلِّمْ مَهَابَةً تَوَاضَعْتَ وَهَوَا الْعُظْمُ عَظْمًا عَلَى عَظْمٍ<sup>(٢)</sup>  
وقد تهكم الصفدى على هذا البيت الثالث بقوله: «ولو سمي هذا البيت جبانة لكان لافتقاراً به»<sup>(٣)</sup>.

والصفدى لا يغالى حين يعيب على المتنبي استخدام مثل هذه الألفاظ لأن جمهور البلاغيين قد وضعوا شروطاً لفصاحة الألفاظ منها خلوها من التعقيد سواء أكانت مفردة أم مركبة<sup>(٤)</sup>، ثم إن استخدام المتنبي لمثل هذه الألفاظ قد كان موضع نقد كثير من العلماء والنقاد الذين عنوا بأخباره وأشعاره قبل الصفدى وبعده من مثل القاضي الجرجاني في وساطته<sup>(٥)</sup>، وأبى منصور الثعالبي في بئمة الدهر<sup>(٦)</sup>، والشيخ يوسف البديعى في الصبح المنبى عن حيثة المتنبي<sup>(٧)</sup>.

(١) بالديوان «قلاقل عيس» ص ٣٣ طبعة هندية بمصر ١٩٢٣ م.

(٢) الغيث المسجم ج١ ص ١٨٤.

(٣) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ص ٤ ص ٥ نشر دار الفكر العربي بالقاهرة ١٩٨٣/٨٢ م.

(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ص ٧٣، ص ٧٤ دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٨٥ م.

(٦) بئمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبى منصور الثعالبي. تحقيق إيليا الخاوي ص ٢٦٠ الشركة الشرقية النشر والتوزيع بيروت د. ت.

(٧) الصبح المنبى عن حيثة المتنبي للشيخ يوسف البديعى ص ٣٧٧ تحقيق مصطفى السقا وآخرين دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٧٧ م.



ومن هؤلاء وآخرين غيرهم من مثل ابن وكيع التنيسي، وضياء الدين بن الأثير  
من عاب على المتنبي قوله يمدح أبا عبد الله محمد بن الخطيب الخصيبي :-

العارضُ الهتنُ ابنُ العارضِ الهتنِ ابْنِ العارضِ الهتنِ ابْنِ العارضِ الهتنِ  
على حين وقف الصفدي يدافع عن المتنبي، ويرد على من عابه ووسمه بالتكرار  
الذي لا فائدة فيه أو بثقل ألفاظه أو بفساد معناه، فقد قال في رده على من وسمه  
بالتكرار الذي لا فائدة فيه<sup>(١)</sup>: «فقد عدَّ بعضهم من التكرار الذي لا فائدة فيه،  
وليس كذلك، بل هو من باب قوله ﷺ ذلك: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم  
يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم»<sup>(٢)</sup>».

وبهذا يكون الصفدي قد رفع البيت إلى أعلى درجات الفصاحة والبيان، وبهذا  
يكون تكرار ألفاظ البيت قد أفاد التوكيد، فكأن المتنبي بتكرار لفظي (العارض)،  
(والهتن) يريد أن يبين أن الممدوح معرق في كرمه، فليس الكرم سمة من سماته  
فحسب، وإنما هي خلة ورثها عن آبائه الكرام الميامين.

وقال الصفدي عارضاً رأي ابن الأثير وراداً عليه: «وأما ابن الأثير فيمنه عاب  
الفاظ البيت من حيث هي، واستثقل لفظ العارض، والهتن، قال: ولو قال بدل  
العارض السحاب أو ما يجري مجراها لكان أرق. قلت: ليس ذلك بشيء،  
ولفظ العارض والهتن فصيح عذب في السمع»<sup>(٣)</sup>.

فابن الأثير يعيب ألفاظ البيت من حيث هي، أي أنه يعيب اللفظ دون أن يعيب  
تكراره، وعلة نفوره من لفظ «العارض» هي أنه يرى به ثقلاً، على حين يرى  
الصفدي أن اللفظ فصيح، وأنه فوق فصاحته يستريح له السمع، والصفدي - في  
رأى - موفق في رده على ابن الأثير؛ لأن كلمة العارض ليس بها ما يوحى بالثقل  
الذي ادَّعاه ابن الأثير؛ فلا مخارج حروفها متقاربة، ولا هي حوشية غريبة لم  
يألف الشعراء استخدامها، ولا هي مخالفة للقياس اللغوي.

وعرض الصفدي رأي ابن وكيع التنيسي في بيت أبي الطيب فقال: «وأما ابن

(١) وسه بذلك الثعالبي في بتيمة الدهر، يراجع ص ٢٦١.

(٢) الغيث المسجم ج١ ص ١٨٥.

(٣) السابق نفسه والصفحة نفسها.

وكيع فإنه قال: لولا انتهاء القافية لمضى فى العارض الهتن إلى آدم عليه السلام، وبانتهاء القافية أعلمنا أن نهاية عدد آياته المستحقين للمدح ثلاثة ثم يقف الأمر! قال: وأحسن من هذا قول البحرى:

الْفَاعِلُونَ إِذَا لُذْنَا بِجُودِهِمْ مَا يَفْعَلُ الْغَيْثُ فِي سُؤْبُوهِ الْهَتَنِ  
فجاء بالمعنى عاما بغير عدد متردد، ولا لفظ متبرد، فهو أرجح كلاما، وأحسن نظاما قال: وما أشبه برد<sup>(١)</sup> بيت أبى الطيب بيت قاله امرؤ القيس:

أَلَا إِنَّنِي بَالٍ عَلَى جَسَمٍ بَالِي يَقُودُ بِنَا بَالٍ وَتَتَبَعْنَا بَالِي<sup>(٢)</sup>  
هذا رأى ابن وكيع فى بيت أبى الطيب المتنبي، فبم أجاب الصفدى عما يحمله من انتقادات؟ قال الصفدى «قلت: كذا ذكره فى المنصف، وقد أخطأ فى هذا الكلام من عدة وجوه: أولها أنه قال: لولا انتهاء القافية لمضى إلى آدم، ولو قال لولا انتهاء الوزن لكان أكثر تحقيقا؛ لأن القافية حصلت فى ربع البيت من أول ذكر الهتن، وهذا كلام سبقه إليه عبد الملك بن مروان، وقد أنشد قول دريد بن الصمة:  
قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لَدَائِهِ ذِئَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ قَارِبٍ  
فقال: لولا القافية لوصل به إلى آدم<sup>(٣)</sup>».

وظاهر هذا الكلام الذى عقب به الصفدى على أول الانتقادات التى وردت فى كلام ابن وكيع يدل دلالة واضحة على أن الصفدى لم يتعرض للانتقاد المناقشة والتفنيد، حيث لا يزال كلام ابن وكيع الذى فحواه أن انتهاء تفعيلات البحر هى التى قطعت الكلام، ولو لم تنته التفعيلات لظل المتنبي يقول ابن العارض الهتن بن العارض الهتن حتى ينتهى إلى أينما آدم فى محله، وكل ما فعله أنه خطأه فى قوله «لولا انتهاء القافية»، وكأن ابن وكيع لا يدرك الفرق بين الوزن والقافية، وحقا لقد أخطأ ابن وكيع حين قال: «لولا انتهاء القافية» إلا أن هذا الخطأ من الممكن أن يرد إلى أنه يقصد انتهاء البيت، كما أنى أرى أن الصفدى مبطل فى اتهام ابن وكيع

(١) فى المنصف «تردد» راجع المنصف ص ٥٨٤.

(٢) الغيث المجسم ج ١ ص ١٨٥، ص ١٨٦.

(٣) السابق نفسه ص ١٨٦.

بسرقه هذا التعليق الذى علق به على بيت المتنبي من الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان لسبيين :-

الأول: أن ابن وكيع لا يُعجزه أن يصل إلى هذا الانتقاد بنفسه حتى يحتاج إلى سرقته من غيره.

والآخر: أنه لا يعيب الناقد أن يحاول الاستفادة من قراءاته المتعددة في نقد الأعمال الأدبية معتمداً في ذلك على منهج قياس الأشباه على النظائر.

ثم يمضى الصفدى في حديثه ليصل إلى الوجه الثانى من وجوه الخطأ فى كلام ابن وكيع فيقول: «وثانيها أنه قال: أعلمنا أن عدد آياته الممدوحين ثلاثة، كذا قال، والبيت يشتمل على أربعة أعداد ضرورة الوزن، وأيضاً فلا يلزم فى المديح أن يؤتى بجميع الآباء فى الذكر، ويكفى من مدح أصيلاً أن يقول: أنت كريم ووالدك ووالده»<sup>(١)</sup>.

ولقد أخطأ الصفدى - هنا - شاكلة الصواب؛ لأن ابن وكيع لم يخطئ فى عدد آباء الممدوح المذكورين فى البيت؛ لأننا إذا أخرجنا الأول من دائرة العدد بوصفه الممدوح، بقى لنا عدد آياته الممدوحين وهو ثلاثة.

أما الوجه الثالث من وجوه الخطأ التى وقع فيها ابن وكيع على ما يرى الصفدى فهو أنه وازن بين بيت أبى الطيب وقول البحرى:

الفاعلون إذا لُذنا بجودهم ما يفعلُ الغيثُ فى شؤبويه الهتنِ  
قال الصفدى: «وثالثها أنه مثل بيت البحرى وليس من هذا الباب الذى حاوله، ولفظة الفاعلون، وشؤبويه ثقيلتان على السمع»<sup>(٢)</sup>.

وقد أصاب الصفدى فى اعتراضه هنا على ابن وكيع لأن ابن وكيع وازن بين بيت أبى الطيب المتنبي وبيت أبى عباد البحرى، وخرج من موازنته بتفضيل بيت البحرى على بيت أبى الطيب مع أن المقارنة لا تجوز هنا، لأن بيت البحرى يفاير بيت المتنبي فى معناه؛ فقد أراد البحرى أن يصف الممدوح وآله بشدة الكرم فقال

(١) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٢) الغيث المسجم ج١ ص ١٨٧.



إنهم إذا لاذ الناس بجودهم يكرمونه كرمًا لا مثيل له؛ فحالهم في كرمهم يشبه الغيث في شؤبوه الهتن، أما المتنبي فقد أراد أن يمدح صاحبه لا بشدة الكرم وإنما بوراثته لهذا الكرم عن آبائه وأجداده.

ثم إن لفظتي (الفاعلون) و(شؤبوه) ثقيلتان فعلاً على السمع، ومرجع ثقل الكلمة الأولى لا في مخالفتها للقياس اللغوي ولا في تقارب مخارج حروفها، وإنما في ندرة استعمالها.

ومرجع ثقل الكلمة الثانية مردء إلى تكرار حرف الباء مرتين متاليتين وإلى مجيء الكلمة على وزن فعلول وهو وزن ثقيل<sup>(١)</sup>.

ويمضي الصفدي في حديثه ليصل إلى آخر وجوه الخطأ التي اشتمل عليها انتقاد ابن وكيع لبیت المتنبي فيقول: «ورابعها أنه شبهه ببرد بيت امرئ القيس وليس منه، وإنما الجامع بينهما التكرار<sup>(١)</sup>».

وقد أصاب الصفدي هنا أيضاً لأنه وإن كان قد أدرك أن الجامع بين بيت المتنبي وبيت امرئ القيس هو تكرار بعض الألفاظ حيث كرر المتنبي لفظتي العارض والهتن أربع مرات، وكرر امرؤ القيس لفظ بال أربع مرات - قد نفى أن يكون هناك جامع آخر بينهما لتغايرهما في المعنى؛ فأبو الطيب يمدح صاحبه بأصالة كرمه، وامرؤ القيس يصف عناءه وما لاقاه في رحلته من تعب ونصب، وهما معنيان متغايران، ومن ثم فقد أصاب الصفدي حين قال إن برد بيت أبي الطيب ليس من برد بيت امرئ القيس.

ولكن: ما معنى هذا؟ ما معنى أن يدافع الصفدي عن المتنبي كل هذا الدفاع وهو الذي قد عاب من قبل قوله:

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي      لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامٌ  
وقوله:

فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَ الْحَشَا      قَلَقِلَ هَمُّ كُلُّهُمْ قَلَقِلُ

(١) السابق نفسه والصفحة نفسها.



عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلِّمْ مَهَابَةً نَوَاضَعْتَ وَهُوَ الْعُظْمُ عَظْمًا عَلَى عَظْمٍ

معنى هذا أن الصفدى يقف فى حكمه على المتنبي موقفًا وسطًا هو إلى الاعتدال أقرب منه إلى الشطط، وأبعد ما يكون عن الجور والحيف؛ فالمتنبي شاعر ككل الشعراء له حسناته كما لهم حسناتهم، وله أخطاؤه كما لهم أخطاؤهم، والصفدى الذى عاب تكرار الألفاظ بعينها فى بعض أبيات المتنبي هو الذى مدح تكرار الألفاظ فى أبيات أخرى له، ومعنى هذا - أيضًا - أن الصفدى لا يرى بأسًا فى تكرار الألفاظ بعينها مرات فى البيت الواحد إذا كان هذا التكرار له ما يبرره كأن يضيف جديدًا إلى المعنى بتوكيده، أو يساعد على إضافة جرس أو إيقاع موسيقى إلى البيت، أما إذا فقد تكرار الألفاظ ما يبرره ويوجبه فإن الصفدى يرفضه ويعيبه.

ومن هنا ندرك أن أول المآخذ التى يأخذها الصفدى على المتنبي من ناحية ألفاظه هو تكراره لبعض الألفاظ فى البيت الواحد عدة مرات دون داع إلى ذلك، مما يؤدى إلى ضعف البيت وثقله.

ويعيب الصفدى على المتنبي استخدامه للألفاظ الغثة، ولا يثفع له عنده أن يتألف من هذه الألفاظ معنى جميل، أو معنى غريب على حد قوله، فقد أثنى الصفدى على معنى بيت المتنبي:

إِذَا مَا ضَرَبْتَ الْقِرْنَ ثُمَّ أَجَرْتَنِي فَكُلْ ذَهَبًا لِي مَرَّةً مِنْهُ بِالكَلَمِ

قال الصفدى: «وهذا معنى غريب لكنه غث الألفاظ»<sup>(١)</sup>.

ولعل الصفدى يقصد بقوله غريب أنه عميق أو بعيد؛ لأن المتنبي يصف ممدوحه هنا بالشدة والقوة فى النزال والضرب، وحين أراد أن يصف ممدوحه بهاتين الصفتين سلك مسلوكًا غريبًا حقًا غير عادى ولا مألوف لأنه عبر عن قوة ممدوحه وشدة نزاله وضربه باتساع جرح عدوه «حتى إنه لو ملأ الجرح الواقع منه على القرن ذهبًا لاستغنى من شدة اتساع الجرح»<sup>(٢)</sup>.

(١) الغيث المجمع ج ٢ ص ١٩.

(٢) ديوان المتنبي إحالة رقم ٤ بهامش ص ٥٨.

والصفدى قد أدرك هذا المعنى - دون شك - ومن ثم فقد وصفه بالغرابة التي قلت إنها تعنى هنا العمق أو البعد الفكرى والوصفى.

والصفدى على هذا - صادق - فى حكمه على معنى البيت كما هو صادق أيضاً فى حكمه على ألفاظه؛ ففى الألفاظ ضعف وقلق، وهذا معنى شريف - على حد تعبير الجاحظ - فكان حق هذا المعنى على المتن أن يتخير له اللفظ الشريف، إلا أنه لم يفعل وأتت ألفاظ الشطرة الثانية من بيته ضعيفة قلقة غثة لكثرة ما بها من التقديم والتأخير؛ حيث يقتضى سياق الكلام أن يقول: «فكل لى مرة ذهباً بالكلم منه».

وعندما نعيد قراءة تعليق الصفدى على هذا البيت مرة أخرى يتضح لنا أن الصفدى يفصل بين اللفظ والمعنى عند حكمه على البيت الشعرى أو العمل الفنى، وهو فى حكمه على هذا البيت بوجه خاص يقترب كثيراً من ابن طباطبا العلوى الذى عقد فصلاً فى عيار الشعر عن الشعر الصحيح المعنى الرث الصياغة<sup>(١)</sup>.

ومعنى هذا أن الصفدى ينضم إلى قافلة النقاد العرب الذين يقولون بشائية اللفظ والمعنى وينظرون بهذه الشائية عند الحكم على الأعمال الأدبية.

وليس هذا الحكم على الصفدى بالحكم الربيع المتعجل؛ لأنه كرر الفصل بين اللفظ والمعنى عند نقده لشعر الشعراء ونثر الكتاب، بل عند تعليقه على أبيات أخر للمتنبى حيث أورد بيتى أبى الطيب:-

إِذَا مَا النَّاسُ جَرَّبَهُمْ لَبِيبٌ      فَإِنِّى قَدْ أَكَلْتُهُمْ - وَذَاقَا  
فَلَمْ أَرْ وَدَّهْمُ إِلَّا خِدَاعَا      وَلَمْ أَرْ دِينَهُمْ إِلَّا نِقَاقَا

ثم علق عليها بقوله: «فعطف قوله وذاقا على قوله جربهم، واعترض بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله: فإننى قد أكلتهم، والمعنى مليح؛ لأنه يقول إذا ما جرب الناس لبيب<sup>\*</sup> وذاقهم فإننى أكلتهم، ومن أنى على الشئ أكلاً فقد عرفه أكثر ممن جربه ذواقاً<sup>(٢)</sup>».

(١) عيار الشعر ص ١٢٤.

(٢) الغيث المجم ج ٢ ص ٣٣٣.

فهذا التعليق ذو شقين: شق يتناول اللفظ، وشق يتناول المعنى، وهو في هذه المرة قد تناول الألفاظ من ناحية ترتيبها ونظمها لا من ناحية فصاحتها أو عذوبتها؛ لأن سياق الكلام يقتضى أن يأتى المعطوف والمعطوف عليه بلا فاصل بينهما، والمتنبى هنا قد فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجملة اعتراضية هي «فإني قد أكلتهم» وهذا الفصل قد أحدث - دون شك - شيقاً من الاضطراب مما جعل الصفدى يشير إلى مصدره.

هذا هو تعليق الصفدى على ترتيب المتنبى للألفاظ بيته، واللافت للنظر هنا أن الصفدى لم ينتقد هذا الترتيب، وربما كان مرد ذلك إلى ما أدته الجملة الاعتراضية من المعانى التى كشف عنها فى الشق الثانى من تعليقه على البيتين؛ حيث دلت هذه الجملة الاعتراضية على شدة اختلاط المتنبى بالناس ومعاشرتهم ومعاملتهم، وقد ترتب على هذه المعانى صدق الحكم الذى حكم به المتنبى على وداد الناس ودينهم فى البيت الثانى.

وموقف الصفدى من بيتى المتنبى هنا كموقفه السابق من بيته:

العَارِضُ الْهَيْنُ ابْنُ الْعَارِضِ الْهَيْنِ ابْنِ الْعَارِضِ الْهَيْنِ

فكما تسامح الصفدى عند نقده لهذا البيت فيما سبق، تسامح فى نقده أو تعليقه على هذين البيتين، وكأن الصفدى يسبح للمتنبى وغيره أن يقدم ويؤخر كيفما شاء فى ترتيب الكلام، وأن يفصل بين الكلام بالجملة الاعتراضية شريطة أن يورث هذا التصرف إلى تأكيد المعنى أو تحسينه أو تعميقه.

وأحب أن أشير إلى أمر تنبه له نقادنا القدامى وهو أن كثرة أخطاء المتنبى اللغوية والنحوية، واستخدامه للألفاظ الغريبة، وما يشبه ذلك إنما يرجع إلى عنايته بالمعنى دون اللفظ؛ فالمتنبى عندهم شاعر معان لا شاعر ألفاظ منسقة أو عبارات منمقة، وقد تنبه الصفدى إلى ذلك، وهو فى معرض حديثه عن رأى الشاعر الأندلسى ابن خفاجة فى بيتى المتنبى:

وَكَيْفَ عَرَفْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَنَا      فَوَادًا لِعِرْقَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبًّا  
نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ غَمَشَى كَرَامَةٍ      لِمَنْ بَانَ عَنْهُ أَنْ نَلْمَ بِهِ رُكْبًا



قال الصفدى: «قال ابن خفاجة الأندلسى: لو قال أبو الطيب:

نَزَلْنَا عَنِ الْاَكْوَارِ غَمَشِي كَرَامَةً      لأَهْلِيهِ أَنْ نَغْشَى رُسُومَهُمْ رُكْبًا

لجاء البيت أتم جزالة، لكن أبا الطيب إنما كان يتمثل بالمعانى ولا يبالى بالألفاظ، وربما قال قائل: لفظة بان عنه تعطى معنى الرسوم؛ لأن المنزل إذا بان عنه ساكنه أقوى؛ فاللفظان متساويان، فيقال: هذا أصرح من ذلك، وأنت تجد قولك: «لقيت من ضرب زيدا» قد نزل عن قولك «الذى ضرب زيدا»، وكان ذلك إنما ينزل فى النفس عن مرتبة الجلالة فى اللفظ لا فى المعنى»<sup>(١)</sup>.

وفى ضوء هذا الوعى الكامل باهتمام المتنبي بمعانى أبياته أتى حكم الصفدى على ما فعله أبو الفضل الجوهري بيتى المتنبي السابقين حين أنشدهما وقد شارف مدينة الرسول ﷺ حيث قال:

وَلَمَّا رَأَيْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَنَا      فَوَإِذَا لِعِرْقَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبًّا  
نَزَلْنَا عَنِ الْاَكْوَارِ غَمَشِي كَرَامَةً      لِمَنْ بَانَ فِيهِ أَنْ نَلْمَ بِهِ رُكْبًا

قال الصفدى «هدم فيه موضعين الأول (وكيف عرفنا)، والثانى (لمن بان عنه)»<sup>(٢)</sup> ثم علل الصفدى - أو بمعنى آخر برر - مشروعية هدمه لهذين الموضعين بقوله «لأنه لو تركهما ما لاقا بالمقام»<sup>(٣)</sup>. وذكر الصفدى أن أبا الفضل الجوهري هدم معنى (بان) التى فى بيت المتنبي أيضاً قال: «وينهدم معنى بان أيضاً لأنه فى الأصل من البين، وهو الفراق، وفى حالة الاستشهاد يكون من البيان»<sup>(٤)</sup>.

وتعبير الصفدى عن التغييرات التى أدخلها أبو الفضل الجوهري على بيتى أبا الطيب بالهدم هنا واقع موقعه؛ لأننى بينت فى البحث السابق أن الصفدى ينظر إلى العمل الأدبى أو البيت الذى هو وحدة القصيدة عندهم كما ينظر الإنسان إلى البناء المتكامل المتناسك؛ فالبيت الشعرى كالبناء المتكامل، وكل لفظة من ألفاظه تقابل كل لبنة من لبنات البناء، وعلى هذا فإذا ما حاول شاعر أن يغير فى ألفاظ

(١) الغيث المسجم ج١ ص ١١٣.

(٢) السابق نفسه ص ١١٢.

(٣) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه ص ١١٢، ص ١١٣.



بيت لشاعر آخر قائماً يقوم في حقيقة الأمر بهدم هذا البناء الذي بناه صاحبه،  
والصفدي في ضوء تعليقه هذا على عمل أبي الفضل الجوهري أتصور أنه لا يمانع  
في مثل هذا الهدم متى ما تم الإتيان باللفظ البديل الذي يوافق المقام الجديد أو  
الأثر النفسي الذي يقع تحته الممثل بالبيت أو المغير فيه.

وعندما يلتبس الصفدي لأبي الفضل الجوهري العذر في هدمه لبيت أبي  
الطيب، ويعزو هذا التغيير إلى موافقة المقام الجديد، فإنما يرشدنا في واقع الأمر  
إلى ضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ لأن لكل حال من الأحوال مقاماً في  
الخطاب والحديث خاصاً به ومقصوراً عليه؛ فأبو الطيب المتنبي كان يتحدث في  
بيته عن آثار ديار الحبيب، وهذه حال تخالف الحال التي كان عليها أبو الفضل  
الجوهري الذي كان على مشارف مدينة الرسول الكريم ﷺ.

ولما كان المتنبي في موقف الحديث عن أطلال الديار، فقد ناسب هذا الموقف  
قوله (وكيف عرفنا)، وقوله (لمن بان عنه) أي لمن فارقه وهجره.

ولما كان أبو الفضل الجوهري في موقف القرب من مدينة الرسول ﷺ فقد  
ناسب هذا الموقف قوله (بان فيه) أي لمع فيه نجمة، وظهر فيه فضله ومجده أو  
طوى فيه فضله ومجده أو طوى في ثراه ﷺ.

وعندما نقرأ التعليق مرة ثانية نرى مدى دقة الصفدي، ومدى إصابته في  
الحكم؛ حيث بين أن أبا الفضل الجوهري قد هدم ثلاثة أشياء من بيت أبي الطيب  
وعنى: موضعان ويقصد بهما لفظين وهما (وكيف عرفنا)، (وعنه)، ثم هدم  
معنى؛ ويقصد به معنى الفعل (بان).

ومن منطلق إدراك الصفدي لاهتمام المتنبي بمعاني أبياته أيضاً كان تعليقه على  
بيت أبي الطيب:

رُوحٌ تَرَدَّدَ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتْ الرِّيحُ عَنْهُ الثُّوبُ لَمْ يَبْنِ

فقد أشار الصفدي في تعليقه على هذا البيت إلى أن قوله (لم يبن) يحتمل  
المعنيين نفسيهما اللذين احتملتهما اللفظ في قوله «لمن بان عنه»، وهذان المعنيان  
هما (لم يبن) أي لم يظهر من بان بمعنى ظهر، و(لم يبن) أي لم يعد ولم يفترق،  
من بان أي بعد وافترق، قال الصفدي في تعليقه على هذا البيت «فيحتمل المعنيين

لم يبين من الظهور، ولم يبين من الفراق، أى لم ينخلف عن الطيران من الضمور  
بل يلزم الثوب ولم يبين عنه<sup>(١)</sup>، ثم أشار الصفدى إلى أن هذا المعنى الثانى الذى  
يحتمله اللفظ أحسن من المعنى الأول بقوله: «وهذا الثانى أدق معنى والطف من  
الأول»<sup>(٢)</sup>.

ولكى أحكم على هذا الرأى النقدى يجدر بى أن أشير إلى أن هذا البيت  
بتوسط بيتين آخرين<sup>(٣)</sup> يصف فيهما المتنبي نفسه بالنحول والضمور وضعف البنية،  
وهو فى هذا البيت قد شبه جسمه فى نحوله وضموره بالخلال أى الأعواد الدقيقة  
الرفيعة، وعلى هذا فهو يقول: إن روحى تردد فى هذا العود النحيل الذى يغطى  
ضموره ونحوله ما عليه من ثياب، وإذا ما أطارث الرياح هذه الثياب لم يظهر  
جسدى للرائى، وبناء على هذا التفسير فإن المعنى الأول الذى يحمله قوله (لم  
يبن) هو الاحسن، ولكن لما كان الصفدى يعلم مدى ما كان عليه المتنبي من  
الاهتمام بالمعنى والإغراب فيه، فقد حمل اللفظ معنى آخر، وهو عدم الابتعاد،  
فكان المتنبي أراد أن يقول إن هذا الجسد لا يفارق ما عليه من الثياب، فهو يلزمها  
فى جميع أحوالها حتى إنه يطير معها إذا ما طيرتها الرياح.

ولا شك أن هذا التفسير الثانى للبيت فيه من العمق، وقوة التعبير عن ضمور  
الجسد ونحافته ما فيه، وهو أدل على هذه المعانى كلها من التفسير الأول فضلاً  
عما يمتاز به من الدقة واللفظ والإغراب، ومن ثم فقد أصاب الصفدى حين  
حكم عليه بقوله: «وهذا الثانى أدق معنى والطف من الأول».

### المبالغة فى شعر المتنبي:

وقد يعتمد المتنبي إلى المبالغة فى القول جرئاً وراء تعميق المعنى وتحسينه، فتزدى  
به هذه المبالغة إلى الوقوع فى التناقض مع نفسه فيما قال، ومع هذا فإن الصفدى  
يحمدها، ولا يعيبها لأنها - وإن كانت تصل إلى حد الاستحالة فى أحيان كثيرة -  
تفيد المعنى قوة على حد قول الصفدى.

(١) الغيث المجمع ج ١ ص ١١٣.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) ديوان المتنبي ص ٣.

وقد ضرب الصفدي مثالا لهذه المبالغات التي وقع فيها المتنبي فقال: «وبالغ أبو الطيب في قوله:

وَكَلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ      فِي مَلِكِهِ افْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَصْطَحِبَا  
مَا كَانَ غُرَابَ الْبَيْتِ يَرْقُبُهُ      فَكَلَّمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدٍ نَعْبَا»<sup>(١)</sup>

فأبو الطيب المتنبي يريد أن يصور سرعة ذهاب المال وعدم مكثه في يد مالكة أو صاحبه فعمد إلى هذه المبالغة في التعبير، حيث جعل المال يلتقي بصاحبه ثم يفترق عنه من قبل أن يأنس كلاهما بالآخر، ويصطحب كلاهما الآخر؛ فكان هذا المال يرقبه غراب البيت، وفي تعليق الصفدي على هذين البيتين يقول «هذا البيت الأول من معاني أبي الطيب التي يناقض آخرها أولها لأنه قرر أولاً أن الدينار يلتقي صاحبه، ثم قال يفترقان قبل اصطحابهما، وهذا تناقض»<sup>(٢)</sup>.

ومع أنني أوافق الصفدي على ما وصف به المتنبي في هذين البيتين من المبالغة فإنني أختلف معه في وصفه للمتنبي بالتناقض مع نفسه في البيت الأول؛ وذلك لأن المتنبي في الشطرة الأولى من هذا البيت قد قرر أن الدينار يلتقي صاحبه كما قال الصفدي، ثم قال في الشطرة الثانية: إنهما يفترقان من قبل أن يصطحبا، وهذا المعنى الموجود بالشطرة الثانية لا يناقض معنى الشطرة الأولى كما زعم الصفدي، لأن الصحة لقاء طويل فيه إيناس، وهذا ما نقاه المتنبي، فالمتنبي لم ينف اللقاء حتى نقول إنه تناقض مع نفسه، وإنما نفى طول اللقاء، والآنس به، ولو قال المتنبي «في ملكه افترقا من قبل يلتقيا» لسلمنا للصفدي بأن المتنبي قد تناقض مع نفسه في هذا البيت.

وضرب الصفدي مثالا ثانياً لتناقض المتنبي مع نفسه حين بالغ في التعبير جرياً وراء تعميق المعنى وتحسينه حين قال: «وكذا قوله:

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ      وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بَخِيلًا

فقرر أن سخاءه أعدى الزمان، فهذا دليل على وجوده، ثم قال فسخا الزمان به

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ٢٢٩.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.



أى أوجده، والشئ لا يتقدم على وجود نفسه، ولكن هذا النوع من المبالغات الشئ تخرج إلى حد الاستحالة فتفيد المعنى قوة لم تكن فى غيره»<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن الصفدى قد أصاب حين وصف مبالغة المتنبي فى هذا البيت بأنها وصلت إلى حد الاستحالة؛ لأن المتنبي يريد أن يصف بمدوحه بالكرم أو بشدة الكرم فقال إن الزمان بطبعه بخيل وشحيح إلا أنه قد أصابته عدوى الكرم من مدوحه فكان مدوحه هو الذى علّم الزمان الجود والكرم، وهذه مبالغة فى التعبير.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنى أوافق الصفدى حين قال بتناقض المتنبي مع نفسه فى هذا البيت، وإن كنت أختلف معه فى موضع هذا التناقض، أو بتعبير أصح أرى أن المتنبي قد تناقض مع نفسه فى هذا البيت مرتين لا مرة واحدة: المرة الأولى حين قال «أعدى الزمان سخاؤه فسحا به» وأتى التناقض فى هذا التعبير من أنه ادعى أن مدوحه أعدى الزمان بجوده وكرمه ثم عاد فقال لقد سخا به الزمان.

والمرة الثانية حين قال «فسحا به ولقد يكون به الزمان بخيلاً» لأنه قرر أن الزمان قد سخا بالممدوح، ومعنى هذا أن الزمان قد بذل الممدوح<sup>(٢)</sup> وإذا كان قد بذله فقد فقد ملكيته له أو حقه فيه، ثم عاد فقال ولقد يكون به الزمان - أى فى المستقبل - بخيلاً، وهذا المعنى الثانى هو موضع التناقض إذن، إذ كيف يبخل به وهو لا يملكه أو وقد فقده؟

### اضطراب الصنعة فى شعر المتنبي:

وبعبء الصفدى على المتنبي اضطراب الصنعة فى بعض شعره، ويقصد الصفدى باضطراب الصنعة عدم إحكام المتنبي للتطابق فى كلامه، فعند تعليقه على قول المتنبي:

لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمٍ

قال الصفدى «وهذا البيت مضطرب الصنعة لأنه كان ينبغى له أن يقول سرور محب أو حزن عدو وهذا مما يقوله كثيراً، وسيأتى من كلامه نظائر لهذا البيت»<sup>(٣)</sup>.

(١) الفيت المسجم ج١ ص ٢٢٩.

(٢) الصبح النبى ص ٢٥٠.

(٣) الفيت المسجم ج١ ص ٢٣٠.



وقارئ هذا التعليق النقدي المهم على هذا البيت يجب أن يتوقف طويلاً عند قول الصفدي (مضطرب الصنعة) حتى يفهم معناه، ويقف على دلالة.

فقول الصفدي «هذا البيت مضطرب الصنعة» معناه غير محكم البناء أو مهمل التركيب.

ولو استعمل الصفدي أحد التعبيرين اللذين فرت بهما قوله «مضطرب الصنعة» أو استعملهما معاً، أو استعمل ما يشبههما، لكان قد أوفى بذلك على غاية ما يريد لاسيما أنى قد بينت - في غير هذا الموضع من هذا البحث، وفي البحث السابق - أن الصفدي ينظر إلى البيت على أنه بناء تعبيرى لبناؤه الألفاظ والعبارات، إلا أنه عدل عن مثل هذين التعبيرين وما يشبههما إلى التعبير الذى قاله «مضطرب الصنعة» فهل لذلك من دلالة؟ والجواب نعم إن هذا التعبير الذى استخدمه الصفدي يدل على إدراكه لموقف النقاد العرب من فنى الشعر والشعر، ويدل أيضاً على تبنيه لآرائهم فى هذا المجال.

فنقادنا القدامى مثل ابن سلام، وابن طباطبا، وأبى هلال، وابن رشيق، وغيرهم يرون أن الأدب «صناعة كسائر الصناعات»<sup>(١)</sup> ويرون كذلك أن الأديب شاعراً كان أم ناثراً إن هو إلا صانع، ومادته الخام التى يصوغ منها صنعته الجميلة أو أدبه الرفيع هى الألفاظ والعبارات، ومن ثم وجب عليه أن يوفق بينها ويستخدمها الاستخدام الذى يحقق لها أكبر قدر من الائتلاف والانسجام على أن يظل على وعى تام بأن هذه الألفاظ ليست خلواً من المعانى، وإنما تدل على معان، ومن ثم يجب عليه أن يعنى بها عنايتين: الأولى من حيث كونها ألفاظاً مجردة، والثانية من حيث كونها ألفاظاً تدل على معان؛ فيهتم بصحة التقسيم والمقابلة والتفسير وما إلى ذلك كما يهتم بحسن النظم وجودة الرصف والسبك.

وحين نعود إلى بيت المتنبي نجد قد اهتم بالألفاظ فأحسن اختيارها ونظمها ورصفها، إلا أنه لم يهتم بالمعانى، فأخطأ حين قابل بين السرور والإساءة، وبين المحب والمجرم، وكان حقه أن يقابل بين السرور والحزن والمحب والمبغض؛ ومن ثم فقد اضطربت صنعته.

(١) يراجع فى ذلك ما كتبه أستاذنا الجليل الدكتور زغلول سلام فى كتابه تاريخ النقد الأدبى والبلاغة حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ص ١١ وما بعدها.

وحين نعيد قراءة تعليق الصفدي على بيت المتنبي مرة أخرى يتبين لنا أن الصفدي قد أصاب في حكمه على البيت، ومع هذا فقد أخطأ هو الآخر حين قابل بين المحب والعدو؛ لأن المحب عكسه البغض لا العدو.

والصفدي في تعليقه على هذا البيت قد أشار إلى أن المتنبي يخطئ كثيراً في المقابلة، ووعد القارئ أن يضع أمامه أمثلة أخرى من شعر المتنبي تدل على ذلك، وقد فعل حيث قال: «وأما عدم المطابقة في شعر أبي الطيب فكثير جداً، ومن ذلك قوله:

وِكُلُّ عَيْنٍ قُرَّةٌ فِي قُرْبِهِ      حَتَّى كَأَنَّ مَغِيبَهُ الْإِقْدَاءُ  
القرة ضدها السخنة، والقداء ضده الجلاء.

وقوله أيضاً:

وَلَمْ يَعْظُمُ لِنَقْصٍ كَانَ فِيهِ      وَلَمْ يَزَلِ الْأَمِيرَ وَلَنْ يَزَالَ  
العظم ضده الحفارة، والنقص ضد الكمال، فلو قال: «ولم يكمل لنقص كان فيه» لكان أصنع.

وكذا قوله: - وإن لم يكن من هذا الباب -:

لَمْ تَفْتَقِدْ بِكَ مِنْ مُزْنٍ سِوَى لَثْقٍ      وَلَا مِنْ الْبَحْرِ غَيْرَ الرِّيحِ وَالسُّفُنِ  
وَلَا مِنْ اللَّيْثِ إِلَّا قُبْحَ مَنْظَرِهِ      وَمِنْ سِوَاهُ سِوَى مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ  
كان الذي ينبغي له أن يقول «ولا من البحر غير الجزر والغرق» لأنهما من معائب البحر، والريح والسفن من محاسنه.

وكذا قوله:

وَأَنَّهُ الْمُشِيرَ عَلَيْكَ فِي بَضَلَةٍ<sup>(١)</sup>      فَالْحُرُّ مُمْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الزَّانِ  
والحر ضد اللثيم.

(١) وردت هذه الكلمة في الغيث مصحفة؛ حيث كانت «بضده» وصححتها من الديوان؛ يرجع الغيث ص ٣٦١ ج ٢، الديوان ص ١١٩.

وقوله:

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قَتَلْتَ شَهِيدٍ      بَيَاضِ الطُّلَى وَوَرْدِ الْخُدُودِ

وكان ينبغي أن يقول: «ببياض الطلى وحمرة الخدود»<sup>(١)</sup>.

ولا ينبغي أن يمضى هذا النص دون أن أعلق عليه لأناقش الصفدى فيما ذهب إليه وأتبعين مدى توفيقه فى حكمه ونقده، وأول تعليق يستوقفنى فى هذا النص تعليقه على البيت الثانى، حيث بين الصفدى أن المتنبي جانباً الصواب فى قوله «ولم يعظم لنقص» لأنه قابل بين العظم والنقص، مع أن مقابل العظم الحقارة، ومقابل النقص الكمال.

إذن الصفدى قد بين خطأ المتنبي، لكنه لم يكتف بذلك، وإنما صحح الخطأ وبين السبيل الذى كان ينبغي على المتنبي أن ينتهجها ليحسن بيته ويجمل فقال: «قلو قال (ولم يكمل لنقص كان فيه) لكان أصنع».

وتعبيره (لكان أصنع) يدل على اضطراب الصنعة فى بيت أبى الطيب، ويوافق التعبير الذى عبر به منذ قليل حين تعرض لنقد البيت:

لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرِدْ بِهَا      سُورَ مُجِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمٍ

وأترك هذا التعليق، وأمضى فى قراءة بقية النص لأتوقف عند التوطئة التى قدمها الصفدى بين يدى بيتى أبى الطيب:

لَمْ تَفْتَقِدْ بِكَ مِنْ مُزْنٍ سِوَى لَثَوِي      وَلَا مِنْ الْبَحْرِ غَيْرَ الرِّيحِ وَالسُّفْنِ  
وَلَا مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا قُبْحَ مَنَظَرِهِ      وَمِنْ سِوَاهُ سِوَى مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ

قال الصفدى فى هذه التوطئة «وكذا قوله» أى ومن قبيل عدم المطابقة قوله، ثم قال «وإن لم يكن من هذا الباب».

وهذا احتراز حسن من الصفدى؛ لأنه فيما مضى كان يتحدث عن عدم نجاح المتنبي فى إحداث المقابلة اللفظية، أما هنا فهو يتحدث عن خطأ المتنبي فى ذكر

(١) الغيث المسجى ج ٢ ص ٣٦٠، ٣٦١.



معاييب البحر ومساوئه؛ فالمتنبى يتحدث عن خللال المدح، وهو يقول له إن ما افتقدناه من خلالك لنا في حاجة إليه، فأنت كالمرن في محاسنه، وأنت كالبحر في محاسنه، وأنت كالليث في محاسنه، وفيك من كل شيء محاسنه، فلم نفتقد بك من المرن سوى ما يحدثه من البلل الذي يصيب الأرض فيحلبها وحلا يعوق عن السير، ولم نفتقد بك من البحر سوى ما به من الرياح والسفن، ولم نفتقد بك من الليث سوى منظره القبيح..... وهكذا.

وعلى هذا فقد اعتبر المتنبى الرياح والسفن من معاييب البحر، وهذا ما انتقده الصفدى في تعليقه على البيتين بعد ذلك حيث قال: «كان الذي ينبغي له أن يقول (ولا من البحر غير الجزر والغرق) لأنهما من معاييب البحر، والريح والسفن من محاسنه».

والصفدى محق ومبطل في آن واحد هنا؛ لأننا نسلم له بأن السفن من محاسن البحر، لكننا لا نسلم له بأن الريح من محاسنه أيضاً؛ لأنها قد تكون من محاسنه حين تكون هادئة ورقيقة وناعمة، وقد تكون من معاييه لا سيما إذا كانت عاصفة عاتية شديدة الهبوب.

ومع هذا فلو قال المتنبى (ولا من البحر غير الجزر والمد) أو (غير الجزر والغرق) كما قال الصفدى لكان أحسن؛ لأن الجزر والمد من معاييب البحر التي لا ينكرها أحد.

وأشار الصفدى إلى الخطأ الذي وقع فيه المتنبى حين قابل بين الحر وأولاد الزنا في قوله:

وَأَنَّهُ الْمُشِيرَ عَلَيْكَ فِي بَضِلَةٍ فَالْحُرُّ مُمْتَحَنٌ بِأَوْلَادِ الزَّانَا

وإذا كان المتنبى قد أخطأ في المقابلة بين الحر وأولاد الزنا، فإن الصفدى قد أخطأ حين أراد أن يصحح له الخطأ؛ لأنه قابل بين الحر واللثيم فقال: «والحر ضد اللثيم» والصواب أن الحر ضد العبد، وكان على المتنبى إذن أن يقول فالحر ممتحن بالعبد أو بأولاد العبيد.

وبين الصفدى أن المتنبى قد أخطأ - أيضاً - في المقابلة حين قابل بين بياض الطلي وورد الخدود؛ حيث كان من الواجب على المتنبى أن يقول (ببياض الطلي وحمرة الخدود).



والصفدي هنا ذكي وملاح؛ لأن البياض صفة للون، وكان ينبغي على المتنبي  
حين أراد أن يأتي بالمقابل أن يكون صفة للون أيضاً، هذا من ناحية، ومن ناحية  
أخرى فالورد له ألوان كثيرة؛ فمنه الأبيض، ومنه الأصفر، ومنه الأحمر ومنه  
غير ذلك. وكلمة (ورد الحدود) التي وردت في بيت أبي الطيب قد يفهم منها  
أحمر الحدود لأن لكلمة ورد كما قلت دلالات لونية كثيرة، ومن ثم فكان يجب  
على المتنبي أن يكون أكثر تحديداً في كلامه لتكون المقابلة أكثر دقة.

ويحسن بي بعد أن قطعت هذا الشوط أن أقف لأذكر المآخذ التي أخذها  
الصفدي على المتنبي مجتمعةً وهي:-

١ - يعيب الصفدي على المتنبي تكراره للألفاظ الثقيلة في بعض شعره، مما يؤدي  
إلى ضعفه وقلقه.

٢ - يعيب الصفدي على المتنبي استخدامه للألفاظ الغثة في بعض شعره ولا يشفع  
له أن تتألف من هذه الألفاظ معان غريبة أو جميلة.

٣ - يعيب الصفدي على المتنبي اهتمامه بالمعنى دون اللفظ.

٤ - يرى الصفدي أن بعض أبيات المتنبي مضطرب الصنعة، ويأتي هذا الاضطراب  
من عدم إحكام المتنبي للمقابلات التي يعقدها في شعره.

وحقاً لقد تنبه كثير من نقادنا القدامى إلى هذه المآخذ قبل الصفدي ودلّوا عليها  
من شعره مثلما فعل الصفدي، وإذا كان ذلك كذلك فهل يجوز - بعدئذ - أن  
نقول هذه المآخذ التي أخذها الصفدي على المتنبي؟

والجواب نعم يجوز أن ننسب هذه المآخذ إلى الصفدي، رغم أن أكثرها كما  
قلت بل جميعها قد تنبه له نقادنا القدامى؛ لأن الصفدي قد بذل جهداً واضحاً في  
فهم شعر المتنبي وتحليله لفظاً ومعنى، كما ناقش آراء بعض النقاد كآبن الأثير،  
وابن وكيع، ولم يقف من هذه الآراء موقف التابع الذي ليس له من فضل سوى  
النقل والجمع، بل وقف موقف المتخصص المدقق الذي ينظر في الآراء ويناقشها،  
ويريدها أو يعارضها، وقد يصيب مرة، وقد يخطئ أخرى، إلا أن له في النهاية  
شخصيته، وفكرته، ورأيه، كما أن له حججه وبراهينه، وأدلة إثباته ونفيه، وهذا  
وحده يكفي.

وقد سبق فيما مضى ما يدل على وضوح رؤيته، وظهور شخصيته في نخب وفهمه لشعر أبي الطيب عندما تحدثت عن موقفه من ابن الأثير، وابن وكيع التنيسي اللذين عارضا قول المتنبي:

العَارِضُ الهَتَنِ ابْنُ العَارِضِ الهَتَنِ ابْنُ العَارِضِ الهَتَنِ  
بين الصفدي وأبي القاسم الحريري:

وهذا موقف آخر يدل على وضوح رؤيته وظهور شخصيته في تعليقه على آراء الآخرين فيما يتعلق بشعر أبي الطيب المتنبي؛ فقد نقل عن الحريري نصا من درة الغواص وجه فيه الحريري سهام نقده إلى بيت أبي الطيب:

أَحَادُ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لِيَلَيْلُتَنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِ

قال الصفدي: «وقال الحريري في هذا الكتاب بعد ما أورد قول أبي الطيب:

أَحَادُ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لِيَلَيْلُتَنَا الْمَنُوطَةُ بِالتَّنَادِ

غلط أبو الطيب هنا في عدة مواضع من هذا البيت: الأول: أنه قال أحاد وسداس ولم يسمع في الفصح إلا مشى وثلاث ورباع، والخلاف في خماس وما بعده إلى عشار. الثاني: أنه صغر ليلة على ليلة وإنما تصغر على ليلة. الثالث: أنه صغرها والتصغير دليل القلة فكانها قصيرة ثم قال المنوطة بالتناد ولا يكون شيء أطول منها حيثند فناقض آخر كلامه أوله (١)».

هذه هي الأخطاء التي رأى الحريري أن أبا الطيب المتنبي قد وقع فيها في هذا البيت، فما موقف الصفدي منها؟ لقد حاول الصفدي أن يرد على هذه الانتقادات فقال: «قلت ليس في هذا تناقض؛ لأن التصغير في كلام العرب على أربعة أنواع الأول تصغير التحقير كغليس ورجيل، والثاني تصغير التقريب كفويق وبعيد ودوين، والثالث تصغير التحبيب كقولك ما أميلحه وما أحيسنه، والرابع تصغير التعظيم كقولك أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقال الشاعر:

وَكُلُّ أَنَاسٍ سَوَفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ دُونِهِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنَامِلُ

(١) الغيث المجسم ج ٢ ص ٨٠، ص ٨١.

فأبو الطيب صغّر الليلة هنا للتنظيم؛ لأنه استطالها حتى جعلها منوطة  
بالتناد<sup>(١)</sup>.

هذا هو ردُّ الصفدى على انتقاد الحريرى، ولعل الصفدى لم يوفق هنا فى الرد  
على الحريرى فيما انتقد به المتنبي لسببين:-

أولهما: أن الصفدى لم يعلق إلا على الغلط الثالث فقط، وتحاشى التعليق على  
الغلطين الأول والثانى، وفى هذا - من وجهة نظرى - إشعار بموافقة  
الصفدى على ما ذهب الحريرى إليه فى هذين الغلطين.

ثانيهما: أنه فى تعليقه عدد أغراض التصغير فى العربية، ثم أوّل تصغير الكلمة على  
التعظيم، إلا أن هذا لا يمنع أن يكون الحريرى على صواب فيما ادّعاه.

وأغلب انتقادات الحريرى على بيت أبى الطيب انتقادات لغوية تتمثل فى مخالفة  
المتنبي للمقياس اللغوى فى قوله سداس، وفى تصغير ليلة على ليلة.

وقد كان الصفدى يتعقب أحياناً أخطاء المتنبي اللغوية ويرشد إليها، وذلك فى  
تعليقه على ما يورده من أبياته، وإن كان فى الوقت نفسه يدافع عن المتنبي  
ويلتمس له العذر فى خطئه، ومثال ذلك تعليقه على قول أبى الطيب:

يُدَقِّنُ بَعْضُنَا بَعْضًا وَيَمْنِي  
أَوْأَجِرُنَا عَلَى هَامِ الْأَوَالِي

قال الصفدى «قلت يريد بالأوالى الأوائل وهو كثير فى كلامهم؛ قال امرؤ  
القيس:

«وَأَمْنَعُ عُرْسِي أَنْ يَزْنَ بِهَا الْخَالِي»

أى الخائل<sup>(٢)</sup>.

فالصفدى هنا قد أرشد إلى موضع الخطأ فى بيت أبى الطيب ثم اعتذر عنه  
بشيوع مثل هذا القياس فى كلام الشعراء، واستدل على ذلك بشطرة بيت لامرئ  
القيس.

(١) السابق نقه ص ٨١.

(٢) السابق نقه ص ٤١٩.



وفى تعليق الصفدى على بيت المتنبي: -

وَمَنْ لَمْ يَعَشَقِ الدُّنْيَا قَدِيمًا      وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوَصَالِ  
أشار إلى أن المتنبي فى الشطرة الثانية من البيت قد حذف المضاف وأقام المضاف إليه مكانه دون أن يختل المعنى أو يفسد، قال الصفدى: «وقوله ولكن لا سبيل إلى الوصال فيه محذوف؛ فإنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه تقديره: ولكن لا سبيل إلى دوام الوصال، والمعنى عليه؛ لأن الوصال حصل ولكن دوام الوصال لا سبيل إليه<sup>(١)</sup>».

### سرقات المتنبي:

ويرتبط اسم المتنبي فى ذهن كثيرين من المشتغلين بالأدب بتلك الحركة النقدية الكبرى التى واكبت شعره وسارت معه أينما سار تحاول جاهدة التعرف على أصوله ومصادر ألفاظه ومعانيه، وسرقاته ممن سبقه من الشعراء والحكماء.

وقد أدلى كثير من نقادنا القدامى بدلهم فى هذا المجال، ومنهم من ألف كتباً لدراسة هذا الموضوع النقدى دون سواء، وشغلت سرقات المتنبي بالهم وفكرهم، فما موقف الصفدى من هذه القضية النقدية؟ وهل نرى فى الغيث جهداً يتميز به الصفدى فى معالجتها ومناقشتها؟

فى الحقيقة أننا لا نلمح فى الغيث جهداً للصفدى فى دراسة سرقات المتنبي، وإن كان قد أشار فى ثانيا تعليقہ على بعض أبياته إلى أخذه لمعنى البيت من هذا أو من ذاك.

ومن هذه الإشارات قوله: «وقال أبو الطيب:

وَإِذَا خَامَرَ الْهَوَى قَلْبَ صَبٍّ      فَعَلَيْهِ لِكُلِّ عَيْنٍ دَلِيلُ  
وهو مأخوذ من قول زهير:

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ      وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمُ<sup>(٢)</sup>

(١) الغيث المسجم ح ٢ ص ٤١٩.

(٢) السابق نفسه ص ٤٤٨، ص ٤٤٩.



وقوله «وقال أبو الطيب في وصف الخيل:

مِنْ بَنَاتِ الْخَدِيلِ تَمْشِي بِنَا فِي الْبَيْدِ مَشَى الْأَيَّامِ فِي الْأَجَالِ

وهو مأخوذ من قول مسلم بن الوليد:

مُوفٍ عَلَى مُهَجٍ فِي يَوْمٍ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ يَنْعَى إِلَى أَمَلٍ<sup>(١)</sup>

وقوله:

كَالشمسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ وَضَوْؤُهَا يَغْشَى الْبِلَادَ شَارِقًا وَمَغَارِبًا

البيت لأبي الطيب وهو مأخوذ من قول ابن الرومي:

كَالشَّمْسِ فِي كَيْدِ السَّمَاءِ مَحَلًّا وَشُعَاعُهَا فِي سَائِرِ الْأَفَاقِ<sup>(٢)</sup>

والصفدي في هذه النصوص جميعها يكرر لفظ (مأخوذ) الذي يدل على الرقعة، وجميع الأحكام النقدية التي اشتملت عليها النصوص السابقة أعتبرها من آراء الصفدي النقدية، حتى وإن اختلف مع غيره من نقاد الأدب فيها؛ لأنه أولاً لم ينسبها إلى أي منهم، ثم لأنه في نصوص أخرى مماثلة قد استخدم تعبيرات تدل على أن الأحكام النقدية التي أوردها ويوردها ليست له وإنما هي لغيره ففي تعقيبه على قول أبي الطيب:

أزورهم وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْتِ وَيَاضُ الصُّبْحُ يُغَرِّي بِي

قال الصفدي: «وقال علماء الأدب: إن معنى بيت أبي الطيب مأخوذ من قول

ابن المعتز:

لَا تَلْقَ إِلَّا بِلِيلٍ مَنْ تَوَاصَلُهُ فَالْشَّمْسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادُ<sup>(٣)</sup>

فهناك فرق واضح بين قوله «وقال علماء الأدب» إن معنى بيت أبي الطيب مأخوذ. وقوله «وهو مأخوذ»، وهذا الفرق يكمن في أن التعبير الأول يدل على أن الرأي لغيره، والتعبير الثاني يدل على أن الرأي له حتى وإن أخذه من غيره ما دام لم يشر إلى ذلك.

(١) السابق نفسه: ص ١٤.

(٢) السابق: ج ١، ص ٢٤٤.

(٣) الغيث المجسم: ج ١، ص ٢٨٤.

والأحظ من هذه النصوص جميعها أن الصفدي قد اكتفى بالإشارة إلى سرقة المتنبي أو أخذ المتنبي بيته من بيتٍ لغيره دون أن يبين إذا كان الأخذ حسناً أم قبيحاً، ودون أن يوازن بين النصين: المسروق، والمسروق منه ليفضل أحدهما على الآخر، أو ليتحدث عما بينهما من وجوه التقارب في المعنى أو التشابه في اللفظ، فهل كان هذا ديدن الصفدي في كل إشاراتِهِ إلى سرقات المتنبي؟

لا، لم يكن هذا ديدن الصفدي في كل إشاراتِهِ إلى سرقات المتنبي، بل كان يوازن أحياناً بين المسروق والمسروق منه ويفاضل بينهما؛ فقد أورد الصفدي قول البحتري:

لَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ قَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ<sup>(١)</sup>

ثم أشار إلى أن المتنبي قد أخذ هذا المعنى فقال: «ومن هذا المعنى أخذ المتنبي قوله:

لَوْ تَعَقَّلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلَتْهَا مَدَّتْ مُحْيِيَةً<sup>(٢)</sup> إِلَيْكَ الْأَغْصَانُ<sup>(٣)</sup>

ولم يكف الصفدي بهذا في هذه المرة، بل حكم للبحتري وفضل بيته على بيت أبي الطيب فقال: «ولكن ديباجة البحتري أحسن وأمكن وأمتن»<sup>(٤)</sup>.

والصفدي قد أشار إلى أن المتنبي إنما سرق المعنى من البحتري، وهذا واضح، فبيت البحتري مبالغة في مدح المتوكل، وبيت المتنبي مبالغة في مدح أبي الحسين بدر ابن عمار الطبرستاني، إذن فالفن الشعري واحد وهو المدح، وانتهج البحتري في مدحه سبيل المبالغة، وقد بالغ المتنبي أيضاً، فالبحتري يقول للمتوكل: لو أن

(١) ورد هذا البيت بالديوان هكذا:

فلو أن مشتاقاً تكلف غير ما في وسعه لشي إليك المنبر

وأشار المحقق في هوامشه أنه ورد بالصيغة التي ذكرها الصفدي في الوساطة وبديع القرآن والصبح المنى. الديوان ج ٢، ص ١٠٧٣ بتحقيق حسن كامل الصيرفي، طبع دار المعارف عام ١٩٧٧م.

(٢) لقد أثبت هذه الكلمة بعد أن صحتها من الديوان حيث وردت بالغيت (محيية) يراجع الديوان ص ١١٨، الغيث المجم ج ١، ص ٤٤.

(٣) الغيث المجم: ج ١، ص ٤٤.

(٤) السابق نفسه، الصفحة نفسها.

مشتاقاً لرؤيتك تكلف فوق ما فى وسعه ليحظى بشرف هذه الرؤية ما كان من المنبر  
إلا أن يسمي إليك ويجثو بين يديك، والمتنبى يقول لأبى الحسين: لو أن الشجر  
الذى قابلته فى طريق عودتك منح عقل العقلاء لمدَّ إليك غصونه وأفرعه مقدمة  
الثحية، وهذان المعنيان قريبان من بعضهما، ومن ثم فالصفدى صادق فى حكمه  
حين قال إن أبا الطيب قد أخذ معنى بيته من أبى عبادة البحترى.

ولكن هل أصاب الصفدى حين وازن بين بيتى البحترى والمتنبى وفضل بيت  
الأول على بيت الثانى؟.

نعم؛ فبيت أبى عبادة البحترى يفضل بيت أبى الطيب المتنبى فى حسن  
ديباجته، وتمكنها، ومكانتها، ويرجع ذلك إلى أمور:

أولها: أن التقديم والتأخير فى بيت أبى الطيب قد أصاب البيت بالضعف  
والقلق حيث قال فى الشطرة الثانية (مدت محبة إليك الأغصنا)، وكان ترتيب  
الكلام يقتضى أن يقول مدت إليك الأغصن محبة، فتقديم محبة قد عقد المعنى  
وأبهمه، وأحدث اضطراباً فى صفة البيت، وهذا كله لا يوجد بطبيعة الحال فى  
بيت البحترى.

وثانيها: أن ألفاظ بيت البحترى سهلة عذبة، فيها رقة، وفيها جمال، وتدل  
على مدى ما يحظى به الممدوح من الإجلال والإكبار، وما تمتلئ به قلوب الرعية  
من الحب، والاشتياق إليه، وعلى العكس تماماً ألفاظ بيت أبى الطيب؛ حيث  
كثرت فيها الضمائر؛ فالتى تعود على الشجر، والتاء فى قابلتها تعود على  
الممدوح، وها فى قابلتها أيضاً تعود على الشجر، وهكذا اكتظ البيت بالضمائر  
المنفصلة والمتصلة، ولم تجر ألفاظه فى سهولة وعذوبة، ولا فى رقة وجمال.

وثالثها: أن البحترى قد جعل المنبر يسعى إلى الممدوح من شدة الشوق، أما  
المتنبى فقد جعل الأشجار تمد غصونها محبة الممدوح وهو يشق طريقه وسطها،  
ولو جعلها تسعى إليه بالتحية والترحاب لكان أفضل.

ومن هنا أستطيع أن أقول إن بيت البحترى لا يفضل بيت المتنبى بحسن ديباجته  
وتمكنها ومناقتها وحسب، وإنما يفضلها أيضاً بروعة المعنى ودقته، وزهابه فى المبالغة  
إلى أبعد مما وصل إليه المتنبى.



وفى نص آخر أورد الصفدى ما قاله النقاد فى بيتى أبى الطيب :

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عِيُونٌ      وَقَدْ طُبِعَتْ سَيُوفُكَ مِنْ رِقَاعِ  
وَقَدْ صُغِتَ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ      فَمَا يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي النَّصْرَادِ<sup>(١)</sup>

وعدد المواطن التى ادّعوا أن المتنبي سرق منها بيتيه ، فقال : «وقد عد علماء الشعر سرقته هذا المعنى من عدة أماكن منها قول منصور النميرى :

وَكَأَنَّ مَوْقِعَهُ بِجُمُجُمَةِ الْفَتَى      حَذَرُ الْمَنِيَّةِ أَوْ نُعَاسُ الْهَاجِعِ  
ومنها قول مهلهل :

الطَّاعِنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلَاءَ تَحَبُّهَا      نَوْمًا أَنَاخَ بِجَفْنِ الْعَيْنِ يُغْفِيهَا  
يَلْهَذِمُ مِنْ هُمُومِ النَّفْسِ صَبْغَةً      فَلَيْسَ يَنْفُكُ بِجَرَى فِي مَجَارِيهَا  
ومنها قول ابن المعتز :

أَيْنَ الرِّمَاحُ الَّتِي غَدَّتْهَا مُهَجَا      مُذِمَّتٌ مَا وَرَدَتْ قُلُوبًا وَلَا كِبَادًا  
ومنها قول الآخر :

كَأَنَّ سِنَانَ ذَابِلِهِ ضَمِيرٌ      فَلَيْسَ عَنِ الْقُلُوبِ لَهُ ذَهَابُ  
ومنها قول أبى تمام :

كَأَنَّهُ كَانَ تَرَبَّ الْحُبِّ مِنْ زَمَنِ      فَلَيْسَ يُعْجِزُهُ قَلْبٌ وَلَا كَبِدُ  
وهذا جملة ما عدوه فى ذلك»<sup>(٢)</sup>.

فالصفدى هنا قد حصر كل المواطن التى اتهم النقاد أبى الطيب بسرقة بيتيه منها، فهل هناك بيت من هذه الأبيات يرقى لفظاً ومعنى ، ووصفاً وصورة إلى مستوى بيتى أبى الطيب؟ لا ، والصفدى نفسه قد أحس بهذا حين قال عقب ذلك مباشرة :

(١) لقد أثبت هذه الكلمة بعد أن صححها من الديوان حيث وردت فى الغيث «فى فزاد» يراجع

الغيث ج ٢ ، ص ٣١ ، الديوان ص ٦١ .

(٢) الغيث المجمع : ج ٢ ، ص ٣١ ، ٣٢ .



قلت: وليس في جميعه ما يقال له طيب غير قول أبي الطيب، وابن فضل الطل  
من الرابل الصيب؟<sup>(١)</sup>.

فأبو الطيب المتنبي في بيته قد شبه رؤوس الفرسان في الحرب بالعيون التي ما  
إن ترى سيف التنوخى التي طُبعت من رقاد حتى تنام، كما جعل أسنة الرماح في  
إصابتها القلوب والأفئدة كالهموم التي تشغل القلب أو تقتل القلب من ثقلها  
وشدتها.

هذا معنى بيتي أبي الطيب، وقد استخدم المتنبي ألفاظاً جزلة فصيحة، فيها  
فخامة وضخامة وقوة تناسب الموقف والمقام، وقد استخدم المتنبي عدداً من  
الأساليب التي تعينه على بلوغ غايته كأسلوب القصر في الشطرة الثانية من البيت  
الثاني، واستعمال قد التي هي للتحقيق مرتين، وهذا كله لا يوجد في الأبيات  
التي رأى النقاد أن أبا الطيب قد سرق بيتيه منها أو من بعضها؛ فكلمة جمجمة في  
بيت النميري قبيحة في موضعها، وأفضل منها كلمة الهام التي استخدمها أبو  
الطيب، وقول المهلهل «الطاعن الطعنة النجلاء»، تعبير يفيد القوة، وقد أفسده  
قوله بعد ذلك «تحسبها نوما» لأنه دل بذلك على ضعفها ولينها، وابن المعتز في  
بيته يتساءل عن هذه الرماح التي غذاها صاحبها بالمهج والأرواح، أين اختفت فلم  
تعد تفتك بقلب أو تهتك كبداً بعد موت صاحبها؟ وعلى هذا لا يحق أن يكون  
بيت ابن المعتز من باب بيتي أبي الطيب؛ لأن سيف ممدوح المتنبي ورماحه لا  
زالت عاملة قاتلة، وتشبيه الأسنة في البيت الذي بعده بالضمائر - التي محلها  
القلوب والأفئدة - لا تفتك عنها، ولا تزول منها، تشبيه ضعيف، والشاعر غير  
موفق فيه؛ لأن الضمائر تحيي القلوب فهي أداة حياة وبعث، أما الأسنة فتميتها  
فهي أداة هلاك وإفناء، أما بيت أبي تمام فلا يرقى أيضاً إلى مستوى بيتي أبي  
الطيب الفني لأنه يتحدث عن هذا الذي سماه ترب الحب، فهو قد جعل للحب  
تراياً يغزو القلوب والأكباد وقد أغرب أبو تمام بهذا؛ لأنه أتى بكلام بعيد عن  
التصور والتخيل، ومن ثم فقد بيته ما كان ينبغي أن يكون عليه من الرقى الفني.  
ونخرج من هذا التحليل بأن الصفدي كان موفقاً في تفضيله لبيت المتنبي على

(١) السابق نفسه: ص ٣٢.

كل هذه الأبيات، ولا ينبغي أن يفهم من هذا أن الصفدي ينكر سرقة المتنبي لبيتيه من هذه الأبيات؛ لأن هناك تلاق بين معنى بيتي أبي الطيب ومعاني هذه الأبيات، وليس يبعد أن يكون المتنبي قد أخذ هذه الأبيات كما قال النقاد ونظر إليها ثم صاغ منها فكرته ومعناه بعد ما صبغها بصبغته، وأضفى عليها شخصيته.

### محاسن المتنبي كما يراها الصفدي:

وفي الغيث نصوص استحسنت فيها الصفدي أبياتاً للمتنبي لما تحوى عليه من معان جميلة أو صور بديعة أو تشبيهات جيدة، ومن هذه النصوص قوله «وما أحسن قول أبي الطيب وهو مما رواه تاج الدين الكندي ولم يكن في ديوانه»<sup>(١)</sup>:

أَبْعَيْنِ مُفْتَقِرٍ إِلَيْكَ نَظَرَتْنِي وَأَهْتَتْنِي وَقَذَفْتَنِي مِنْ حَالَتِي  
لَسْتُ الْمَلُومُ أَنَا الْمَلُومُ لِأَنَّنِي أَنْزَلْتُ آمَالِي بِغَيْرِ الْخَالِقِ<sup>(٢)</sup>

والصفدي قد حكم على هذين البيتين بالحسن، ولم يبين علة هذا الحسن، فقد ذكر الحكم عاملاً دون ذكر أسبابه، وأرى أن العلة في تحسين الصفدي لهذين البيتين ما بهما من الحكمة والدعوة إلى الاعتماد على الخالق وعدم التعويل على المخلوق؛ لأن المتنبي يقول لمعاتبه مستنكراً ما وقع منه: «أُنْظِرْ إِلَيَّ بَعِينَ الْمَنْعَمِ الَّذِي يَرَانِي مُفْتَقِراً إِلَيْهِ، وَتَهَيَّئْ لِي بِهَذِهِ النُّظْرَةِ، وَتَنْزِلْنِي مِنْ مَكَانَتِي الْعَالِيَةِ الشَّامِخَةِ الَّتِي أَتَبَوَّأُهَا؟!» ثم عاد يخاطبه قائلاً: «لست ملوماً فيما فعلت، بل أنا وحدي الملووم لأنني اعتمدت على غير خالقِي، ووُثِّقْتُ عَرَى الصَّلَةِ بِكَ، وَلَمْ أَوْثِقْهَا بِهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الصَّفْدِي مُوقِّفٌ فِي الْحُكْمِ عَلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ بِالْحَسَنِ لِأُمُورٍ:

أولها: أن هذين البيتين قد عبر فيهما المتنبي خلاصة عن تجربة حقيقية مر بها، ومن ثم وجدنا فيهما الصدق في العتاب، والحزن على ما وقع فيه الشاعر من المهانة والازدراء.

وثانيهما: المعنى الأخلاقي الجميل الذي يدعو إليه المتنبي في هذين البيتين وهو الاعتماد على الله الخالق، وعدم التعلق بالمخلوق، والتعويل عليه.

(١) البيان في ديوان المتنبي: ص ٤٣٩.

(٢) الغيث المسجوم: ج ١، ص ٤٠.



وثالثها: خروج البيت الثاني من هذين البيتين مخرج الحكمة الجارية والمثل السائر.

ورابعها: ذلك التصوير البديع في البيت الأول حيث جعل الشاعر نفسه وقد أهانها معاذ الصيداني فنزلت من عليائها كالشئ الذي يقذف من مكان شاهق مرتفع، ومردُّ الجمال في هذا التصوير أنه يوحي بانكسار نفس الشاعر وتحطُّمها. وهذان البيتان، وتحسين الصفدي لهما يدلان على مقياس من مقياس الصفدي في النقد وهو المقياس الأخلاقي؛ فهو يتخذ من سمو المعنى في البيت أو الأبيات ورقبه دعامة من دعائمه التي يتكى عليها عند تحسين البيت أو الحكم عليه بالحسن وكلما كان معنى البيت سامياً ورفيعاً ويحمل دعوة إلى خير وفضيلة كان أجمل وأحسن عند الصفدي.

وتتضافر نصوص كثيرة من الغيث على تأكيد هذا الاتجاه النقدي عند الصفدي؛ هذا الاتجاه الأخلاقي في النقد الذي ينظر إلى المعنى ويحكم على جودة البيت وحسنه من خلال ما يحتوى عليه من قيم خلقية ومبادئ إنسانية، وبهنا من هذه النصوص هنا ما يتعلق بشعر أبي الطيب المتنبي؛ فمن ذلك قوله: «ولم أر لأحد من الشعراء غزلاً في وعظ مثل قول أبي الطيب:

زَوَّدِينَا مِنْ حُسْنٍ وَجْهَكَ مَادَاً      مَ فَحُسْنُ الْوُجُوهِ حَالٌ يَحُولُ  
وَصَلِينَا نَصْلَكَ فِي هَذِهِ الدُّنَا      يَا فَإِنَّ الْمَقَامَ فِيهَا قَلِيلٌ»<sup>(١)</sup>

فهذان البيتان في الغزل إلا أن المتنبي قد بث فيهما عدداً من المعاني الأخلاقية أو الوعظية على حد قول الصفدي؛ فهو يطلب من محبوبته أن تزوده بإطالة النظر إلى حسن وجهها، ويعلل هذا الطلب بأن حسن الوجوه لا يدوم ولا يظل كما هو؛ حيث يعترى الإنسان من الأمراض وحوادث الدهر ما يذهب بحسن وجهه ووضاءته ثم يأمرها بأن تصله دائماً حتى يظل على وصلها مادام في الحياة؛ لأن المكث بها قليل فسرعان ما تنقضي أيامها وتزول.

وفي هذين البيتين جمال لا يخفى، مبعثه حسن التعليل لطلبه النظر إلى وجه

(١) الغيث المسجم: ج ٢، ص ٣٤.

محبوبته والتزود مما يملوه من الحسن والبهاء، ثم حسن التعليل لطلبه وصلها والمحافظة على دوام هذه العلاقة التي بينها وبينه، وقد خرجت الشطرة الثانية من البيت الأول مخرج الحكمة، وكذلك خرجت الشطرة الثانية من البيت الثاني مخرج الحكمة الجارية أيضاً.

ولكل هذه الأسباب حكم الصفدى للمتنبي بتفوقه على غيره من الشعراء بهذا المعنى الجميل.

وإذا كان المتنبي قد أحرز هذه البراعة في إخراج الغزل في صورة الوعظ، فإنه لا يقل براعة في إخراج الحماسة في صورة الغزل، يقول الصفدى في ذلك: «ليس لأحد معه في هذا الباب دخول؛ لأنه يصف الحروب ويظهرها مظاهر الغزل، وهذا من القدرة في التخیل؛ ألا ترى قوله:

تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْفَعْ جُنُوبَ الْعَلَاتِقِ<sup>(١)</sup>  
وَلَا تَرِدَ الْغُدْرَانُ إِلَّا وَمَاؤُهَا مِنْ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ فَوْقَ<sup>(٢)</sup> الشَّقَائِقِ<sup>(٣)</sup>

وهذان البيتان يُظهران - كما قال الصفدى - قدرة أبي الطيب المتنبي على التخیل؛ لأنه يقول إن الممدوح يمنع خيله أن تأكل من الحب «إن لم تقتل من الأعداء ما يجتمع من رؤوسهم ما ترفع المخالي عليه، وتستغنى به عن مثل القدود<sup>(٤)</sup>» كما يمنعها أن ترد الغدران للشرب إلا بعد أن تتحول مياهها إلى دماء تفوح رائحتها كما تفوح رائحة الريحان فوق الشقائق.

ومضى الصفدى يذكر أمثلة أخرى لهذا الضرب من شعر أبي الطيب فقال: «وقول أبي الطيب:

إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ حُورِيُوا وَجِدُوا فِي الْخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالْهَيْجَاءِ فُرْسَانًا

(١) أوردها بعد ما صححتها من الديوان حيث وردت في الغيث (جيوب) يراجع الديوان ص ٢٩٩ الغيث، ص ٣١.

(٢) أثبتتها بعد أن صححتها من الديوان لأنها في الغيث (تحت)، يراجع الديوان ص ٢٩٩ الغيث المسجود ٢، ص ٣١.

(٣) الغيث المسجود: ج ٢، ص ٣١.

(٤) ديوان المتنبي هامش رقم ٤، ص ٢٩٩.



كَأَنَّ أَلْسِنَتَهُمْ فِي السُّطْحِ قَدْ جَعَلَتْ  
عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّعْنِ خُرْصَانًا  
كَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ الْمَوْتَ مِنْ ظَمًا  
أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ الْخَطِي رِيعَانًا  
وقوله أيضًا:

إِنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا  
مَا دُونَ أَعْمَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا  
قُلُوبُهُمْ فِي مَضَاءٍ مَا امْتَشَقُوا  
قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامٍ مَا اعْتَقَلُوا  
وقوله أيضًا:

بِكُلِّ أَشْعَثَ يَلْقَى الْمَوْتَ مُبْتَسِمًا  
حَتَّى كَأَنَّ لَهُ فِي قَتْلِهِ أَرْبَا  
وقوله أيضًا:

كَأَنَّ الْهَامَ فِي الْهَيْجَا عِيُونُ  
وَقَدْ صُغَتْ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومِ  
وَقَدْ طُبِعَتْ سُيُوفُكَ مِنْ رِقَادِ  
فَمَا يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي الْفُرَادِ<sup>(١)</sup>

فهذه الأبيات قد راقى للصفدي لأن الشاعر فيها قد أخرج الحماسة في صورة الغزل أو في مظاهر الغزل مما يدل على قدرة تخيل المتنبي، على أن التفات الصفدي إلى هذه الظاهرة في شعر المتنبي لم ينفرد بها وإنما سبقه كثير من النقاد الذين نبهوا أذهاننا إلى هذه السمة التي تميز بها المتنبي، كما كانت هذه السمة موضع إعجاب صاحب اليتيمة حيث يقول في الفصل الذي جعله لروائع وبدائع وفرادئ المتنبي: «منها استعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجلد، وهو أيضًا مما لم يسبق إليه، وتفرّد به، وأظهر فيه الحدق بحسن النقل، وأعرب عن جودة التصرف والتلاعب بالكلام»<sup>(٢)</sup>.

وأورد الثعالبي ضمن شواهد على هذه السمة ذينك البيتين اللذين قدمهما الصفدي بين يدي فكرته وهما:

تَعَوَّدَ أَنْ لَا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ  
إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْقَعْ جُنُوبَ الْعَلَاتِقِ

(١) الغيث المسجم: ج ٢، ص ٣١.

(٢) يتيمة الدهر: ج ١، ص ٣٠٧.

وَلَا تَرِدَ الْغُدْرَانَ إِلَّا وَمَاؤُهَا مِنْ الدَّمِ كَالرَّيْحَانِ فَوْقَ الشَّقَائِقِ<sup>(١)</sup>

وكما أعجب الصفدي بإخراج المتنبي للغزل في صورة الوعظ، والحماسة في صورة الغزل، فقد أعجب بقول المتنبي:

أَيُّ يَوْمٍ سَرَرْتَنِي بِوَصَالٍ لَمْ تُرْعِنِي ثَلَاثَةً بِصُدُودٍ

وسر إعجاب الصفدي بهذا البيت أن المتنبي قد نقل المعنى من عتاب محبوبه إلى عتاب الدهر، وقد أشار الصفدي في تعليقه على هذا البيت أن ظاهر البيت بين واضح، وأرجع ظهوره ووضوحه إلى سببين هما «انسجام لفظه» وانصبابه في السمع وتعلقه بالقلب<sup>(٢)</sup>، بينما هو في الحقيقة «باطنه مشكل لعدم تعلق الجملة الثانية بالأولى<sup>(٣)</sup>».

وكان ينبغي على الصفدي حينئذ أن يشرح علاقة الشطرة الثانية من البيت بالشطرة الأولى حتى يزول الإشكال الذي في البيت، إلا أنه لم يفعل، وأحال القارئ على كتاب ابن الشجري فقال: «وقد تكلم عليه الشريف ابن الشجري في أماليه في أول المجلس الثاني عشر، وأجاد الكلام فيه، فليؤخذ من هناك»<sup>(٤)</sup>.

ومعنى هذا أن ابن الشجري قد استوفى الكلام في هذه العلاقة بين شطرتي البيت وأتى على ما يمكن أن يقال فيها من حديث، ومن ثم فقد رأى الصفدي أن يُحيل القارئ عليه، ولم يشأ أن يختصره أو يوجز هو القول في العلاقة بين الشطرين حرصاً منه على أن يعود القارئ إلى أمالي ابن الشجري من ناحية، وحتى لا يكون حديثه ممجوجاً أو غير جديد ومفيد من ناحية ثانية.

وأختم هذا الفصل عن موقف الصفدي من المتنبي بالحديث عن رأيه في قول أبي الطيب:

وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا فَبِتْنِ حَفَاقًا يَتَّبِعْنَ الْعَوَالِيَا

(١) الغيث المسجم: ص ٣٠.

(٢) الغيث المسجم: ج ٢، ص ٤١٦.

(٣) السابق نفسه، الصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه: ص ٤١٦، ٤١٧.

تُجَادِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعْنَةً      كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيًا

قال الصفدي: «وهذا تشبيه حسن في العنان، وفيه زيادة معنى؛ لأن الخيل تجاذب الفرسان الأعنة؛ فهي تطلب أمام وفرسانها تجذب أعتها لتخفيف السير عنها»<sup>(١)</sup>.

والصفدي هنا موفق في حكمه على هذا التشبيه الحسن؛ لأنه جعل الأعنة التي في رقاب الخيل كالأفاعي، ووجه الشبه بين الأعنة والأفاعي - في تصوري - هو الإعاقة عن السير؛ فالأفاعي حين تلدغ إنساناً تمنعه من السير وتعطل حركته، وكذلك الأعنة حين يمسك بها الفارس ويجذبها إليه ساعة انطلاق الفرس إلى الأمام، فإنها تهدئ من هذه السرعة، ويتضايق الفرس من هذا الجذب كما يتضايق الملدوغ من لدغ الأفاعي.

هذه هي جملة التعليقات الصفدية على بعض ما أورده للمنتبى من شعر، ولعلها تصور موقفه من المنتبى، ولعلها أيضاً تصور أو تلقى ظلالة على قيمة الغيث المسجم لا ككتاب من كتب الشروح وحسب، ولكن ككتاب من كتب النقد التطبيقي - إن جاز لي هذا التعبير.

\*\*\*\*\*

(١) السابق نفسه: ص ٨٤.



## المبحث الثالث

### الصفدى وشعر ابن سناء الملك

القاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك شاعر أيوبى حاز شهرة واسعة فى عصره وبعد عصره بكتابه الذى وضع فيه قواعد فن التوشيح، ذلك الكتاب المسمى دار الطراز، وبشعره الذى سجل فيه أحداث عصره، وعبر فيه عن مكنون نفسه.

وقد استشهد الصفدى بهذا الشعر فى مواطن شتى من كتابه الغيث المسجى، وكثيراً ما كان يعلق عليه تعليقات تظهر حسنه وجماله، وترد على من عابه وانتقده، وهى تعليقات على درجة كبيرة من الأهمية حيث تكون فى مجموعها صورة لموقف الصفدى من ابن سناء الملك وشعره.

وقد التفت الأستاذ الدكتور شوقى ضيف إلى أهمية هذه التعليقات وهو فى معرض حديثه عن الغيث المسجى حيث قال «وهو شرح ملئ بالملاحظات النقدية، وبه دفاع بديع عن ابن سناء الملك إزاء ما اتهمه به خصومه من استخدام بعض الألفاظ العامة»<sup>(١)</sup>.

### شعر ابن سناء الملك بين اتهامات ابن جبارة ودفاع الصفدى:

وكما كان لتعليقات الصفدى على شعر أبى الطيب المنبى محور تدور عليه، وتستند إليه، فإن لتعليقاته على شعر ابن سناء الملك محوراً تدور عليه أيضاً؛ وهو محاولة إنصافه من تعنت شرف الدين بن جبارة<sup>(٢)</sup> عليه، وتفنيد اتهاماته التى اتهم بها ابن سناء الملك فى كتابه النقدى «نظم الدر فى نقد الشعر» الذى<sup>(٣)</sup>

(١) عصر الدول والإمارات: مصر والشام ص ١٢٧.

(٢) هو شرف الدين أبو الحسن على بن إسماعيل بن إبراهيم بن جبارة الكندى، ولد سنة أربع وخمسين وخمسائة، وتوفى سنة اثنين وثلاثين وستمائة، وقد برع فى علم النحو وكان مالكي المذهب، ومن شيوخه الحافظ السلفى، وأبو عبد الله الحضرى وغيرهما. تراجع ترجمته فى نكت الهميان ص ٢٠٨، ص ٢٠٩.

(٣) سقط هذا الكتاب من يد الزمن وقول الدكتور شوقى ضيف «ولا شك فى أن النقد الأدبى المصرى فى هذا العصر خسر كثيراً بسقوط هذا الكتاب النقدى من يد الزمن» عصر الدول والإمارات: مصر والشام ص ١٢٧.



«قصره على مؤاخذات ابن سناء الملك»<sup>(١)</sup> على حد قول الصفدى<sup>(٢)</sup>.

١- فعند الحديث عن حسن التخلص أتى الصفدى بيت ابن المعتز:

وَاللَّهِ لَا كَلَمْتُهَا وَلَوْ أَنَّهَا كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْمُكْتَفَى<sup>(٣)</sup>

ثم أشار إلى أن ابن سناء الملك قد أشار إلى هذا البيت فى بعض شعره فقال  
«وقد أشار ابن سناء الملك إلى هذا فى قوله:

وَمَلِيحَةٍ<sup>(٤)</sup> بِالْحُسْنِ يَسْخَرُ وَجْهَهَا بِالْبَدْرِ يَهْزَأُ رِيْقُهَا بِالْقَرْقَفِ

لَا أَرْضَى بِالشَّمْسِ تَشْبِيهَا لَهَا وَالْبَدْرِ بَلْ لَا أَكْتَفَى بِالْمُكْتَفَى<sup>(٥)</sup>

وأورد الصفدى بعد ذلك تعليق ابن جبارة على هذين البيتين ونقده لهما فقال:  
«وتعنت عليه ابن جبارة فى تعليقه التى أملاها على شعر ابن سناء الملك، وقال  
عند هذا البيت: هذا نوع من الجنون والاختلاط، وذلك أن هذا الشاعر كثيراً ما  
يسمع الشعر ويختلط فيه ذهنه فيأتى به على غير ما يقتضيه؛ فإن ابن المعتز أنشد  
البيت وأراد كونها فى الحسن كالشمس التى هى آية النهار، أو كالبدْرِ الذى هو آية  
الليل، أو كالمُكْتَفَى الذى هو خليفة الأرض فى عظم الشأن وكبير السلطان، فتقله  
هذا الشاعر إلى الحسن، ومن أين للمكْتَفَى صفة الحسن؟ والذى دلت عليه  
التواريخ أنه كان أسمر أعين قصيراً، وليست هذه من صفات الحسن، وإنما ظن أن  
ابن المعتز وصفه بالحسن فمشى على ظنه، وأخذ فى مهيع فنه، وليس كما ظنه  
واعتقده، ولا قصد ما قصد. وأحسن ابن أبى الشَّجَاء فى قوله:

(١) نكت الهميان فى نكت الهميان للصفدى ص ٢٠٩.

(٢) لقد قرأت أثناء تصحيح تجارب طبع هذا الكتاب للأستاذ هلال ناجى أنه قال إن للصفدى كتاباً  
اسمه الاختصار على جواهر السلك فى الانتصار لابن سناء الملك ويليهِ تلاوة لذلك وعلاوة  
عليه، وقال لقد قمت بتحقيق الكتاب بمشاركة الدكتورة طمياء محمد عباس، وأخذ الكتاب  
طريقه إلى المطبعة، راجع الذخائر ص ٤٣: عدد صيف ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٣) ورد البيت فى ديوان ابن المعتز هكذا: والله لا كلمته ولو أنه كالشمس أو كالبدْرِ أو كالمُكْتَفَى  
وأشار المحقق إلى وروده عند ياقوت بالرواية نفسها التى أوردتها الصفدى فى الغيث. يراجع  
ديوان الأمير ابن المعتز بتحقيق الدكتور محمد بديع شريف ص ٣٨٦ دار المعارف بمصر ١٩٧٧.

(٤) وردت بالديوان «ومليحة» ديوان ابن سناء الملك بتحقيق محمد إبراهيم نصر ومراجعة الدكتور  
حين نصار، دار الكتاب العربى بالقاهرة عام ١٩٦٦، ص ٢٠٠.

(٥) الغيث المسجّم ج١ ص ٢٠٩.

الشعرُ كالرَّوضِ ذَا ظَامٍ وَذَا خَصِيلٍ      أَوْ كَالصَّوَارِمِ ذَا نَابٍ وَذَا خَضِيمٍ  
مِثْلُ الْعِرَانِينَ هَذَا حَطُّهُ خَسٌّ      يُزْرَى عَلَيْهِ، وَهَذَا حَطُّهُ شَمٌّ<sup>(١)</sup>

هذا هو نقد ابن جبارة على بيتي ابن سناء الملك، وهو يرى أن ابن سناء الملك لم يفهم بيت ابن المعتز، أو اختلط عليه الأمر عند فهمه له، حيث ظن أن ابن المعتز يصف المكتفى بالحسن في حين أنه لا يصفه بالحسن، وإنما أتى به لبلوغه في عظم الشأن وعلو المنزلة أعلى درجة يمكن أن يصل إليها طموح الإنسان.

وجعل ابن جبارة اضطراب فهم ابن سناء الملك لهذا البيت السبب الرئيسي الذي أدى إلى خطئه عندما تمثّل به أو نقله إلى شعره.

فهل كان ابن جبارة متعنتاً على ابن سناء الملك كما زعم الصفدي؟ وهل ردّ الصفدي على انتقاد ابن جبارة وتعتته؟

نعم، قال الصفدي «قلت: ليس ابن سناء الملك ممن يخفى عليه هذا الذي ذكره، وإنما ذكر ابن المعتز المكتفى خروجاً إلى المديح بعلاقة الحسن، وما زال الشعراء يصفون الممدوح بالحسن والصباحة والطلاقة ويشبهونه بالشمس والبدر والصبح، وذلك مشهور لا يحتاج إلى شاهد يؤيده، وإنما قول ابن المعتز قد شاع وذاع، وملاً الأسماع، وسار وطار في الأقطار بالاشتہار، فلما ذكر ابن سناء الملك حُسْنَ محبوبته، وذكر الشمس والقمر، والقافية فائية كان المكتفى جالساً في طريقها، وكان في ذكره إشارة إلى قول ابن المعتز مع زيادة الجناس، فقال: بل لا أكتفى بالمكتفى الذي جعله ابن المعتز غاية في الحسن عنده؛ لأنه انتقل من أدنى إلى أعلى، ألا ترى أن قول ابن سناء الملك فيه: بل التي هي للإضراب، وهذا من الأدب غاية في حسن النظم، والتلعب بالكلام، وما ينكر هذا إلا من ليس له ذوق بالأدب؛ فإنه قد جاء من هذا النوع كثير في كلام المتأخرين»<sup>(٢)</sup>.

والصفدي في هذا الرد قد أخطأ وأصاب؛ أما الخطأ فمرجعه أنه لم يحسن الدفاع عن ابن سناء الملك على الرغم من أنه حاول ذلك جاهداً؛ فابن جبارة يرى أن ابن المعتز قد أتى بالمكتفى لا لكونه حسناً، وإنما لكونه قد بلغ أعلى درجات

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ٢٠٩، ص ٢١٠.

(٢) السابق نفسه ص ٢١٠.

الرفعة والسلطان، بينما يرى الصفدي أن ابن المعتز قد أتى بالمكتفى ليخرج إلى المديح بعلاقة الحسن، أي أن البيت فيه حسن تخلص، وتلطف في الانتقال من التغزل في المحبوبة إلى مدح الأمير أو الخليفة.

والصفدي مُحقُّ في هذا الكلام، ومع هذا فقد أفده بعد ذلك حين قال: «فلما ذكر ابن سناء الملك حُسْنَ محبوبته، وذكر الشمس والقمر والقافية فائية كان المكتفى جالساً في طريقها».

فهذا الكلام يوحي بأن الصفدي مقتنع تمام الاقتناع بأن لفظة (المكتفى) في بيت ابن سناء الملك مجلوبة للقافية، وإن كان قد قال بعد ذلك أنه جلب حسن لأنه تفرر فيها أمران يُحمدان: أولهما ما بها من الإشارة إلى بيت ابن المعتز، وثانيهما ما حققته مع لفظة (لا اكتفى) من الجناس.

ولم يفت الصفدي أن يشير إلى ما قى لفظة (بل) التي هي للإضراب في بيت ابن سناء الملك من جمال حيث قال: «ألا ترى أن قول ابن سناء الملك فيه: (بل) التي هي للإضراب، وهذا من الأدب غاية في حسن النظم، والتلعب بالكلام».

وحين نعيد قراءة رد الصفدي على انتقاد ابن جبارة مرة ثانية يتضح لنا أن الصفدي قد بنى رده على أسس ثلاثة:

الأساس الأول: أن ابن سناء الملك ليس ممن يخفى عليه فهم معنى بيت ابن المعتز، وفهم الحقائق التاريخية المتعلقة بأوصاف المكتفى الخَلْقِيَّة التي أوردها ابن جبارة في نقده.

والثاني: أن بيت ابن سناء الملك يتفوق على بيت ابن المعتز بما فيه من الإشارة إلى هذا البيت أولاً ثم بما فيه من الجناس ثانياً، ثم بما فيه من لفظة بل التي هي للإضراب ثالثاً.

والثالث: التهكم على ابن جبارة، والسخرية منه، والهزاء به؛ وذلك حين وصفه أولاً بالتعنت، وحين اتهمه بانعدام الذوق في نهاية تعقيبه.

ولم يفت الصفدي أن يشير إلى أن ابن سناء الملك قد استخدم لفظة المكتفى في موضع آخر من شعره، ولم يرد بها الخليفة العباسي، وإنما أراد بها اسم الفاعل من



الفعل اكتفى، لكن رشحها للتورية استخدامه لللفظة المقتدى في آخر البيت؛ قال  
الصفدي «وما أحسن ما قال ابن سناء الملك رحمه الله في موضع آخر من شعره:

يَأْبَى وَأُمِّي مَنْ يَكُونُ الْمُكْتَفَى بِجَمَالِهِ لِجَمَالِهِ كَالْمُقْتَدَى

هنا لم يرد بالمكتفى الخليفة، ولكنه هنا اسم فاعل من اكتفى، ولما وصل إلى  
المقتدى ترشح المكتفى للتورية؛ لأن المقتدى والمكتفى خليفتان من بنى العباس<sup>(١)</sup>.

٢- ونغضى في قراءة الغيث حتى نصل إلى الشرح الأدبي للبيت الثامن عشر من  
أبيات اللامية، فنرى الصفدي يورد أبيات ابن سناء الملك:

أَلَا فَارُقْنِي ذَا الشَّعْرَ عَنَّا فَإِنَّا نَعَارُ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ مِنْ مَلَاعِبَةِ<sup>(٣)</sup> الْحِجْلِ  
عَجِبْتُ لَهُ إِذْ يَطْمِئُنُّ مُعَانِقَنَا أَمَّا أَذْهَلَ الْخُلُخَالِ خَوْفُ بَنِي ذَهْلِ  
بِشَوْكِ الْقَنَا يَحْمُونَ شَهْدَ رُضَابِهَا وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ

وبعد أن أورد هذه الأبيات تحدث عن رأي ابن جبارة فيها فقال: «قال شرف  
الدين بن جبارة بعد أن أورد على البيت الأول والثاني ما أورده من فساد المعنى  
ونقصه: أراد أن يمدحهم فهجاهم بالمثل المضمن آخر بيته الذي جعله كفن ميتة؛  
لأنه جعل طعن رماحهم كالير النحل، وإبرة النحل لا أثر لها، ولا ألم يحصل  
منها، ولو أن كل عاشق إنما يمنعه من معشوقه ويحجزه عنه لسع الزنابير ولدغها  
لسهل عليه صعبها، وذل له منيعها<sup>(٤)</sup>. وقال: «ثم ذكر أشياء غير ذلك وقال:  
لولا وقوع هذا الشاعر في شعره، وقلة معرفته، وقصور فكره لما قال (بشوك القنا  
يحمون شهد رضابها) وكيف يحمى الشهيد الشوك؟، ولو اتفق له أن يقول (جنى  
رضابها) لكان أسوأ وأبلغ، ثم قال في أول البيت (شهد)، وفي آخره (شهد)،  
وإنما الأحسن أن يأتي بالمثل بالمعنى لا باللفظ؛ لأنه إذا كرر بلفظه فكأنه هو، وإنما  
القصد أن يكشف المعنى بلفظ موجز، وقول مجموع معجز، وإذا تؤمل أكثر الشعر

(١) الغيث المسجوم ج ١ ص ٢١١.

(٢) بالديوان: (عنه أننى أغار) ص ٢٢١.

(٣) بالديوان: (مداعبة) ص ٢٢١.

(٤) الغيث المسجوم ج ١ ص ٣٧٠.



المضمن للأمثال وجد على هذا المثال، وهذه العلوم تدق عن فهمه، ويخفى  
غرضها عن مرمى سهمه أ. هـ (١).

هذا هو رأى ابن جبارة فى البيت الثالث من أبيات ابن سناء الملك السابقة،  
ويحسن أن أجمل أولاً اعتراضاته فى نقاط مركزة قبل أن أمضى فى ذكر آراء  
الصفدى ورده عليها:

أولاً: يعيب ابن جبارة معنى البيت؛ حيث أراد الشاعر المدح، على حين أن  
الذى قاله يدل على الهجاء، إذ أراد أن يمدح قوم المحبوبة، وقوتهم فى الدفاع عن  
حريمهم، فجعل آثار طعن رماحهم فى عدوهم كآثار إبر النحل عندما تلدغ  
الإنسان، فكان فى ذلك ما يدل على هوانهم وضعفهم، كما أن شوك القنا تعبير  
لا يستسيغه.

ثانياً: يعيب على ابن سناء الملك قوله (شهد رضاها)، ويرى أنه لو قال (جنى  
رضاها) لكان أجمل.

ثالثاً: ويعيب عليه أيضاً تكراره لكلمة شهد مرتين حيث وردت مرة فى الشطرة  
الأولى، ووردت مرة فى الشطرة الثانية.

رابعاً: ويعيب عليه أيضاً إتيانه بالمثل بلفظه، ويرى أنه لو أتى به بمعناه لكان  
أجمل.

وهذا كله عدا ما اتهمه به من قصور الفهم، وعدم الإدراك، وقلة المعرفة، وكثرة  
الأخطاء التى يقع فيها، والآن تساءل: بم أجاب الصفدى عن هذه الانتقادات؟ أو:  
ما موقفه من هذه الاتهامات التى وجهها ابن جبارة إلى ابن سناء الملك وبيته؟

فى الحقيقة أن الصفدى قد انبرى يدافع عن ابن سناء الملك وبيته، لا دفاع  
المتحيز المتعصب، وإنما دفاع الباحث المنصف، وهو لم يخالف ابن جبارة على  
طول الخط، بل خالفه مرة وأيده أخرى، مما يدل على أنه يقف من ابن سناء الملك  
موقف المنصف، وموقفه هنا يشبه موقفه من أبى الطيب المتنبى؛ حيث جعل وكده  
إنصاف المتنبى ما وجد إلى ذلك سبيلاً.

(١) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

وفى رده على أول هذه الانتقادات خطأ ابن جبارة فى قوله: «إبرة النحل لا أثر لها، لا ألم يحصل منها، ووصف هذا الكلام بأنه تحامل على ابن سناء الملك حيث قال: «قلت: أما كونه يدعى أنه لا ألم فى إبر النحل، ولا ضرر فى الزناير؛ فهذا ما لا يسمع، وهو تحامل، أليس أن فى إبر النحل والزناير سماً يمنع القرب منه والدنو إليه، وغالب الناس يهاب ذلك ولا يقدم عليه.»<sup>(١)</sup> وقال: «وبالجملية فى إبر النحل سُمُّ تعاف النفوس من الإقدام عليه»<sup>(٢)</sup>.

كما خطأه فى فهمه للهجاء من معنى الشطرة الثانية وقال: «وهو ما أراد أن طعن قومها مثل لسع إبر النحل كما قال المعرى:

وَأَضْعَفَ الرُّعْبُ أَيْدِيَهُمْ فَطَعْنَتْهُمْ  
بِالسَّمِّهِرِيَّةِ دُونَ الْوَحْزِ بِالْإِبْرِ

لأنه ما أتى بمثل، ولا بكاف التشبيه، بل نبه بالمثل الذى ذكره على أن حلاوة ريقها لا تنال إلا بعد مشقة وعناء أهوال، كما أن الشهد من دونه إبر النحل، وكل لذيق محفوف بالم؛ فالجنة حُفَّتْ بالمكاره، وهذا غير وارد عليه»<sup>(٣)</sup>.

والصفدى موافق دون شك فى هذا الرد، وصادق فى وصفه لكلام ابن جبارة بالادعاء والزعم والتحامل، والكذب الذى لا يُسمع؛ لأن الادعاء بأن لسع الزناير لا شيء فيه كلام ينطوى على مغالطة كبيرة، كما أن الشاعر لا يريد أن يصف آل محبوبته بالقوة قدر ما يريد أن يبين صعوبة الوصول إلى هذه المحبوبة.

وإذا كان ابن جبارة لا يستسيغ قول ابن سناء الملك «بشوك القنا يحمون...» فإن الصفدى يرى أن هذا التعبير ينطوى على استعارة رائعة، كما يرى أن ابن سناء الملك قد جرى فى هذا التعبير على مثل ما جرى عليه الشعراء والأدباء من قبله.

ويتحدث الصفدى عما فى هذا التعبير من الاستعارة فيقول: «وأما إنكاره شوك القنا فهو استعارة حسنة، والتشبيه مطابق؛ لأن الاسنة أشكال مستدقة ملسنة حادة كما هو الشوك، وأتى بها ليطابق الكلام المثل فى قوله: ولا بد دون الشهد من إبر النحل فقوله «شوك» يناسب إبر النحل»<sup>(٤)</sup>.

(١) الغيث المجمع ج١ ص ٣٧٠.

(٢) السابق نفسه ص ٣٧١.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

ويتحدث عن تشبيه الشعراء القنا بالشوك فيقول: «وقد شبه الشعراء القنا بالشوك؛ قال الأرجاني:

وَرَدَ الْخُدُودِ وَدُونَهُ شَوْكُ الْقَنَا  
فَمَنْ الْمُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنْ يَجْتَنِي؟  
وقال ابن خفاجة:

وَالْخَيْلُ تَعَثِّرُ فِي شَبَا شَوْكِ الْقَنَا وَتَظَلُّ تَسْبِجُ فِي الدَّمِ الْمَوَارِ<sup>(١)</sup>  
ومعنى هذا الكلام أن الصفدي يتصف لبيت ابن سناء الملك، ويقيم رأيه النقدي في هذا البيت على دعائتين:

الأولى: الحسن الأدبي والتذوق الجمالي، وقد استخدم الصفدي هذه الدعامة في الشق المتعلق بجمال التعبير وإظهار ما به من حسن الاستعارة، وحسن مطابقة التشبيه، وحسن مطابقة الكلام للمثل في الشطرة الثانية.

والدعامة الثانية: مسaire ابن سناء الملك لما هو مألوف ومأثور من أساليب للتعبير عن مثل هذه المعاني في ديوان الشعر العربي ولدى شعراء عصره وما سبقه من عصور.

ويتفق الصفدي مع ابن جبارة في عدم ارتياحه لكلمة «شهد» في قول الشاعر «يحمون شهد رضاها» وفي عدم تقبله لتكرارها في الشطرة الثانية من البيت.

وإذا كان ابن جبارة قد اقترح أن يستبدل بلفظة «شهد» في الشطرة الأولى (جنى) فتكون الجملة «يحمون جنى رضاها» فإن الصفدي قد اقترح أن يستبدل باللفظة ذاتها (شهد) لفظة أخرى أحسن من تلك التي اقترحها ابن جبارة، واللفظة التي اقترحها الصفدي هي (رشف) فتكون شطرة بيت ابن سناء الملك «بشوك القنا يحمون رشف رضاها» قال الصفدي: «وما أعجبنى شيء مما أورد عليه غير<sup>(٢)</sup> إنكاره تكرار الشهد، وكان الأحسن لو قال: بشوك القنا يحمون رشف رضاها حتى إذا جاء المثل فسر ما تقدم، وإخراج الكلام مبهما ثم مقرا أوقع في النفوس وأبلغ<sup>(٣)</sup>».

(١) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) وضعت هذه اللفظة حتى يستقيم معنى الكلام ويراجع الغيث ج ١ ص ٣٧١.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.



ومعنى هذا أن الصفدى لا يعيب على ابن سناء الملك إتيانه المثل بلفظه مثلما فعل ابن جبارة؛ لأنه يرى أن المثل يستمد جماله وقيمه الفنية فى البيت - لا من لفظه ولا من معناه - وإنما يكتسبها مما فى الشطرة الأولى من جودة السبك وحسن النظم، فلو كان الشاعر قد استخدم بدلاً من لفظة (شهد) فى الشطرة الأولى من البيت لفظة (رشف) لكان إيراد المثل بلفظه فى الشطرة الثانية أكثر جمالاً وروعة لأنه فى هذه الحالة يكون مفسراً لما فى الشطرة الأولى من الإيهام، ومزياً لما فيها من الغموض، وكاشفاً عما بها من الجمال.

٣- ولابن جبارة رأى فى بيتين آخرين من القصيدة نفسها التى منها الأبيات الثلاثة السابقة، وهذان البيتان هما:-

لَهَا نَاطِرٌ يَا حَبِيرَةَ الظُّبَى إِذْ رَنَا      بِهِ كَحَلٍّ نَادَاهُ يَا خَجَلَةَ الكُحْلِ  
وَأَنْقَلَهَا الحُسْنُ الَّذِي قَدْ تَكَاثَرَتْ      مَلَاَحَتُهُ حَتَّى تَنَّتْ مِنَ الثُّقْلِ

وقد أورد الصفدى هذين البيتين فى أثناء شرحه للبيت الحادى والعشرين من أبيات اللامية، ونقل طرفاً من تعليق ابن جبارة عليهما، وعقب - كعادته - على تعليق ابن جبارة موضحاً رأيه الخاص، وإن كنت ألاحظ فى هذه المرة أنه كان مؤيداً لجميع الانتقادات التى أوردها ابن جبارة على البيتين، وملتصفاً له العذر فى تحامله الشديد على ابن سناء الملك، ومن ثم فقد انبرى يصحح ما وقع فيه الشاعر من أخطاء ويعالج ما فى البيتين من عيوب، ويضع لنا التصور الصحيح لما أُثِرَ عن الشعراء والأدباء فى معنى بيتى ابن سناء الملك من أساليب فى التعبير والأداء.

قال الصفدى: «وقال أيضاً من<sup>(١)</sup> أبيات:

لَهَا نَاطِرٌ يَا حَبِيرَةَ الظُّبَى إِذْ رَنَا      بِهِ كَحَلٍّ نَادَاهُ يَا خَجَلَةَ الكُحْلِ  
وَأَنْقَلَهَا الحُسْنُ الَّذِي قَدْ تَكَاثَرَتْ      مَلَاَحَتُهُ حَتَّى تَنَّتْ مِنَ الثُّقْلِ

وقال ابن جبارة: قوله (لها ناظر) تحققنا ذلك، ثم قال (يا حيرة الظبى) ولم يحار مع وجود المقاربة وعدم المباينة؟ ثم جعل العلة فى حيرته وجود الكحل، إن

(١) أى ابن سناء الملك.



هذه قريحة قريحة، وفكرة غير صحيحة، وهذا إن سلم من المؤاخدة على المجازة<sup>(١)</sup> بإذ، وليست من حروف المجازة وهل ينبغي أن يقول قائل: إذ يقوم زيد قام عمرو ويريد بذلك التعليق؟ وإنما أراد سبك مثل المتى:

وَلَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ<sup>(٢)</sup>.

وابن جبارة يعيد هنا ما سبق أن اتهم به الشاعر من قصور الفكر، وضعف القريحة الشعرية؛ لأنه لم يحسن التعبير عن المعنى الذى يريد أن يعبر عنه، ويخطئه فى قوله: يا حيرة الطي، ويرى أنه لا مبرر لهذه الحيرة مع وجود المقاربة وعدم المجانية، كما يخطئه فى استعمال إذ للمجازة.

ويمضى الصفدى فى نقل فقرات أخرى من تعليق ابن جبارة على هذين البيتين فيقول: «وقال بعد كلام ساقه على البيت: وقوله: «وأثقلها الحسن» هذا قلب للمعنى الذى ليس بمعنى، وذلك أن الحسن فيما يظهر هو رونق يكون على محيا شخص فيستحسن به، والملاحه هى - وإن كانت البياض فى الأصل - فهى فى الاستعمال صفة صورة الذات من الحاجب والعين والأنف والفم، ولهذا يقال فى العرف: مليح حسن؛ يعنى أن الذات مكتملة بالملاحه فى صورة مستحسنة عند تأملها لبلوغ الأمل.

ثم قال: ولا ينبغي أن يقال «هو حسن مليح» لأنه يجعل الوصف الذاتى تبعاً لغيره، وكان الصواب أن يقول: «أثقلتها الملاحه التى تكاثر حسناتها».

ثم قال: حتى تثبت من الثقل، ولو رفع ثاء الثقل لكان أليق بالبيت وبصنعه؛ فلا يقال له أهويت ولا أوهيت، وهل يثنى الإنسان من الثقل؟ وإنما يمشى قطعة واحدة فى حالة الثقل.

ثم قال: وقد وكلت شرح هذه البيت لعجزى عن معناه إلى عريف الحمالين فعساه يعرف معناه<sup>(٣)</sup>.

هذه هى الفقرات التى نقلها الصفدى من تعليق ابن جبارة على بيتى ابن سناء

(١) قد أدخلت بعض التعديلات على الجملة حتى يمكن أن تفهم؛ حيث ورد الكلام فى الغيث

مختلا. يراجع ج ١ ص ٤٠١.

(٢) السابق نفسه ونفسها الصفحة.

(٣) الغيث المصحح ج ١ ص ٤٠١، ص ٤٠٢.

الملك وهى جميعها تدور حول رأيه فى البيت الثانى من هذين البيتين: حيث قيل  
ابن جبارة قول الشاعر «وأثقلها الحسن الذى تكاثرت ملاحته» وعاب قوله فى  
السطرة الثانية: «حتى تثبت من الثقل».

ويعلق الصفدى على هذا النقد فيقول: «قلت: هذا لعمرى نقد حسن، وسيل  
ألقى إليه العنان والرسن<sup>(١)</sup>» ثم يصحح خطأ ابن سناء الملك فى بيته الأول فيقول:  
«ولو كان لى فى البيت الأول حكم لقلت: لها ناظر يا حيرة الظبى عنده،  
ونخلصت من (إذ) وعدم وضعها للمجازاة<sup>(٢)</sup>».

ويلتمس الصفدى لابن جبارة العذر فى تحامله الشديد على ابن سناء الملك أثناء  
نقده للبيت الثانى فيقول «وأما قوله (وأثقلها الحسن) فابن جبارة معذور فيه لأن  
حسناً يُثقل صاحبه سمجٌ بارد غث؛ لأن الحسن إنما يفيد الخفة والحركة  
والنشاط<sup>(٣)</sup>».

ولم يكتف الصفدى بهذا، بل بين أن وصف الحسن بالثقل، أو مدح الحسن  
بالثقل غير مألوف ولا معروف فى الشعر العربى، وأن الشئ الوحيد الذى امتدح  
فى الشعر العربى بالثقل هو الأرداف؛ قال الصفدى: «وما مدح شئ بالثقل غير  
الأرداف وما يتركونها الشعراء، بل يقرونها بخفة الخصر ورقة القد؛ ومنه قول  
شمسة الموصلية:

هَيْفَاءُ إِنْ قَالَ الشَّبَابُ لَهَا انْهَضِي      قَالَتْ رَوَادِفُهَا اقْعُدِي وَتَمَهِّلِي

وقول الآخر، وهو فى غاية الحسن:

هَيْفَاءُ إِنْ خَطَرَتْ لِحَاجَتِهَا      عَجَلَ الْقَضِيبُ وَأَبْطَأَ الدُّعْصُ<sup>(٤)</sup>

والصفدى فى تعقيه هذا على نقد ابن جبارة إنما يريد أن يشير إلى أن ابن سناء  
الملك قد خرج على طرائق العرب ومذاهبهم فى التعبير الفنى، حين وصف الحسن  
بالثقل، وهذا فى حد ذاته خطأ، ناهيك عما أحدثه هذا الوصف من إفساد معنى  
البيت وتقبيح الصورة أو الفكرة التى يريد أن يعطيها لقارئه عن المحبوبة؛ لأن

(١) الغيث المعجم ١/ ٤٠٢.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

الناس تستغل الحسن الثقيل أو البارد أو الغث وتحب الحسن المزوج بالخفة والحركة والنشاط.

٤- ومن أبيات ابن سناء الملك التي أوردها الصفدي في الغيث قوله بمدح القاضي الفاضل:

وَإِذَا سَأَلْتَ مِنَ الْكَرِيمِ فَإِنَّهُ      عَبْدُ الرَّحِيمِ لِأَنَّهُ<sup>(١)</sup> مَوْلَى الْوَرَى  
يَخْتَارُ أَنْ يَهَبَ الْخَرِيدَةَ كَاعِبًا      وَالطَّرْفَ أَجْرَدَ وَالْحِسَابَ مُجَوَّهَرًا<sup>(٢)</sup>  
يَقْرَى الضُّيُوفَ شُعَاعَ تَبْرِ أَحْمَرَ      قَشْعَاعُ ذَلِكَ التَّبْرِ نِيرَانُ الْقِرَى

وكما عودنا فيما سبق، فقد تحدث عن رأى ابن جبارة في هذه الأبيات وتعليقه عليها قال: «وتعنت عليه ابن جبارة في هذه الأبيات؛ فمما قال: في هذا الثالث أَلَمْ أَوْلا بقول ابن عمار:

قَدَحُ زِنَادِ الْمَجْدِ لَا يَنْفُكُ مِنْ      نَارِ الْوَعَى إِلَّا إِلَى نَارِ الْقِرَى  
وزاحم فيه أبا الطيب في قوله:

تَرَكْتَ دُخَانَ الرُّمِّ فِي أَوْطَانِهَا      طَلَبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَبْرَا

وقوله (يقرى الضيوف شعاع تبر أحمر)، والتبر لا يكون إلا كذلك، وإنما قصد المبالغة، وشبه ذلك بشعاع النار التي توقد على البقاع ليهتدى بها الحيران وتهتدى إلى موضعها الضيقان، وقد جعله يدفع إلى الضيوف صلة الإنعام ويمنعهم من الطعام، وكم من ضيف يمتنع من أخذ ذلك ويعده عيبا شنيعا<sup>(٣)</sup>.

هذا ما أورده الصفدي من تعليق ابن جبارة على هذه الأبيات، وهو - بطبيعة الحال - لم ينقل رأى ابن جبارة كاملاً؛ لأن هذه الآراء جميعها تدور حول البيت الثالث من هذه الأبيات من ناحية، ثم لأنه أورد منها هذا الجزء فقط وأغفل جزءاً آخر لم يورده من ناحية ثانية، ويدل على ذلك قوله: «فمما قال في هذا الثالث» وهذا يدل على أن الصفدي يتقى أو يختار بعض التعليقات والانتقادات التي يستطيع أن يرد عليها أو التي يمكنه أن يتصف لابن سناء الملك من خلال تفنيدها.

(١) بالديوان (وأنه) ص ١٥٩.

(٢) بالديوان أو آلاف ألفا والكلام مجوهرًا السابق نفيه والصفحة نفسها.

(٣) الغيث ج ١ ص ٤٣٨، ص ٤٣١.



وليس معنى هذا أن الصفدى غير أمين فى نقله؛ لأن هذه مسألة لا يملك أن ندلى فيها بالرأى القاطع الذى تؤيده الشواهد وتدل عليه؛ لأن كتاب ابن جبارة مفقود أو على الأقل غير موجود ولو أن هذا الكتاب بأيدينا لاستطعنا أن نقارن بين نصوصه وما نقله الصفدى فى الغيث لتبين أمانة الصفدى فى النقل من عدمها، ولو كان هذا الكتاب موجوداً لاستطعنا من ناحية ثانية أن نقف على النصوص التى أغفل الصفدى ذكرها أو التى لم يوردها بالغيث لنعرف رأى ابن جبارة كاملاً فى ابن سناء الملك وشعره.

على أنى أحب أن أبادر هنا بالإشارة إلى أننى لا أستبعد أن يكون شرف الدين ابن جبارة قد وقف من ابن سناء الملك موقفاً وسطاً لاسيما وأن النصوص التى نقلها الصفدى من كلامه تدل على ما يمتاز به من جودة العقل واعتدال المزاج، الأمر الذى يهيئه لتقبل ما لابن سناء الملك من حسنات وفلتات.

وابن جبارة يرى أن ابن سناء الملك فى بيته قد تأثر بابن عمار وأبى الطيب المتنبى فى بيتيهما اللذين حددتهما فيما سبق، كما يرى أن الشاعر غير موفق فى وصف التبر بالحمرة؛ لأنه لا يكون إلا كذلك، ويرى الصفدى أن ابن جبارة قد تعنت على ابن سناء الملك لأن بيته ليس له علاقة ببيت ابن عمار، وليست هناك رابطة بينه وبين بيت أبى الطيب؛ قال الصفدى: «قلت: هذا تعنت زائد، وليس للبيت علاقة بما قاله ابن عمار، ولا بقول أبى الطيب<sup>(١)</sup>».

والصفدى على صواب فيما قال؛ لأن بيت ابن سناء الملك فى واد وبيتى ابن عمار وأبى الطيب المتنبى فى واد آخر؛ فبيت ابن سناء الملك فى مدح القاضى الفاضل بالكرم، ولما كان تقديم الطعام للضيوف فيما يسمى بالقرى هو أشهر ما يدل على الكرم عند العرب، فقد بالغ ابن سناء الملك فى وصف بمدوحه بهذه الصفة الجليلة؛ فالممدوح يقرى الضيوف، وضيوفه كثيرة، وهو يوقد أكثر من موقد أو نيرانا كثيرة لطهى الطعام، وقد جعل الشاعر أشعة هذه النيران كشعاع تبر أحمر لتوهجها وشدة بريقها واتقادها.

أما أبو الطيب المتنبى فى بيته فهو يمدح ابن العميد أبا الفضل محمد بن الحسين وزير ركن الدولة، لا بالكرم وحسب، وإنما بالترفع عما ألفه الناس من ضروب الكرم

(١) الغيث المصنوع ج ١ ص ٤٣٩.



لأن صفاته أثبت إلا أن تترك دخان الرمث في أوطانها، وابنُ عمار في بيته يريد أن يقول إن المجد لا يُنال إلا بالتضحيات الكبرى والجهاد المتواصل في ميادين الحروب لكسب الانتصارات للأهل والعشيرة، ثم بالتودد إلى هؤلاء الأهل والعشيرة في حال السلم بإطعامهم وإكرام الضيف وتقديم القرى له.

ومن هنا كان معنى بيت ابن سناء الملك يختلف عن معنى بيت أبي الطيب ومعنى بيت ابن عمار، ومن ثم كان الصفدي محقاً في رده على ابن جبارة، وكان ابن جبارة متعنتاً على ابن سناء الملك.

ويرى الصفدي أن ابن سناء الملك قد أخذ معنى بيته من بيت آخر لأبي الطيب المتنبي من القصيدة نفسها التي منها البيت الذي توهم ابنُ جبارة أن شاعرنا قد سرقه؛ قال الصفدي: «نعم لو قال: نظر إلى قول أبي الطيب:

وَمَلَلْتُ نَحْرَ عِشَارِهَا فَأَصَافِنِي      مَنْ يَنْحَرُ الْبَدْرَ النَّصَارَ لِمَنْ قَرَى  
لَكَانَ فِيهِ بَعْضُ سَرَقَةِ<sup>(١)</sup>».

ويمضي الصفدي يدافع عن ابن سناء الملك ويردُّ على بقية انتقادات ابن جبارة فيقول: «وأما قوله «التبر لا يكون إلا أحمر» لا نسلم له هذه الدعوى؛ لأن التبر: ما كان من الذهب غير مضروب، والشاعر هنا ما أراد إلا الذهب المضروب، ولكنه قال تبراً مجازاً، والذهب منه ما يكون أحمر، ومنه ما يكون أخضر، ومنه ما يكون أصفر، وهذا أمر يشاهده الحس، ولولا أن ذلك لازمٌ لما قيل في بعض المواطن: الذهب الأحمر كما يقال الثلج الأبيض<sup>(٢)</sup>».

والصفدي قد بنى رده هذا على أسس ثلاثة:

الأساس الأول: إدراكه للفرق بين التعبير الحقيقي الذي يهدف إلى تصوير الحقيقة والواقع، وإعطاء القارئ والسامع المعنى الأول أو المباشر للألفاظ والتراكيب، والتعبير المجازي الذي يلجأ إليه الأدباء والفنانون والذي لا يُهدف من استخدامه إلى تقرير الحقيقة والواقع، وإنما يُهدف من استخدامه إلى العدول «باللفظ عما

(١) الغيث المسجم ج ١، ص ٤٣٩.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

يرجبه أصل اللغة<sup>(١)</sup> إلى معانٍ أُخرٍ لها ما يدل عليها في اللفظ - أيضاً - إلا أنها ذات دلالات جمالية لا تكون في المعنى الحقيقي للفظ في أصل اللغة كما في لفظة أحمر التي وردت في بيت ابن سناء الملك على سبيل المثال حيث أدرك الصفدي أن الشاعر لم يرد بلفظه أحمر ذكر حقيقة اللون الذي تدل عليه الكلمة وهو الاحمرار، وإنما أراد ما تدل عليه هذه اللفظة من المعنى المجازي الذي هو التوهج والبريق، وأنه لم يرد بكلمة التبر إلا الذهب الخالص ذا البريق واللمعان والاحمرار، وأنه ما أراد أن يستخدم كلمة التبر بمعناها الذي وضعت له في أصل اللغة وإنما أراد أن يستخدمها بمعناها المجازي الذي تدل عليه.

الأساس الثاني: ما يمكن أن أسميه الأساس العلمي؛ حيث أحسن الصفدي استخدام معارفه وعلومه العملية في مجال النقد، أو بتعبير آخر استطاع الصفدي أن يطوِّع معارفه في علم المعادن في ميدان النقد؛ حيث ادعى ابن جبارة أن التبر جميعه على لون واحد وهو الأحمر، فذكر الصفدي أن التبر هو الذهب غير المضروب، وأن الذهب المضروب على ألوان مختلفة وليس على لون واحد كما ادعى ابن جبارة؛ فمته الأحمر، والأخضر، والأصفر، وهذا معروف، ويمكن التأكد منه بالملاحظة الحسية.

الأساس الثالث: وهو أساس عقلي وذهني؛ فالصفدي يرى أن الشيء لا يحدّد لونه إلا إذا تعددت هذه الألوان، ومن ثم فقد كان على ابن جبارة أن يدرك ذلك، ولو لم يكن للذهب المضروب سوى اللون الأحمر ما قال ابن سناء: شعاع تبر أحمر، ولقال: «شعاع تبر» وحسب.

وهكذا استطاع الصفدي أن يرد على ابن جبارة وأن يتصف لابن سناء الملك من هذا الناقد المتعنت.

وليس معنى هذا أن الصفدي قد خالف ابن جبارة في جميع ما أورده على البيت من انتقادات لأنه قال بعد ذلك: «وما بقى له من النقد عليه إلا قوله إن الأضياف فيهم من لا يقبل الإنعام، وهذا نقد حسن؛ فإن الضيف قد يكون أكبر

(١) حن التوسل إلى صناعة التوسل ص ١٧.

قدراً من أضافه وأجلُّ نعمة وأشرف همة، ولا كذلك العفاة؛ فإنهم لا يكونون إلا دون من يسألونه ويستعطفونه»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا رأى الصفدي أن ابن سناء الملك لو استبدل بكلمة (الضيوف) كلمة (العفاة) لزال بعض الإيراد؛ قال الصفدي: «فلو قال يقرى العفاة لزال الإيراد، مع أن فيه نظر من إثبات القرى، ويمكن أن يجاب بأنه خصص هذا القرى بالأضياف الذين يسألونه ويستعطفونه»<sup>(٢)</sup>.

٥ - وإذا كنا قد رأينا ابن جبارة في هذا التعليق يشير إلى تأثر ابن سناء الملك بأبي الطيب المتنبي وابن عمار الأندلسي، ويرى أنه زاحم الأول وألم بقول الثاني، فإنه في نصوص أخرى كان أكثر صراحة؛ حيث اتهم الشاعر بالسرقة من أبي الطيب المتنبي؛ قال الصفدي: «وقال ابن سناء الملك:

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ سَبَى الْجَيْشُ مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ يَسْبِي الْجَيْشَ بِالْحَدَقِ الثُّجَلِ

قال ابن جبارة: أين هذا البيت من المسروق منه وهو قول أبي الطيب:

فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ حَمَاهَا مِنَ الظُّبَى لَمَيَّ شَفَتَيْهَا وَالثُّدَى النَّوَاهِدُ»<sup>(٣)</sup>

والصفدي في تعليقه على رأى ابن جبارة لا ينكر سرقة ابن سناء الملك لبيته وإنما يرى أن ابن جبارة لو قرأ بيت أبي دلف العجلي:

إِذَا رَجَعْنَا بِأَسْرَى مِنْ سَرَائِهِمْ نَالُوا التُّرَاثَ يَلْحَظُ الْأَعْيُنُ الثُّجَلِ

لحكم بأن ابن سناء الملك قد سرق بيته من بيت أبي دلف العجلي لا من بيت أبي الطيب المتنبي، وذلك لما بين بيت أبي دلف وبيت ابن سناء من التقارب الشديد في المعنى واللفظ، قال الصفدي: «قلت: لو استحضر ابن جبارة أبيات أبي دلف المتقدمة لما عدل عن الثالث منها؛ إذ نسبة السرقة إليه أكمل لأنها بالمعنى واللفظ»<sup>(٤)</sup>.

(١) الغيث المجمع ج١، ص ٤٣٩.

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٣) أوردها مصححة من الديوان وقد جاءت بالغيت «فلم يبق» براجع الغيث ج٢، ص ١٨، والديوان ج٢، ص ٢٢٥.

(٤) الغيث: ج٢، ص ١٨.

(٥) السابق نفسه ص ١٨، ١٩.



وليس معنى هذا الكلام أن الصفدي ينكر أن ابن سناء الملك قد سرق أبا الطيب المتنبي وأغار على شعره؛ فعلى العكس من هذا تماماً لقد أثبت الصفدي سرقة ابن سناء لأبي الطيب المتنبي في مواضع كثيرة من الغيث، ونص في أكثر من موضع أيضاً على أن ابن سناء قد أغار على أبي الطيب المتنبي، ومن هذه المواضع على سبيل المثال قوله: «وقال أبو الطيب:

فَتَى يَمْلَأُ الْأَفْعَالَ رَأْيَا وَحِكْمَةً      وَنَادِرَةً أَحْيَانًا يَرْضَى وَيَغْضَبُ  
إِذَا ضَرَبَتْ فِي الْحَرْبِ بِالسِّيفِ كَفُّهُ      تَبَيَّنَتْ أَنَّ السِّيفَ بِالْكَفِّ يُضْرَبُ

وأخذ ابن سناء الملك غضباً، وجرّد عليه في الإغارة غضباً فقال:

فَلَا تَحْسَبُوا بِالْكَفِّ جَرْدَ نَصْلِهِ      وَلَكِنَّهُ قَدْ جَرْدَ الْكَفِّ بِالنَّصْلِ»<sup>(١)</sup>

وابن سناء الملك في هذا البيت يمدح الناصر صلاح الدين الأيوبي<sup>(٢)</sup> بالقوة والشجاعة، وهو يقول إن الناس في مثل مواقف هذا البطل يحبون أنه قد استمد قوته من كفه، وأنه قد جرد النصل بكفه، بينما الحقيقة أنه قد استمد قوته من هذا النصل، وأنه قد جرد كفه بنصله، كأنه يريد أن يقول إن كفه ونصله قد بلغا غاية القوة، ولا شك أن ابن سناء الملك كان ينظر وهو يصوغ هذا المعنى إلى بيت أبي الطيب المتنبي وهو يمدح كافور الإخشيدي، إلا أن بيت ابن سناء أحسن وأجمل من بيت المتنبي لبيان:

الأول: أن أبا الطيب المتنبي قد جرد سيف ممدوحه من القوة، ونسبها إلى كفه حين قال: «تبين أن السيف بالكف يضرب»، وهذا ليس بالمعنى البديع أو العتيق لأنه تعبير عادي؛ فالكف هو الحامل للسيف والضارب به، وهذا دليل على قوة الكف، وليس فيه ما يدل على قوة السيف ونفاذ ضرباته.

الثاني: أن بيت ابن سناء الملك يزيد على بيت أبي الطيب بما فيه من البديع؛ حيث أحدث الشاعر مقابلة بديعة حين قال: «بالكف جرد نصله» ثم قال في الشطر الثانية: «جرد الكف بالنصل».

(١) السابق نفسه ص ١٩٦.

(٢) يراجع الديوان: ص ٢٢١.



ولهذين السبيين أشار الصفدي إلى أن ابن سناء الملك قد «أخذ البيت غصبا،  
وجرد عليه في الإغارة عضبا».

٦ - وأورد الصفدي بيتي ابن سناء الملك:

رَصَفْتُكَ وَاللَّاحِي يُعَانِدُ فِي<sup>(١)</sup> الْعَذْلِ      فَكُنْتَ أَبَا ذُرٍّ وَكَانَ أَبَا جَهْلٍ  
لَهُ شَاهِدًا زُورٍ مِنَ النَّهْيِ وَالنَّهْيِ      عَلَيْكَ وَمِنْ عَيْنِكَ لِي شَاهِدًا عَدْلٍ

ثم أورد رأي ابن جبارة في أولهما فقال:

«وقال شرف الدين بن جبارة: هذا البيت نادرة قصيدته، وعين خريدته، وقد  
أخذه أخذاً، وفلنذه فلذاً من قول شاعر متقدم:

وَلِيَ عَاذِلٌ يُغْرِى إِلَى الْجَهْلِ لَمْ يَخَلْ      بَأْنَى فِي دَعْوَى الْغَرَامِ أَبُو ذُرٍّ<sup>(٢)</sup>

ويعترف الصفدي بسرقة ابن سناء الملك بيته من هذا الشاعر، إلا أنه يدرك ما  
صار إليه بيت هذا الشاعر بعد أن أخذه ابن سناء الملك وصاغه، فقد أخذه ابن  
سناء مادة خاماً فأعاد تشكيلها وصياغتها، قال الصفدي «لكنه أخذه وقف عاج،  
وأعاد درة تاج»<sup>(٣)</sup> وذلك لأنه «قابل فيه بين أبي ذر وأبي جهل فزاده حسناً، وكان  
فيه ليلى فضم إليها لبني»<sup>(٤)</sup>.

وبهذا ينتهي ما أورده الصفدي من نصوص لشرف الدين بن جبارة تتناول شعر  
ابن سناء الملك بالنقد والتعليق، وينتهي معها دفاع الصفدي عن ابن سناء الملك،  
والرد على شرف الدين بن جبارة، والنتيجة التي نخرج بها بعد هي أن الصفدي  
يؤمن بشاعرية ابن سناء الملك، ويرى أنه شاعر متمكن من أدواته، أصيل في  
مرهبته، له تعبيراته ومعانيه التي يختص بها، وله إضافاته على شعر السابقين.

\*\*\*

على أن للصفدي بعد ذلك بعض الأحكام العامة على بعض شعر ابن سناء

(١) وردت بالغيت «بالعدل» وصحتها من الديوان، يراجع ص ٢٢١، الغيت ج ٢، ص ٣٧١.

(٢) الغيت: ج ٢، ص ٣٧١.

(٣) السابق نقه، والصفحة نفسها.

(٤) السابق نقه، والصفحة نفسها.

الملك كقوله مثلاً «ولما مات أبوه رثاه بقصيدة رائية في غاية الحسن»<sup>(١)</sup> وقوله:  
«ولابن سناء الملك مقاطيع في عمياء تروى غلة الكبد الظمياء»<sup>(٢)</sup> ويورد الصفدي  
من هذه المقاطيع مقطوعة من أبيات ثلاثة وهي:

شَمْسٌ بَغَيْرِ اللَّيْلِ لَمْ تَخْتَجِبْ<sup>(٣)</sup>      وَفِي سِوَى الْعَيْنَيْنِ لَمْ تُكْسَفِ  
مُغَمَّدَةُ الْمُرْهَفِ لَكِنَّهَا      تَفْنِكَ فِي الْغَمْدِ بِلَا مُرْهَفِ  
رَأَيْتُ مِنْهَا الْخُلْدَ فِي جُودَرٍ      وَنَاطِرِي يَعْقُوبُ فِي يُوسُفِ

ثم يعلق على البيت الأخير منها بقوله: «وهذا البيت الثالث ما له في الحسن  
وارث، ولقد تلطّف فيما تخيل، واختلس رقة المعنى وتحيل»<sup>(٤)</sup>.

ويشير الصفدي إلى أن هذا المعنى البديع لابن سناء الملك قد سرقه جمال الدين  
ابن نباتة واستخدمه في بيتين من أبياته بعد أن أضاف إليه حلية البديع، فبدا وكأنه  
معناه الذي لم يسبقه أحد إليه؛ حيث أصبح بزيادة البديع حرّاً من الاسترقاق، قال  
الصفدي: «وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة، ولكنه  
استعمل الخلد مُورِي، ودخل الدار من دربه وغيره برّاً، وإن كان قد سرقه من ابن  
سناء الملك فقد استرقّه وجعله بالزيادة حرّاً، وهو:

قَدَيْتُ أَعْمَى مَغَمَدًا لَحْظُهُ      لَنَزَهْتِي فِي خَدِّهِ السُّورْدِي  
تَمَكَّنْتُ عَيْنَيَّ مِنْ وَجْهِهِ      فَقُلْتُ هَذِي جَنَّةُ الْخُلْدِ<sup>(٥)</sup>

عيوب الشمس بين ابن سناء الملك وشرف الدين التيفاشي:

وعند حديث الصفدي عن الشمس أثناء شرحه الأدبي للبيت السادس والأربعين  
من أبيات اللامية أورد أبياتاً لشرف الدين التيفاشي في ذم الشمس يدور عليها

(١) الغيث المسجّم: ج ٢، ص ٢٧٠، والقصيدة التي غناها الصفدي موجودة بالديوان ص ٥١١

وما بعدها، وهي قصيدة طويلة بلغ عدد أبياتها سبعة وستين بيتاً، ومطلعها:

أَيَا دَارٍ فِي جَنَاتٍ عَزْدَنَ لَهُ دَارُ      وَيَا جَارَ إِنَّ اللَّهَ قَبِيلُهَا لَهُ جَارُ

(٢) الغيث: ج ٢، ص ٣٢١.

(٣) هكذا وردت بالغيث وهي في الديوان (لم تحجب)، تراجع الديوان: ص ٤١٧.

(٤) الغيث: ج ٢، ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٥) السابق نفسه: ص ٣٢١.

الضعف، ويظهر عليها التكلف، ولا تحتوي على أى جمال فنى؛ لأنه أخذ يعدد عيوب الشمس التى قال إنها ستة تنتظم أخلاقها وخلقها، ثم أورد بعدها أبيات ابن سناء الملك فى الموضوع نفسه وهو ذم الشمس، ونبه على أن أبيات ابن سناء أحسن من أبيات التيفاشى، وذكر بعد نهاية أبيات ابن سناء أنه وازن بينها وبين أبيات التيفاشى «ليعلم تفاوت الناس فى البلاغة»<sup>(١)</sup> أى اختلاف مستوياتهم وملكاتهم فى البلاغة.

ولكن الصغدى هنا يشير إلى أمر مهم، وهو أن الإنسان لا يستطيع أن يفضل أو يفاضل بين شاعر وشاعر أو أديب وأديب إلا إذا تحدثا فى موضوع واحد، أو عالجا قضية واحدة، لأنه فى هذه الحالة سيظهر ما بينهما من وجوه التفاوت فى الملكات والقدرات مثلما ظهرت قدرات ابن سناء الملك الخاصة، وملكاته الفنية التى استطاع بها التفوق على شرف الدين التيفاشى فى ذكر عيوب الشمس وتصويرها.

والجدير بالذكر هنا أن التيفاشى لم يذكر من عيوب الشمس الخلقية والأخلاقية سوى تلك العيوب الظاهرة الواضحة؛ كتغايير نورها وعدم ثباته على درجة واحدة من الشروق إلى الغروب، وضعف إبصارها مع العמש إذا أصبحت، وعدم إبصارها إذا أمت، وأن البدر يكشفها مع أن جرمه أصغر من جرمها، وأنه لا يطاق حرها، وفى الفر نورها مستحقر، وأن خلُقها كخلق الملوك، تنكث فى العهد ولا تصبر.

ويدر الدين التيفاشى حين صاغ هذه العيوب نظماً اعتمد فى صياغتها على أسلوب التقرير، كأنه يقرر حقائق علمية أو يذكر مساوئ ظاهرة، ومن ثم فقد انعدم الخيال فى أبياته، واقتربت إلى الصدق الفنى.

أما ابن سناء الملك فقد سلك فى ذكر عيوب الشمس مسلكاً آخر اعتمد فيه على قدراته الفنية وطاقاته الشعرية؛ فتحدث عن أثرها فى صفحة الخلد؛ حيث تلفحه بنارها الملتهبة فتبدد حسنه قُبْحاً، ورياضه سمرة، وجعلها كالعدول الذى يفرق بين المحبين لأنها تطع فتبدد دياجى الليل، وتوقظ النيام من طول السبات، وتحول بينهم وبين الاستمتاع فى نومهم وأحلامهم بطيف خيال المحبوب، ثم شبهها

(١) الفيت: ٢٦٣/٢.



في نهاية أبياته بعجوز تبرجت وتزينت، ومعنى هذا أن حسنها متكلف كما تزين العجوز لتكلف الحسن والجمال، وقرنها في البيت الأخير بالشیطان الذي لا يدل إلا على الشر، ولا يهدي إلا إلى طريق الغي والضلال.

وهذه المعاني بطبيعة الحال أعمق وأجمل من تلك التي ذكرها شرف الدين التيفاشي، ولذا كان الصفدي على صواب حين فضل أبيات ابن سناء الملك على أبيات التيفاشي أثناء موازنته حيث قال: «وقال الشرف التيفاشي في ذمها:

فِي خِلْقَةِ الشَّمْسِ وَأَخْلَاقِهَا	شَتَّى عِيُوبٍ سِتَّةٌ تُذَكَّرُ
مِنْ صُبْحِهَا النُّورُ لِمَائِهَا	مَغَايِرُ الْأَشْكَالِ لَا يَفْتَرُ
رَمْدَاءُ عَمَشَاءُ إِذَا أَصْبَحَتْ	عَمِيَاءُ عِنْدَ اللَّيْلِ لَا تُبْصِرُ
وَيَغْتَدِي الْبَدْرُ لَهَا كَاسِقًا	وَجُرْمُهُ مِنْ جُرْمِهَا أَصْغَرُ
حَرُورُهَا فِي الْقَبِيطِ لَا تُتْقَى	وَنُورُهَا فِي الْقَرِّ مُسْتَحْقَرُ
وَخُلِقَتْهَا خُلُقُ الْمُلُوكِ الَّتِي	تُكْثُ فِي الْعَهْدِ وَلَا تُصْبِرُ
لَيْسَتْ بِحَنَاءٍ وَلَا حُسْنٍ مَنْ	يَقْصُرُ عَنْهُ اللَّفْظُ إِذْ يُخْبِرُ

وأحسن من هذا قول ابن سناء الملك:

لَا كَانَتْ الشَّمْسُ فَكَمْ أَصْدَأَتْ	صَفْحَةً خَدَّ كَالْحُسَامِ الصَّقِيلِ
وَكَمْ وَكَمْ صَدَّتْ بِوَادِي الْكَرَى	طَيْفَ خَيَالٍ جَاءَنِي مِنْ خَلِيلِ
وَأَعْدَمَنِي مِنْ نُجُومِ الدُّجَى	وَمِنْهُ رَوْضَا بَيْنَ ظِلِّ ظَلِيلِ
تُكْذِبُ فِي الْوَعْدِ <sup>(١)</sup> وَبُرْهَانُهُ	أَنْ مَرَّابَ الْقَفْرِ مِنْهَا سَكِيلِ
وَتَحْسِبُ النَّهْرَ حُسَامًا فَتَرُ	تَاعُ وَتَحْكِي فِيهِ قَلْبَ الدَّلِيلِ
إِنْ صَدَّ الطَّرْفُ فَمَا صَفْلُهُ	إِلَّا التَّحْلَى بِمُحِبِّ جَمِيلِ

(١) هكذا وردت بالغيث، وفي الديوان (وتكذب في العهد) يراجع الغيث ج ٢، ص ٢٦٣، الديوان ج ٢، ص ٤٨١.



وَهِيَ إِذَا أَبْصَرَهَا مُبْصِرٌ  
يَاغِلَّةَ الْمَهْمُومِ يَا جِلْدَةَ الْ—  
يَا قُرْحَةَ الْمَشْرِقِ وَقْتَ الضُّحَى  
أَنْتِ عَجُوزٌ لَمْ تَبْرَجْتِ لِي  
وَأَنْتِ بِالثَّالِثِ طَانٍ قَرْنَانَةٌ  
حَدِيدُ طَرْفِ عَادٍ<sup>(١)</sup> عَنْهَا كَلِيلُ  
مَحْمُومٍ يَا زَفْرَةَ صَبٍّ نَحِيلِ  
وَسَلْحَةَ الْمَغْرِبِ عِنْدَ الْأَصِيلِ  
وَقَدْ بَدَأَ مِنْكَ لُعَابٌ يَسِيلُ  
فَكَيْفَ تَهْدِينَا سَوَاءَ السَّيْلِ<sup>(٢)</sup>؟

والصفدي قد أورد أثناء موازنته أبيات قصيدة ابن سناء الملك كاملة حتى يعطى القارئ الفرصة كاملة في القراءة والوقوف على ما بها من المعاني والأفكار والصور والأساليب التعبيرية التي صبَّ فيها أفكاره ومعانيه، وهذا يتيح - دون شك - الفرصة للموازنة والمقارنة والتحليل والتفسير، ثم الحكم في نهاية المطاف.

ويرى الصفدي أن قصيدة ابن سناء الملك ليست على مستوى فني واحد في الجودة الفنية، أو بمعنى آخر يرى الصفدي أن في هذه القصيدة أبياتاً أجمل من أبيات حيث يقول: «وأحسن ما في هذه القطعة قوله: يا غلة المهوم ... البيت، والذي بعده أحسن، وكذلك الثالث أيضاً»<sup>(٣)</sup>.

ويشير الصفدي إلى أن ابن سناء الملك قد أخذ يتيه «أنت عجوز» الذي حكم عليه بالحسن فيما سبق من أبي العلاء المعري فيقول: «وكذلك الثالث أيضاً، وهو مأخوذ من قول أبي العلاء المعري:

وَقَضَلُ الشَّمْسِ فِي الْأَيَّامِ بَاقٍ      وَإِنْ مَدَّتْ مِنَ الْكِبَرِ اللَّعَابَا<sup>(٤)</sup>  
وبقى بعد ذلك نص واحد في الغيث علق فيه الصفدي على قول ابن سناء الملك.

تَدْعِي الْعَقْلَ وَهُوَ أَشْرَفُ مَا فِي—      كَ فَلَمْ صَارَ دَاخِلًا تَحْتَ حِسِّكَ

(١) هكذا وردت بالغيث، وهي في الديوان (راج) يراجع الغيث ج ٢، ص ٢٦٣، الديوان ج ٢،

ص ٤٨١.

(٢) الغيث المجمع ج ٢ ص ٢٦٢، ٢٦٣.

(٣) السابق نفسه ونفس الصفحة.

(٤) السابق نفسه ونفس الصفحة.

وَكَذَا حُبِّكَ<sup>(١)</sup> الْحَيَاةَ وَقَدْ أَصْـ  
 طَلَّقَ النَّفْسَ فَهِيَ أَخَوْنُ عُرْسِكَ  
 وَإِذَا اخْتَالَ فَوْقَ أَرْضِكَ مِنْكَ الـ  
 لَا تَغَالِطْ فَمَا تَنَالُ رِضَى اللَّـ  
 مَا أَهَانَ الْوَرَى وَلَا سَلَكَ الدُّنْـ  
 بَحْتَ لَا تَشْتَهِي سِوَى طُولِ حُبِّكَ  
 ك<sup>(٢)</sup> أَلَيْسَتْ هِيَ الْمُشِيرُ بِعُرْسِكَ  
 عِطْفُ قَاذِكُرْ هَوَانَهُ تَحْتَ رَمْسِكَ  
 هـ تَعَالَى<sup>(٣)</sup> إِلَّا بِإِغْضَابِ نَفْسِكَ  
 يَا وَلَا حَارَاهَا سِوَى الْمُتَنَسِّكَ

والصفدى فى تعليقه على هذه الآيات يركز على شىء واحد هو تحسينه لكلمة المتنسك فى موضعها من البيت الأخير، رغم مخالفتها لقواعد العروضيين؛ لأن العروضيين يقولون إن قافية هذه القصيدة سينية، والكاف فى حبك، وحبك وعرسك، ورمسك، ونفسك ليست أصلية فى تركيب كل كلمة من هذه الكلمات؛ لأنها ضمير متصل، وعلى هذا الأساس فهم يرون أن ابن سناء الملك قد أخطأ حين أتى بالمتنسك ليختتم بها البيت لأن الكاف فيها أصلية، قال الصفدى مادحاً ابن سناء ومثنياً عليه: «قلت ما أحلى ما أتى بالمتنسك - هنا - قافية فسقى الله ضريحه وروح روحه، وما كان أطف ذوقه وأشبَّ عمره الذى جعل الهلال طوقه<sup>(٤)</sup>» ثم قال مجيزاً هذه القافية وأشباهها وعارضاً لرأى العروضيين فى عدم ارتياحهم لها: «وهذه القافية لا يجيزها العروضيون ويحتجون بأن الكاف أصلية وليست ضميراً كأخواتها، وأنا وغيرى من أئمة الأدب الذين لطف ذوقهم يرون أن هذه القافية بين نجوم القوافى كالشمس، وهى التى فيها خفة الروح، وما عداها فيه ثقل الرمس<sup>(٥)</sup>».

والصفدى فى هذا الكلام يعاود التركيز على أهمية الذوق الأدبى فى الحكم على العمل الفنى، ذلك لأنه رفض اعتراض العروضيين على هذه القافية وأشباهها

(١) هكذا وردت بالغيت، وهى فى الديوان (حبك) يراجع الغيث ج ٢، ص ٣٩٢، الديوان ج ٢، ص ٥٥٢.

(٢) هكذا وردت بالغيت وهى فى الديوان (عرسك) يراجع الغيث ج ١، ص ٣٩٢، الديوان ج ٢، ص ٥٥٢.

(٣) هكذا وردت بالغيت وهى فى الديوان (رضى الرحمن) حقاً يراجع الغيث ج ٢، ص ٣٩٢، الديوان ج ٢، ص ٥٥٢.

(٤) الغيث المسجم ح ٢ ص ٣٩٢.

(٥) السابق نفسه والصفحة نفسها.

معتدداً على الذوق فى هذا الرفض، ومعنى هذا أنه يغلب الذوق على القواعد الجافة والجامدة التى يحكم بها العروضيون وغيرهم من العلماء بالأدب ونقده، ومعنى هذا الكلام - بطبيعة الحال - أنه لا يُخطئ العروضيين فى حكمهم على هذه القافية وأشباهها، وإنما يرى أن لكل فريق وسائل نقده وحكمه على العمل الأدبى؛ فعلماء العروض والأدب والنقد يستندون عند نظرهم فى الأعمال الأدبية والحكم عليها إلى ما تعارفوا عليه من قواعد وقوانين استقر عليها رأيهم، وأجمعت عليها كتبهم؛ أما الأدباء الذين يعانون صنعة الأدب، ويمارسون عملية الإبداع فلهم ذوقهم وحسهم الأدبى المرفف الذى يتكثرون عليه عند النظر فى الأعمال الأدبية والحكم عليها، ومن هنا - أى من هذا التباين فى الوسائل التى يستخدمها كل فريق فى الحكم على الأعمال الأدبية ونقدها - يأتى اختلاف آرائهم فى الحكم على العمل الأدبى، ومن ثم نجد فريقاً لا يجيز العمل، أو يقبحه، أو يوهيه، وفريقاً آخر يجيزه ويحكم عليه بالحسن والجودة الفنية.

وحين نعيد قراءة كلام الصفدى نجد فيه بعض المغالاة فى تحمين قافية ابن سناء الملك التى رفضها العروضيون لأنها قافية عادية كسائر قوافى القصيدة، وليس بها من المزايا ما يجعلها بين نجوم القوافى كالشمس على حد قوله، كما نجد فيه مغالاة فى الاعتداد بالنفس، والثقة بها، والتعالى على غيره من أهل العلم بالأدب ذلك لأنه عبر عن نفسه بأننا، ووصف نفسه وبعض أصحابه بأنهم من أئمة الأدب، ثم امتدح ذوقه وذوق أصحابه، ووصفه باللطيف.

وحين نكمل تعليق الصفدى على هذه الأبيات ولفظة المستنك التى كانت قافية البيت الأخير منها نجده يعلل خفة هذه القافية وثقل ما عداها فيقول: «لأنها قليلة الوقوع فى الكلام، بخيلة بالزيارة ورد السلام، قل أن يظفر الناظم من هذا النوع بقافية، ويجد لها ثانية<sup>(١)</sup>».

هو - إذن - يرى أن علة حسن هذه القافية وأشباهها تكمن فى ندرتها حيث لا يستطيع الناظم أن يقع عليها أو على أمثالها بسهولة.

ولا يساورنى أدنى شك فى صدق الصفدى فى حكمه على هذه القافية

(١) السابق نفسه ص ٣٩٢، ص ٣٩٣.



وأشباهها؛ لأنه شاعر ذو موهبة، ومعارض ومقلد ذو خبرة وتجربة، كثيراً ما يعجب بالمعنى أو المبنى الشعري فيحاول تقليده ومحاكاته، وقد لا تيسر له إجادة الأتموج المقلد من أول مرة، فيجهد نفسه، ويكد عقله في محاولة ثانية بل في محاولات أخرى كثيرة، ولا يزال يتعب نفسه ويرهقها من أمرها عسراً حتى يتهاى له ما يريد من النجاح في المحاكاة والتقليد؛ وقد مر بنا في غير هذا الموضع من الكتاب قول ابن تغرى بردى فيه: «رأيت من نظمته بخطه عندما يعارض بعض من تقدم من مجيدى الشعراء فى معنى من المعانى اللطيفة فيأخذ ذلك المعنى فينظمه فى بيتين ويجيد فيهما بحسب الحال، ثم ينظم أيضاً فى ذلك المعنى بعينه بيتين آخرين، ثم بيتين، ثم بيتين، ولا يزال ينظم فى ذلك المعنى وهو يقول قلت أنا<sup>(١)</sup>».

وها هو ذا الصفدى يقدم ما يشهد له بصدق حكمه على هذه القافية بالندرة؛ حيث دعا القارئ أن يطيل النظر فى دواوين الشعراء، وأن يستقرئ كل ما قالوه طلباً للعشور على أخت لها، ويخبره بنتيجة هذه المحاولة مُسبقاً وهى التعب فى غير طائل قال الصفدى: «والاستقراء أمامك فاطلب لها أختاً، واسلك من أرض اللغة عوجاً وأمتاً، فإن وُجدتْ فبعدَ جهد، وتعب فى النظم والشر يؤديانك إلى الزهد، بخلاف أخواتها لأنك تجد أمثالهن فى مطالع اللغة رواقى، يعرف هذا القول أربابه ومن بينى وبينه نسبة أو تشابه<sup>(٢)</sup>».

والصفدى فى نهاية هذا التعقيب يعتدُّ للمرة الثانية بنفسه، ويشق بها، ويغالى فى هذه الثقة، ويتعالى على الآخرين ويدعى أنه قد حاز الفهم والذوق، وأن أصحابه الذين يشبهونه فى ذوقه يدركون سرَّ جمال هذه القافية، وسرَّ خفتها وندرته دون غيرهم من الذين لم يلفظ ذوقهم على حسب ما يريد أن يقول.

وصفوة القول إن الصفدى يرى فى ابن سناء الملك شاعراً مبدعاً له مكانته، وله طاقاته الشعرية، وله فلتاته التى لا تأتى إلا منه، ولا يمكن أن تتسبب إلا إليه، ولهذا كانت معارضته لابن جبارة وردة على تعليقاته المتنعة على بعض أبيات هذا الشاعر الأيوبي العظيم.

(١) المنهل الصافى ج ٥، ص ٢٥٧.

(٢) الغيث المسجم ج ٢ ص ٣٩٢.



## المبحث الرابع

### الصفدى وسرقات الطغرائي

تقديم:

ينظر النقاد العرب القدماء إلى الشعر نظرة ذات شقين؛ أحدهما يتعلق بالمعنى، والآخر يتعلق باللفظ، وهم يقصلون بين هذين الشقين فصلاً يكاد يكون تاماً في كتاباتهم وتعليقاتهم وأحكامهم النقدية على شعر الشعراء، وقد أدى هذا إلى افتقار نقدنا العربي القديم إلى النظرة الشمولية أو الكلية إلى العمل الشعري<sup>(١)</sup>.

وقد وقر في أذهان النقاد والشعراء على السواء أن الخالفين قد «سَبَقُوا» إلى كل معنى بديع ولفظ فصيح<sup>(٢)</sup>، ومن هنا لم يبق لهم من الموضوعات ما يستطيعون الخوض فيه، ولم يبق لهم من صيغ التعبير ما يمكن أن يكون خاصاً بهم، ووفقاً عليهم.

وقد استبد بشعرائنا هذا الوهم من قديم<sup>(٣)</sup> حتى قال زهير بن أبي سلمى في عصر الجاهلية:

مَا أَرَانَا نَقُولُ إِلَّا مُعَارَاً      أَوْ مُعَادَاً مِنْ لَفْظِنَا مَكْرُورَاً

وحتى تساءل عترة العبسى قائلاً:

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَنَّمٍ؟!

ومضى النقاد يؤصلون ويعمقون هذا القهم، وهذا الإحساس بسبق القدماء إلى كل معنى بديع ولفظ فصيح في كتاباتهم النقدية حين أخذوا يوضحون للشعراء

(١) المعنى الشعري في التراث النقدي، د. حسن طبل ص ٢٥٧، الناشر مكتبة الزهراء، القاهرة ١٩٨٥ م.

(٢) عبار الشعر لابن طباطبا العلوي، بتحقيق أساتذنا الدكتور محمد زغلول سلام ص ٤٦، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية.

(٣) مشكلة السرقات في النقد العربي، أ.د. محمد مصطفى هدارة ص ٢١٧ ص ٢١٨، نشر المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٥ م.

كيف يكون الأخذ عن القدماء، وكيف يكون التلطف في الأخذ، وكيف يصير المعنى المأخوذ أحسن وأجمل من المأخوذ منه؛ فابن طباطبا العلوى يقول: «ويحتاج من سلك هذه السبيل إلى إلفاط الحيلة، وتدقيق النظر في تناول المعانى واستعارتها وتبليها حتى تخفى على نقادها والبصراء بها، وينفرد بشهرتها كأنه غير مسبوق بها فيستعمل المعانى المأخوذة في غير الجنس الذى تناولها منه»<sup>(١)</sup>.

ومن هذا المرتكز ظهرت فى نقدنا العربى منذ وقت مبكر من حياته ونشأته ظاهرة السرقات بوصفها مشكلة نقدية فرضت نفسها على النقاد<sup>(٢)</sup> فأفردوا لها كتباً خاصة بها، وتحدثوا عنها فى أثناء تعليقهم على شعر الشعراء.

والصفدى فى الغيث، يسير على ما سار عليه النقاد من قبله؛ إذ كثرت تعليقاته النقدية على الأشعار التى أوردها فى هذا الكتاب، وكان عدد جم من هذه التعليقات يشير تصريحاً أو تلميحاً إلى الأخذ والسرقة، وأن الشاعر مسبوق بالمعنى أو اللفظ، أو متأثر بمن سبقه من الشعراء فيما نظم.

ولما كان الكتاب فى شرح لامية الطغرائى؛ فقد رأيت أن أدرس النصوص التى تتعلق بسرقات الطغرائى من الشعراء السابقين عليه حتى أستطيع أن أقف على مصادر الطغرائى التى استقى منها معانى قصيدته وأفكارها، وحتى أستطيع أن أثبت ما للطغرائى من المعانى المبتكرة فى هذه القصيدة التى حازت إعجاب الصفدى وغيره من شراحها.

وأردت أن أثبت أيضاً أثر الطغرائى فى غيره من الشعراء؛ فدرست النصوص الخاصة بسرقات الشعراء من لامية الطغرائى.

### أولاً: سرقات الطغرائى:

استقرأت جميع النصوص التى تحدث فيها الصفدى عن سرقات الطغرائى فوجدته يستخدم أساليب متنوعة للدلالة على سرقة الطغرائى لبيته من الآخرين، ومن هذه الأساليب ما كان اتهاماً مباشراً بالسرقة، ومنها ما كان تلميحاً بها، وهو

(١) عيار الشعر ص ١١٣.

(٢) تاريخ النقد الأدبى والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى، الدكتور محمد زغلول سلام، ص ٦٩ وما بعدها، الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٨٢م.

في حالتى التصريح والتلميح يوازن بين النصين: المسروق، والمسروق منه؛ ليعطينا  
رأيه الخاص فيهما، وليطلعنا على ما بهما من محاسن وما عليهما من مآخذ.

### (أ) بين الطغرائى وأبى العلاء:

١- فعند شرحه للبيت الثانى من أبيات اللامية وهو:

مَجْدِيْ أَخِيْرًا، وَمَجْدِيْ أَوَّلًا شَرَّعٌ وَالشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّغْلِ

بين أن هذا البيت مأخوذ من بيت لأبى العلاء المعرى فقال: «وقد أخذ  
الطغرائى هذا المعنى من قول أبى العلاء حيث قال:

وَأَفْقَتُهُمْ فِي اخْتِلَافٍ مِنْ زَمَانِكُمْ وَالْبَدْرُ فِي الرَّهْنِ مِثْلُ الْبَدْرِ فِي السَّحْرِ»<sup>(١)</sup>

ويرى الصفدى أن بيت الطغرائى هو بعينه بيت أبى العلاء، غير أن الطغرائى  
قد استخدم الشمس فى التمثيل، وأن أبا العلاء قد استخدم القمر، قال الصفدى:  
«فهذا هذا، خلا أن ذلك فى الشمس، وهذا فى القمر»<sup>(٢)</sup>.

والطغرائى وأبو العلاء كلاهما يعبر عن فكرة واحدة، وهى أن المكاة أو المنزلة  
الاجتماعية لا تتغير بتغير الزمان كما لا يتغير نور الشمس أو ضوء القمر فى  
حالتى الظهور والأفول، وهذا ما عناه الصفدى بقوله: فهذا هذا؛ أى هذا المعنى  
هو هذا المعنى.

ثم يشير الصفدى إلى أن قول أبى العلاء أحسن من قول الطغرائى فيقول:  
«ولكن قول المعرى أطف عبارة، وأحسن إشارة»<sup>(٣)</sup>، ويعلل أو يذكر السبب الذى  
جعله يفضل بيت المعرى فيقول: «لأن الطغرائى أغرب فى لفظتى رءد، والطفل»<sup>(٤)</sup>.

أى إن الطغرائى قد أدخل بشروط الفصاحة حين استخدم هذين اللفظين الغريبين  
والثقلين، على حين التزم المعرى بها؛ لأن ألفاظه جرت فى سهولة وليونة لم تجر  
عليها ألفاظ بيت الطغرائى.

(١) الغيث المسجم ج١ ص ٩٠.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.



ويركز الصفدي في ختام تعليقه وموازنته بين البيتين على أن «عذوبة الألفاظ أمر مهم في البلاغة»<sup>(١)</sup>.

ثم يشير إلى أن معنى بيت الطغرائي، ومعنى بيت أبي العلاء يشبهان معنى قول الحريري:

وَطَالَمَا أَصْلَى الْيَاقُوتُ جَمْرَ غَضَا      ثُمَّ انْطَفَأَ الْجَمْرُ وَالْيَاقُوتُ يَاقُوتُ<sup>(٢)</sup>

وعلى هذا فالمعنى أو الفكرة واحدة في هذه الأبيات الثلاثة، وإن اختلفت صيغ التعبير عن هذا المعنى أو هذه الفكرة عند الشعراء الثلاثة، ومع هذا فهو اختلاف يسير؛ لأن هناك تقارباً بين قول الطغرائي وقول أبي العلاء؛ فالطغرائي قد وقف على معنى بيت أبي العلاء، ووقف أيضاً على طريقة صياغته ولعل هذا ما دعا الصفدي إلى أن يعبر عن هذا الوقوف على المعنى وصياغته، بالأخذ، ثم فارقه في ألفاظه؛ حيث استبدل بالقمر الشمس، واستبدل في التمثيل بمثل الكاف التي هي للتمثيل والتشبيه أيضاً، ثم ترك الوهن والسحر اللذين هما من أوقات الليل، واستعمل الضحى والطفل اللذين هما من أوقات النهار.

والصفدي يدرك أن لا علاقة بين بيني المعري والطغرائي وبيت الحريري من ناحية الألفاظ، وكان واضحاً في ذلك حين لجأ إلى استعمال أسلوب يبين هذا الفهم وهذا الإدراك، ويبين أن العلاقة الجامعة بين الأبيات الثلاثة هي المعنى الواحد أو الفكرة الواحدة التي عبر ثلاثتهم عنها بأساليب متغايرة إذ قال: «وكلا المعنيين يشبه قول الحريري...».

٢- وإذا كان الطغرائي قد أخذ معنى بيته السابق من معنى بيت أبي العلاء، وأفاد من طريقة صياغة المعري لبيته، وسلك مسلكاً يقاربها فإنه في بيته:

نَاءٌ عَنِ الْأَهْلِ صَفَرُ الْكَفِّ مُنْفَرِدٌ      كَالسَّيْفِ عُرِّيَ مَتْنَاءً عَنِ الْخَلْكِ

قد اقترب قريباً شديداً من أبي العلاء المعري في بعض أبياته، قال الصفدي: «ومن قول أبي العلاء في معنى قول الطغرائي:

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ٩٠.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.



وَأَنْتَ السَّيْفُ إِنْ يَحْدُمَ حَلِيًّا      فَلَمْ يَحْدُمَ فَرْتَدُّكَ وَالْغَرَارُ  
وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي جَرِي الْمَذَاكِي      رَكَابٌ فَوْقَهُ ذَهَبٌ مُمَارٌ  
وَرُبَّ مُطَوَّقٍ بِالتَّبْرِ يَكْبُرُ      بِقَارِسِهِ وَلِلرَّهْجِ اعْتِبَارُ  
وَزَنْدٌ عَاطِلٌ يَزْهَى بِمَدْحِ      وَيُحْرِمُهُ الَّذِي فِيهِ السَّوَارُ<sup>(١)</sup>

والصفدي يقصد دون شك تقارب معنى بيت الطغرائي مع معنى البيتين الأول والرابع من أبيات أبي العلاء، وهو هنا لم يحكم بسرقة الطغرائي لمعنى بيته من أبيات أبي العلاء، وذلك لما بين بيت الطغرائي وأبيات المعري من البون الشاسع في المعنى الفرعي، وطريقة الصياغة، وخصائص الألفاظ؛ فالطغرائي يشكو حاله وقلة ماله بقوله: أنا وحيد، ناء عن أهلي وأقوامي، وليس معي من المال ما يعينني على أمري، وحالي هذه تشبه تمامًا حالة السيف المجرد من حليته، الذي أزيل عنه ما يخلب اللب ويستجلب المدح؛ فالمال للإنسان كالحلية للسيف، كلاهما يتمم ويزين الشكل الخارجي الذي إليه ينظر الناس، والذي على أساسه يكون التفاضل فيما بينهم، ويكون إقبالهم أو إعراضهم على الإنسان ومدحهم أو ذمهم إياه. أما أبو العلاء فهو يقول لممدوحه: أنت كالسيف إن فقد زيتته لم يفقد قيمته، وإن فقد شكله لم يفقد أصله وما صنع من أجله وهو القتل والفتك، وأنت ترى أن ما فوق الفرس من حلي وزينة حتى ولو كانت من الذهب الخالص لا تفيد شيئاً، ولا تؤدي إلى زيادة سرعته بل لعل هذا المطوق بالتبر يكبو بمن يركبه من الفرسان، ولعل زندا عاطلاً من الزينة يمتدح ويشي عليه، وزندا آخر مزينا يحرم من المدح والثناء.

وعلى هذا فتقول الطغرائي وقول المعري متقاربان كأشد ما يكون التقارب، ومختلفان في الوقت نفسه كأشد ما يكون الاختلاف، لأنهما متقاربان في المعنى الكلي العام، ومختلفان في المعنى الجزئي الخاص، والمعنى الكلي العام الذي اتفق فيه الشاعران هو وصف الألم النفسي الذي نتج من الغبن والظلم وعدم التقدير والتشجيع والثناء، والمعنى الجزئي الخاص الذي اختلف فيه الشاعران هو وسيلة وصف هذا الألم النفسي، فقد وصف الطغرائي هذا الألم عن طريق التحسر، وخطاب النفس، ومحاولة التعزى والتسلى، ووصف المعري ما يشعر به ممدوحه من الألم النفسي عن طريق تبصيره بمزايه وسجاياه، ولهذا كان ما رأيناه من

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ١٣٦.

احتياط الصفدي، وتمسكه بالحذر والدقة، وهو يربط بين معنى أبيات المعري ومعنى بيت الطغرائي.

٣ - وعند شرحه لقول الطغرائي :-

لم أرتض العيش والأيام مُقْبِلَةً فكيف أرضى وقد وُلْتُ على عَجَلٍ  
تجده يقول: «بيت الطغرائي مأخوذ من قول أبي العلاء:  
وما ازدهيت وأثواب الصِّبا جُدُّ فكيف أزهى بشوبٍ من ضننى خَلِقِ  
ومن قوله أيضاً من رسالة يخاطب الدنيا: «أسأتني غانية، فكيف بك عَجُوزاً  
فانية؟»<sup>(١)</sup>.

وقد حالف الصفدي التوفيق في اتهامه الطغرائي بسرقة بيته من المعري؛ لأن  
المعنى واحد، وطريقة صياغته واحدة، لكنى لا أوافق على ما ادعاه من سرقة  
الطرغرائي لبيته من قول المعري في رسالته؛ لأننا لو فتحنا هذا الباب على مصراعيه  
هكذا ما سلم لأحد شعراً ولا نثر على حد قول ابن رشيق.  
ب - بين الطغرائي ومسلم بن الوليد:-

ويربط الصفدي بين قول الطغرائي أيضاً:-

نَاءٍ عَنِ الْأَهْلِ صِفَرُ الْكَفِّ مُنْفَرِدٌ كَالسُّيْفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ عَنِ الْخَلَلِ  
وبيت مسلم بن الوليد حيث قال: «وقول الطغرائي «رحمة الله» مأخوذ من قول  
مسلم بن الوليد:

وبأنتَ حتى صرْتَ لِلْبَيْنِ رَاكِبًا قُوَى الْعِزِّ قَرْدًا مِثْلَ مَا انْفَرَدَ النُّصْلُ»<sup>(٢)</sup>  
وحين نوازن بين بيت الطغرائي وبيت مسلم نجد أن أهم وجوه التشابه بينهما  
مخاطبة النفس بما تدل عليه من الألم والحسرة والحزن على الفراق والبعد عن  
الأهل والعشيرة؛ فالطرغرائي يقول: لقد بعدتُ عن أهلي وقومي ومالي الذين هم  
حليتي، وأصبحتُ وحيداً منفرداً كالسيف المعرَّى عن حليته، ومسلم يقول: لقد  
كسر الرِّحالَ وبعدتُ عن أهلي وقومي حتى كأني تعودت على ذلك لما معي من  
العزم القوي؛ فطلتُ وأنا منفردٌ في غربتي كالسيف الذي جرد من حليته.

(١) الغيث المسجم ج١ ص ١٤٧.

ولكن: هل يصح مع هذا التشابه بين البيتين في الفكرة أو المعنى أن يكون بيت الطغرائي من بيت مسلم؟

لا، ولا يصح في رأي اتهام الصفدي للطغرائي بسرقة بيته من بيت مسلم؛ لأنه وإن كان هناك تشابه بين بيت الطغرائي وبيت مسلم في المعنى أو الفكرة، فإن هناك farkاً كبيراً بين البيتين في الصياغة وفي الصورة والخيال، وفي المعنى الجزئي أيضاً.

ففي الصياغة استخدم الطغرائي لفظاً ناءً، واستخدم مسلم لفظاً باينث، ومدلولا اللفظيين مختلفان لأن لفظة (ناء) التي في بيت الطغرائي تفيد بعده عن الناس لاجتناب الناس له بسبب فقره، وتكرُّ الدنيا له، على حين أن لفظة (باينث) التي في بيت مسلم تدل على بعده هو واجتنابه الناس.

وفي بيت مسلم صورة بيانية؛ إذ اتخذ من قوة عزمه مطيةً يركبها، ويرحل عليها، ويفارق بها وطنه وأهله دون صاحب أو رفيق سوى نفسه، ورياطة جأشه، وشدة بأسه.

والتعبير بقوله «صرت» يفيد أن مسلماً حوّل مجرى حياته من الثبات والاستقرار إلى الترحل والانتقال، وهذه كلها معان وأخيلة لا توجد في بيت الطغرائي.

وبقي أن أشير إلى أن الطغرائي قد ربط بين بعده عن الناس، واجتناب الناس له وبين فقره ورقة حاله، وقد ركز الصفدي في شرحه لهذا البيت على هذا المعنى حيث قال: «فلهذا قال الطغرائي ما قاله، يعني أنني في بغداد بهذه الحالة من الفقر واجتناب الناس لخلو ذات يدي، وأنا من العلم والفضل والأدوات بمحل أسنى، ومع ذلك لا يعأ بي، ولا ينظر إلى ذاتي من حيث هي»<sup>(١)</sup>.

ج - بين الطغرائي والشريف الرضي:-

وعند شرحه لبيت الطغرائي:

وَصَحَّ مِنْ لُغَبٍ نَضَوِي وَعَجَّ لِمَا أَلْقَى رَكَابِي وَلَجَّ الرُّكْبُ فِي عَدْلِي  
يَبِّنُ أَنَّ الطُّغْرَائِي قَدْ سَرَقَ هَذَا الْبَيْتَ أَشْعَ سَرَقَةً لِأَنَّهُ نَقَلَهُ بِلَفْظِهِ كُلِّهِ مِنْ

(١) السابق نفسه ص ١٣٥.



الشریف الرضی قال الصفدی «أقول: قد أخذ بیت الشریف الرضی برمته من قوله»:

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ      وَدَيَّارُهُمْ يَبْدُ الْبَلَى نَهَبُ  
وَوَقَفْتُ حَتَّى ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ      نَضُّوِي وَلَجَّ بِعَذْلِي الرُّكْبُ  
وَتَلَقَّيْتُ عَيْنِي فَمُذْ خَفِيَتْ      عَنِّي الطُّلُولُ تَلَقَّيْتُ الْقَلْبُ<sup>(١)</sup>

والطغرائي هنا لم يسرق المعنى أو لم يأخذ المعنى فحسب، وإنما أخذ اللفظ أيضاً، ولو وقف عند هذا الحد لكانت سرقة معية حقاً، إلا أنه أبى إلا أن يزيدها قبحاً وسوءاً حين كرر معنى «ضج من لغب» في قوله «وعج لما ألقى ركابي»، وقد التفت الصفدي إلى ذلك فقال: «وفي قوله (وضج من لغب نضوي) غنية عن أن يقول فيما بعده (وعج لما ألقى ركابي) لأن المعنى واحد، فكل منهما يغني عن ذكر الآخر، فإن ضجيج النوق هو عج الركاب»<sup>(٢)</sup>.

وبهذا يظهر قبح أخذ الطغرائي لبیت الشریف الرضی، وتظهر علة قبح هذا الأخذ؛ إذ أخذ اللفظ والمعنى ثم أطال اللفظ وكرر المعنى دون إضافة جديدة يستحق بها أن يحمد ويحسب الأخذ له لا عليه<sup>(٣)</sup>.

وأحب أن أربط هذا الرأي النقدي برأي آخر للصفدي في بیت الطغرائي:

وَذِي شِطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمُحِ مُعْتَقَلٍ      بِمِثْلِهِ غَيْرُ هَيَّابٍ وَلَا وَكَلٍ  
حيث يرى الصفدي أن «صدر بيت الطغرائي هو بعينه صدر بيت الحريري في مقامه الرابعة والأربعين من قصيدته لأنه قال:

وَذِي شِطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمُحِ قَامَتُهُ      صَادِقَتُهُ بَمَنَى يَشْكُو مِنَ الْجَدَبِ<sup>(٤)</sup>

(١) الغيث المسجم ج ١ ص ١٩١.

(٢) السابق نفعه ص ١٨٣.

(٣) يرى ابن وكيع التنبيه أن من الأقسام العشرة التي تنقسم إليها الرفقات التي يذم صاحبها ولا يحمد طارقيها: نقل اللفظ القصير إلى الطويل الكثير، وأخذ اللفظ المدعى هو ومعناه معاً. يراجع المنتصف القسم الأول ص ٢١، ص ٢٢، الهامش بتحقيق يوسف نجم وطبع الكويت.

(٤) الغيث المسجم ج ١ ص ٢٥٩.

وملاحظة الصفدى فى موقعها ومحلها؛ لأن صدر بيت الطغرائى هو بعينه صدر بيت الحريرى؛ حيث لم يغير الطغرائى شيئاً من ألفاظ شطرة الحريرى سوى أنه استبدل بكلمة (قامته) التى فى بيت الحريرى كلمة (معتقل)، وبمقارنة سيرة بين ما فعله الطغرائى ببيت الحريرى، وما فعله بيت الشريف الرضى فى رأى النقدى السابق يتضح لنا أنه نهج نهجاً واحداً فى الأخذ والسرقه؛ حيث نقل بيت الشريف الرضى، وصدر بيت الحريرى بألفاظهما دون أن يجرى عليهما من التغيير ما يستحق به أن يحسب الأخذ له كما قلت، وإذا كان الصفدى لم يتردد فى اتهام الطغرائى بسرقة بيت الشريف الرضى، فقد كان من المتوقع هنا أن يحكم بسرقة بيت الحريرى أيضاً، إلا أنه لم يفعل؛ لأنه يرى أن قول الحريرى «وذى شطاط كصدر الريح» قول عاды ليس وقتاً على الحريرى دون غيره من الناس؛ لخلوه من الجمال فى لفظه ومعناه، ولأنه بإمكان الناس أن يأتوا بمثله فى غير جهد، ومعنى هذا أن الصفدى يرى كما يرى غيره من النقاد<sup>(١)</sup>، أنه لا سرقة فى الشائع المعروف المتداول بين الناس من المعانى والألفاظ، يقول الصفدى فى التعقيب على اتفاق شطرتى بيتى الطغرائى والحريرى: «ومثل هذا لا يعد سرقة؛ لأن المعنى ليس ببديع، ولا لفظه بفظيع، ولا الطغرائى بعاجز عن الإتيان بمثله، بل جرى على لسانه ونسى أن هذا لغيره لعدم الاحتفال بأمره إذ هو ليس بأمر كبير، وهذا كثير الوقوع للناس، لا يكاد يسلم الفحول منه، ولهذا قال أشياخ الأدب: ما حفظ المقامات أحد ونسيها إلا نظم ونثر»<sup>(٢)</sup>.

والصفدى فى هذا التعقيب النقدى المهم ينفى سرقة الطغرائى لصدر بيته من الحريرى، وينكئ فى نفيه للسرقه على حجج أو أسباب ثلاثة: أحدها يتعلق بالمعنى، والثانى يتعلق باللفظ، والثالث يتعلق بمقدرة الطغرائى الفنية، فليس المعنى ببديع - أى بجديد - حتى يكون خاصاً بالحريرى، كما أن اللفظ أو التركيب اللفظى والمغوى للكلام أو لصدر بيت الحريرى ليس فيه من ميزة تختص به مما يجعل نقله سرقة، ثم إن الطغرائى لا يعجزه أن يأتى بمثل هذا التركيب.

(١) يذهب إلى هذا رأى من نقادنا العرب: أبو هلال العسكري، وضياء الدين بن الأثير على سبيل المثال ويراجع مشكلة السرقات د. هدار فى مواضع متفرقة.

(٢) الغيث المسجم ج ١ ص ٢٥٩.



والصفدى فى هذا التعقيب النقدى المهم يثير أيضاً إلى تأثير الإنسان بما سبق له أن قرأه أو حفظه من جيد الشعر والنثر، إذ يُخْتَرَنُ هذا المحصول الفكرى والأدبى فى الذاكرة، ويأتى على الإنسان حين من الزمن ينسى فيه هذه الآثار الفنية وخصائصها الجمالية نسياناً يكاد يكون تاماً ثم إذا بها تظهر بطريقة غير مباشرة عند محاولة الإبداع الفنى، وهذا كله نفهمه من قوله عن الطغرائى «بل جرى على لسانه، ونسى أن هذا لغيره؛ لعدم الاحتفال بأمره؛ إذ هو ليس بأمر كبير»، أى جرى قول الطغرائى: (وذى شطاط كصدر الرمح) على لسانه وهو يكتب البيت، ولم يأت على ذهنه أن هذا التركيب ليس من عنده وإنما هو من عند الحريرى، فقد نسى هذه المسألة تماماً عند عملية الإبداع، ومعنى هذا أن الصفدى قد أطلعنا فى هذا التعقيب النقدى على لون من ألوان الثقافة الأدبية التى كان يلهم بها الطغرائى وهو حفظه لمقامات الحريرى، وتأثره بها لا معانى وحسب، وإنما معانى وألفاظاً وهو يكتب قصيدته أو لاميته.

وبين الصفدى أن الطغرائى فى تأثره بمحصوله الفكرى فى عملية الإبداع ليس نسيج وحده فى هذا الباب إذ إن «هذا كثير الوقوع للناس لا يكاد يلم الفحول منه»<sup>(١)</sup>.

وينهى الصفدى تعقيبه على بيتى الطغرائى والحريرى ببيان أثر المقامات فى تنمية الملكات الفنية لدى أصحاب المواهب الأدبية حين يذكر ما أثير عن أشياخ الأدب فى فضل المقامات حيث قال «ولهذا قال أشياخ الأدب: ما حفظ المقامات أحدٌ ونسيها إلا نظم ونثر»<sup>(٢)</sup> أى تمكن من كتابة الشعر وكتابة النثر، وذلك لما بها بطبيعة الحال من ثروة لغوية، وقيم فنية تثرى الفكر، وتوسع الآفاق والمدارك، وتقوى ملكة الخيال عند المبدع أو الفنان.

ونرى الصفدى بعد أن يوفى الحديث عن العلاقة بين بيت الطغرائى وبيت الحريرى ينصرف إلى الحديث عما فى بيت الطغرائى من الجمال الفنى أو من القيم

(١) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها.



البلاغية حيث يقول: «وقوله: كصدر الرمح معتقل بمثله» من الإيجاز والاختصار لأنه استغنى بمثله عن أن يقول برمح طويل قويمة معتدل»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا فهو يرى أن كلمة (بمثله) حسنة في موقعها لأنها منعت الطغرائي من التكرار والإسهاب، وألزمته الإيجاز والاختصار.

ولم يكتف الصفدي بهذا، وإنما أخذ يدلل على شيوع هذه الطريقة في الإيجاز والاختصار، واستخدام الشعراء لها في مختلف العصور حيث قال «ومثل قول الطغرائي (بمثله) في كلام الشعراء كثير كقول أبي تمام الطائي:

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَيْتَةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهُ»<sup>(٢)</sup>  
كان الصفدي يريد أن يقول أن هذه الطريقة في الإيجاز والاختصار ليست من ابتكار الطغرائي، وكأنه يريد أن يقول أيضاً إن الطغرائي متأثر فيها بمن سبقه من الشعراء عامة وأبي تمام خاصة حيث استفادها منهم وأخذها عنهم.

#### د - بين الطغرائي وأبي تمام:-

وإذا كان الصفدي قد رأى أن الطغرائي قد استفاد من طريقة أبي تمام في الإيجاز والاختصار؛ فإنه في موضع آخر يشير إلى ما بين معنى قول الطغرائي:

حَلَوُ الْفُكَاةِ، مُرُّ الْجَدِّ، قَدْ مُزِجَتْ بِشِدَّةِ الْبَاسِ مِنْهُ رِقَّةُ الْغَزَلِ  
ومعنى بيتي أبي تمام:

الْجِدُّ شِيمَتُهُ، وَفِيهِ فُكَاةٌ سُمُجٌ وَلَا جِدٌّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ  
شَرِسٌ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ لَيْنٌ خَلِيقَةٌ لَا خَيْرَ فِي الصَّهْبَاءِ مَا لَمْ تُقْطَبِ

من صلة؛ حيث قال «وقول الطغرائي يشبه قول أبي تمام الطائي»<sup>(٣)</sup>، وفعلًا هو يشبه بيتي أبي تمام من حيث المعنى الكلي العام لا المعنى الجزئي الخاص، وأقصد هنا بالمعنى الكلي العام مجموعة الصفات التي يتحلى بها المدوح عند الشاعرين؛ فالطغرائي يمدح نفسه أو يبين الخصال الأربع التي في صاحبه - الذي هو نفسه

(١) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٢) السابق نفسه ص ٢٦٠.

(٣) السابق نفسه ص ٢٧٧، ٢٧٨.

بطبيعة الحال - فيقول إن في صاحبي خصالاً هي الفكاهة الحلوة، والجد المر  
الشديد، والرقّة المفرطة التي تسندها شدة البأس، وأبو تمام يمدح صاحبه بهذه  
الخصال الأربع نفسها؛ ففي ممدوحه فكاهة مبعثها سماحته، وفي طبعه مع هذا  
جد، وهو يشتد ثم يلين.

ويرى الصفدي أن بيت الطغرائي يشبه بيتين آخرين لأبي تمام - أيضاً - وهما:  
لَا طَائِشٌ تَهْفُو خَلَائِقُهُ وَلَا خَسِنُ الْوَقَارِ كَأَنَّهُ فِي مَحْفَلٍ  
فَكُهُ يَجِدُ الْجِدَّ أَحْيَانًا، وَقَدْ بَنَى، وَيَهْزُلُ عَيْشُ مَنْ لَمْ يَهْزِلْ<sup>(١)</sup>  
وقد اكتفى الصفدي بهذه الإشارة السريعة إلى تشابه بيت الطغرائي وأبيات أبي  
تمام، ومضى في طريقة ليذكر نصوصاً أخرى لشعراء متأخرين بينها وبين بيت  
الطغرائي ألوان من التشابه.

ولست أدري لم لم يوازن الصفدي بين بيت الطغرائي وأبيات أبي تمام؟!،  
ولست أدري لم لم يعمق هذا الرأي النقدي؟! فقد كان بمقدوره أن يوازن ويقارن  
ويفاضل، ويحسن ويقبح؛ لأن بيت الطغرائي أبلغ في المديح من أبيات أبي تمام  
فضلاً عن إيجازه؛ حيث جمع الصفات التي مدح بها أبو تمام صاحبه في بيت  
واحد على حين أتى بها أبو تمام في بيتين.

ولعل الصفدي لم يكن بحاجة إلى الموازنة والترجيح في أي موضع آخر قدر  
حاجته إليهما في هذا الموضع، وذلك لسببين أولهما: حتى يفسر ما يقصده  
بالتشابه بين بيت الطغرائي وقول أبي تمام، وثانيهما حتى يبرز لقارئه ما في بيت  
الطغرائي من جمال، وذلك لأن قصيدة الطغرائي هي المحور الذي يتركز عليه  
ويدور حوله في كتابه.

هـ - بين الطغرائي وأبي نواس:-

وبمثل هذه السرعة في الربط بين قول الطغرائي وقولي أبي تمام، أشار الصفدي  
إلى سرقة الطغرائي لبيتته:

لَعَلَّ إِمَامَةً بِالْجِرْعِ ثَانِيَةً      يَدُبُّ مِنْهَا نَسِيمُ الْبُرِّ فِي عَلِيٍّ

(١) الغيث السجم ج ١ ص ٢٧٨.

من بيت أبي نواس المشهور:

فَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِمْ كَتَمَشَّى الْبُرْءُ فِي السَّقَمِ

حيث قال: «وقول الطغرائي في غاية الحسن والرفقة، وهو مأخوذ من قول أبي نواس»<sup>(١)</sup>، وترك الصفدي بيت الطغرائي وأخذ يتبع معنى بيت أبي نواس حتى وصل به في نهاية المطاف إلى أحد الهذليين؛ إذ أورد نصاً للأصمعي يوضح أن أبا نواس قد سرق بيته من مسلم، وأن مسلماً قد سرق بيته من عمر بن أبي ربيعة، وأن ابن أبي ربيعة قد سرق بيته من أحد العذريين، وأن العذري قد سرق بيته من أسقف نجران، وبعد أن انتهى نص الأصمعي رفض الصفدي كل الأحكام النقدية المتعلقة بسرقة أبي نواس لبيته؛ قال الصفدي «قلت: وقد أخذه أبو نواس برمته من بعض الهذليين يصف قانصاً ظفر بصيد بسرعة مثلي حيث يقول:

فَتَمَشَّى لَا يُحْسُ بِهِ كَتَمَشَّى النَّارِ فِي الْفَحْمِ»<sup>(٢)</sup>

وبنى الصفدي رأيه هذا على أساس هو أن ما ورد من الروايات عن أبي نواس يؤيد هذا الحكم؛ قال الصفدي: «فإن بعض الروايات عن أبي نواس على هذا النص، وهي أصح الروايات لأنها آخر ما استقرت عليه الحال»<sup>(٣)</sup>.

وهذا الكلام حري أن يطلعنا على وعي الصفدي التام بالمرويات الأدبية، كما يدل على أنه يمتلك المقدرة على الترجيح بينها، وهو يعتمد على آخر ما استقر عليه الحال من الروايات المختلفة.

ومعنى هذا أن الأصل في هذا المعنى الشعري الذي في بيت الطغرائي هو بيت هذا الهذلي إلا أن الطغرائي لم يأخذه عنه لأن أبا نواس قد أخذه أو وقف عليه وأخذه وطوره وصاغه بطريقته في بيته، ثم وقف الطغرائي على بيت أبي نواس وتأثر به، وبهذا يكون الصفدي قد بين أن هذا المعنى قد مر بمرحلتين قبل أن يستخدمه الطغرائي، لكننا نلاحظ أن كل مرحلة كانت أكمل من سابقتها وأحسن؛ لأن الصفدي يصف بيت الطغرائي بقوله «وقول الطغرائي في غاية الحسن والرفقة»

(١) السابق ج ٢ ص ١٢.

(٢) السابق نفسه ص ١٣.

(٣) السابق نفسه والصفحة نفسها.



أى أن الطغرثائى قد وصل المعنى على يديه إلى درجة أرقى مما وصل إليها على يدى أبى نواس حين أخذه من صاحبه الأصلى أو الأول وهو الهذلى . وعلى هذا تكون سرقة أبى نواس لمعنى بيته من الهذلى من أنواع السرقات المحمودة التى نص عليها ابن وكيع فى النصف ، وذلك لأنها فى رأى تدخل ضمن الوجه الثانى من وجوه هذا النوع من السرقات ، وهو نقل اللفظ الرذل إلى الرصين الجزل ، كما تدخل ضمن الوجه الثالث أيضاً من وجوه هذا النوع من السرقات ؛ وهو نقل ما قبح مبناء دون معناه إلى ما حسن مبناء ومعناه<sup>(١)</sup> .

وكذا تكون سرقة الطغرثائى لبيته من بيت أبى نواس من أنواع السرقات المحمودة أيضاً ؛ لأنها تدخل ضمن الوجهين الثانى والثالث من وجوه السرقات المحمودة التى نص عليها ابن وكيع لأن ألفاظ الطغرثائى فى بيته أرصن وأجزل من ألفاظ بيت أبى نواس ، ثم لأن بيت أبى نواس أقل حسناً فى مبناء من بيت الطغرثائى ، ولعل هذا ما أراد أن يشير الصفدى إليه بقوله : «وقول الطغرثائى فى غاية الحسن والرقعة» .

#### و - بين الطغرثائى والمتنبى :-

ونمضى بعد ذلك لنرى الصفدى وقد ركز على سرقات الطغرثائى من أبى الطيب المتنبى ، وأحب أن أشير إلى أن الصفدى قد استخدم أربعة ألوان من الأساليب للدلالة على سرقة الطغرثائى من أبى الطيب ، واللون الأول منها هو قوله «وقول الطغرثائى من قول أبى الطيب» ، ففى تعقيبه على بيت الطغرثائى :

يَحْمُونَ بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ اللَّذَانِ بِهِ سَوْدَ الْغَدَائِرِ حُمْرَ الْحِلَى وَالْحِلَلِ

قال : وقول الطغرثائى من قول أبى الطيب :

دِيَارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزْرِيَّةٌ بِسْمُرٍ<sup>(٢)</sup> الْقَنَا يَحْمِينُ<sup>(٣)</sup> لَا بِالنَّمَائِمِ<sup>(٤)</sup>

والذى اعتقده أن الصفدى على صواب فى هذا رأى النقدى ؛ لأن الطغرثائى يريد أن يعبر عن عزة ديار قوم محبوبته أو فتاته ودنعتها فقال : إن هؤلاء الرماة من

(١) يراجع النصف لابن وكيع بتحقيق محمد يوسف غم وطبع الكويت من ص ٩ وما بعدها .

(٢) وردت بديوان المتنبى بطول القنا ، ص ١٦٤ طبع هندية .

(٣) وردت بالديوان يحفظن ، السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٤) الغيث المسجم : ج ١ ، ٣٦٨ .

من بنى ثعل يحمون باليوف والرماح حرمَ هذا الحى من إضم الذى تسكنه  
الفتيات الحسنات ذوات الشعر الأسود المضفر والحلى والملابس الحمراء، وهذا  
المعنى هو الذى عبر عنه المتنبي من قبل فى بيته الذى ذكره الصفدى حيث قرر أنه  
غزا ديار النسوة اللاتى يحتمين بسمر القنا لا بالتمائم أو التعاويذ، ومن هنا فأتى  
أرفض دفع الدكتور إبراهيم منصور الرقة عن الطغراني بحجة «أن هذا ليس مما  
انفرد به المتنبي وغيره»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الصفدى قد حدد هنا بيت أبى الطيب الذى منه بيت الطغراني، فإنه  
فى موضع ثان لم يحدد البيت أو الأبيات التى تأثر بها الطغراني؛ ففى تعقيبه على  
بيت الطغراني:

وَلَا أَهَابُ الصَّفَاحَ الْبَيْضَ تُعِدُّنِي بِاللَّمَحِ مِنْ خَلَلِ الْأَسْتَارِ وَالْكَلَلِ

قال الصفدى: «وأما قول الطغراني فى هذا البيت وإخراجه الحماسة فى صورة  
الغزل فهو من قول أبى الطيب؛ إذ ليس لأحد معه فى هذا الباب دخول لأنه  
يصف الحروب ويظهرها مظاهر الغزل وهذا من القدرة فى التخيل، ألا ترى قوله:

تَعَوَّدَ إِلَّا تَقْضَمَ الْحَبَّ خَيْلُهُ إِذَا الْهَامُ لَمْ تَرْقَعْ جُيُوبَ الْعَلَّاقِ

وَلَا تَرِدَ الْغُدْرَانُ إِلَّا وَمَاؤُهَا مِنْ الدَّمِّ كَالرَّيْحَانِ تَحْتَ الشَّقَاقِ»<sup>(٢)</sup>

وبديهى أن البيتين اللذين أوردهما الصفدى للمتنبي ليس لهما علاقة ببيت لامية  
الطغراني، وقد أوردهما الصفدى كما أورد غيرهما<sup>(٣)</sup> ليدلل بهما على تلك  
الطريقة التى انفرد بها المتنبي بين شعراء العربية فى وصف الحروب عن طريق  
إخراجها فى صورة الغزل، ومن ثم فإن معنى قول الصفدى: «وأما قول الطغراني  
فى هذا البيت . . فهو من قول أبى الطيب» معناه أن الطغراني فى بيته قد نهج  
النهج الفنى نفسه الذى سار عليه المتنبي فى وصف الحماسة وإخراجها فى صورة  
الغزل فى شعره، وعلى هذا يكون معنى قول الصفدى «من قول أبى الطيب» أى  
من شعر أبى الطيب، وتصح للمصطفى فى رأى هذه الدعوى أيضاً، وذلك لأن

(١) شروح لامية العجم: ص ١٧٦.

(٢) الغيث ج ٢، ص ٣٠، ٣١.

(٣) يراجع السابق نفسه ص ٣١.

جميع نقادنا القدامى تقريباً قد اتفقوا على أن أبا الطيب يتميز بهذه السمة في شعره الحماسي، وعدّوها من محاسنه التي لا يشركه فيها غيره، ومن ثم فقد أضحى هو أصل كل المعاني التي أتى بها الشعراء بعده في هذا الباب، وأضحى شعره المصدر الذي يحث الشعراء على ولوج هذا الباب، واتباع هذه السبيل.

واللون الثاني من ألوان التعبير التي استخدمها الصفدي للدلالة على سرقة الطغرائي من شعر أبي الطيب هو تعبيره بالأخذ مباشرة؛ ففي تعقيبه على بيت الطغرائي:

قَادِرًا بِهَا فِي نُحُورِ الْبَيْدِ جَافِلَةً      معَارِضَاتٍ مَثَانِي اللَّجْمِ بِالْجُدْلِ

قال الصفدي: «وهذا البيت مأخوذ من قول أبي الطيب:

لا أَبْغِضُ الْعَيْسَ لَكِنِّي وَقَيْتُ بِهَا      قَلْبِي مِنَ الْحَزَنِ أَوْ جِسْمِي مِنَ السَّقَمِ  
طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا      حَتَّى مَرَقَنَ بِهَا<sup>(١)</sup> مِنْ جَوْشَ وَالْعَلَمِ  
تَبْرَى بِهِنَ<sup>(٢)</sup> نَعَامَ الدَّوِّ مَسْرُجَةً      تُعَارِضُ الْجُدْلَ الْمُرَخَّاةَ بِاللَّجْمِ<sup>(٣)</sup>

والصفدي يقصد دون شك أن بيت الطغرائي مأخوذ من البيت الثالث من أبيات أبي الطيب التي أوردها، وهو على صواب فيما ادعاه؛ لأن الطغرائي قد أخذ معنى البيت، وأخذ بعض لفظه أيضاً؛ فالطغرائي يحث في بيته «على إعمال الركاب، وأن يرمى بها في نحور البيد مسرعة تبارى بأزمتهاجم الخيل في مسيرها»<sup>(٤)</sup> حيث يقول «فادفع الأنيق الذلل في نحور المفاوز والقفار مسرعة غير ملتفتة، وبجياذ الخيل فعارض لجم تلك بأزمة هذه»<sup>(٥)</sup> ويكاد يكون هذا المعنى هو معنى بيت المتنبي نفسه حيث كنى بنعام الدو عن الخيل<sup>(٦)</sup> ووصفها بأنها «مسرجة تعارض الجدل المرخاة باللجم».

هذا من ناحية المعنى ومن ناحية الألفاظ؛ فإن الطغرائي قد استخدم بعض ألفاظ

(١) وردت بالديوان بـ «ديوان المتنبي» ص ٣٧٣.

(٢) وردت بالديوان (لهن) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٣) الغيث المسجم: ج ٢، ص ٨٣.

(٤) الغيث المسجم: ج ٢، ص ٨٣.

(٥) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٦) ديوان المتنبي هامش رقم ٣، ص ٣٧٣.



بيت المتنبي بنفسها كما الجدل واللجم وتصرف في بعضها الآخر؛ حيث استخدم لفظة (معارضات) بدلاً من (تعارض) كما استخدم لفظة (البيد) جمع بيداء بدلاً من كلمة (الدو) التي استخدمها المتنبي.

وعلى هذا فرقة الطغرائي هنا تنظم اللفظ والمعنى معاً، ولعل هذا ما جعل الصفدي يعدل عن التعبير عن هذه السرقة بقوله: «وقول الطغرائي من قول أبي الطيب» إلى التعبير بالأخذ مباشرة حيث قال دون مواربة: «وهذا البيت مأخوذ من قول أبي الطيب»:

وأراني - هنا - أخالف الدكتور إبراهيم منصور الذي يخطئ الصفدي في اتهامه الطغرائي بسرقة بيته من المتنبي اعتماداً على شيوع هذا التعبير؛ إذ يقول: ووضح أن معارضة اللجم بالجدل، أو الجمع بين الخيل والإبل في السفر ليس مما يتفرد به شاعر<sup>(١)</sup>.

واستخدم الصفدي في اللون الثالث من ألوان التعبير التي استخدمها للدلالة على سرقة الطغرائي من أبي الطيب مصطلحاً يطلق أو أطلقه نقادنا القدامى على لون معين من ألوان السرقات، ذلك المصطلح هو مصطلح الاختلاس الذي يدل عند نقادنا القدامى على سرقة المعنى وتحويله من غرض إلى غرض أو تحويله إلى ضده أو مقابله والذي قد يطلقون عليه أحياناً اسم نقل المعنى<sup>(٢)</sup>، ففي تعقيبه على قول الطغرائي:

وَإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ لِي أَسْوَةٌ بَانِحَطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ رُحَلِي

قال الصفدي: «والطغرائي اختلس معنى بيته من قول أبي الطيب:

وَلَوْ لَمْ يَعْلُ إِلَّا دُو مَحَلُّ تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْحَطَّ الْقَتَامُ»<sup>(٣)</sup>

وأول ما يسترعى نظري في هذا التعليق النقدي هو إدراك الصفدي أن الاختلاس لا يكون إلا في المعاني، وذلك الإدراك نفهمه من قوله: «اختلس معنى

(١) شروح لامية العجم: دراسة تحليلية ص ١٧٨.

(٢) العمدة لابن رشيق الفيرواني ص ٤٥٤، بتحقيق فميحة وطبع دار الكتب العلمية ببيروت، والسرقات الأدبية للدكتور بدوي طيانة ص ٥٩، طبع الأنجلو المصرية عام ١٩٦٩م.

(٣) الغيث المسجم: ج ٢، ص ٢٨١.

بيته» وكأنه بهذا ينبهنا ويلفتنا إلى إدراكه لمعنى المصطلح ودلالته التى عرفها النقاد وأشاروا إليها أثناء وضعهم لهذه المصطلحات النقدية الخاصة بالسرقات .

ولكن: هل اختلس الطغرثائ معنى بيته من بيت أبى الطيب الذى أشار إليه الصفدى؟ .

فى الحقيقة يكاد الصفدى بخطئ شاكلة الصواب فى هذا الرأى النقدى إلا أن يكون قد أراد بالاختلاس شيئاً آخر غير الذى تعارف عليه النقاد من قبله؛ لأن الاختلاس كما عرفوه هو سرقة المعنى وتحويله من غرض إلى غرض؛ يقول ابن رشيق القيروانى: «فإن حوّل المعنى من نسيب إلى مديح فذلك الاختلاس»<sup>(١)</sup> أما الذى فعله الطغرثائ فهو أبعد ما يكون عن الاختلاس بهذا المعنى وبهذه الدلالة التى ذكرها ابن رشيق القيروانى؛ لأن الطغرثائ يُسَلِّى نفسه ويعزّيها، ويلتمس السلوى فيقول: «وإن علّانى هؤلاء الذين ذمّت دولتهم وأيامهم وهم دونى فى كل شيء فإن لى أسوة بكون الشمس منحطة عن زحل»<sup>(٢)</sup>.

أما بيت المتنبى فهو من الغرض الشعرى نفسه تقريباً؛ حيث يتحسر المتنبى على تلك الأيام التى عاشها حيث ساد فيها الصغار وولى أمور الناس ملوكٌ كالأرتب فى الذلة والضعف<sup>(٣)</sup>، ثم أخذ يسلى نفسه بعد ذلك ويعزّيها قائلاً لها: وهل يوجد شيء فى هذه الدنيا غير معوج؟ إن الأمور لا تجرى كما ينبغي أن تسير، بل هى تسير بالعكس دائماً، فلو لم يعمل إلا ذو محل أى لو لم يل أمر الناس إلا الشريف ذو المكانة العالية والمنزلة السامية والدرجة الرفيعة، لما تعالى القتّام أى الغبار فى المعركة، ولتعالى وارتفع الجبين الذى حقق النصر وأحرز الغلبة، وانحط الغبار، وعلى هذا فالغرض الشعرى واحد، وأكثر من هذا أن طريقة التعبير عن هذا الغرض الشعرى واحدة؛ حيث ضرب كل شاعر من الشعاعرين المثل على ما يقول فى الشطرة الثانية من بيته، ويعقب الصفدى على معنى بيت الطغرثائ بقوله «وهو مثل حسن، وفيه من البديع إرسال المثل والإيضاح»<sup>(٤)</sup> وذلك لأن الطغرثائ

(١) العمدة فى صناعة الشعر ونقده ص ٤٥٤ .

(٢) الغيث المسجّم: ج ٢، ص ٢٤٨ .

(٣) ديوان المتنبى هامش رقم ٧، ص ٧٣ .

(٤) الغيث المسجّم: ج ٢، ص ٢٤٨ .



قد عزي نفسه في الشطرة الأولى من البيت، ثم ضرب المثل في الشطرة الثانية، وكذلك فعل المتنبي من قبله؛ حيث تحدث عن اعوجاج الأمور وسيرها على غير ما ينبغي أن تسير عليه في الشطرة الأولى، وفي هذا عزاء وسلوى له، ثم ضرب المثل على اعوجاج الأمور بعد ذلك في الشطرة الثانية بتعالى الغبار وارتفاعه وسط ساحة المعركة مع أنه لا قيمة له ولا أثر، وكان ينبغي أن يتعالى الجبين صاحب النصر الحقيقي وصانعه.

ولعل بعد هذا التحليل أستطيع أن أزعم أن الصفدي ما أراد بقوله (اختلس) أنه نقل المعنى أو تصرف في الغرض الشعري ونقله إلى غرض آخر، وإنما أراد بمعنى اختلس معنى آخر تمامًا هو الأخذ أو السرقة، أو لعله قصد بها أن الطغرائي قد ملح معنى قول أبي الطيب، وهو يستخدم لفظ (لمح) ويضيفه إلى المعنى في كثير من تعليقاته النقدية كما سيأتي فيما بعد.

وإذا كان الصفدي قد رأى أن الطغرائي قد اختلس معنى بيته أو ملح معنى بيته من بيت أبي الطيب المتنبي، فإنه قد قرر فيما بعد أن الطغرائي قد أخذه من أبي الفتح البستي؛ قال الصفدي: «لا، بل أخذه صريحاً من أبي الفتح البستي حيث قال:

لَا تَعْجَبَنَّ لِذَهْرِ ظِلٍّ فِي صَبَبٍ      أَشْرَافُهُ، وَعَلَا فِي أَوْجِهِ السُّفْلُ  
وَأَنْقَضُ لِأَحْكَامِهِ أَنِّي تُقَادُ بِهِ      فَالْمُشْتَرَى السَّعْدُ يَعْلُو فَوْقَهُ رُحْلُ<sup>(١)</sup>

وحرى بنا أن نتوقف عند قوله «بل أخذه صريحاً» لأنها قد تفسر بعض التفسير ما يقصده بقوله اختلس التي في التعليق النقدي السابق أو في الشق الأول من هذا التعليق النقدي على بيت الطغرائي؛ فالصفدي يرى أن الطغرائي قد أخذ بيته من المتنبي، إلا أنه يرى في الوقت نفسه أن هذا الأخذ ليس بالواضح الجلي وإنما هو مستور خفي، ويرى أيضاً أنه قد أخذ بيته من أبي الفتح البستي ويرى في الوقت نفسه أن أخذه لبيته من البستي ظاهر لا يحتاج إلى تدقيق النظر، وإعمال الفكر للوصول إلى ما يزيد ذلك، وإذا كان الصفدي قد قال: «والطغرائي اختلس معنى

(١) الغيث المسجم: ج ٢، ص ٢٨١.



بيته من أبي الطيب، فهو بهذا القول قد حدد ما يقصده بعد ذلك بقوله: «لا بل أخذه صريحاً من أبي الفتح البستي»، فكأنه يريد أن يقول إن الطغرائي قد أخذ المعنى من المتنبي واللفظ من أبي الفتح البستي، وبمقارنة يسيرة بين ألفاظ بيت الطغرائي، وألفاظ البيت الثاني من أبيات البستي يتضح لنا ذلك تمام الوضوح؛ فالشطرة الثانية من بيت الطغرائي «لى أسوةً بانحطاط الشمس عن زحل» هي بعينها شطرة البيت الثاني الثانية في قول البستي «فالمشترى السعد يعلو فوقه زحل» إلا أن الطغرائي قد استخدم (الشمس) في التمثيل بينما استخدم البستي (المشترى) في التمثيل.

وهنا يرد سؤال له وجاهته في هذا المكان وهو: ولم هذا التحديد؟ ولم هذا الجزم بأن الصفدي يريد أن يقول إن الطغرائي قد أخذ المعنى من المتنبي واللفظ من البستي؟ مع أن المقارنة بين ألفاظ الشطرة الثانية من بيت الطغرائي وألفاظ الشطرة الثانية من بيت البستي الثاني تؤدي إلى الاقتناع بأن الأخذ الصريح الذي يقصده الصفدي لا يشمل اللفظ وحده، وإنما يشمل اللفظ والمعنى معاً؟

والجواب على هذا أن بيتي البستي لا يحتويان على معنى الطغرائي كاملاً، كما أن معنى الشطرة الأولى من بيت أبي الطيب هو معنى الشطرة الأولى من بيت الطغرائي.

والصورة الرابعة من صور تعبيره عن سرقة الطغرائي لبيت أبي الطيب هو قوله: «والأصل في هذا قول أبي الطيب «ففى تعقيبه على بيت الطغرائي»:

فِرَ بَنَّا فِى ذِمَامِ اللَّيْلِ مُعْتَسِفًا      فَتَفَحَّهَ الطَّيِّبُ تَهْدِينًا إِلَى الْحُلُلِ

قال الصفدي: «ومن قول الطغرائي قول التهامي:

يَتَرَكْنَ حَيْثُ حُلُلْنَ زَهْرَ لَطِيمَةٍ      عَمَّا يَشْرَنَ بِهِ الْعَبِيرَ وَطَاحَا

يَهْدِي ثَرَاهُ إِلَى الْبِلَادِ وَرُبَّمَا      حَبَّتْ بِرِيَّاهُ الرِّيحُ رِيَّاحَا

وقول الأرجاني:

بَلَّغَانِي مَنَازِلَ الْحَيِّ أَسْأَلُ      هَهَا مَتَيْفَارَقَتْ رُبَاهَا الْغَيْدَا

وَاسْتَدَلَا عَلَى الْجَمَى نَشْرَ مِسْكٍ      مِنْ مِجَرِّ الْجِسَانِ فِيهِ بُرُودَا

والأصل في هذا كله قول أبي الطيب:

وَيَفُوحُ مِنْ طِيبِ الشَّاءِ رَوَائِحٌ لَهُمْ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ<sup>(١)</sup>

وأظن أن الصفدي يقصد بقوله (والأصل في هذا كله) أصل المعنى لا أصل اللفظ، وهو في هذا الرأي النقدي قد عاد بنا إلى ممارسة هوايته المفضلة، إن جاز لي مثل هذا التعبير، حيث يغرم الصفدي كثيراً بتتبع المعنى وتعبه حتى يصل به إلى صاحبه الأول، والمعنى الذي عبر عنه الشعراء الثلاثة الطغرائي، والتهامي، والأرجاني، والذي يرى الصفدي أنه مأخوذ من المتنبي أو أن أصله عند المتنبي هو أن للحسناوات من طيب الشاء عليهن رائحة تفوح ويستشقها الناس في كل مكان، هذا هو المعنى الأصلي كما ورد عند المتنبي، ويرى الصفدي أن الطغرائي قد أخذ بيته أو معنى بيته من بيت المتنبي، ثم كان الطغرائي بعد ذلك الواسطة الذي انتقل من خلالها هذا المعنى إلى التهامي والأرجاني.

ويمتدح الصفدي معنى بيت الطغرائي بقوله «وهذا معنى لطيف، وتركيب رقيق»<sup>(٢)</sup> وهو بهذا يصف معنى بيت الطغرائي بالدقة ويصف ألفاظه بالرقّة أي بالسلاسة والعذوبة؛ لأن اللطف هو الخفاء، ولأن التركيب هو طريقة نظم الألفاظ. ويوضح الصفدي أن الطغرائي في هذا البيت يجري على ما جرت عليه سنة الشعراء من قبله فيقول: «وقد جرت عادة الشعراء أن يذكروا أن موطن الحبيب وأماكنه وما جاورها تنضوع بأنواع الطيب، وتتأرجح النسمات بنفحاته العطرة»<sup>(٣)</sup>.

ويستدل الصفدي على اتباع الشعراء لهذه السنة من قديم بأبيات للنميري في أخت الحجاج بن يوسف الثقفي قال الصفدي «وقال محمد بن عبد الله النميري في زينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفي من قصيدة:

نَضُوعٌ مِثْلًا بَطْنُ نُعْمَانَ إِذْ مَشَتْ      بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةِ خَفِرَاتٍ  
لَهُ أَرْجٌ مِنْ مَجْمَرِ الْهِنْدِ سَاطِعٌ      تَطْلُعُ رِيَاهُ مِنَ الْحُجُرَاتِ<sup>(٤)</sup>

(١) الغيث المجمع: ج ١، ص ٣٧٩.

(٢) السابق نفسه: ص ٣٧٧.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

وعلى أية حال فالذى يعيننا فى هذا المقام هو ثناء الصفدى على بيت الطغرائى لفظاً ومعنى؛ لأن فى هذا الثناء إشارة من وراء حجاب إلى تفوق الطغرائى على أبى الطيب، وهذا يدل على أن المعنى قد مر بثلاث مراحل: الأولى مرحلة صاحبه الأسمى وهو أبو الطيب، وقد كان المعنى فى هذه المرحلة بسيطاً ويفتقر إلى اللطف والرقّة، والمرحلة الثانية هى تلك التى وصل إليها على يد الطغرائى، والمرحلة الثالثة هى تلك التى فى أبيات التهامى والأرجانى.

الصفدى إذن قد استخدم أربعة تعبيرات مختلفة للدلالة على سرقة الطغرائى من المتنبي وهى قوله «وقول الطغرائى من قول أبى الطيب»، وقوله: «وهذا البيت مأخوذ من قول أبى الطيب»، وقوله «واختلس هذا المعنى من قول أبى الطيب» وقوله «والأصل فى هذا قول أبى الطيب».

بقى أن أشير إلى أن الصفدى قد ربط بين بعض أبيات اللامية وبعض أبيات أبى الطيب بالفاظ تدل على المشابهة كأن يقول «وهذا البيت يشبه قول أبى الطيب» وقد استخدم الصفدى هذا الأسلوب فى تعقيبه على قول الطغرائى:

أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفِّ أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ حُقُوقٍ لِلْعَلَى قَبْلَى  
 حيث قال «وقول الطغرائى فى هذا البيت والذى بعده»<sup>(١)</sup> يشبه قول أبى الطيب:  
 وَأَتَعَبُ خَلْتِ اللَّهَ مَنْ زَادَ هُمُّهُ وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهَى النَّفْسَ وَجَدُهُ  
 فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالٌ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ  
 وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيُورِ عَيْشِهِ وَمَرْكُوبُهُ رَجُلًا وَالشُّوبُ جِلْدُهُ  
 وَلَكِنْ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَى مَا لَهُ مَدَى يَشْتَهَى بِي فِي مُرَادٍ أَحَدُهُ<sup>(٢)</sup>

ولكن هل قول الطغرائى فى هذا البيت والبيت الذى بعده يشبه فعلاً قول أبى الطيب؟ وبمعنى آخر إلى أى مدى كان الصفدى على حظ من النجح والتوفيق فى الربط بين معنى هذين النصين الشعريين؟

(١) يقصد الصفدى قول الطغرائى:

وَالدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي وَيَقْنَعُنِي

(٢) الغيث المسجم: ج ١، ص ٢٣٠.



يشرح الصفدي معنى بيتي الطغراني فيقول: «أحاول من الزمان بسطة كفه من المال المنع لأجل الإعانة على وفاء حقوق استغرت في ذمتي للعلی... والذهب يعكس ما أؤمله وأرجوه من البسطة والرفعة، حتى أفنع من الغنيمة بالرجوع بعد التعب والمشقة»<sup>(١)</sup>.

فهو إذن يتحدث عن آماله وأحلامه وموقف الدهر منها حيث «مازال يعكس المقاصد، ويراقب الحية ويراصده»<sup>(٢)</sup>.

أما المتنبي فإنه في أبياته يصف ما يعانيه الإنسان الطموح من التعب والألم عندما لا يجد ما يستطيع به أن يحقق آماله وأحلامه، ويبين أن المجد والمال مرتبطان ببعضهما؛ حيث يستطيع صاحب المال أن يحرز المجد، بينما لا يستطيع من لا يملك المال أن يحرز المجد، ثم يصف الناس ويقسمهم إلى قسمين: راضٍ بمور عيشه وهين أمره، وطموح يحمل قلباً يطمح إلى أشياء كثيرة، عزيزة المال.

وعلى هذا فلا مشابهة بين بيتي الطغراني، وأبيات المتنبي التي أوردها الصفدي إلا من حيث إن كل واحد من الشاعرين يتحدث عن نفسه وحالته فقط، أما المعاني والأفكار فلا مشابهة بينها إلا إذا أولنا معنى بيت الطغراني الأول على أنه يصف تعب من قلة المال، ثم أولنا معنى البيت الثاني على أنه يصف تعب من أفاعيل الدهر به وآماله.

وهناك نص ثانٍ ربط فيه الصفدي بين بيت الطغراني، وتبين لأبي الطيب بهذه الطريقة أيضاً في ثنايا شرحه الأدبي لقول الطغراني:

لَعَلَّ إِمَامَةً بِالْجِزْءِ ثَانِيَةً      يَدَّبُ بِهَا تَسِيمُ الْبُرِّ فِي عَلِيٍّ

يقول: «وقول الطغراني يشبه قول أبي الطيب:

وَرَبَّيْعًا بَضَاحُ الْغَيْثِ فِيهِ      زَهَرُ الشُّكْرِ مِنْ رِيَاضِ الْمَعَالِي

(١) السابق نفسه ص ٢١٨، ص ٢٣٤.

(٢) السابق نفسه: ص ٢٣٤.

تَفَحَّثْنَا مِنْهُ الصَّبَا بِسِيمٍ رَدَّ رُوحًا فِي مَنِيَّتِ الْأَمَالِ<sup>(١)</sup>

ولعل التشابه الذى يقصده الصفدى بين قول الطغرائى وقول المتنبى هو فى تصوير الأمر الذى يحدثه الذهاب إلى مكان الحى من الجزع فى نفس الطغرائى، والذهاب لزيارة عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكى عند المتنبى؛ لأن كل واحد منهما جعل فى هذه الزيارة إحياءً له وبرءاً من أمراضه وأسقامه؛ فالطغرائى يطلب إمامة بمكان الحى من الجزع يحصل له بسببها ديبٌ نسيم البرء فى علسه التى كابدها من الأشواق، والمتنبى يجعل زيارة ممدوحه كزيارة سليمان ويوسف عليهما السلام وكزيارة الربيع الذى ينشئ الناس سببه ويحى فى الناس آمالهم وطموحاتهم التى أمانتها الجذب والإقفار.

هذا عن النصوص التى تبين تأثير الطغرائى بغيره وموقفه من السابقين واستفادته من معانيهم وطريقة صياغة هذه المعانى فى أبيات اللامية، ومنها يتضح لنا أن الطغرائى قد تأثر فيها أكبر تأثر بأبى الطيب المتنبى، وهذا بدهى ومنطقى وغير مستغرب على الإطلاق؛ لأن المتنبى قد ذهب فى ديوان الشعر العربى باعتداده بنفسه، والفخر بها، والتكبر والرفعة والشموخ، والتأبى على نواب الدهر، وديوان شعره يفيض بأروع القصائد فى هذا المجال الذى هو بعينه موضوع لامية الطغرائى، ومن ثم فقد كان متوقعاً أن يتأثر الطغرائى بالمتنبى، وأن يكثُر من السطو على معانيه وأفكاره، وأن يستفيد من طريقة صياغته لهذه المعانى وهذه الأفكار.

وبين الصفدى - أيضاً - أن الطغرائى قد تأثر بأبى العلاء المعرى، ومسلم بن الوليد، والشريف الرضى، وأبى تمام الطائى، وأبى نواس، والحريرى.

ثانياً: تأثر الشعراء والكتاب بمعانى وألفاظ لامية الطغرائى وألفاظها:

وليس معنى هذا أن الطغرائى كان عالمة فى شعره على غيره من الشعراء أو ليس له من صيغ التعبير والمعانى والأفكار الخاصة ما يمكن أن يكون خاصاً به، ووفقاً عليه؛ فكما تأثر الطغرائى بمن سبقه من الشعراء، تأثر بالطغرائى فى معانى لاميته وألفاظها بعض من أتى بعده من الشعراء والكتاب، وقد كان الصفدى يقف أحياناً فى بعض تعليقاته النقدية على تأثر بعض الشعراء والكتاب بالطغرائى فى لاميته ففى تعقيبه على البيت:

(١) الغيث: ج ١، ص ١٤.

أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا مَا أَضَيَّقَ الْعُمُرَ لَوْلَا فَسْحَةُ الْأَمَلِ

قال الصفدى: «وقد أخذ العماد الكاتب قول الطغرائى فقال:

وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا صَحَائِفُ نُورَخُ فِيهَا ثُمَّ تُمَحَى وَتُمَحَقُ  
وَلَمْ أَرْ شَيْئًا مِثْلَ دَائِرَةِ الْمُنَى تَوْسَعُهَا الْأَمَالُ وَالْعُمُرُ ضَيِّقُ»<sup>(١)</sup>

وحين نقارن بين قول العماد الكاتب، وقول الطغرائى، نجد أن العماد الكاتب قد أخذ شطرة بيت الطغرائى الثانية أخذًا سافرًا مما يدل على تأثره الشديد ببيت الطغرائى، ذلك التأثر الذى هيمن عليه فلم يستطع الانفلات منه مما جعله يأخذ المعنى واللفظ معًا.

ومن تأثر بالطغرائى فى لايته أيضًا الأرجانى الذى يرى الصفدى أنه سطا على معنى بيت الطغرائى:

وإِنْ عَلَانِي مَنْ دُونِي فَلَا عَجَبٌ لِي أَسْوَةٌ بِانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زُحَلٍ  
وذلك حيث يقول:

وَدَعَ التَّنَاهِي فِي طِلَابِكَ لِغُلَى وَاقِنْعُ فَلَمْ أَرْ مِثْلَ عِزِّ الْقَانِعِ  
فَبَابِعِ الْأَفْلَاكِ لَمْ يَحُلْ سِوَى زُحَلٍ وَمَجْرَى الشَّمْسِ وَسَطَ الرَّابِعِ

قال الصفدى: «وهذا المعنى أخذه من الطغرائى»<sup>(٢)</sup>، ويبين الدليل على ذلك فيقول: «لأن الأرجانى توفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة، والطغرائى سنة خمس عشرة وخمسمائة»<sup>(٣)</sup>.

والصفدى بذلك يجعل المعنى للأسبق أو للمتقدم من المتعاصرين؛ فالأرجانى والطغرائى متعاصران لأنهما عاشا معًا أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس، إلا أن الطغرائى كان أسبق وفاةً حيث توفى على ما يقول الصفدى سنة خمس عشرة وخمسمائة، بينما عاش الأرجانى بعد هذا التاريخ ثلاثين عامًا أو يقلون

(١) الأغنياء المجمع: ج ٢، ص ١٦٣.

(٢) السابق نفسه، ص ٢٥٠.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.



قليلاً حيث تُؤْفَى على ما يقول الصفدى سنة أربع وأربعين وخمسمائة هجرية  
ولهذا السبب - تأخراً وفاة الأرجاني عن الطغراني - حكم الصفدى للطغراني  
بالمعنى وحكم على الأرجاني بسرقة المعنى من صاحبه وهو الطغراني.

ولقد قارن الصفدى بين قول الطغراني وقول الأرجاني، وفضل قول الطغراني  
على قول الأرجاني وذلك حيث يقول «ولكن بيت الطغراني أبدع وأعذب وأطرب  
وأهز للأعطاف، وأغلب للقلوب، وإن كان بيت الأرجاني فيه زيادة أن الشمس  
في الرابع وزحل في السابع، ففيه زيادة بيان في الصورة الواقعة وبعْدُ الشفوات  
بينهما في المحل، وبيت الطغراني إنما يفهم منه علو زحل لا غير، فقد يظن أنه في  
الخامس»<sup>(١)</sup>.

وهذا التعليق النقدي يبين أن الصفدى يدرك الفرق الدقيق بين قولى الطغراني  
والأرجاني؛ فقول الطغراني يتفوق فناً على قول الأرجاني من ناحية الإبداع  
والعذوبة والجمال الذي يأسر القلوب، وبيت الأرجاني لا يتفوق على بيت  
الطغراني وإنما يزيد عليه في معناه بعض الشيء؛ حيث حدد الفلك الذى فيه زحل  
وهو السابع، والفلك الذى فيه الشمس وهو الرابع، وهذا التحديد إنما يشكل زيادة  
في بيان الصورة الواقعة فقط كما قال الصفدى، على أن بيت الطغراني لا يخلو  
من مثل هذا التحديد؛ حيث يفهم منه أن زحل يعلو الشمس، وهذا فى حد ذاته  
تحديد، إلا أنه ليس تحديداً كاملاً أو شاملاً؛ لأنه من الممكن أن يفهم منه أن زحل  
فى الفلك الخامس لا السابع، أى أنه من الممكن أن يفهم منه أن زحل يعلو  
الشمس بفلك واحد لا بثلاثة أفلاك.

وإذا كنا قد رأينا الصفدى فى هذا الرأى النقدي صريحاً فى اتهام الأرجاني  
بسرقة معنى بيته من الطغراني، فإنه فى موضع آخر يتذرع بالحيلة والحذر فى  
الاتهام يستخدم من أساليب التعبير فى الحكم النقدي ما يقل حدة عن (أخذ)،  
(سرق) حيث قال فى ثانيا شرحه الأدبى لبيت اللامية:

تَقَدَّمَ تَنِي أَنَسٌ كَانَ شَوَّطُهُمْ      وَرَاءَ خَطْوِي لَوْ أُنْشِيَ عَلَى مَهْلٍ

(١) السابق نفسه: ص ٢٥٠، ٢٥١.

«وما ينخرط في سلك قول الطغرائي ما قاله الأرجاني :

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ لِي صَبْرًا عَلَى هَذِي الْعَجَائِبِ  
وَمِنَ النَّوَائِبِ أَنَّنِي فِي مِثْلِ هَذَا الشَّغْلِ نَائِبٌ<sup>(١)</sup>

ولست أدري حقيقة كيف ينخرط ما قاله الأرجاني في سلك قول الطغرائي ؛  
فبين القولين بونٌ شاسع لأن الطغرائي يبالح في وصف «سوء الحال، وإخناء الزمان  
عليه بأن تعوقه الأيام والليالي عن السعي حتى يتقدمه الذين كانت نهايات  
أشواطهم إذا بلغوها وراء خطوة المتهمل»<sup>(٢)</sup>، أما الأرجاني فهو يعجب من صبره  
الطويل أو يُعَدِّ صبره على عجائب الدهر من الأمور العجيبة، على أية حال فلعل  
هذا البون الشاسع بين القولين «أى قول الأرجاني وقول الطغرائي» هو الذى أدى  
إلى لجوء الصفدى إلى الحذر والحيلة عند ربطه بينهما، وبمثل هذا الحذر وهذه  
الحيلة قال الصفدى فى ثنايا شرحه لبیت الطغرائي :

فَقُلْتُ أَدْعُوكَ لِلْجُلَى لِتَنْصُرَنِي وَأَنْتَ تَخَذُلْنِي فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ

«وما يبعد قول الطغرائي من قول الأرجاني :

فَإِنْ يَكُ أَعْدَائِي عَلَى تَنَاصُرُوا فَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ تَخَاذُلِ إِخْوَانِي  
وَكَمْ أَدْعُ لِلْجُلَى صَدِيقًا أَجَابَنِي وَكَمْ أَرْضَ خِلًا لِلْوِدَادِ فَأَرْضَانِي<sup>(١)</sup>

وقد كان الصفدى موفقاً فى الربط هنا بين قولى الطغرائي والأرجاني ؛ لأن  
هناك صلة ما بين القولين ؛ وهو بيان موقف الصديق من صديقه حين دعاه لنصرته  
والوقوف بجانبه، حيث التمس الطغرائي صاحبه لنصرته فإذا به يبادر بخذلانه،  
وبين الأرجاني أن تكالب أعدائه عليه إنما يرجع إلى انفضاض إخوانه من حوله،  
حيث دعا صديقه لنصرته فلم يجبه، فكما ابتلى الطغرائي بصاحبه وكان وبالاً عليه  
ابتلى الأرجاني بأصدقائه وكانوا نكالا عليه.

هذه هى الصلة بين النصين الشعريين، أو هذه هى الرابطة الجامعة بينهما، والتى  
جعلت معنى كل منهما يقترب من معنى الآخر مما جعل الصفدى يربط بينهما

(١) الغيث السجم : ج ٢، ص ٢١٦.

(٢) السابق نفسه : ص ٢١٠.

بقوله وما يبعد قول هذا من قول ذلك أو وما يبعد قول الطغرائي من قول الأرجاني.

ولما كان الصفدي يجعل أصل المعنى للمتقدم والأسبق، ويجعل التالي متأثراً بالاول، جاز لنا أن نقول بأن الأرجاني قد سرق قوله السابقين من قول الطغرائي المتقدمين أيضاً، أي أنه قد سرق قوله «ومن العجائب . . .» البيتين من قول الطغرائي «تقدمتني أناس . . .» البيت، وسرق قوله «فإن يك» البيتين من قول الطغرائي أيضاً «فقلت أدعوك» البيت. وهذا ما اعتقد أن الصفدي يميل إليه ويرجحه ويقول به كما يفهم من كلامه.

وعن تأثر بلامية الطغرائي أيضاً ابن الساعاتي؛ يقول الصفدي في تعقيبه أو شرحه الأدبي لبيت اللامية:

يحمون بالبيض والسمر اللدان به سواد الغدائر حمر الحلى والحلى

«ومن قول الطغرائي أخذ ابن الساعاتي قوله:

من أين يعرفن رعى العهد والذمم من الأطباء اللواتي لا دمام لها  
بيض الترائب سمر الخط يحجبها سود الذوائب حمر الحلى والنعم»<sup>(١)</sup>

ويوضح الصفدي أن ممن تأثر باللامية وسرق عنها أيضاً ابن قلاقس؛ ففي ثابا الشرح الأدبي لقول الطغرائي:

غاض الوفاء وقاض الغدر واتسعت مافة الخلف بين القول والعمل

قال الصفدي: «وأخذ ابن قلاقس قول الطغرائي فقال:

غَاضَ الْوَفَاءُ وَقَاضَ الْغَدْرُ مَا غَدْرَ أَنْهَارًا وَغَدْرًا  
وَتَطَابَقَ الْأَقْسَامُ فِي أَقْرَالِهِمْ سِرًّا وَجَهْرًا  
فَانْظُرْ بِعَيْنِكَ هَلْ تَرَى عُرْقًا وَلَسْتَ تَرَاهُ نُكْرًا؟»<sup>(٢)</sup>

(١) الغيث المجمع: ج ١، ص ٣٦٨.

(٢) الغيث المجمع: ٣٤٨/٢.



## المبحث الخامس

### الفنون البديعية في الشرح

إن الوقوف على ما بنص اللامية من فنون بلاغية، وعرضها، وتحليلها، كان ركيزة من الركائز التي تشكل في مجموعها معالم الشرح الأدبي لنص اللامية في الغيث، فقد كان الصفدي يشرح البيت الشعري شرحاً أدبياً يقوم على هذه الركيزة، وعلى ركيزتين أخريين هما: بسط المعنى الشعري الموجود في البيت بطلاً يعتمد على تسليط الضوء على ما لصيغ النص وعباراته من دلالات على معناه، والوقوف على معاني النص وألفاظه لبيان ما للطغرائي منها، وما ليس له منها.

وقد لاحظت أن الصفدي لم يلتزم بمنهج ثابت عند الحديث عن الفنون البلاغية في الشرح؛ حيث كان يوجز مرة، ويسهب أخرى، ويتحدث عن الفن البلاغي الموجود في النص حيث يعنى بتعريفه، وضرب الأمثال له من النصوص القديمة، ويبيان أثره في المعنى مرة، ويغفل هذا جميعه مرة أخرى.

وسوف أقف في هذا المبحث على ما أورد من الفنون البديعية في الغيث، حيث أفرد لكل فن من هذه الفنون حديثاً خاصاً به.

#### ١- الجناس:-

تحدث الصفدي عن هذا الفن البديعي في مواضع شتى من الغيث كان أطولها عند الحديث عن قوله تعالى ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥] إذ أورد الصفدي ما قاله البلاغيون في سبب عدول الآية الشريفة عن لفظ (تَدْعُونَ) الذي هو بمعنى (تذرون) أى تتركون، وإشار هذا اللفظ الثانى مع أن استخدام اللفظ الأول يؤدي إلى تحقيق المعنى مع زيادة الجناس عليه، ثم لم يرض الصفدي بهذا السبب الذى ذكره البلاغيون، وأخذ يشرح الأسباب التى يرى أن المولى - تبارك وتعالى - قد استخدم لأجلها كلمة (تذرون)، وقد كان فى الحديث عن هذه الآية الشريفة مجالاً رحب للحديث عن الجناس كمحسن بديعى من تلك المحسنات البديعية التى قد تأتى بعفوية فتقبل ويحسن وقعها فى السمع، وقد تأتى متكلفة فتُمنَح وتنبو عنها الأذواق والأسماع.

قال الصفدى: «وذكرت هنا قوله تعالى ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ قالوا: ما الحكمة فى العدول عن أن يقول: «أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ» إلى ما أتى به لفظ القرآن مع أن المعنى واحد، فإن يدع مثل يذر، ويكون فى اللفظ زيادة الجنس وهو من أنواع البديع الذى هو أحد أثافى البلاغة؟ وأجيب بأنه لو أتى على هذه الصفة لاحتمل التحريف فى اللفظ ويقال بالعكس أى «أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ» بتحريك الدال من الأول وسكونها من الثانى. هذا الذى ذكره»<sup>(١)</sup>.

هكذا أورد الصفدى الآية، والسؤال الذى أثير بشأن استخدام القرآن للفظ (تذرون) بدلاً من (تَدْعُونَ) التى هى بنفس معناها، وجواب العلماء عليه.

وكما قلت لم يقتنع الصفدى بهذه الإجابة، وذلك لأنهم قالوا إن السبب فى العدول عن لفظة (تَدْعُونَ) هو منع التحريف فى اللفظ، والصفدى يرى أن هذا السبب «ليس بشئ» لأن سياق الكلام وقربة اللفظ والحال يمنعان من هذا الوهم ويبطلان هذا التحريف»<sup>(٢)</sup> وذلك لأن الله - تبارك وتعالى - ينكر على الكافرين اتخاذهم الأصنام والأوثان آلهة من دون الله تعالى وهذا يفهم من سياق الكلام، وليس هذا وحسب بل إن بالكلام «قرينة توجه الإنكار على دعاء الصنم وترك أحسن الخالقين»<sup>(٣)</sup> وهى قوله تعالى ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾.

هذا هو السبب الذى جعل الصفدى يرفض قول القائلين بالعدول عن لفظة تدعون لمنع التحريف، والصفدى حين يرفض هذا رأى يتبنى رأياً ثانياً يقوم على أن القرآن الكريم أعذب فى لفظه، سهل فى تراكيبه، لا يحتاج إلى مثل هذه اللفظة لتحقيق لوناً من الجنس لا تقبله الأذن لثقله وتكلفه؛ قال الصفدى «والجواب أن لفظ القرآن الكريم أعذب فى السمع، وأخف على اللسان، فإن تكرار الحروف على اللسان بالثقل والخفة أعقد، ويحتاج إلى إحضار الذهن لئلا يقع التحريف وينطق بالأول كالثانى وعكسه»<sup>(٤)</sup>.

(١) الغيث ج ٢ ص ٦٣.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.



وقد وجد الصفدي نفسه بعد هذا الكلام بحاجة إلى بيان موقفه من هذا المحسن البديعي، أو بتعبير آخر بحاجة إلى بيان المواضع التي يحسن فيها الجناس، والمواضع التي يقبح فيها؛ فقال «الجناس وإن كان من أنواع البديع لكن بعض صورته مستثقل»<sup>(١)</sup>.

ويضرب الصفدي المثل على الجناس المستثقل بقول ابن الفارض:

أما لك عن صدّ أما لك عن صدّ      لظلمك ظلمًا منك مِلْ لِعَظْفَةٍ  
وبقوله من نفس القصيدة:-

فَرُحْنٌ بِحُزْنٍ جَارِعَاتٍ بَعِيدًا      فَرُحْنٌ بِحُزْنٍ الْجَزَعُ بِي لَشَيْبَتِي

ويعلق على البيت الأول فيقول «فانظر إلى استئصال البيت الأول لما فيه من جناس التحريف في (صدّ) و(صدّ)؛ الأول من الصدود، والثاني صدّ أي عطشان، وفي (ظلم) و(ظلم) الأول: (الظلم) بالفتح وهو الريق، والثاني بالضم وهو الجور مع التقدير فيه أما لك مِلْ لِعَظْفَةٍ عن صدّ أمالك ظلمًا منك عن صد لظلمك؛ (فأما لك) الأولى مركبة من همزة الاستفهام وما النافية ولام الجر وكاف الخطاب، و(أمالك) الثانية مركبة من فعل ماض من الإمالة، وكاف الخطاب»<sup>(٢)</sup>.

ويعلق على البيت الثاني بقوله: «أما البيت الثاني ففيه (فرحن) مرتين: الأولى: الفاء فاء العطف و(رُحْنٌ) فعل ماض من الرواح لجماعة الإناث، والثانية فعل ماض من الفرح لجماعة الإناث أيضًا، والراء في الأولى مضمومة، وفي الثانية مكسورة، وفيه الحزن مرتين الأولى بضم الحاء ضد الفرح، الثانية بفتح الحاء من الأرض ضد السهل»<sup>(٣)</sup>.

ولا شك أن الصفدي مُحِقٌّ في استئصاله لهذا الجناس في بيتي ابن الفارض؛ لأنه بهذه الصورة التي جلاها الصفدي في شرحه وتعليقه قد تبين أنه لم يأت بعفوية وتلقائية وإنما بتكلف، وتصنع مما جعله مجبوراً غير مقبول لثقله، وقد عبر الصفدي عن ذلك بقوله «ولهذه الألفاظ التي عقدها عقد الميزان لأجل الجناس صار كلامه وحشياً من العوام، بل من بعض الخواص الذين لم يتمهروا في الأدب»<sup>(٤)</sup>.

(١) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) الغيث ج ٢ ص ٦٣، ص ٦٤.

(٣) السابق نفسه، ص ٦٤.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.



وكما تحدث الصفدي عن جناس التحريف في شعر ابن الفارض فقد تحدث عن جناس التصحيف في شعره أيضاً، وبين أنه كسابقه حيث كان شيوعه في شعره سبباً في ضعفه، وقلقه، ونبو الذوق عنه؛ قال الصفدي: «ومن الجناس المستقل جناس التصحيف كقوله أيضاً:-

وما احترت حتى اخترتُ حيكَ مذهباً فواحيرتى إن لم تكن فيك خيرتى ومنها:

وَجَدْتُ بِسَيْفِ الْعِزْمِ سَوْفَ فَإِنْ تَجَدُّ تَجِدُ نَفْساً فَالْتَفَسُ إِنَّ جُدْتَ جَدْتُ<sup>(١)</sup>  
ويعلق على هذين البيتين بقوله «فإنه في البيت الأول احترت من الحيرة، واخترت الثانية من الاختيار، وفي الثاني تجد الأول من الجود والثانية من الوجدان، وهذه الأشياء لا يخفى على ذى الذوق السليم ما فيها من الاستقمال»<sup>(٢)</sup>.

وليس معنى هذا الكلام أن الصفدي يقلل من شأن ابن الفارض، ويحط من قدره شاعراً، لأنه يدرك تماماً قيمة الرجل ومكانته، ويدرك قيمة شعره، ويعرف بجيده منزله؛ قال الصفدي «ولم أقل هذا الكلام جهلاً بمقدار الشيخ شرف الدين ابن الفارض - رحمه الله - وأنه لم يكن من الفصحاء، ألا ترى إلى قصائده التي أخلاها من الجناس مثل الميميتين، والجسيمية، واللامية، والمهموزة وغيرها؛ فما أرقها وأحلاها»<sup>(٣)</sup>.

ويعود الصفدي ليركز على ضرورة عدم الإكثار من الجناس حتى لا يُمل فيقول: «الجناس إذا كثّر في الكلام مل»<sup>(٤)</sup> إلا أنه يربط ذلك الملل الذي ينشأ عن كثرة اللجوء إلى الجناس كمحسن بديعى بالتكلف والتصنع، أما إذا كان عفواً وجاء بتلقائية فلا شئ فيه؛ قال الصفدي: «والجناس إذا كثّر في الكلام مل، اللهم إلا أن يكون سهل التركيب، ليس على المتكلم فيه كلفة»<sup>(٥)</sup>.

(١) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) السابق نفسه، ونفس الصفحة.

(٣) السابق نفسه ص ٦٤، ص ٦٥.

(٤) السابق نفسه ص ٦٥.

(٥) الفيت المسجّم ج٢ ص ٦٥.

ويضرب الصفدى أمثلة على الجناس غير المستقل الذى يأتى دون كلفة بقول المعتمد بن عباد وقد قالت له جاريته وهو بسجن أغمات «يا مولاي لقد هنا هنا»:

قالت لقد هنا هنا      مولاي أين جاهنا  
قلت لها إلهنا      صبرنا إلى هنا

ويقول الشيخ زين الدين عمر بن الوردي:

دهرنا أمسى ضينا      باللقبا حاتى ضينا  
يا لىالى الوصل عودى      واجمعينا أجمعينا

ويقول إحدى جوارى القاضى الفاضل له وقد تعبت فى بعض مرضاته: «والله يا سيدى ما لنا قدرة على مرضاتك فى مرضاتك»<sup>(١)</sup>.

ويورد الصفدى أمثلة أخرى على جناس التحريف عندما يورد أبيات أبى الفتح البستي:

من جعل الصبر فى مقاصده      وفى مراقبه سلما سلما  
والصبر عون الفتى وتاصره      وقل من عنه ندما ندما  
كم صدمة للزمان منكورة      لما رأى الصبر صدم ما صدم  
فاصبر فإن الزمان عن كذب      يأسو على الرغم كلما كلما

ويعلق الصفدى على هذه الأبيات بقوله «وفى هذه الأبيات الجناس الذى يسميه أرباب البديع جناس التحريف»<sup>(٢)</sup> والصفدى لم يحتاج أن يبين المواطن التى تشتمل على جناس التحريف فى هذه الأبيات لوضوحها وظهورها، وقد جانس أبو الفتح البستي بين قوله (سلما)، وقوله (سلما) فى البيت الأول، كما جانس بين (ندما)، و(ندما) فى البيت الثانى، وبين (صدما)، و(صدما) فى البيت الثالث، وبين (كلما)، و(كلما) فى البيت الرابع.

ويتحدث الصفدى عن لون آخر من ألوان الجناس وهو الجناس المرفوع، وقد اشترط فى هذا اللون من الجناس شرطاً «وهو أن يكون أحد ركنى الجناس مركباً من جزئين أولهما حرف من حروف المعانى»<sup>(٣)</sup>.

(١) تراجع هذه الشواهد فى الجزء الثانى من الغيث ص ٦٥.

(٢) الغيث ج ١ ص ٧٧.

(٣) السابق نفسه ص ٣٠٢.

وقد مثل له بقول أبى الفتح البستي أيضاً:

عَوَّلُ عَلَى رَأْيِهِ إِذَا حَزَبَتْ      نَائِبَةٌ مِنْ نَوَائِبِ الزَّمَنِ  
فليس فى الأرضِ مَعْقِلٌ أَشَبُّ      كَرَأْيِهِ مِنْ كَرَائِهِ الْمِحَنِ

ويعلق على هذين البيتين وما بهما من الجناس المرفوع بقوله «هذان الجناسان فى هذين المقطوعين من أنواع الجناس المرفوع»<sup>(١)</sup>.

وقد عَقَّبَ فى نهاية تعليقه على هذين البيتين بقوله: «وقد ذكرتُ ذلك مستوفى فى كتابى المسمى جنان الجناس»<sup>(٢)</sup>.

وتحدث الصفدى عن لون رابع من ألوان الجناس وهو الجناس بالقلب، وهو أن يكون أحد ركنى الجناس مقلوب الآخر، وقد ذكر الصفدى فى كتابه جنان الجناس الصور المختلفة التى يأتى عليها هذا اللون من ألوان الجناس، وتحدث فى الغيث لا عن هذه الصور جميعها، وإنما تحدث عن ثلاث صور وحسب وهى التى تهمنى هنا بطبيعة الحال، وأولُ صور الجناس بالقلب التى تحدث عنها الصفدى تلك الصورة التى سماها قلبَ البعض وقد جاء الحديث عنها من خلال حكمة للكاتب العباسى ابن المقفع حيث قال: «وكان ابن المقفع يقول: إذا نزل بك أمرٌ مهم فانظر فإن كان لك فيه حيلة فلا تعجز، وإن كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع»<sup>(٣)</sup>.

هكذا أورد الصفدى كلامَ ابن المقفع ثم عنب على ما فيه من حسن فقال: «وما أحسنَ قوله تعجز وتجزع وهذا الذى يسمى قلب البعض، وهو معدود عند أرباب البديع من الجناس كقولك: رقيب وقريب»<sup>(٤)</sup>.

وتحدث الصفدى عن صورة أخرى من صور الجناس بالقلب تلك التى يكون الكلام فيها «بمجموعه يقرأ من آخره إلى أوله كما يقرأ من أوله إلى آخره»<sup>(٥)</sup> قال الصفدى «ولا بد من إيراد نوع آخر من القلب وهو أشرف من الأول، وهو أن

(١) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) الغيث المسجم ج١ ص ٢٩٢.

(٤) السابق نفسه، ونفس الصفحة.

(٥) جنان الجناس ص ٧٣.



الكلمة وما فوقها لا يتغير معناها بالقلب، وقد عبر عنه الحريري في مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس ومثله بقوله ساكب كاس ومثله قوله تعالى ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ [يس: ٤٠] وقوله تعالى ﴿رَبِّكَ فَكَبِّرُ﴾ [المدثر: ٣]. ومنه قوله ﷺ: «يقال لصاحب القرآن يوم القيامة: اقرأ وارقا»<sup>(١)</sup>...<sup>(٢)</sup>.

ومضى الصفدي يذكر أمثلة كثيرة لهذا النوع من القلب من كلام القاضي الفاضل، والعماد الكاتب، والأرجاني الشاعر، وكمال الدين بن النبيه، وغيرهم إلى أن وصل إلى الحديث عن الصورة الثالثة من صور الجناس بالقلب، وهي تلك الصورة التي أطلق عليها اسم مجنح القلب، وهي تلك التي يكون فيها «كل كلمة بمفردها تقرأ مقلوبة بنفسها»<sup>(٣)</sup> على أن يكتنف هذا النوع طرفي البيت أو السجعة على حد قوله، ومثل له بقول الشاعر:

رَقَّتْ شَمَائِلُ قَاتِلِي      فَلِذَاكَ رُوْحِي لَا تَقْـرَ  
رَدَّ الْحَبِيبُ جَوَابَهُ      فَكَأَنَّهُ فِي اللَّفْظِ دُرٌّ<sup>(٤)</sup>

ويتحدث الصفدي عن هذا النوع من أنواع الجناس بقوله «وقد سميت أنا هذا النوع مجنح القلب، وفي هذه التسمية تورية مطبوعة»<sup>(٥)</sup>.

ولقد راق هذا اللون من ألوان الجناس للصفدي إلا أنه أراد أن يكمله لأنه رأى أن كلمة (تقر) ثلاثية الحروف، وأن كلمة (در) ثنائية الحروف فقال لنفسه «لو اتفق الكلمتان في العدد لكان أكمل في الصناعة»<sup>(٦)</sup> وامتحن خاطره في نظم شيء من هذا النوع كاملاً فوق إلى شيء من ذلك فقال:

رَضَّتْ فَوَادِي غَادَةً      مَا كُنْتُ أَحَبَّهَا تَضُرُّ  
رَدَّتْ رَسُولِي خَائِبًا      فَمَدَامَعِي أَبَدًا تَدِرُّ<sup>(٧)</sup>

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ٣ ص ١٩٢.

(٢) الغيث المسجم ج ٢ ص ٤٥٦.

(٣) جنان الجناس ص ١٧٤.

(٤) الغيث المسجم ج ٢ ص ٤٥٧.

(٥) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٧) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

وقد أتى حديثه عن هذا الفن البديعي في ثنايا شرحه للبيت العاشر من أبيات  
اللامية:

وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمَحِ مَعْتَقِلٍ      بِمِثْلِهِ غَيْرُ هِيَابٍ وَلَا وَكِلٍ

حيث بين ما بالبيت من الالتفات، ثم عرف هذا الفن البديعي، وبين رأيه في  
الاقتضاب حيث يعتقد أنه نوع من الالتفات، ثم عاب تعريف ابن الأثير للالتفات  
ورد عليه، وأخذ بعد ذلك يتحدث عن أقسام الالتفات الثلاثة حديثاً مدعماً  
بالشواهد القرآنية والشعرية، وقد اهتم الصفدي بشرحها وبيان ما فيها من الالتفات  
ثم تحدث في نهاية المطاف عن فوائد الالتفات وقيمتها البديعية.

ففي الحديث عما بهيت الطغراني من الالتفات بقول الصفدي «أخذ يصف  
صاحبه، ويعدد ما هو عليه من كمال الخُلُقِ والخَلْقِ، والصفات التي تطلب من  
رفاق السفر في الليل من الشجاعة والإقدام وغير ذلك، فقد التفت إلى هذا  
فاقتضب بما كان يشرحه ويوضحه من حاله ومقامه في بغداد وغربته وفقره وعدم  
أصحابه، وعكس مقاصده، ووصف هذا الرفيق»<sup>(١)</sup>.

هكذا تحدث الصفدي عما بالبيت من الالتفات أو الاقتضاب الذي هو نوع من  
أنواع الالتفات على ما سيأتي بعد، ثم عرف هذا الفن البديعي بقوله: «والالتفات  
عادةُ البلغاء فيلتفتون من فن إلى فن، ومن أسلوب إلى أسلوب على عادة العرب  
في كلامهم»<sup>(٢)</sup>.

وبعد ذلك انتقل للحديث عن الاقتضاب فقال: «وأرى الاقتضاب نوعاً من  
الالتفات كقول أبي نواس في قصيدته النونية بيتاً يصف الخمر ويقول من ذلك:

مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِ فَتًى      قَدَرَى مَا لَوَعَةُ الْحُزَنِ

إذ اقتضب ذلك وقال بعده:

تَضَحَّكُ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ      قَامَ بِالْآثَارِ وَالسُّنَنِ»<sup>(٣)</sup>

(١) الغيث ج ١ ص ٢٥٦.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) الغيث ١/ ٢٥٦.

وعاد ليطبق هذا الكلام على بيت الطغرائي فقال «وكذلك الطغرائي بينا هو في ذكر حاله، وما هو عليه من شكوى الزمان إذ اقتضب ذلك، وأخذ في وصف صاحب الذي ذكره، فهذا الالتفات من نوع إلى نوع»<sup>(١)</sup>.

ويوسع الصفدي دائرة الالتفات ولا يضيّقها مثلما فعل ضياء الدين بن الأثير حيث رأى أن الالتفات هو الرجوع من الخطاب إلى الغيبة، والرجوع من الغيبة إلى الخطاب وحسب، بينما يرى الصفدي أن الالتفات أوسع دائرة من ذلك حتى إنه ليعتبر التخلص لوئاً من ألوان الالتفات؛ قال الصفدي: «وقول ابن الأثير في المعاني المبتدعة، وتغليطه الناس في الالتفات، ومشاحه من أدخل في الالتفات ما ليس من شرطه، وهو أن الالتفات الرجوع من الخطاب إلى الغيبة أو بالعكس، تحكم منه، وإنما الالتفات هو الخروج من نوع إلى نوع، وسلوك سبيل بعد سبيل، حتى إن التخلصات هي نوع من الالتفات، ولكن خروجها متصل بمناسبة بين الغزل والوصف أو غير ذلك، وبين المدح»<sup>(٢)</sup>.

ويتحدث الصفدي عن أقسام الالتفات فيقول: «وأرباب البلاغة يسمون الالتفات شجاعة العربية، وهو ينقسم ثلاثة أقسام: الأول: الرجوع من الغيبة إلى الخطاب وبالعكس، فالأول: كقوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ثم قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] انتقل من الغيبة إلى الخطاب، والثاني: كقوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴿[الفاتحة: ٦، ٧] انتقل من الخطاب إلى الغيبة»<sup>(٣)</sup>.

ولا يمضي الصفدي في الحديث عن القسمين الآخرين من أقسام الالتفات دون أن يوفى هذا القسم الأول حقه في الشرح والإيضاح، حيث تحدث عن سبب العدول من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَا لِكَ يَوْمَ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ فقال «وأقول إنما عدل في الأول من الغيبة إلى الخطاب لأن الحمد دون العبادة، ألا تراك تحمد نظيرك ولا

(١) السابق نفسه ص ٢٥٦، ص ٢٥٧.

(٢) السابق نفسه ص ٢٥٧.

(٣) الفيت ج١ ص ٢٥٧.



تعبده؛ فكان القارئ توسل إلى الأعلى بالأدنى، وإلى الخطاب بالغيبة على سبيل التدرج إلى الغاية، ولم يخاطب الله من أول وهلة.

قَدَّمَ يَدًا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْنِي يَدًا      وَمَبْرَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْنِي فَمَا  
فَكَانَهُ أَثْنَى عَلَيْهِ أَوْلَا ثُمَّ خَاطَبَهُ ثَانِيًا<sup>(١)</sup>.

ويتحدث عن سبب العدول من الخطاب إلى الغيبة في قوله عز شأنه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيقول «وفي الثاني إنما عدل عن الخطاب إلى الغيبة لأن المقام مقام سؤال وتعطف وطلب هداية ورحمة من الله تعالى، فلو قال غير الذين غضبت عليهم» لكان قد نسب الغضب إليه تعالى، وكان بمنزلة من يقول: أنت تنعم وتنتقم، وتعفو وتؤاخذ، وفي هذا من المواجهة لمن يطلب إحسانه ورحمته وهدايته ما فيه؛ لأنك تذكره بما له عليك، أما إذا قلت: أنت المتعم الذي لا يغضب، والعفو الذي لا يؤاخذ، كنت قد أتيت بما زاده عطفًا عليك، وأغراه بالعفو عنك»<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن وقى الصفدى هذا القسم الأول من أقسام الالتفات حقه مضى ليتحدث عن القسم الثاني فقال «والثاني من أقسام الالتفات الرجوع عن الفعل المستقبل إلى الأمر، وعن الماضي إلى الأمر؛ فالأول كقوله تعالى ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي...﴾ [هود: ٥٤، ٥٥] انتقل من الاستقبال إلى الأمر، والثاني: كقوله تعالى ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩]»<sup>(٣)</sup>.

ويقف الصفدى برهة ليتحدث عن الأسباب التي أدت إلى العدول عن الاستقبال إلى الأمر في الآية الأولى، وعن الماضي إلى الأمر في الآية الثانية فيقول: «أقول: إنما عدل في الآية الأولى عن المستقبل إلى الأمر لثلاث يساوي بين شهادة الله تعالى وشهادتهم؛ فلم يقل أشهد الله وأشهدكم، وإنما عدل في الآية الثانية عن

(١) الغيث المسجم ج١ ص ٢٥٧.

(٢) السابق نفعه، والصفحة نفسها.

(٣) الغيث ج١ ص ٢٥٨.

الماضى إلى الامر؛ لأن لفظ الامر فيه العناية بما أمر به، فإذا قلت: أمرتك بالقيام وصلّى الله تعالى كان أبلغ من قولك أمرتك بالقيام والصلاة<sup>(١)</sup>.

أما القسم الثالث من أقسام الالتفات فهو «الإخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل، وبالعكس؛ فالأول كقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [فاطر: ٩] انتقل من الماضى إلى الاستقبال، والثانى كقوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرِعَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ...﴾ [النمل: ٨٧] انتقل من الاستقبال إلى الماضى<sup>(٢)</sup>.

ويشرح الصفدى أسباب هذا الانتقال فيقول «إنما عدل في الأول عن الماضى إلى الاستقبال طلباً لاستحضار حال تلك الصورة البديعة كأن المستقبل فى الانتظار والتوقع، فيطلب بذلك التهيؤ والتطلع لوقوع الحال، بخلاف الماضى فإنه أمر فرغ منه، وليس للنفوس إليه تطلع، وفى الثانى إنما عدل عن الاستقبال إلى الماضى، لأن الماضى أمر وقع وصح وثبت وتحقق كونه، ولما كان الحشر وفرغ أهل السماوات والأرض أمراً مطلوباً ثبوته وتحققه، أخبر عنه بالماضى الذى وقع وجزم العقل به بخلاف الاستقبال فإنه أمر مظنون يحتمل وقوعه وعدمه<sup>(٣)</sup>.

وبدا الصفدى فى كل التعقيبات التى عقب بها على أنواع الالتفات المختلفة والشواهد القرآنية ذا ذوق سليم، وذا دراية بالقرآن الكريم وإعجازه، وهو يتخذ من هذه المعانى التى خلعتها الالتفات على النصوص القرآنية السابقة شاهداً على قيمة هذا الفن البديعى فى تحقيق إعجاز القرآن الكريم، وقد قال فى ذلك: «فانظر إلى ما أعطى الالتفات فى هذه المواضع من المعانى، وأفادها من الحكم، فتبارك الله الذى أنزل القرآن وجعله معجزاً نأت غايته عن البشر، وبعدت مرامى معانيه وحكمه عن المعارضة والإتيان بمثله أو بسورة منه، تنزيل من حكيم حميد<sup>(٤)</sup>.

وينقل الصفدى عن الزمخشري ما قاله فى فائدة الالتفات حيث قال: قال

(١) السابق نفسه، ونفس الصفحة.

(٢) الغيث ج١ ص ٢٥٨.

(٣) السابق نفسه ص ٢٥٨، ص ٢٥٩.

(٤) الغيث ج١ ص ٢٥٩.

الزمخشري: والالتفات من أسلوب إلى أسلوب تطريةً لنشاط السامع وطلباً للإصغاء إليه<sup>(١)</sup>.

ومعنى هذا أن الالتفات فيه تهيئة للذهن، ويؤدي إلى تجديد نشاط السامع، ويدفع عنه ما قد يشعر به من السأم والملل إذا طال حبل الكلام، لأن المستمع بحاجة دائماً إلى الترويح عنه، والتثقل به من موضوع إلى موضوع، ومن فن إلى فن.

ويطبق الصفدي هذا الكلام على ما فعله الطغرائي في اللامية يقول: «قلت: ألا ترى أن الطغرائي لما أخذ في وصف حاله وما هو فيه من النكد وضيق الحال كأنه أطال على المخاطب في ذلك، وأحس منه بالملل، فالتفت إلى وصف هذا صاحب الذي رافقه فأنشأ للسامع معنى غير الأول بعث له نشاطاً جديداً، واستأنف له إصغاءً آخر، وجدد له تطلعاً يتشوف معه إلى الوقوف على هذا الخبر الثاني، وهذا غير خاف»<sup>(٢)</sup>.

### ٣- الموازنة، ولزوم ما لا يلزم:-

وقد تحدث الصفدي عن هذين الفنين البديعيين في ختام شرحه الأدبي للبيت الأول من أبيات اللامية وهو قول الطغرائي:

أصالة الرأي صانتي عن الخطل وحلية الفضل زانتي لدى العطل

حيث قال: «وفي بيت الطغرائي من البديع لونا؛ وهما الموازنة في (صانتي) و(زانتي)، وفيهما الترصيع، والنوع الثاني: لزوم ما لا يلزم؛ فإنه التزم الطاء في (الخطل)، و(العطل)»<sup>(٣)</sup>.

وقد أشرت في غير هذا الموضع إلى ما في هذا الحديث عن هذين الفنين البديعيين من الاقتضاب والاختصار، وبينت أنه كان ينبغي على الصفدي أن يشرح هذين الفنين، ويلقى مزيداً من الضوء على ما حققاه في البيت من جمال، وعلى ما أدياه ويؤديانه في البيت الشعري عموماً من الموسيقى.

(١) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) الغيث ٨٦/١، ٨٧.



#### ٤- عتاب المرء نفسه:

وقد تحدث الصفدى عن هذا الفن البديعى فى أثناء شرحه الأدبى للبيت الثالث من أبيات اللامية وهو قول الطغرائى:

فِيمَ الإِقَامَةُ بِالزُّوراءِ لَا سَكْنِيْ  
بِهَا، وَلَا نَاقَتِيْ فِيْهَا وَلَا جَمَلِيْ؟

حيث قال: «قول الطغرائى فيم الإقامة؟ هذا النوع تسميه أرباب البديع: عتاب المرء نفسه، وهو من إيراد ابن المعتز، ولم ينشد فيه سوى بيتين وهما:

عَصَانِيْ قَوْمِيْ وَالرَّشَادُ الَّذِي بِهِ  
فَصَبْرًا بَنِيْ بَكْرٍ عَلَى الْمَوْتِ إِنَّنِيْ  
أَمَرْتُ وَمَنْ يَعْصِي الْمَجْرَبَ يَنْدَمُ  
أَرَى عَارِضًا يَنْهَلُ بِالْمَوْتِ وَالْدَّمُ»<sup>(١)</sup>

#### ٥- صحة التقسيم:

وقد جاء الحديث عن هذا الفن البلاغى من فنون البديع فى ثنايا الشرح الأدبى للبيت الخامس من أبيات اللامية؛ حيث أورد البيت:

وَلَا بَدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي مَرَّةٍ  
يُؤَاسِيكَ أَوْ يُنْلِكَ أَوْ يَتَّوَجَّعُ

ثم قال «وقول الشاعر ولا بد من شكوى .. هذا البيت وأمثاله يسميه أرباب البديع صحة التقسيم، أوردوا فيه قول البحتري:

قَفْ مَشُوقًا أَوْ مُسْعِدًا أَوْ حَزِينًا  
أَوْ مُعِينًا أَوْ عَازِرًا أَوْ عَذُولًا»<sup>(٢)</sup>

ولما أورد الصفدى بيت البحتري أورد كلام ابن الأثير عليه فقال: «قال ابن الأثير الجزرى فى المثل السائر: هذا من فساد التقسيم؛ فإن المشوق قد يكون حزينًا، والمعد قد يكون معينًا، وكذلك قد يكون المعد عاذرًا»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا عدّ البلاغيون قول البحتري من باب هذا الفن البديعى المسمى بصحة التقسيم، بينما يرى ضياء الدين بن الأثير أن باليت شيئًا من فساد التقسيم، ولم يكن الصفدى ليترك هذا الرأى من آراء ابن الأثير دون أن يرد عليه ويفنده؛ قال الصفدى: «قلت: فيما ادعاه ابن الأثير نظر؛ إذ ليس كل مشوق حزينًا؛ لأن

(١) السابق نفسه ص ١٢٠.

(٢) الغيث المسجم ج١ ص ١٥٧.

(٣) السابق نفسها، والصفحة نفسها.

الحزون قد يكون غير مشتاق لأنه قد يكون الحبيب عنده غير غائب عن عيانه ولكنه معرض عنه، غير ملتفت إليه، فهنا الحزن موجود من غير شوق، ولا يرد هنا قول القائل:

وَكِدْتُ وَهُوَ ضَجِيعِي أَنْ أَقُولَ لَهُ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ قَدْ أَبْعَدْتَ فَأَقْتَرِبَ  
فإن هذا من المبالغة في الحب الذي لا يشفيه قرب، ولا يبلِّغ غليله دُؤْوًا<sup>(١)</sup>.

وبعد أن استطرد الصفدي فأورد آياتاً أخرى في المبالغة في الحب قال «رجع: ولا كل مسعد عاذراً، فإن الإنسان قد يساعد صاحب البلية وهو غير عاذر له، وإنما يفعل ذلك رحمةً وشفقة ورقة، فبطل ما اعترض به ابن الأثير على البحري الفحل»<sup>(٢)</sup>.

ويتحدث الصفدي عن الجمع مع التقسيم في ثانيا شرحه للبيت الثالث عشر من أبيات اللامية وهو قول الطغرائي:

وَالرَّكْبُ مِيلٌ عَلَى الْأَكْوَارِ مِنْ طَرَبٍ صَاحٍ وَآخِرٌ مِنْ خَمَرِ الْكَرَى ثَمَلٍ  
قال الصفدي «وفي بيت الطغرائي من البديع الجمع مع التقسيم؛ لأنه جمعهم في (مِيلٌ على الأكوار) ثم قسمهم فقال: منهم من مال من التعب، ومنهم من نام من النعاس»<sup>(٣)</sup>.

ويضرب الصفدي أمثلة على هذا الفن البديعي فيقول: «ومن أمثلة هذا النوع قول أبي الطيب:

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرَشَنِي تَشَقَّى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ  
لِلْسَبِيِّ مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا، وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا

وأحسن من هذا قوله عليه السلام: «ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»<sup>(٤)</sup>.

(١) السابق نفسه، والصفحة نقبها.

(٢) السابق نفسه ص ١٥٨.

(٣) الغيث ١ ص ٣١١.

(٤) السابق نفسه، ونفس الصفحة.

## ٦- حُسْنُ التَّخْلِصِ:

سبقت الإشارة إلى أن الصفدي يعتبر التخلص نوعاً من أنواع الالتفات، والجدير بالذكر في هذا المقام أنه تحدث عنه حديثاً منفرداً في ثنايا شرحه للبيت السابع من أبيات لامية الطغرائي حيث قال «وقد جاء التخلص في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩، ٧٠] إلى قوله تعالى ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢].

فهذا تخلصٌ من قصة إبراهيم وقومه إلى قولهم، وتغنى الكفار في الدار الآخرة الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا بالرسول، وهذا تخلص خلافاً لأبي العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي، فإنه أنكر وقوع التخلص في الكلام، وفي القرآن كثير منه<sup>(١)</sup>.

وهذا الفن البديعي معروف في الشعر العربي منذ عصر الجاهلية، وقد وضع النقاد لحسنه شروطاً، وقد مثل الصفدي بقول أبي الحسين الجزار في مدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة على حسن التخلص قال الصفدي: «وما أحسن قول أبي الحسين الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة:

وكم ليلة قَدْ بَشَّهَا مُعْبِرًا وَلِي      يزخرف آمالي كنوزٌ مِنَ الْيُسْرِ  
أقولُ لقلبي كُلَّمَا اشْتَقَّتْ لِلْغِنَى      إذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ تَبَّتْ يَدَا الْفَقْرِ<sup>(٢)</sup>

ثم يبين علّة هذا الحسن بقوله «قلت: انظر إلى هذا الشاعر كيف تخلص، ووثب إلى المديح وما تربص، وصدق نظمه في الحسن وما تخرّص، فأخذ على مثاله إن كنت تحذو، واغذ بلبان بيانه إن كنت تغذو»<sup>(٣)</sup>.

وكما أعجب الصفدي بيتي الجزار السابقين لما فيها من حسن التخلص، أعجب بيتين له - أيضاً - في مدح جمال الدين مرسى بن يعمر لما فيهما من حسن التخلص أيضاً، وهذان البيتان هما:

(١) الغيث المجمع ج ١ ص ٢١٢.

(٢) السابق نفسه ص ٢٠٠.

(٣) الغيث ١/ ص ٢٠٠.



جسرتُ على نَفْسِ الشَّقِيقِ بِخَدِّهَا      ورشفتُ رِضَابَ لَمْ أزلُ مِنْهُ في سَكْرِ  
ولستُ أخافُ السُّحْرَ مِنْ لَحْظَاتِهَا      لأنني بِمُوسَى قَدْ أَمِنتُ مِنَ السُّحْرِ

والجزائر الشاعر قد تخلص في البيتين السابقين من شكوى الحال، والتوقان للغنى، إلى المديح، وهو في هذين البيتين قد تخلص من الغزل إلى المديح، وقد كان تخلصه في المرتين دون تكلف، وتَصَنُّع؛ حيث أتى عفويًا مما أكسبه جمالاً ورقة.

#### ٧- المقابلة:-

تحدث الصفدي عن هذا الفن البديعي في ثانيا شرحه الأدبي للبيت الحادي عشر من أبيات اللامية وهو قول الطغراني:

حَلَوُ الْفُكَاهَةِ مُرُّ الْجِدِّ قَدْ مَزِجَتْ      بِشِدَّةِ الْبَاسِ مِنْهُ رِقَّةُ الْغَزَلِ

قال الصفدي: «وفي بيت الطغراني من حُسْنِ الصناعة ما يشهد لقائله بفوز قدحه في البلاغة؛ فإنه جمع فيه بين ثمانية أشياء: الحلاوة، والمرارة، والفكاهة، والجِدِّ، والقسوة، والرقّة، والبأس، والغزل، وهي ثمانية لم تجتمع لغيره بهذا الانسجام والعدوية، وأرباب البديع يسمون هذا النوع المقابلة، واستشهدوا عليه بقوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٥، ٦]. ففى كل آية ما يقابل الأخرى، هكذا قرره الجميع<sup>(١)</sup>.

وهكذا تحدث الصفدي عن الفن البديعي الموجود ببيت اللامية، وأورد عليه شاهداً من القرآن الكريم، وذكر تعقيب البلاغيين عليه، إلا أنه ختمه بكلمة شعر معها أنه لا يرتاح لوجود هذا الفن البديعي في الشاهد القرآني الذي ذكره، ومن ثم فقد علّق عليه بعد ذلك رافضاً وجود المقابلة في النص الكريم قال «وأقول إنه فات فيه ذلك؛ فإن لفظة (فنيسره) تكررت في الآيتين ولم يختلف معناها، فما تمت المقابلة، ويحتمل أن يكون (فنعسره) لأنه إذا تيسر تعسيه كان معسراً، لكن ذلك غير صريح»<sup>(٢)</sup>.

(١) الغيث المسجم ج١ ص ٢٨٢.

(٢) الغيث المسجم ج١ ص ٢٨٢، ٢٨٣.

والصفدى يذكر أن قول أبي الطيب:

أزورهم وسواد الليل يشفع لى وأننى وبياض الصبح يُغرى بى  
«من أحسن ما استشهدوا به فى هذا النوع من الشعر»<sup>(١)</sup>، ويُدلُّ بفهمه لما  
أحدث أبو الطيب فيه من المقابلات؛ حيث لم يتبه أثرابه لكل المقابلات الموجودة  
فى البيت، بينما استطاع هو أن يتبه إليها جميعاً فقال «كنت عند الشيخ الإمام  
الأديب الكاتب القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود أقرأ عليه كتابة حسن  
التوسل فجاء هذا البيت فى أثناء القراءة فى مكانه وعنده جماعة من الطلبة  
وغيرهم فقال: عدوا هذه الخمسة التى ذكرها أرباب البديع، فكلهم قالوا: أزورهم  
يقابل أننى، وسواد يقابل بياض، والليل يقابل الصبح، ويشفع يقابل يغرى.  
ووقفوا فقال هذه أربعة لأربعة، وبقي القسم الخامس. فلم يتبهوا له، فقلت:  
لفظة (لى) تقابل لفظة (بى) لأن الشفاعة له تقابل الإغراء به كأنه يقال ذلك لى،  
وهذا على»<sup>(٢)</sup>.

ولم يكتف الصفدى باستخراج المقابلة الخامسة الموجودة فى البيت، بل زاد  
فدلل على شيوعها فى كلام الأدباء بشاهد شعري؛ إذ قال فى تكملة الحديث:  
«قال الشاعر:

فـيـومٌ علينا ويومٌ لنا ويومٌ نُسَاءُ ويومٌ نُـرَرُ

ألا تراه قابل ما عليهم بما لهم فى ذلك من الإساءة والسرورة»<sup>(٣)</sup>.

#### ٨- التدييج:

وقد تحدث الصفدى عن هذا الفن فى ثنايا شرحه للبيت الثامن عشر من أبيات  
لامية الطغرائى وهو قوله:

يَحْمُونَ بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ اللَّدَانِ بِهِ سَوْدَ الْقَدَائِرِ حُمْرَ الْحَلِيِّ وَالْحَلَلِ

قال الصفدى: متحدثاً عمّا بالبيت من التدييج، ومعرفاً بالأصل اللغوى له،

(١) الغيث ج ١ ص ٢٨٣.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

وكيع فإنه قال: لولا انتهاء القافية لمضى فى العارض الهتن إلى آدم عليه السلام، وبانتهاء القافية أعلمنا أن نهاية عدد آياته المستحقين للمدح ثلاثة ثم يقف الأمر! قال: وأحسن من هذا قول البحرى:

الْفَاعِلُونَ إِذَا لُذْنَا بِجُودِهِمْ مَا يَفْعَلُ الْغَيْثُ فِي سُؤْبُوهِ الْهَتَنِ  
فجاء بالمعنى عاما بغير عدد متردد، ولا لفظ متبرد، فهو أرجح كلاما، وأحسن نظاما قال: وما أشبه برد<sup>(١)</sup> بيت أبى الطيب بيت قاله امرؤ القيس:

أَلَا إِنَّنِي بَالٍ عَلَى جَسَمٍ بَالِي يَقُودُ بِنَا بَالٍ وَتَتَبَعْنَا بَالِي<sup>(٢)</sup>  
هذا رأى ابن وكيع فى بيت أبى الطيب المتنبي، فبم أجاب الصفدى عما يحمله من انتقادات؟ قال الصفدى «قلت: كذا ذكره فى المنصف، وقد أخطأ فى هذا الكلام من عدة وجوه: أولها أنه قال: لولا انتهاء القافية لمضى إلى آدم، ولو قال لولا انتهاء الوزن لكان أكثر تحقيقا؛ لأن القافية حصلت فى ربع البيت من أول ذكر الهتن، وهذا كلام سبقه إليه عبد الملك بن مروان، وقد أنشد قول دريد بن الصمة:  
قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لَدَائِهِ ذِئَابَ بَنِ أَسْمَاءَ بِنِ زَيْدِ بْنِ قَارِبٍ  
فقال: لولا القافية لوصل به إلى آدم<sup>(٣)</sup>».

وظاهر هذا الكلام الذى عقب به الصفدى على أول الانتقادات التى وردت فى كلام ابن وكيع يدل دلالة واضحة على أن الصفدى لم يتعرض للانتقاد المناقشة والتفنيد، حيث لا يزال كلام ابن وكيع الذى فحواه أن انتهاء تفعيلات البحر هى التى قطعت الكلام، ولو لم تنته التفعيلات لظل المتنبي يقول ابن العارض الهتن بن العارض الهتن حتى ينتهى إلى أينما آدم فى محله، وكل ما فعله أنه خطأه فى قوله «لولا انتهاء القافية»، وكأن ابن وكيع لا يدرك الفرق بين الوزن والقافية، وحقا لقد أخطأ ابن وكيع حين قال: «لولا انتهاء القافية» إلا أن هذا الخطأ من الممكن أن يرد إلى أنه يقصد انتهاء البيت، كما أنى أرى أن الصفدى مبطل فى اتهام ابن وكيع

(١) فى المنصف «تردد» راجع المنصف ص ٥٨٤.

(٢) الغيث المجسم ج ١ ص ١٨٥، ص ١٨٦.

(٣) السابق نفسه ص ١٨٦.



ولم يكن الصفدى بتعريف الاستخدام، والتمثيل له بيئى أبى الطيب  
وحسب، وإنما مثل له - أيضاً - بقول الشاعر:

وَحَلَطْتُمْ بَعْضَ الْقُرْآنِ بِبَعْضِهِ فَجَعَلْتُمُ الشُّعْرَاءَ فِي الْأَنْعَامِ

ثم أورد بعد ذلك رأى الشيخ بدر الدين بن النحوى فى هذه الشواهد فقال:  
«قال الشيخ بدر الدين بن النحوى فى إسفار الصباح له: والتمثيل بجميع ذلك  
غلط لأنه من باب التورية لا من باب الاستخدام»<sup>(١)</sup>.

ثم استطرد الصفدى يقول «أما ما وقع به الكلمتان فكقول البحرى:

فَسَقَى الْغُضَا وَالسَّائِكَةَ وَإِنْ هُمُو شَبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحِي وَضُلُوعِي

فاستخدم فى قوله (والسائكة) أحد مفهوميه، وفى قوله (شبهوه) مفهومه الآخر؛  
لأن الأول أراد به المكان، والثانى أراد به الخطب»<sup>(٢)</sup>.

وقال: «وأما ما اكتنفه كلمتان فهو قول الآخر:

إِذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضٍ قَوْمٌ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِضَابًا

إذ السماء تستعمل للمطر، والنبات، فاستخدم فى قوله (نزل) المطر، واستخدم  
فى قوله (رعيناه) النبات، وهذا وإن كان حقيقةً ومجازاً، إلا أنه كثر استعمال  
مجازه حتى صار حقيقةً عرفية، فأمكن اعتبار الاشتراك»<sup>(٣)</sup>.

ويتحدث الصفدى عن نوع الاستخدام الموجود فى بيت اللامية ويجعله من هذا  
الذى يمكن اعتبار الاشتراك فيه؛ فيقول: «ومن هذا قول الطخترائى، لأنه ذكر  
الصفاح، وهى هنا مشتركة بين السيوف حقيقةً وبين العيون مجازاً، وقد غلب  
العرف عليها بين الشعراء فصارت حقيقةً عرفية، فأمكن اعتبار الاشتراك، فقال ولا  
(أهاب الصفاح البيض) فهو إلى هنا فى الحقيقة اللغوية، والسامع يظنه فى ذكرها،  
ثم ترك المفهوم الأول وأخذ فى المفهوم الآخر فقال: (تسعدنى باللمح من خلل  
الاستار والكلل) فاستعمل الصفاح فى العيون، وهى الحقيقة العرفية، وهذا فى  
غاية الغزل»<sup>(٤)</sup>.

(١) الغيث ج ٢ ص ٢٩.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

ويتحدث الصفدى عن التورية والاستخدام فى مقطوعة من شعر ابن الوردى  
 فيقول: «وأبلغ ما سمعت فى التورية والاستخدام ما أنشدنى من لفظه المولى جمال  
 الدين محمد بن نباتة قال: أنشدنى من لفظه نفسه القاضى زين الدين عمر بن  
 مظفر المعروف بابن الوردى، وقد أنشده بعض شعراء العصر بيتاً له يجمع  
 استخدامين، فاستخدم هو أربعة فقال:

وَرُبَّ غَزَالَةٍ طَلَعَتْ	بِقَلْبِي وَهُوَ مَرَعَاهَا
نَصَبْتُ لَهَا شَبَابًا مِنْ	نَضَارٍ ثُمَّ صَدَنَاهَا
وَقَالَتْ لِي وَقَدْ صِرْنَا	إِلَى عَيْنٍ قَصَدَنَاهَا
بَذَلْتُ الْعَيْنَ فَاكْحَلَهَا	بَطَلَعَتِهَا وَمَجَرَّاهَا <sup>(١)</sup>

وشرح فى عجالة سريعة هذه الاستخدامات الأربعة فقال «قلت: معنى  
 الاستخدامات الأربعة: بذلت الذهب فأكحل عينك بطلعة عين الشمس ومجرى  
 العين الجارية من الماء لأنه وطأ لهذه المعانى فى الأبيات المتقدمة، وأتى بالبيت الرابع  
 فتنزل جملة على ما تفصل، وهذا يدل على الفكر الصحيح والتخيل التام»<sup>(٢)</sup>.

ويورد الصفدى بيتى رشيد الدين الفارقى:

إِنَّ فِي عَيْنِكَ مَعْنَى	حَدَّثَ النَّرَجِسُ عَنْهُ
لَيْتَ لِي مِنْ غَضِّهِ سَهْمٌ	مِمَّا قَفَى قَلْبِي مِنْهُ

ويشرح الصفدى ما بالبيتين من الاستخدام فيقول «وهذا أيضاً فيه أربعة ولكن  
 تعود إلى شيئين؛ لأن قوله (من غضه) فيه معنيان أحدهما غرض الطرف وهو كره  
 إلى أسفل، والثانى من الغضاضة وهى الطراوة؛ فالأول للعين، والثانى للترجس،  
 وقوله (سهماً) فيه معنيان أحدهما النصيب وهو الذى تمناه والثانى الذى يَرشَقُ به  
 من النبل، وهو واحد السهام الذى فى قلبه منه، وهذا وإن كان بديعاً إلا أنه أربعة  
 لاثنتين، والأول أربعة لواحد وهو لفظه العين؛ فكان أكمل»<sup>(٣)</sup>.

(١) السابق نفسه ص ٢٩، ص ٣٠.

(٢) السابق نفسه ص ٣٠.

(٣) الغيث المجمع ج ٢ ص ٣٠.

وفي نهاية الحديث عن هذين الفنين البديعيين أشار الصفدى إلى مؤلفه فيهما،  
وأحال من يطلب المزيد من الإيضاح عليه.

#### ١٠ - القول بالموجب:-

وقد جاءت الإشارة إلى هذا الفن البديعى فى ثنايا شرح الصفدى للبيت العاشر  
من أبيات اللامية، وقد عرفه بقوله «وهو أن يقع فى كلام المتكلم شئ فيُثبت  
المتكلم لغيره من غير تصريح بثبوت له، ولا بنفيه»<sup>(١)</sup>.

ويتحدث عن وروده فى آيات الذكر الحكيم فيقول: «قد جاء فى القرآن العظيم  
منه قوله تعالى حكاية عن المنافقين ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ  
مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾ [المنافقون: ٨] الآية فإنهم كانوا بالأعز عن فريقهم، وبالأذل عن  
المؤمنين، فثبت الله عز وجل صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرضٍ  
لثبوت حكم الإخراج بصفة العزة، ولا لنفيه»<sup>(٢)</sup>.

ويرى الصفدى أن هذا الفن نادر الوقوع فى الكلام، وذلك لصعوبته قال:  
«وهذا نوعٌ عزيزُ الوقوع لا يطيع من يرومه لتوعُر ملكه»<sup>(٣)</sup>.

#### ١١ - التضمين:-

سبق أن تحدثت عن هذا الفن البديعى فى أكثر من موضوع من هذا الكتاب؛  
حين تعرضت لموقف مبدعى العصر ونقاده من البديع فى الفصل الأول، وحين  
تحدثت عن تضمين الطغرائى للمثل المشهور «لا ناقة لى فى هذا ولا جمل»  
وموقف الصفدى من هذا التضمين، ولقد خلصت فيما سبق إلى نتيجة هى أن  
الصفدى يرى أن التضمين فن بديعى له قيمته، ويرى أنه يحصل فى الكلام  
بطريقتين: الأولى تضمين المثل أو البيت أو الجزء من البيت بلفظه، والثانية تضمين  
ذلك كله بمعناه، وأريد هنا أن أتحدث عن لون آخر من ألوان التضمين، وهو ذلك  
اللون الذى سمّاه الصفدى «التضمين مع الاختصار»، وهو يرى أن ذلك اللون من

(١) الفيت ج١ ص ٢٦٢.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.



التضمين «أشرف من التضمين الكامل وأطرب للفهم، وأعذب للسمع»<sup>(١)</sup>.  
والسبب في ذلك عنده أن هذا اللون «فيه من البلاغة حسن التضمين مع ما في ذلك من الاختصار الذي هو من أشرف أنواع البلاغة؛ لأنه يرفع عن المخاطب مؤونة الإصغاء وقرع السمع بما هو محفوظ مقرر في الذهن»<sup>(٢)</sup>.

وقد ضرب الصفدي على هذا اللون من التضمين مثلاً هو شاهد شعري قاله أحد النخاسين لعبد كان قد باعه، وبنقلته به الأيام إلى أن صار أميراً يرتجى نواله، وهذا الشاهد هو:

كُنَّا جَمِيعِينَ فِي بُؤْسِ نَكَابِدِهِ      وَالْقَلْبُ وَالطَّرْفُ مِنَّا فِي أَذَى وَقْدِي  
وَالآنَ أَقْبَلْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِمَا      تَهْوَى، فَلَا تَنْسِنِي إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا<sup>(٣)</sup>

وقد حصل التضمين في الشطرة الثانية من البيت الثاني حيث يشير بقوله «إن الكرام إذا» إلى قول الطغرائي:

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا      مَنْ كَانَ يَأْلُفُهُمْ فِي الْمَتَزِلِ الْخَشِينِ

## ١٢ - الاقتباس:-

وقد تحدث الصفدي عنه في ثنابا الحديث عن قول الطغرائي:

فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا      فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي الْجَوِّ فَاعْتَرِلْ

قال الصفدي: «وبيت الطغرائي يسميه أرباب البديع التلميح، وبعضهم يسميه الاقتباس، وهو نوع من التضمين، ولكن التضمين هو أن يأتي لفظ الآية أو الحديث أو البيت كاملاً، وإن لم يأت كاملاً فهو الاقتباس، والطغرائي اقتبس كلامه هنا من قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ٣٥]...»<sup>(٤)</sup>.

وحين نعيد قراءة كلام الصفدي نرى أنه فرق بين التضمين والاقتباس، وبين أن

(١) الغيث ص ٢٢٣.

(٢) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) الغيث ج ٢ ص ٦١.

البلاغيين قد اختلفوا في اسم المصطلح الدال على هذا الفن البديعي، وإن لم يختلفوا في كونه أحد أنواع التضمين، ثم دلنا على الموضع الذي اقتبس منه الطغرائي كلامه وهو الآية القرآنية الكريمة.

### ١٣ - التجريد:

وقد تحدث الصفدي عن هذا الفن البلاغي في أول شرحه الأدبي لقول الطغرائي:

حُبُّ السَّلامَةِ يُثْنِي هَمَّ صَاحِبِهِ      عَنْ الْمَعَالِي، وَيُخْرِى الْمَرْءَ بِالْكَلِّ

حيث وضع أن الكلام في هذا البيت يحتمل أن يكون الطغرائي قد خاطب به صاحبه الذي وصفه فيما قبل، وتحدث إليه عن همومه وأحزانه، كما يحتمل أن يكون الطغرائي يخاطب نفسه بهذا الحديث بعد أن قطع الكلام عن صاحبه، وعلى هذا فلو رجح الاحتمال الأول لخلا البيت من هذا الفن البديعي، أما إذا رجح الاحتمال الثاني فإن البيت يكون قد حوى من فنون البديع التجريد الذي هو «أن يخاطب المتكلم غيره وهو يريد نفسه؛ كأن الإنسان يجرد من نفسه مخاطباً أقامه للمواجهة بالقول»<sup>(١)</sup>.

ويرى الصفدي أن «أحسن ما جاء فيه قول الصمة بن عبد الله القشيري من الحماسة:

حَنَنْتَ إِلَى رِيَاءٍ، وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ      مَزَارَكَ مِنْ رِيَاءٍ، وَسَعْيَاكُمَا مَعَا»<sup>(٢)</sup>

ويرى الصفدي أن الطغرائي قد استخدم هذا الفن البديعي مرة ثانية في قوله:

يَا وَارِدًا سُورَ عَيْشٍ كُلُّهُ كَدْرٌ      أَنْفَقْتَ صَفُوكَ فِي أَيَّامِكَ الْأَوَّلِ

حيث قال في شرح البيت وبيان معناه: «يا من ورد بقية عيش كله كدر، لأي شيء ترد هذا الكدر؟ والصفو قد أنفقت وأفنيته في أيامك السالفة؟ وهذا الذي يسميه أربابُ البلاغة التجريد؛ وهو أن يجرد الإنسان من نفسه شخصاً يخاطبه، فهو يستريح بمعابته وتعنيفه، وهذه عادةٌ جارية لكل من أخذ نفسه فأخذ يوبخها،

(١) السابق نفسه ص ٤٦.

(٢) السابق نفسه، ونفس الصفحة.

ويعاتبها فيقول: من قال لك تفعلين هذا؟ ولم كنت اعتمدت هذا الأمر الفاسد؟  
وأمثال ذلك»<sup>(١)</sup>.

ويمثل الصفدى هنا على التجريد بقول الحيص بيص<sup>(٢)</sup>:

إِلَامَ يَرَاكَ الْمَجْدُ فِي زِيٍّ شَاعِرٍ      وَقَدْ نَحَلْتُ شَوْقًا فَرُوعُ الْمَنَابِرِ  
حَكَمْتُ تَصِيبَ الشَّعْرِ عِلْمًا وَحِكْمَةً      بِيَعْضِهِمَا يَنْقَادُ صَعْبُ الْمَفَاخِرِ  
أَمَّا وَأَيُّكَ الْخَيْرِ إِنَّكَ فَارَسُ الدِّ      سَمْعَالِي وَمُحْيِي الدَّارَسَاتِ الْغَوَابِرِ  
فَإِنَّكَ أَغْيَيْتَ الْمَسَامِعَ وَالنُّهَى      بِقَوْلِكَ عَنَّا فِي بَطُونِ الدَّفَاتِرِ

والى هنا يبدو أن الصفدى لم يصف جديدًا إلى ما سبق أن تحدث عنه عند شرحه لببيت اللامية «حبُّ السلامة» حيث عرّف التجريد ومثّل له، وبين ما فى بيتى اللامية من التجريد، لكنّا حين غمضى فى قراءة الشرح نجدّه يوضح أن من البلاغيين «من لا يقصر اسمَ التجريد على مخاطبة المتكلم غيره مريدًا لنفسه، ولكن يُجرّيه فى كل ما يصح أن يُشتق له، بأن يكون قد جُردّ فيه شيءٌ من آخر كقوله تعالى ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨] أى الجنة هى دار الخلد، ولكنه جرد من الدار، وقوله تعالى وهى قراءة على كرم الله وجهه: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ﴾ [مريم: ٦] وهو الوارث نفسه، ولكنه جرد من الوارث وارثًا»<sup>(٣)</sup>.

ولا يكتفى الصفدى بهذين الشاهدين القرآنيين، بل يستشهد أيضًا على ذلك بقول الشاعر:

وَشَوْهَاءَ تَعْدُو بِي إِلَى خَارِجِ الرُّغَى      بِمُسْتَلْتِمٍ مِثْلِ الْبَعِيرِ الْمُرَحَّلِ

ويشرحه ليبين ما فيه من التجريد قائلاً: «وبعنى: من نفى بمستلتم فجرّد من نفسه مستلتمًا جعله مصاحبًا له»<sup>(٤)</sup>.

(١) الغيث ٢ / ص ٣٨١.

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٣) الغيث ج ٢ ص ٣٨١.

(٤) السابق نفسه ص ٣٨٢.



## ١٤ - الإيضاح وإرسال المثل :-

وقد جاء الحديث عن هذا الفن البديعى فى ختام الشرح الأدبى لبیت الطغرائى :

ولو أن فى شرفِ المأوى بُلُوغٌ مُنى      لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الحَمَلِ  
حيث قال الصفدى : «وفى قول الطغرائى فى هذا البيت من البديع : الإيضاح وإرسال المثل»<sup>(١)</sup> وبعد هذا الإجمال يفصل القول فيقول : «أما إرسال المثل فهو واضح لأن كل من سمعه وحفظه تمثل به فيما يليق من المواقع ، وأما الإيضاح فإنه أزال به اللبس من خفاء الحكم الذى فى البيت الذى تقدمه ، وهو أن العز فى النقل ، فهذا حكمٌ خاف عند المخاطب حتى يوضحه بقوله : لو أن فى شرف المأوى .. البيت ، فيزول اللبس ، ويتضح الحكم»<sup>(٢)</sup>.

## ١٥ - حُسن التعليل :-

وقد جاء الحديث عنه فى أول الشرح الأدبى لبیت اللامية :-

قَدْ شَانَ صِدْقَكَ عِنْدَ النَّاسِ كِذْبُهُمْ      وهل يطابقُ مُعْجَازٌ بِمُغْتَدِلٍ  
حيث قال فى شرح البيت : «وشان كذب الناس صدقك عندهم لأنك تلبست بما لم يتلبسوا به ، وخالفتهم فى حالهم ؛ لأنك وإياهم فى طرفى نقبض ، فلا تلمهم إذا باعدوك وهجروك وتفرؤا منك ؛ لأنك لست منهم فى شيء ، ثم أخذ يستفهم فقال : وهل يطابق المعوج بالمعتدل ؟ والمعوج : الناس ، والمعتدل : أنت ، ضرب له بذلك مثالا ليعترف له ويقول : لا ما يحصل بينهما تطابق ، وهذا عند أهل البديع يسمى حن التعليل ؛ لأنه علل شين صدقه عند الناس وكذبهم بأن قال : وهل يطابق المعوج وهو الكذب بالمعتدل وهو الصدق ؟»<sup>(٣)</sup>.

## ١٦ - المبالغة :

وقد جاء الحديث عن هذا الفن البديعى فى ثنايا الشرح الأدبى لقول الطغرائى :

تَقَدَّمَ نِىْ أَنْاسٌ كَانَ شَوْطُهُمْ      وَرَأَى خَطْوِيْ لَوْ أَمْشَى عَلَى مَهَلٍ

(١) الغيث ٢ / ص ١١٩ .

(٢) السابق نفسه ، والصفحة نفسها .

(٣) السابق نفسه ص ٣٥٦ .

حيث قارن بين هذا البيت وبين هاشم الرقاشي:

تَقَدَّمَتْنِي أَنَاسٌ مَا يَكُونُ لَهُمْ      فِي الْحَقِّ أَنْ يَلْجُوا الْأَبْوَابَ مِنْ دُونِي

وهو يرى أن بيت الطغرائي يزيد على بيت هاشم «بمبالغتين وهما أن شوط أولئك وراء خطوه، وأن خطوه مع ذلك كان متمهلاً»<sup>(١)</sup> وخلص بعد ذلك إلى الحديث عن دعوى المبالغة فقال: «والدعوى في المبالغة منحصرة في ثلاثة أقسام: الغلو، والتبليغ، والإغراق»<sup>(٢)</sup> ويبيّن دليل هذا الحصر بقوله: «ودليل الحصر أن الدعوى إما أن تكون ممكنة، أو لا، فإن لم تكن ممكنة كانت غلوًا، وإن كانت ممكنة فإما أن يصح وقوع ذلك أولًا، فإن صح كان تبليغًا، وإن لم يصح كان إغراقًا»<sup>(٣)</sup>. وعلى هذا فهو يرى أن الغلو يكون في المبالغات التي يستحيل تحقيقها، وهو يمثل له بقول مهلهل:

فلولا الريحُ أَسْمَعَ مَنْ بِحَجَرٍ      صليل البيضِ تُقْرِعُ بالذكورِ<sup>(٤)</sup>

ويرى أن التبليغ والإغراق كليهما يكونان في المبالغات التي يمكن تحقيقها إلا أن التبليغ يكون في المبالغات التي يصح وقوعها، وقد مثل له بقول امرئ القيس:

عدا بي عداً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ      دِرَاكِمًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ  
وقد عد الصفدي هذا البيت من باب التبليغ «لأن هذا ممكن في حق الفرس أن يدرك الثور والنعجة ولم يعرق كي لا يحتاج إلى أن يغسل»<sup>(٥)</sup>.

أما الإغراق فيكون من باب المبالغات التي لا يصح وقوعها، وقد مثل له بقول امرئ القيس أيضاً:

تنورتها مِنْ أَذْرَعَاتٍ وَأَهْلُهَا      يَشْرِبُ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالِي  
وقد عد الصفدي هذا البيت من باب الإغراق لأن «هذا غير ممكن عادة من أن يكون إنسان بأذرعات، ويشاهد ناراً يشرب»<sup>(٦)</sup>.

(٢) السابق نفسه ص ٢١١.

(١) الغيث ج٢ ص ٢١٠.

(٣) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٥) السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٦) السابق نفسه ص ٢١٢.

ملحق الدراسة

شعر الصفدي في الغيث المسجم

جمعٌ وتحقيق





## قافية الهمزة

- ١ -

قال الصفدي: «وقلت في تفضيل بياض الشيب على سواد الشباب:

[من الوافر]

أَرَى فَضْلَ الشَّيْبِ عَلَى شَبَابِي      يُخَالِفُ فِيهِ بَعْضُ الْأَغْبِيَاءِ  
وَهَبْنِي قَلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ      أَيْعَمَّى الْعَالَمُونَ عَنِ الضُّيَاءِ

التخريج: الغيث ١/ ١٢٤.

- ٢ -

قال الصفدي: «وقلت أنا:-

[من الكامل]

مَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا      فِيمَا يَرَى مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ  
كَالشَّامَةِ الْخَضِرَاءِ فَوْقَ الْوَجَةِ الْـ      حَمْرَاءِ تَحْتَ الْمُقَلَّةِ السُّودَاءِ

التخريج: الغيث ١/ ٣٧٢.

- ٣ -

قال الصفدي في ذم زامر: «وقلت أنا في ذمه:-

[من السريع]

يَقُولُ فِي مَجْلِسِنَا زَامِرٌ      لَمْ نَلَقَ مَا أَلْقَى بِإِصْغَاءِ  
مَا عِنْدَكُمْ مَسِيلٌ إِلَى حَاضِرٍ      قَلْنَا وَلَا شَوْقٌ إِلَى نَاءِ

التخريج: الغيث ١/ ٢٨٢.

## قافية الباء

-٤-

قال الصفدي: «وقلت أنا:-

[من المتشارب]

تَبَسُّمٌ فَارْتَحْتُ مِنْ سَكْرَتِي      وَقُلْتُ: هَذَا الْقَرْقَفُ الْمُنْتَحَبُ  
وَمَا ذُقْتُ فَاهُ وَلَكِنِّي      حَكَمْتُ عَلَى ثَغْرِهِ بِالْحَبِّ»

التخريج: الغيث ٤٥٠/١.

-٥-

قال الصفدي: «فكتبت إليه<sup>(١)</sup> الجواب عن ذلك:

[من السريع]

يَا بَاعِثَ الْعُنْبِ إِلَى عَبْدِهِ      وَمَا كَفَاهُ الْعُنْبُ إِذْ نَدَبَا  
وَمُذَكِّرِي عَيْشًا لِبَيْتِنَا بِهِ      قُوبَ سُرُورٍ بِأَلْبِهَاءِ مُذْهَبَا  
مَرٌّ فَلَمْ يَخْلُ لَنَا بَعْدَهُ      عَيْشٌ وَلَمْ نَلَقَ الْهَوَى طَيْبَا  
مَّا كُلُّ ذِي وَدٍّ خَلِيلٌ وَلَا      كُلُّ مَلِكٍ فِي الْوَرَى طَقْصَبَا»

التخريج: الغيث ١٧٧/٢.

-٦-

قال الصفدي: «وقلت:-

[من الخفيف]

بِى غَزَالٌ لَمَّا أَطْعْتُ هَوَاهُ      أَخَذَ الْقَلْبَ وَالتَّصَبُّرَ غَضَبَا  
مَا أَفَاقَ الْعَذُولُ مِنْ سَكْرَةِ الْعَذُ      لِي عَلَيْهِ حَتَّى غَدَا فِيهِ صَبَا»

التخريج: الغيث ٣٦٧/٢.

(١) أى إلى بهاء الدين أبى بكر بن غانم.



قال الصفدي: «وقلت:-

[من الخفيف]

يا لقومي سالتكم خبروني      هكذا كلُّ مَنْ أَحَبَّ حَبِيبَهُ  
سَقَمُ زَائِدٌ، وَدَمْعٌ، وَتُهْدٌ      وَيَجِي عَاذِلِي تَمَامِ الْمَصِيبَةِ  
التخريج: الغيث ٣٦٦/٢.

قال الصفدي: «ومما اتفق لي نظمه في الصبر:-

[من المتقارب]

إذا أنشَبَ الدهرُ ظُفُورًا وَنَابَا      وَصَالَ عَلَى الْحُرِّ مِنَّا وَنَابَا  
صَبَرْنَا وَلَمْ نَشْكُ أَحَدَانَهُ      لَأَنَا نَعَا فُ التَّشْكِي وَنَابَا  
التخريج: الغيث ٣٠٩/٢.

قال الصفدي: «وقلت أنا:-

[من الطويل]

وَطَلَّ عَلَى وَرْدٍ حَكَى خَدَّ غَادَةٍ      بِهِ عَرَقٌ مِنْ خَجَلَةٍ يَتَصَبَّبُ  
وَأوراقِ كَرَمٍ قَدْ حَكَتْ كَفَّ سَائِلٍ      لِمَنْ بَاتَ فِي نَعْمَانِهِ يَتَقَلَّبُ  
التخريج: الغيث ٢٧٧/٢.

قال الصفدي: «ومما نظمته، وفيه تضمين:-

[من الطويل]

أقولُ وَقَدْ نَامَتْ عَلَى حَرٍّ وَجْهَهَا      وَمَا لِي عَلَيْهَا فِي الظَّلَامِ دَيْبُ  
وإن الكُتَيْبَ الْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الْحِمَى      إِلَى وَإِنْ لَمْ آتِهِ لَحَبِيبُ  
التخريج: الغيث ٧/٢.

قال الصفدى :-

[من الطويل]

ثُمَّانِيَةٌ إِنْ يَسْمَحِ الدَّهْرُ لِي بِهَا      فَمَا لِي عَلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَطْلُوبُ  
مَقَامٌ وَمَشْرُوبٌ وَمَزْحٌ وَمَأْكَلُ      ومَلَّةٌ وَمَشْمُومٌ وَمَالٌ وَمَجْرُوبُ

التخريج: الغيث ٤٦٠ / ٢.

- ١٢ -

قال الصفدى : «وجاء لى فى معنى البيت المذكور<sup>(١)</sup> قولى :-

[من البسيط]

يَا بَرَقُ لَا تَبْتَسِمِ مِنْ نَغْرِهِ عَجَبًا      قَدْ قَاتَ مَعَنَّاكَ مِنْهُ الظُّلْمُ وَالشُّبُّ

التخريج: الغيث ١٩٤ / ١.

- ١٣ -

قال الصفدى : «وقلت - أيضاً - :-

[من البسيط]

إِلَى مَتَى أَنَا لَا أَتُفَكُّ فِي بَلَدِ      رَهْنِ جِيَمَاتِ جُورٍ كُلُّهَا عَطَبُ  
الْجُوعِ وَالْجُرَى وَالْجِيرَانُ وَالْجُدَى      وَالْجَهْلُ وَالْجَبْنُ وَالْجُرْذَانُ وَالْجُرْبُ

التخريج: الغيث ٤٦٠ / ٢.

- ١٤ -

قال الصفدى : «وقلت أنا من أبيات :-

[من البسيط]

وَيَا رَسُولِي إِلَيْهِمْ صِفْ لَهُمْ أَرْقَى      وَأَنْ طَرَفِي لِطَيْفِ الضَّيْفِ مُرْتَقِبُ  
عَرَضٌ بِذِكْرِي فَإِنْ قَالُوا أَتَعْرِفُهُ      فَاسْأَلْ لِي الْوَصْلَ وَانْكُرْنِي إِذَا غَضِبُوا

التخريج: الغيث ٣٩٢ / ١.

(١) يقصد بيت الشهاب محمود :-

يَا بَارِقَ الشَّخْرِ لَوْ لَاحَتْ نُفُورُهُمْ      وَشِئْتُ بَارِقَهَا مَا فَاتَكَ الْجَبُّ

قال الصفدى: «وقلت - أيضاً -:-»

[من الكامل]

وكأنما الأغصانُ تُنهِها الصبا  
والبدرُ من خللِ يلوحُ ويخجَبُ  
حناءُ قد عامتُ وأرختُ شعرها  
فى لُجَّةِ الموجِ فيه يلعبُ

التخريج: الغيث ١/ ٢٣٧.

قال الصفدى: «وكُلفتُ أنا فى سنة سبعمائة وعشرين نظم شىء فى هذه المادة<sup>(١)</sup> فقلت:-»

[من الكامل]

ولقد ذكركم بحربٍ يننى  
عن بأسِها الليثُ الهزبرُ الأغلبُ  
والصافياتُ برخصيها قد أنشأتُ  
ليلاً، وكلُّ سنا سنانٍ كوكبُ  
والبيضُ تنثرُ كلما نظمَ القنا  
والنبلُ يشكُلُ، والعجاجُ يترُبُ  
وحشاشةُ الأبطالِ قد تلقتُ ظمًا  
ودمُ الفوارسِ مُستهلٌ صيبُ  
والنفسُ قد سألتُ على حدِّ الطبَّا  
وأنا بذخركم أميلُ وأطربُ

التخريج: الغيث ٢/ ٤٣.

قال الصفدى: «وما اتفق لى نظمه فى الخلخال:-»

[من الطويل]

أيا عَجَبًا من صابرٍ صامتٍ ولمْ  
يقهْ بكلامٍ قطُّ فى ساعةِ الضربِ  
أقامَ ولمْ يترَحْ مكانًا ثوى به  
على أنه أضحى يدورُ على الكعبِ

التخريج: الغيث ١/ ٦٢.

(١) يقصد معنى آياتِ عترة العيسى المشهورة والنسبِ أولها: ولقد ذكركَ والرماحُ نواهلُ.



قال الصفدي: «وقلت - أيضاً: -

[من الطويل]

غَزَالٌ مِنَ الْأَثَرِ مَا ضَاقَ لِحَظُهُ      لِحَظِي إِلَّا كَيْ تَضِيقَ مَذَاهِبِي  
كَأَنَّ الْحَشَا طَيْرٌ، وَكَاسِرٌ جَفْنِهِ      تَصَيَّدَهُ مِنْ هَدْبِهِ بِمَخَالِبِي

التخريج: الغيث ٢/ ٢١.

قال الصفدي: «وقلت في الأثر الذي يحلقون ذوائبهم: -

[من الطويل]

لَقَدْ زَانَ أَصْدَاغَ الْمَالِكِ نَبْتُهَا      وَمَا شَأْنُهُمْ فِي الْحُسْنِ حَلْقُ الذَّوَابِ  
فَمَا بَالُ مَنْ تَهَوَّاهُمْ عِنْدَمَا اتَّقَى      عِضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَّارِبِ

التخريج: الغيث ١/ ١٢٤.

قال الصفدي: «وقلت أنا: -

[من السريع]

كَأَنَّمَا الْأَغْصَانُ لَمَّا انْتَشَتْ      أَمَامَ بَدْرِ التَّمِّ فِي غَيْهِبِهِ  
بِنْتُ مَلِكٍ خَلْفَ شِبَّاكِهَا      تَفَرَّجَتْ مِنْهُ عَلَى مَوْجِبِهِ

التخريج: الغيث ١/ ٢٣٦. -٢١-

قال الصفدي: «وقلت - أيضاً: -

[من المجث]

مَا أَبْصَرَ النَّاسُ صَبْرِي      عَلَى عَنَائِي وَكَرْبِي  
الصُّمْتُ دَأْبُ لِسَانِي      وَقَدْ تَكَلَّمْتُ قَلْبِي

التخريج: الغيث ٢/ ٣٠٩.

## قافية التاء

- ٢٢ -

قال الصفدي: «وقلت - أيضاً:-»

[من البسيط]

لا يَعْرِفُ الدَّهْرُ أَحْيَاءَ وَأَصْوَاتًا  
فَنَزَّهَ النَّفْسَ عَنْ مَالٍ وَعَنْ أَمَلٍ  
فَمَا لِمَنْ تَتَقَاضَاهُ مِيتُهُ  
إِلَّا إِلَى ذَلِكَ الْمِيقَاتِ مِيقَاتًا

التخريج: الغيث ٢/ ٢٧٧.

- ٢٣ -

قال الصفدي: «وقد ضمته<sup>(١)</sup> أنا فقلت أحيانًا أرثي بها نفسى وهى:-»

[من الطويل]

كَأَنِّي بِهَذَا الْجِسْمِ أَصْبَحَ عَاطِلًا  
وَقَدْ عَاقَهُ مَنْ كَانَ يَهْوَى لِقَاءَهُ  
وَعَايَةً مَنْ يَأْوِي لِمَصْرَعِهِ فَتَى  
وَأَنْ عَطَفَتْهُ رَحْمَةً فِي انْصِرَافِهِ  
وَأَنْ كَانَ يَنْكِيه خَلِيلٌ يَوْدهُ  
فَمَاذَا الَّذِي يُجْدِي عَلَى سَاكِنِ الثَّرَى  
قَضَى، وَمَضَى، هِيَهَاتَ لَوْ يَنْفَعُ الْبَكَاءُ  
وَكَمْ قَائِلٍ: لَا أَبْعَدُ اللَّهَ دَارَهُ  
وَشَمْلُ قَوَاهِ بِالْمَمَاتِ مُشْتَتٌ  
وَأَنْكَرُهُ مَنْ طَالَمَا كَانَ يُثْبِتُ  
يُكْرُ فِيمَا قَدْ عَرَاهُ وَيُبْهَتُ  
غَدَا لَحْوُهُ مِنْ حَسْرَةٍ يَتَلَقَّتُ  
وَيَفْجَأُهُ الرِّزُّ الْجَلِيلُ وَيُغْنِي  
إِذَا كَانَ يُبْدِي الْحُزْنَ أَوْ يَتَثَبَّتُ  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ مَنْ قَدْ غَدَا وَهُوَ مَيِّتُ  
وَأَخْرُ جَذْلَانِ يَرُّ وَيَسْمَتُ

التخريج: الغيث ٢/ ٢٠١.

(١) الضمير عائذ على بيت مالك بن طوق، أو تميم بن جميل، وهو آخر بيت فى مقطوعة الصفدي

قال الصفدي: «وقلت مضنًا - أيضًا:-»

[من الكامل]

عَهْدِي بِأَيْرِي وَهُوَ فِيهِ تَبَقُّظُ      كَمْ قَامَ مَتَّصِبًا وَمَا حَرَّكُنْهُ  
وَالآنَ كَالطُّفْلِ الصَّغِيرِ بِمَهْدِهِ      يَزْدَادُ نَوْمًا كُلَّمَا نَبَّهْتُهُ

التخريج: الغيث ٢/ ٢٤٢.

قال الصفدي: «وقلت - أيضًا:-»

[من الطويل]

تَطَلَّيْتُ رِزْقِي بِالْقَنَاعَةِ فِي الْوَرَى      وَلَمْ أَبْتَدِلْ مِنْ أَجْلِ قُوَّتِي قُوَّتِي  
وَمَذْخَفْتُ ضَيْقَ السُّبُلِ فِي طَلَبِ الْغِنَى      رَتَعْتُ بِأَمْنٍ فِي مُرُوطِ مُرُوءَتِي

التخريج: الغيث ٢/ ٤٠٣.

قال الصفدي: «وقلت في القناعة غزلًا:-»

[من الكامل]

إِنْ غَابَ مَنْ أَحْبَبْتُهُ عَنْ مَجْلِسِي      لِيَذُوبَ قَلْبُ الصَّبِّ مِنْ حَرَّاتِهِ  
أَحْضَرْتُ لِي وَرْدًا وَكَأْسَ مَدَامَةٍ      وَشَرِبْتُ رِيْقَتَهُ عَلَى وَجَنَاتِهِ

التخريج: الغيث ٢/ ٤٠٣.

قال الصفدي: «وقلت - أيضًا:-»

[من الكامل]

قَالُوا حَلَا وَصَفُ الْعَذَارِ مِنَ الْوَرَى      فِي كُلِّ مَا نَلَقَاهُ مِنْ أَبْيَانِهِ  
فَأَجَبْنَاهُمْ لِمَ لَا يُرَى حُلُوهَا وَقَدْ      قَطَفَ الرُّجَالُ الْقَوْلَ عِنْدَ نَبَاتِهِ

التخريج: الغيث ١/ ١٢٤.



قال الصفدى: «ذكرت بقول الطغرائى: - ويقنعنى من الغنيمة بعد الكد بالقفل -  
ما نظمته أنا وهو: -

[من السريع]

فَنَعْتُ بِالْعَوْدِ إِلَى مَنْزِلِي      وَذَاكَ دَأْبُ الْمَرْءِ فِي خَيْبَتِهِ  
كَالْحَجَرِ الْمُلْقَى إِلَى صَاعِدِ      لَيْسَ لَهُ هَمٌّ سِوَى عَوْدَتِهِ

التخريج: الغيث ١/ ٢٤٩.

### قافية الثاء

- ٢٩ -

قال الصفدى: «ذكرت - هنا - بيتين لى وهما: -

[من البسيط]

صَبْرِي الَّذِي اقْتَسَمْتُهُ غَرِيبُهُ وَنَوَى      كَأَنَّمَا لَهُمَا فِي ذَاكَ مِيرَاثُ  
وَكُلُّ يَوْمٍ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ هَرَمٍ      يَلْقَى صُرُوفَ اللَّيَالِي وَهِيَ أَحْدَاثُ

التخريج: الغيث ٢/ ٢٩٠.

### قافية الجيم

- ٣٠ -

قال الصفدى: «وقلت - أيضاً - :-

[من الخفيف]

رُبَّ يَوْمٍ تَقَابَلَ الْوَرْدُ فِيهِ      بَيْنَ رَوْضٍ وَبَيْنَ خَدٍّ تَضَرَّجُ  
كُلُّ شَيْءٍ وَمِثْلُهُ لَكِنْ الْأَحَدُ      سَنُ مَا كَانَ بِالْعَذَارِ مُسَيِّجُ

التخريج: الغيث ١/ ٢٦٠.

قال الصفدى: «ولكن أخذت أنا هذا المعنى<sup>(١)</sup> فنظمته بالقاهرة أول دخولي إليها، وقد حصل لى، ولمن أحبه جرب فقلت: -

[من الطويل]

ولما صَفَوْنَا وَاُمْتَزَجْنَا مَحَبَّةً      عَلَانَا حَبَابُ الْحُبِّ فِي سَاعَةِ الْمَرْجِ  
وما ضَرَّ مَنْ قَدْ خَاضَ بَحْرَ غَرَامِهِ      وَأَصْبَحَ فِي كَفِّهِ مِنْ لَوْلُؤِ اللَّجِّ

التخريج: الغيث ٢/ ٢٢٨.

قال الصفدى: «وقلت: -

[من السريع]

تَبَا لَهَا مِنْ بَلَدَةٍ<sup>(٢)</sup> لَا أَرَى      فِيهَا مَقَامِي وَاضِحَ النَّهْجِ  
لأنَّهَا فِي وَجْهِ سُكَّانِهَا      وَأَهْلِهَا تَبَصُّقُ بِالثَّلْجِ

التخريج: الغيث ١/ ١١٨.

### قافية الحاء

قال الصفدى: «وقلت أنا: -

[من الطويل]

أَيَا حُسْنٍ أَعْمَى لَمْ يَجِدْ حَدَّ طَرْفِهِ      مُحِبًّا غدا سكران فيه وما صحا  
إذا طار قلب بات يَرُوعَى خُدُودُهُ      غدا آمنا مِنْ مُقَلَّتَيْهِ الْجَوَارِحَا

التخريج: الغيث ٢/ ٣٢١.

(١) يقصد بالمعنى تخيل الجدرى حباب.

(٢) يقصد بالبلدة: الرحبة.

قال الصفدي: «وقلت - أيضاً: -»

[من السريع]

وصاحب لما أتاه الغنى      تاه ونفس المرء طمّاحه  
وقيل هل أبصرت منه يداً      تشكرها قلت ولا راحه

التخريج: الغيث ١/ ٢٦٦.

قال الصفدي: «وقلت: -»

[من المجث]

أتى مـ حلى أناس      بهم تحلى المديح  
زاروا وزانوا وزادوا      هذا الجنس المليح

التخريج: الغيث ١/ ٧٨.

قال الصفدي: -»

[من الطويل]

وساق غدا يسعى بكأس وطرفه      يُجرّد أسواقاً لغير كفاح  
إذا جرح العشاق قالوا أقمت في      مدارج راح أم مدارج جراح

التخريج: الغيث ٢/ ٤٦٢.

### قافية الدال

قال الصفدي: «وقلت في مليح أعور: -»

[من مجزوء الكامل]

أفديه أعورَ طَرَفُهُ الـ      بباقي يقول وما تعلّى



قَدْ غَارَ مِنْ حُسْنِي أَخِي      وَبَقِيَتْ مِثْلَ السَّيْفِ فَرْدًا  
التخريج: الغيث ١/ ١٢٥، ١٢٦.

- ٣٨ -

قال الصفدي: -

[من الخفيف]

قَلْبَ الدَّنِّ مَنْ أَحَبُّ فَأُضْحَتِ      نَفْحَةُ النَّدِّ مِنْ حُمَيَّاهُ تُهْدَى  
قال لي اعجب فقلت غير عجيب      كل دن قَلْبَتَهُ كَانَ نَدًّا  
التخريج: الغيث ٢/ ٤٥٨.

- ٣٩ -

قال الصفدي: «وما اتفق لي نظمه بالرحبة: -

[من المجث]

وَبِلْدَةٍ قَدْ رَمَتْني      بِكُلِّ دَاءٍ عِنَادًا  
وَكُوْرَجَّعْتُ لِأَهْلِي      كَكَانَتْ بِلَادِي بِلَادًا  
التخريج: الغيث ١/ ١١٨.

- ٤٠ -

قال الصفدي: «وما قلت - أيضًا: -

[من الخفيف]

أَنَا إِنْ لَمْ أَجِدْ فِي كَسْبِ مَالٍ      هَاتِ قُلْ لِي بِاللَّهِ كَيْفَ أَجُودُ  
وَإِذَا لَمْ أَسِدْ خُلَّةً حُرًّا      هَاتِ قُلْ لِي بِاللَّهِ كَيْفَ أُسُودُ  
التخريج: الغيث ١/ ٢٢٨.

قال الصفدي :-

[من الطويل]

بكيت على نفسي لنوح حمائم      وجدت لها عندي هدية هاد  
توب إذا ناحت على الأيك في الدجى      مناب رشاد في منابر شاد

التخريج: الغيث ٤٦٢/٢.

- ٤٢ -

قال الصفدي: «وقلت - أيضاً- :-

[من الطويل]

تقول دمشق إذ تفاخر غيرها      بجمالها الزاهي البديع المشيد  
جرى لياهي حسنه كل جامع      وما قصبات السبق إلا لمعبد

التخريج: الغيث ١١٨/١.

- ٤٣ -

قال الصفدي: «وكتبت على مجلد قديم قد رث:-

[من الطويل]

ملك كساباً أخلق الدهر جلده      وما أحد في دهره بمخلد  
إذا عانت كتي الجديدة حاله      يقولون لا تهلك أسى وتجلد

التخريج: الغيث ١٢٦/١، ٥١/٢.

- ٤٤ -

قال الصفدي: «وقلت أنا مضمناً في شروط:-

[من البسيط]

عانت من سد سمعي صوت فتحه      ولم أجد ملجأ لي من مطاردها

فقال نوقُ ضراطى كلما سَنَحَتْ  
أنا مِْلءَ جُفُونى عن سِوارِدها»  
التخريج: الغيث ١٠٧/٢.

- ٤٥ -

قال الصفدى: «وقلت - أيضاً- :-

[من الكامل]

ظَبْيٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ يَحْمِي خَدَّهُ الـ  
حَسَنَ النَّقْيِ مِنَ النَّبَاتِ الْمُعْتَدِي  
قال الجمالُ لِخَدِّهِ الْمَبْيَضِ قَدْ  
خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدِ  
التخريج: الغيث ١٢٥/١.

- ٤٦ -

قال الصفدى: «وقلت أنا فى هذه المادة على وزن أبيات ابن أبى الحديد ورويه<sup>(١)</sup>:-

[من السريع]

لولا ثلاثُ هُنَّ أَقْصَى الْمَنَى  
لَمْ أَهْبِ الْمَوْتَ الْبَذَى يُرْذَى  
تَكْمِيلُ ذَاتِي بِالْعُلُومِ الَّتِي  
تَفْعُنِي إِنْ صِرْتُ فِي لَحْدِي  
وَالسَّعَى فِي رَدِّ الْحَقُوقِ الَّتِي  
لِصَاحِبِ نِلْتُ بِهِ قَصْدِي  
وَأَنْ أَرَى الْأَعْدَاءَ فِي صَرْعَةٍ  
لَقِيَتْهَا مِنْ جَمْعِهِمْ وَحْدِي  
فَبَعْدَهَا الْيَوْمَ الَّذِي حُمَّ لِي  
عِنْدِي اسْتَوَى فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ  
التخريج: الغيث ١٥٧/٢، ١٥٨.

(١) أبيات ابن أبى الحديد التى عارضها الصفدى هى :-

لولا ثلاث لم أخف صرعتى  
ليست كما قال فتى العبد  
أن أنصر التوحيد والعدل فى  
كل مكان باذلاً جهدى  
وأن أناجى الله مستمتعاً  
بخلوة أحلى من الشهد  
وأن أتيه الدهر كجراً على  
كل لثيم أصعر الخد  
لذلك أهوى لا فتاة ولا  
خمر، ولا ذى مبة نهد



قال الصفدى: «وقلت فيها - أيضاً -:-»

[من المجتث]

بالرحبة انهذ رُكْنِي      وذاب عظمى وجلدى  
لصيفها حرحر      ولثتها برز برز

التخريج: الغيث ١/ ١١٨.

### قافية الرءاء

قال الصفدى: «وقلت - أيضاً -:-»

[من مخلع البسيط]

لا تلح قلب الشجي تقابل      معسروفاً أهل الهوى بمنكر  
فلو ترشفت ريق فيه      كنت يقيناً يا صاح تسكر

التخريج: الغيث ١/ ٤٥١، ٢/ ١٠٢.

قال الصفدى: «وقلت أنا:-»

[من السريع]

اترك هوى الأتراك إن شئت أن      لا تبسلى فيهم بهم وضير  
ولا ترج الجود من وصلهم      ما ضاقت الأعين منهم لخير

التخريج: الغيث ٢/ ٢١.

قال الصفدي: «وقلت أنا:-

[من السريع]

حكى هلال الأفق لما مضت له ثلاث واعلى واستنار  
مراة خد بعضها ظاهر والبعض منها فى غلاف العذار

التخريج: الفيث ٥٢/١.

- ٥١ -

قال الصفدي: «وما اتفق - أيضاً -:-

[من مجزوء الخفيف]

بت من ورد خده ولما المعطر  
بين ورد مفتوح وشراب مكر

التخريج: الفيث ٢٢٨/١.

- ٥٢ -

قال الصفدي: «وقلت - أيضاً -:-

[من الطويل]

كلف بوجه فيه بعض سماجة رجاء بأن يحلو إذا هو عذرا  
وعبر بعيد أن يزأن يلحاة فقد يبت المرعى على دمن الثرى

التخريج: الفيث ١٢٥/١.

قال الصفدى: «وقلت:

[من الطويل]

إذا كُنتَ لا علمَ لديكُ تُفِيدُنَا      ولا أنتَ ذو جودٍ فترجوكَ للقرى  
ولا أنتَ ممنَ يُرتجى لكرهه      عَمِلْنَا مِثَالاً مِثْلَ شَخْصِكَ مِنْ خَرَا

التخريج: الغيث ١/ ١٥٦

### قافية الفاء

قال الصفدى: «وقلت فى شيب عِذار الحبيب:

[من الكامل]

قال الحبيبُ وَقَدْ وصفتُ مَشِيبَهُ      والنَّاسُ قَدْ وصفوه لَمَّا عَذَّرَا  
قَطَّفَ الرُّجَالُ الفسولَ عِنْدَ نَبَاتِهِ      وَقَطَّفْتَ أَنْتَ الفسولَ لَمَّا نَوَّرَا

التخريج: الغيث ١/ ١٢٥

قال الصفدى: «وقلت أنا:

[من مجزوء الكامل]

يا خَجَلَةً لجَرِيرٍ مِنْ      قولٍ كَفَانَا اللَّهُ عَارَةً  
طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ القُلُوبِ      بَ وَليسَ ذَا وَقتَ الزِيَارَةِ  
هلَ كَـ\_\_\_\_انَ يَلْقَى إنَّ أَنَا      هُ خَيَالُ مَنْ يَهْوَى خَسَارَةَ



أَوْ كَانَ قَلْبٌ قَدْ حَوَا      هُ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ حِجَارَةٍ

التخريج: الغيث ٢٤٢/١

-٥٦-

قال الصفدى: «وقلت - أيضا - :

[من السريع]

كَمْ أَمَلٍ لَمَّا اقْتَضَاهُ الْغَيْثُ      أَزْرَى وَمَا شَدَّ لَهُ أَزْرًا  
مَا حَمَلْتُ نَفْسٌ جَنِينَ الْمَنَى      فِي الْحَالِ إِلَّا وَضَعْتُ قَدْرًا

التخريج: الغيث ١٧٠/٢

-٥٧-

قال الصفدى: «وقلت أنا من أبيات:

[من السريع]

مُذْ غَابَ مَحْبُوبِي عَنْ نَظْرِي      بَطْلَعَةٍ كَالرَّوْضَةِ النَّاصِرَةِ  
أَبْكَيْ بِطَرْفٍ فِي الدُّجَى سَاهِرٍ      حَتَّى يَرَى شَخْصِي فِي السَّاهِرَةِ

التخريج: الغيث ٤٦١/٢

-٥٨-

قال الصفدى: «وقلت -أيضا- :

[من المتقارب]

يَقُولُونَ لَمَّا رَأَى وَائْتَنَى      وَقَدْ أَخْجَلَ الْغُصْنَ وَالْجُودْرَا  
أَتَشْتَاقُ مِنْ طَرْفِهِ أَيْضًا؟      فَقُلْتُ وَمِنْ قَدِّهِ أَسْمَرَا

التخريج: الغيث ٢٦٦/١

قال الصفدى: «قلت - أيضا -:

[من الطويل]

بِفَيْكَ وَلَا تُبْخَلْ وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ  
فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَّاتِ مِنْ دُونِهَا سِرًّا

أَلَا فَاسْقِنِي مِنْ رِيْقَةٍ لَذَّ طَعْمُهَا  
وَحُطَّ لِثَامًا حَجَبَ اللَّثَمَ عَنْ فَمِي

التخريج: الغيث ١/١٢٥

قال الصفدى: «قلت - أيضا -:

[من الطويل]

هِيَ الْبَدْرُ لَكِنْ حُثَّتْهَا مِنْهُ أَشْهُرُ  
وَلَكِنْ مَا تَحْتَ النَّوَظِرِ أَنْصَرُّ

يَقَابِلُ بَدْرَ التَّمِّ مِنْهُ بَطْلَعَةٌ  
وَفِي خَدِّهِ وَرْدٌ، وَفِي الرَّوْضِ مِثْلُهُ

التخريج: الغيث ١/٢٦٠

قال الصفدى: «قلت:

[من البسيط]

يَهْوَاهُ عُذْرًا إِذَا مَا جَاءَ يَعْتَذِرُ  
قَدْ هَامَ فِيهَا وَقَلْنَا الْأَمْرُ يُغْتَفَرُ  
يَكُونُ فِي الشَّيْبِ حُسْنٌ قَطُّ يَا دُرُّ

كَمْ قَدْ أَقَمْنَا عَلَى حُبِّ الْعَذَارِ لِمَنْ  
وَمَا لَحَيْنَا عَلَى حُبِّ اللَّحَى أَحَدًا  
فَكَيْفَ نَقْضِي عَلَى حُبِّ الشُّبُوحِ وَهَلْ

التخريج: الغيث ٢/١٠٢

قال الصفدى: «قلت:

[من مجزوء الكامل]

مَا كُنْتُ أَحَبُّهَا تَضُرُّ

رَضَّتْ فَرَوَادَى غَادَةٌ

رَدَّتْ رَسُولِي خَائِبًا      فَمَدَامِيعِي أَبَدًا تُدِرُّ

التخريج: الغيث ٤٥٧/٢

-٦٣-

قال الصفدي: «وقلت أيضا:

[من السريع]

كَأَنَّمَا الْأَشْجَارُ فِي رَوْضِهَا      وَالْبَدْرُ فِي غَيْبِهِ مُسْفِرُ  
بَنَاتُ مَلِكٍ خَلْفَ شِبَّاكِهَا      قَامَتْ إِلَى مَوَكِبِهِ تَنْظَرُ

التخريج: الغيث ٢٣٧/١

-٦٤-

قال الصفدي: «وقلت - أيضا :

[من الخفيف]

قُلْتُ إِذْ قِيلَ لِي تَلَّ فَهَذَا      صَدُغُهُ قَدْ دَجَا وَكَانَ يَنْبِرُ  
هِيَ مَرَاةٌ خَدَّهُ غَابَ مِنْهَا      فِي غِلَافِ الْعِذَارِ شَيْءٌ يَسِيرُ

التخريج: الغيث ٣٠٠/١

-٦٥-

قال الصفدي: «وقلت - أيضا :

[من المجث]

رَشَّـفْتُ رِيْقَكَ حُلُومَا      فَلَمْ يَكُنْ لِي صَبْرُ  
وَسَوْفَ أَخْطَى بِوَصْلٍ      وَأَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرُ

التخريج: الغيث ٢٢٤/١



قال الصفدى: «وقلت - أيضا :

[من الطويل]

يَعُودُ هَزِيمُ الْوَصْلِ عُدَّةَ مَنْصُورٍ  
ولولاهُ لم يحتجْ إلى بنت مَنْظُورِ<sup>(١)</sup>  
ولولاهُ كان الدهرُ أَطْوَعَ مَأْمُورِ

تَشَفَّعْتُ لِلْبَيْنِ الْمُشْتِ بِكُمْ عَنِّي  
على أَنَّ جَاءَ الْحِظُّ أَكْرَمُ شَائِعِ  
وما هو إِلَّا الْحِظُّ يَعْتَرِضُ النَّتَى

التخريج: الغيث ١٣٨/٢

قال الصفدى: «فقلت :

[من الطويل]

مُحِبًّا حَبِيبٍ لَمْ يَغِبْ قَطُّ عَنْ فِكْرِي  
تمامًا ونحن الآن في أَوَّلِ الشَّهْرِ

وَلَمَّا تَرَاءَيْنَا الْهَمَّالَ بَدَأَ لَنَا  
فقلتُ عَجِيبٌ أَنْ يُرَى الْبَدْرُ هَكَذَا

التخريج: الغيث ٤٤٦/٢

قال الصفدى: «وقلت مضمَّنًا قولَ المعري في فرند السيف :

[من البسيط]

أَنْ يَتَّبَعَ الْأَسُّ وَسَطَ الْجَمْرِ فِي النَّهْرِ  
مُسَيًّا عَلَى اللُّجِّ أَوْ سَعِيًّا عَلَى السَّعْرِ

مَا كُنْتُ أَحَبُّ لَوْلَا نَبْتُ عَارِضِهِ  
وَلَا ظَنَنْتُ صِغَارَ النَّمْلِ يُمَكِّنُهَا

التخريج: الغيث ١٢٥/١

(١) يشير إلى بيت الفرزدق المشهور:

أَمَا الْبَنُونَ فَلَمْ تُقْبَلْ شَفَاعَتُهُمْ

وَشَفَّعْتُ بِنْتُ مَنْصُورٍ بَيْنَ رَبَّانَا

قال الصفدى: «وقلت فى تفضيل مملوكٍ على خادم:

[من البسيط]

يَا مَنْ يَرْجُحُ وَجْهَهَا كَالظَّلَامِ عَلَى      وَجْهِهِ كَصُبْحِ تَبَدُّى فِى بَنَائِرِهِ  
إِنْ كَانَ مَمْلُوكُهُ هَذَا مِثْلَ خَادِمٍ ذَا      فَمَا انْتِفَاعُ أُخَى الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ

التخريج: الغيث ١/١٢٤، ١٢٥

قال الصفدى: «وقلت -أيضا:

[من الوافر]

بدا فى الخدِّ عَارِضُهُ فَأَضْحَى      عَلَيْهِ مُعْتَفَى بِاللَّوْمِ يُغْرِى  
وَحَاوِلَ أَنْ يَرَى مِنِّى سُلُوءًا      فَقَالَ لَقَدْ تَعَذَّرَ، قُلْتُ صَبْرِي

التخريج: الغيث ١/٢٦٦

قال الصفدى: «قلت:

[من الوافر]

أَقُولُ لِمَنْ يُسَائِلُ عَنْ مَحَلِّى      تَقَدَّمَ وَامْشِ مِنْ خَلْفِ السَّوَارِى  
وَمُرَّ فَحَيْثُمَا تَلَقَّ احْتِكَاكًا      بِسُرْمِكَ لَا تَعُدَّ قَسَمٌ دَارِى

التخريج: الغيث ١/٣٨١

قال الصفدى: «وقلت - أيضا -:

[من السريع]

بِى غَسَادَةٌ لَمْ تَرْضَ بَذَرَ الدُّجَى      يَسِيتُ فِى خِدْمَتِهَا يَسْرِى

هَارُوتُ لَا عِصَادَ إِلَى السَّحْرِ  
وَيَسْلَخُ اللَّيْلَ إِلَى النَّجْرِ  
وَقَلْبُهُ يَخُفِقُ بِالذُّعْرِ  
هَجَّ عَلَى الْوَجْهِ إِلَى الْقَفْرِ  
عَلَى قَذَالِ الْغُصَنِ النَّضْرِ  
وَمَا اسْتَحَتْ مِنْ شَيْبَةِ الزَّهْرِ

إِذَا رَنَتْ أَفْسَمَ مِنْ خَوْفِهَا  
وَفَرَّقُهَا الْوَضَّاحُ يَنْفِي الدُّجَى  
وَالْبَرْقُ لَمَّا ابْتَسَمَتْ كَمْ غَدَا  
وَالظُّبَى لَمَّا أَلْفَتَتْ جِيدَهَا  
فَلَوْ تَنَتَّ قَطَّعَتْ خُفَّهَا  
وَأَذْخَلَتْهُ فِي حِرَامِ النَّقَا

التخريج: الغيث ٣٠١/١

-٧٣-

قال الصفدي: «وقلت - أيضا:

[من السريع]

وَلَمْ أَعَانِدْ حَادِثَ الذَّهْرِ  
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ سِوَى صَبْرِي  
وَعَايَةُ الْعُسْرِ إِلَى الْيُسْرِ  
وَيَخْرُجُ الدُّرُّ مِنَ الْبَحْرِ  
وَيَرْجِعُ النُّورُ إِلَى الْبَدْرِ

لَزِمْتُ بَيْنِي مِثْلَمَا قِيلَ لِي  
وَلَيْسَ لِي دَرْعٌ يَرُدُّ الرَّدَى  
عَلِمَا بِأَنَّ الْبُؤْسَ رَهْنُ الرِّخَا  
فَقَدْ يُسَلُّ السَّبِيْفُ مِنْ غِمْدِهِ  
وَيَبْرُزُ الصَّهْبَاءُ مِنْ دَنِّهَا

التخريج: الغيث ٣٠٩/٢، ٣١٠

-٧٤-

قال الصفدي: «وقلت - أيضا:

[من السريع]

مَشْرِفٌ بِالْغَتِّ فِي شُكْرِهِ  
قُلْتُ: وَلَا أَطِيبُ مِنْ نَشْرِهِ

يَقُولُ صَاحِبِي إِذْ أَتَى مِنْكُمْ  
هَلْ يُلْتَقَى أَكْرَمُ مِنْ طَيْهِ

التخريج: الغيث ٢٦٧/١



قال الصفدي: «قلت أنا:

[من الخفيف]

يَا لَقَوْمِي مِنْ سَطْوَةِ الثُّرَكِ سَلُّوا      بِضْ أَجْفَانَهُمْ لِحَزِّ النُّحُورِ  
كُلُّ لَحْظٍ وَمِثْلُهُ لَكِنْ النَّصْدُ      رَ تَرَاهُ فِي الْحَرْبِ لِلْمَكْسُورِ

التخريج: الغيث ٢٦٠ / ١

-٧٦-

قال الصفدي: «قلت في ذلك أيضا:

[من المتقارب]

رَأَيْتُ الْهَلَالَ وَحُبِّي مَعَا      وَفِي وَجْهِهِ شُغْلُ عَيْنِي وَفَكْرِي  
فَبَشَّرْتُ بِالْعُغْدِ عَيْنِي الَّتِي      أَرْتَنِي الْهَلَالَ عَلَى وَجْهِ بَدْرِي

التخريج: الغيث ٤٤٦ / ٢

قافية السين

-٧٧-

قال الصفدي: «قلت أنا: -

[من الطويل]

تَعَشَّقْتُهُ شَيْخًا أَسَالَ مَدَامِي  
وَحَمَلَنِي مَا لَيْسَ يَحْمِلُهُ النَّاسُ  
فَجَارَ وَأَجْرَى حِينَ جَاوَرَ وَاجْتَرَى  
فَمَا فَاتَهُ مِمَّا يَرُومُ جِنَاسُ

التخريج: الغيث ٧٨ / ١.

قال الصفدى: «وقلت - أيضا -:-

[من البسيط]

لو يعلم الدهر منى أن مصطبري  
كانت جياذ الرزايا كلما اطردت  
يغثال صرف الليالى ثم يفترس  
تحوم حول ربوعى ثم تنعكس

التخريج: الغيث ٢/٣٠٩.

قال الصفدى:-

[من المتقارب]

عذارك والطرف يا قائل  
وقد صار بينهما نية  
يحاكيهما الأس والرجس  
فهذا يدب وذا ينس

التخريج: الغيث ٢/٩.

قال الصفدى: «وقلت: أيضاً:-

[من الوافر]

ذكرتكم وكاسات الندامى  
واضواء الشموع نجوم أفق  
تدور على بدور مثل شمس  
قضت بالأنس فيه لكل نفس  
علت ولها خمضنا كل حين  
يكاد يفوت لطفنا كل لمن  
يلاقىها المحب بغير ترس  
بكاس مرشف كالشهد لعس  
لکم فمضى السرور وغاب أنى  
فغص كل ما أنا فيه ذكرى

التخريج: الغيث ٢/٤٣.

قال الصفدى: واتفق لى فيه - أى فى الخلخال - أيضاً:-

[من السريع]

ما أَصْفَرُ دَارَ عَلَى أبيضِ      لَأَنَّ وَلَكِنْ قَلْبَهُ قَاسِي  
وَرُبُّ سَاقٍ غَصٌّ مِنْهُ وَمَا      أَحْسَنَ هَذَا الْوَصْفَ فِي النَّاسِ  
التخريج: الغيث ١/٦٢.

قال الصفدى:-

[من المشرح]

«قُلْتُ وَقَدْ سِيرْتُ فِي الظَّلَامِ وَقَدْ  
أَهْمَنِي مِنْهُ فَتَقَدُّ إِنْسَاسِي  
كَيْفَ يَطِيرُ الْفَزَادُ مِنْ جَزَعٍ  
وَكُلُّ سَارٍ فَتَقَلَّبُهُ رَاسٍ»  
التخريج: الغيث ٢/٣٠٩.

قافية الشين

قال الصفدى: «وقلت - أيضاً:-

[من الوافر]

كَأَنِّي بَتُّ فِي خَرَسٍ وَرَعَشَةٍ      كَفَفْتُ عَنِ الْأَنَامِ فَمَيَّ وَكَمَيَّ  
فَمَعْنَدِي مِنْ خِيَالِي الْيَوْمَ وَحَشَةٍ      وَكُنْتُ مُتَبَيِّمًا فِي كُلِّ شَخْصٍ  
التخريج: الغيث ١/١٦٠

قال الصفدى: «وقلت:- أيضاً -:-

[من الوافر]

سَأَلْتُ نَسِيمَ أَرْضِكَ حِينَ وَافِي      فَقُلْتُ: صِفِ الْقَوَامَ وَلَا تُحَاشِي  
فَقَالَ: يَلِينُ، قُلْتُ: لِكُلِّ صَدٍّ      وَقَالَ: يَمِيلُ، قُلْتُ: لِكُلِّ وَاشِي  
التخريج: الغيث ١/٢٦٦، ٢٦٧



## قافية الصاد

-٨٥-

قال الصفدي: «وقلت - أيضاً: -

[من الطويل]

هو الرِّزْقُ إِنْ وَاثَاكَ سَعْيًا فَهَيِّنُ  
وَإِنْ تَأْتِيهِ فِي غَيْبِهِ فَعَوِّصُ  
عَلَى أَنْ مَنْ أَلْغَاهُ نَالَ مَنَالاً مَنْ  
يَغُورُ عَلَى تَحْصِيلِهِ وَيُغْوِسُ

التخريج: الغيث ٢/٤٠٣.

## قافية الضاد

-٨٦-

قال الصفدي: «وقلت فيها - أي في الرحبة - أيضاً: -

[مخلع البسيط]

عَدِمْتُ بِالرَّحْبَةِ اكْتِسَابِي      فَلَا قَرِيضٌ وَلَا قَرِاضَةٌ  
وَكَلَّ طَرْفِي بِهَا وَفَكَّرِي      فَلَا رِيَاضٌ وَلَا رِيَاضَةٌ

التخريج: الغيث ١/١١٨.

-٨٧-

قال الصفدي: «وقلت - أيضاً: -

[من السريع]

يَا حُسْنَهُ مِنْ أَشَقَرٍ قَصَّرَتْ      عَنْهُ بَرُوقُ الْجَوِّ فِي الرُّكُضِ  
لَا تَسْتَطِيعُ الشَّمْسُ مِنْ جَرِيهِ      تَرَسُّمُهُ ظِلًّا عَلَى الْأَرْضِ<sup>(١)</sup>

التخريج: الغيث ١/٤٣.

(١) ملحوظة يصف الدكتور نبوي هذه الصورة من صور الربيع بأنها غير شائعة.

## قافية الطاء

- ٨٨ -

قال الصفدي: «وقلت أنا:-

[من الكامل]

أحببتُ من ترك الخطأ ذا قامةٍ      فضحتُ غصونُ البانِ لئلا أنْ خطا  
إياكمُ وجُفِونَه فأنا الذي      سهمُ أصابَ حشاهُ من عينِ الخطا

التخريج: الغيث ٢/ ٢١.

- ٨٩ -

قال الصفدي: «وقلت - أيضاً:-

[من مجزوء الكامل]

يا قلبُ لا تُفْـدِمِ على      سيحْرِ العيونِ إذا سَطَا  
ومنَ العجائبِ أنه      أضْحَى بِصَحْ معَ الخطا

التخريج: الغيث ٢/ ٢١.

## قافية العين

- ٩٠ -

قال الصفدي في جواب كتاب لابن نباته:-

[من المتقارب]

وقَفْتُ على نَظْمِكَ المَشْتَهَى      وشاهدتُ روضَتَه اليانعة  
فكم أَلِفٍ مثل غصنِ النِّقا      وهمزته فوقَه ساجعة  
أقام على الودِّ لى حُجَّة      ولكنْ على الناسِ لى قاطعة  
وقد سَمِعَ العَبْدُ ألفاظَها      فيا حُسَّتَها فى الحشا واقعة

وَأَصْبَحَ شُكْرِي لَهَا تَالِيَا      وَجَمَلَتِ لَنَا جَامِعَةً  
وَرُحْتُ لِأَبَابِ الدُّعَا قَارِعَا      إِلَى أَنْ تُصِيبَ الْعِدَا قَارِعَةً  
التخريج: الغيث ٤٦١/٢.

-٩١-

قال الصفدي: «وقلت: -  
[من الطويل]

أَلَحَّ عَذُولِي فِي هَوَاهُ وَزَادَ فِي      مَلَامِي فَقُلْتُ أُحْتَلُّ عَلَى غَيْرِ مَسْمُوعِي  
فَلَمْ يَدْرِ مِنْ قَرْطِ الْوَلْوَعِ بِذِكْرِهِ      مُصِيبَتُهُ حَتَّى تَعَثَّقَهُ مَعِي  
التخريج: الغيث ٣٦٦/٢، ٣٦٧.

-٩٢-

قال الصفدي: «وقلت- أيضاً - في مقياس نيل مصر:-  
[من الطويل]

يَقُولُ لَنَا الْمَقْيَاسُ وَالنَّيْلُ هَاطِطٌ      لِيَقْطَعَ أَوْصَالَ الْمُنَى وَالْمَطَامِعِ  
وَمَنْ يَأْمَنُ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ      عَلَى الْمَاءِ خَائِنَتُهُ فَرُوجُ الْأَصَابِعِ  
التخريج: الغيث ١٢٥/٢، ٧٦/٢.

-٩٣-

قال الصفدي: «وكننت نظمت قبل هذا:-  
[من السريع]

لَا يَعْجَبُ الْمَرْءُ لِعَكْسِ الْمُنَى      مَا فِكْرُهُ فِي مِثْلِ ذَا نَافِعِ  
فَالْأَنْجَمُ السَّيْعُ الْعُلَى مَا نَجَتْ      مِنْ عَكْسِهَا بِالْفَلَكَ التَّاسِعِ  
التخريج: الغيث ٢٣٩/١.



## قافية الغين

- ٩٤ -

قال الصفدي: «وقلت أيضا:

[من الطويل]

إذا ملكَ الإنسانُ ثوبَ قناعةٍ      ترشَّفَ كاسَ العِزِّ في النَّاسِ سائِغَةً  
ولم يَخْشَ من فقيرٍ رَمَتْهُ سِهَامُهُ      لأنَّ عليه نعمةُ الصَّبرِ سائِغَةً

التخريج: الغيث ٤٠٣/٢

## قافية الفاء

- ٩٥ -

قال الصفدي: «ومما اتفق لي نظمه - أيضا -:

[من المبحث]

حَضَرْتُ مَجْلِسَ قُرُومٍ      وفيه ظبي، مُهَفِّفٌ  
قَامُوا لَهُ وَحَمَمُوهُ      مِنِّي وَقَالُوا تَعَفَّفْ  
دَبُّوا وَدَبُّوا وَدَبُّوا      فلم يَفْنُتْهُمْ مُصَحَّفٌ

التخريج: الغيث ٨/٢

- ٩٥ -

قال الصفدي:

[من السريع]

يا زمتنا أوقَعْنِي شُؤْمُهُ      في محنةٍ ليس لها كاشِفَةٌ  
الفضلُ يَحْتَاجُ إلى عَارِفٍ      والحالُ تُضْطَرُّ إلى عَارِفَةٍ

التخريج: الغيث ٤٦١/٢

قال الصفدى: «ونظمت فيه - أيضا - :

[من المنسرح]

ما ناظم الشُّعر فى محلّ فتى  
يقودُ فاسمع مقالة الظرفا  
ألفَ هذا حُرُوفَه وَسَمَتُ  
هَمَّةُ هذا فـألفَ الحِرْقَا

التخريج: الغيث ٨/٢

قال الصفدى: «وقلت - أيضا - :

[من الطويل]

يقولُ لى العُدّالُ لما عَشِقْتُهُ  
أُسَبِّحُكَ مِنْهُ يا أبا الوجدِ ناظِرُ  
وبعضُ جوابِ الصَّبِّ فيه لطائفُ  
مُهَنَّدُهُ ماضٍ فَقُلْتُ وَسَالِفُ

التخريج: الغيث ٢٦٦/١

قال الصفدى: «وقلت أنا من أبيات:

[من البسيط]

عَلِقْتُهَا مِنْ بَنَاتِ التُّرْكِ قَدْ غَنَيْتُ  
بِاللَّهْوَى عَيْنَهَا عَيْنٌ، وَحَاجِبُهَا  
يَلْقَى الْمُتَبِمُ مِنْ تَشْقِيفِ قَامَتِهَا  
إِنِّى لَأَعْجَبُ لِلْعُدّالِ كَيْفَ رَأَوُا  
بدمعِ عاشِقِهَا عَنْ مَنَّةِ الشَّقِ  
نُونٌ وَتَمَّ الْعَنَا مِنْ قَدِّهَا الْإِلْفِ  
مَا لَا يُلَاقِيهِ كُوفَى مِنَ الشَّقِ  
شَخْصِى وَقَدْ رُحْتُ ذَا رُوحٍ تَرَدَّدُ فِى

التخريج: الغيث ١/١٢٨، ١/٢٢٤

قال الصفدي: «وقلت أنا - وفيه نكتة نحوية -

[من السريع]

لا تجمع الدينار واسمَحْ بِهِ      ولا تَقْلُ كُنْ فِي حِمَى كَفَى  
ما الدهرُ نحوى فينحو الهدى      ويمنع الجمع من الصَّرفِ

التخريج: الغيث ١/ ٢٢٩، ٢٣٠

قال الصفدي: «وقلت - أيضا -:

[من السريع]

بالله لا تأسَ على فِائِتِ      مَضَى ولا تِأْسُ مِنَ اللُّطْفِ  
فقد يجيُ الدهرُ مع قُوءِ      فيه بوقتٍ لِينِ العَطْفِ

التخريج: الغيث ٢/ ٣٠٩

قال الصفدي: «وقلت - أيضا -:

[من السريع]

لا تسأل الناسَ فإِنِّي امرؤٌ      ما طابَ لي عَرَفٌ من العَرَفِ  
واقنعَ ولا تجمعَ حطامًا فكم      في الدهرِ للدينارِ من صَرَفِ

التخريج: الغيث ٢/ ٤٠٣

قال الصفدي: «وقلت - أيضا -:

[من السريع]

لا تعجبوا منه فما حُتُّه      إلا يبلغَ حِرْتُ في وَضْنِهِ  
إن كان قد أوجزَ في حَصْرِه      فإنه أطنبَ في رَدْفِهِ



وما أتى بالواو في صَدَغِهِ      إلا وَقَّسَدَ رَتَّبَ في عِظْفِهِ  
ولفَّ في البُرْدَةِ أعطافَهُ      حتى يَطِيبَ النَّشْرُ مِنْ لَفِّهِ

التخريج: الغيث ٤٦٤ / ١

- ١٠٤ -

قال الصفدي: «وقلت - أيضا -

[من المجث]

نَكَ مَنْ هَجَا لَكَ شَعْرًا      أو شَانَهُ بِزِحَافٍ  
وقلْ لِمَنْ لَامَ فِيهِ      على نَحْتِ الْقَوَافِي

التخريج: الغيث ٢٢٤ / ١

### قافية القاف

- ١٠٥ -

قال الصفدي: «وقلت أيضا:

[من المجث]

لَمْ لَا أَهِيْمُ بِمَصْرِ      وأرتضيهَا وأعشَقْ  
وما ترى العينُ أحلَى      مِنْ مَائِهَا إِنْ تَمَلَّقْ

التخريج: الغيث: ٧٦ / ٢

- ١٠٦ -

قال الصفدي: «وقلت - أيضا - في مليحة في يدها سوار:

[من المتقارب]

تَكُونُ مِنْ بَرْدِ زَنْدِهَا      وَجَمْرُ السَّوَارِ عَلَيْهِ اتَّلَقْ  
فلا ذا على ما علمتُ انطفأ      ولا ذا وحاشاهُ مِنْ ذَا احْتَرَقْ

التخريج: الغيث: ١٠٢ / ٢

قال الصفدي: «وقلت - أيضا - :

[من البسيط]

قد أنزل الدهرُ حظي بالحضيض إلى      أن اغتديتُ بما ألقاهُ مِنْهُ لِقَا  
يَضوعُ عَرَفُ اصطباري إذ يُضِيعُنِي      والعودُ يَزْدَادُ طِيْبًا كُلَّمَا احترقَا

التخريج: الغيث: ٣١٠ / ٢

قال الصفدي: «وقلت - أيضا - :

[من الكامل]

يا شادنا أبداً أرى نفسي له      دونَ البريةِ لا تفارقُ شَيْئَه  
والله ما اتسعتْ همومي في الدُّجَى      حتى بُليتُ بمَقَلَّتَيْكَ الضَّيْقَه

التخريج: الغيث ٢١ / ٢

قال الصفدي: «وقلت - أيضا - :

[من الطويل]

ألا فاطرحْ عنكَ التَّمَنَّى ولا تَبْتَ      بكاساته نَشْوَانٌ غَيْرَ مُفِيقِ  
وإنْ كَانَ عَمَّا لَا غِنَى عَنْهُ فليَكُنْ      وفاءَ عَدُوٍّ أو حياءَ صديقِ

التخريج: الغيث ١٧٠ / ٢

قال الصفدي: «وقلت أنا ملغزاً في موسى :

[من الوافر]

وما شئٌ له حَدٌّ وَحَدٌّ      بِكَلِمٍ مَنْ يَلَامِيهِ بِحَقِّهِ

وَكُلُّ حَلْقَةٍ مِنْ تَحْتِ رَأْسٍ      وَهَذَا الرَّأْسُ يُصْبِحُ تَحْتِ حَلْقَةٍ

التخريج: الغيث ٢٦٢/١

-١١١-

قال الصفدي: «وقلت أنا:

[من الكامل]

أُبْعِدْتَ مَنْ رَخَزَ حَتَّهُ عَنْ أَضْلَعِ      مَا أَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْغَرَامِ بَعَاشِقِ  
هَذَا يَدُلُّ النَّاسَ مِنْكَ عَلَى الْجَفَا      إِذْ لَيْسَ هَذَا فِعْلٌ صَبٌّ وَامْتِقِ  
إِنْ شئتَ قُلْ: أُبْعِدْتُ عَنْهُ أَضَالِعِي      لِيَكُونَ فِعْلُ الْمُسْتَهَامِ الصَّادِقِ  
أَوْ قُلْ: قَبَاتَ عَلَى اضْطِرَابِ جَوَانِحِي      كَالطُّفْلِ مُضْطَجِعًا بِمَهْدِ خَافِقِ

التخريج: الغيث ٢٨٨/١

-١١٢-

قال الصفدي: «وقلت أنا في مליح ساقى:

[من الكامل]

كَلَّفَنِي بِسَاقِ كُلِّ وَعْدٍ مِنْهُ لِي      مَا زَالَ يُخْلِفُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ  
حَتَّى قَطَعْتُ مَطَامِعِي مِنْ وَعْدِهِ      وَنَسِيتُ عِرْقُونَكَ بِهَذَا السَّاقِي

التخريج: الغيث ٣٥٢/٢

-١١٣-

قال الصفدي: «ذكرت ما قلته أنا قديما:

[من السريع]

قُلْتُ لَهُ إِذْ هَزَّ لِي ذَقْنَهُ      وَلَامَ فِي مَنْ ذَبْتُ فِي عِشْقِهَا:  
تَذَكَّرُ إِذْ غَنَّتْ؟ فَنَادَى نَعَمْ      فَقُلْتُ وَاشْرُقَا إِلَى حَلْقِهَا

التخريج: الغيث ٣٩٥/١



قال الصفدي: «وقلت - أيضا - :

[من السريع]

لَقَدْهَا إِذْ يَنْشَى صَوْلَةٌ      معروفة ما بين عشائِها  
قَدْ قَطَعَتْ ظَهَرَ غَصُونِ الرَّبِيِّ      وجرت الورق بأطواقِها

التخريج: الغيث ٣٠٠ / ١

قال الصفدي: «وقلت أنا:

[من الخفيف]

وسيف إذا مَضَتْ في جراح      قلت هذا بنفسج في شقيق  
ينشد الجسمُ رُوحَهُ مِنْ ظِهَا      ودماءُ بين النقا والعقيق

التخريج: الغيث ٣٥ / ٢

### قافية الكاف

قال الصفدي: «وقلت - أيضا - :

[من السريع]

صدق خَلَى نِصَمَاتِ الصَّبَا      فيما روت عنك وما شكاً  
وَقَالَ: لَا أَخْبِرُ مِنْهَا بَمَا      جاءت به، قلت: ولا أركى

التخريج: الغيث ٢٦٧ / ١

قال الصفدي مخاطباً ابن نباته:

[من البسيط]

أَهْدَيْتُهُ سَمَكًا يَصْطَادُ وَدَكٌ لِي  
فَلَيْسَ ذَا سَمَكًا لَكُنَّ شَبَكَ  
لَا يُنْكَرُ التَّمَرُ إِذْ يُهْدَى إِلَى هَجَرٍ  
فَأَنْتَ بَحْرٌ وَقَدْ أَهْدَى لَكَ السَّمَكُ

التخريج: الغيث ٢/ ٤٢٩

قال الصفدي: «وقلت أنا:

[من الطويل]

تَمَسَّكَ بِذُلٍّ فَهِيَ أَلْيَقُ بِالْهَوَى  
لَتُنْظَمَ مَعَ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ فِي سِلْكِ  
مَتَى لَاقَ بِالْعُشَّاقِ عِزٌّ وَسُطُورَةٌ  
كَأَنَّكَ مِنْ ذُلِّ الْمَحَبَّةِ فِي شَكٍّ

التخريج: الغيث ٢/ ٤٢٩

قال الصفدي: «وقلت أنا في مثل هذا النوع (\*):

[من مخلع البسيط]

أَضَاعَ نُكْحِي عَذَارُ تُرْنِي  
فَكَيْفَ تُرْنِي لِحَاطَ تُرْنِي  
قَدْ شَكَّ قَلْبِي بِرُمَحٍ قَدْ  
قَدْ فَوَّادَى بِغَيْرِ شَكٍّ

التخريج: الغيث ٢/ ٢٠٣

(\*) يقصد ردة العجز على الصدر وهو من أنواع البديع.

قال الصفدى: «وقلت:

[من الكامل]

علم الوشاة بأن ريق معذبي      راح تُعيدُ الصَّبَّ بعدَ هلاكِهِ  
أما أنا لم يبدُ هذا من فمي      لكنَّ هذا من فُضُولِ سِوَاكِهِ

التخريج: الغيث ١ / ٤٥١

قال الصفدى: «وقلت أنا:

[من السريع]

أشكو إلى البدر ليالى الجفا      وليس يذرى ما بمُضْنَاكِ  
فهو سَمِيرى أتسَلَّى به      وإنما البدرُ مُحَيَّاكِ

التخريج: الغيث ١ / ٣٤٣

### قافية اللام

قال الصفدى: «وقلت- أيضا-:

[من السريع]

وجدتُ فى عشرةِ صحبى أذى      لما لزمتُ البيتَ فى الوقتِ زَالِ  
يا عجباً من أشعَرى غدا      يَحْمَدُ رأى النَّاسِ فى الاعتزالِ

التخريج: الغيث ١ / ١٦٠

قال الصفدى: «وذكرت- هنا- ما نظمته فى مליح قابل معى كتاباً وهو:

[من المجث]

جَنَيْتُ خَـ \_\_\_\_\_ ذَكَ وَرَدَا      غَضًّا وَقَدْ ذَكَ ذَابِلُ



فَهَـمَا أَنَا كُلَّ وَقْتٍ أَجْنَى وَأَنْتَ تُقْسِـمُـنِي

التخريج: الغيث ٧٩/٢

-١٢٤-

قال الصفدي: « وما قلته في الخيال:

[من المخلع البسيط]

لم يرني الطَّيْفُ إِذْ أَتَانِي      لِدَوْبِ جِئِمِي بِكَ انْتَحَالَا  
وعندمـا دَلَّهُ أَنِينِي      بَاتَ كَلَانَا يَرَى خَيَّالَا

التخريج: الغيث ٢٤٣/١

-١٢٥-

قال الصفدي: « وقلت مضمناً قول المعري:

[من الوافر]

وَأَشْقَرَتْ نَبْتُ عَارِضَةٍ تَرَاهُ      كَانَ شُعَاعَ وَجَنَّتِهِ تَلَالَا  
وَدَبَّتْ فَرْقَهُ حُمُرُ الْمَنَايَا      وَلَكِنْ بَعْدَمَا مُسِخَتْ غَمَالَا

التخريج: الغيث ١٢٥/١

-١٢٦-

قال الصفدي: « وقلت أنا مضمناً:

[من الخفيف]

لِي أَيْرُ يَنَامُ شَوْمًا وَلَوْ مَا      إِنْ أَنَا نِلْتُ مِنْ حَبِيبٍ وَصَالَا  
وَإِذَا مَا غَدَوْتُ فِي الْبَيْتِ فَرَدَا      طَلَبَ الطَّعْنِ وَحَدَّهُ وَالتَّرَالَا

التخريج: الغيث ٢٤١/٢

قال الصفدى: «وقلت فيه - أيضاً:-

[من الطويل]

هويتُ خيالِيَا حَكَى الغُصْنُ قَدَّهُ  
إذا ما انتنى هاجتُ عليه البَلابلُ  
أراق دَمَ العُشَّاقِ سَيْفُ جُفُوفِهِ  
وَمِنْ بَعْدِ ذَا أَضْحَى عَلَيْهِمُ يُخَالِلُ

التخريج: الغيث ٤٢٤ / ٢

قال الصفدى: «وقلت أنا:-

[من مخلع البسيط]

عشقتُ شيخاً بديعَ حُنٍ      لام على حُبِّهِ العَذُولُ  
كَأَنَّ ياقوتَ وَجَّتَيْنِ      لِلشَّيْبِ فِيهَا حبالُ لولو

التخريج: الغيث ٣٨٥ / ٢

قال الصفدى: «وقلت فى مليح أحب أسود:-

[من المتقارب]

أَيَا مَنْ تَكَلَّفَ حُبَّ الْعَبِي      دِ ذَلكِ فى العَقْلِ لا يَجْمَلُ  
فَلَرَبَّتْما عِنْدَ قَدْرِكُما      لَبِتْ راعِلاكُما الاسْفَلُ

التخريج: الغيث ١٢٤ / ١، ٢١٥ / ٢، ٢١٦

قال الصفدي: «وقلت أنا: -

[من الطويل]

وَرُبَّ صَدِيقٍ غَاظَهُ حِينَ جَاءَهُ      مِنْ الْقَوْمِ صَفْعٌ دَائِمٌ الْهَظْلُ بِالنَّظْلِ  
فَقُلْتُ لَهُ تَأْبَى الْمَرْوَةُ أَنَا      تُخَلِّيكَ يَا بَسَنَانُ فِينَا بَلَا نَخْلُ

التخريج: الغيث ٣٣٧/١

قال الصفدي: -

[من الطويل]

تَدَاهَى عَذُولِي فِي الْغَرَامِ وَلَمْ تَكُنْ      مَقَاصِدُهُ تَخْفَى عَلَى عَاشِقٍ مِثْلِي  
أَحَبُّ فَلَمَّا غَارَ مِنِّي وَخَافَ أَنْ      أَفَانِحُهُ فِي ذَاكَ سَابِقَ بِالْعَذْلِ

التخريج: الغيث ٣٦٦/٢

قال الصفدي «ثم جمعت الـة - أي الدهاة الـة - في قوله: -

[من الطويل]

مِنْ الْعُرْبِ إِنْ رُمَتْ الدَّهَاءُ فَسِئَّةُ  
مَوَائِدُ قَسْطِلٍ مِمَّا بِهِنَ طُفَيْلِي  
مَعَارِيَّةٌ، عَمْرُو، زِيَادٌ، مَغِيرَةُ  
وَقَيْسٌ، وَعَبِيدُ اللَّهِ نَجْلُ بُدَيْلٍ

التخريج: الغيث ٧٥/١



قال الصفدى: «وقلت أنا:-

[من الطويل]

«لَنْ رُحْتُ مَعَ فَضْلِي مِنَ الْحَظِّ خَالِيَا  
وغيرى على نقصٍ به قَدْ غدا حالى  
فإِنِّي كَثُفِرَ الصَّوْمُ أَصْبَحَ عَاطِلًا  
وطوقُ هِلَالِ الْعِيدِ فِي جِيدِ شَوَالٍ»

التخريج: الغيث ١٢٥/٢

قال الصفدى:-

[من البسيط]

«تَقُولُ يَعْكُسُ آمَالِي وَأَنْتِ كَمَا  
عَلِمْتَ فِي عَالَمٍ فِي التُّرْبِ مُسْتَقِلٍ  
أما ترى الشَّمْسَ تَلْقَى عَكْسَ مَقْصِدِهَا  
فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَوْلَا ذَاكَ لَمْ تَفِلِ»

التخريج: الغيث ٢٣٩/١

قال الصفدى: مضمناً عَجَزَ بَيْتُ الطُّغْرَانِيِّ: «لِي أَسْوَةٌ بَانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ  
زَحَلٍ»:

[من البسيط]

«أَفْدَى حَيِّبًا لَهُ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ  
مَنْ جَرَّاحُ بَسِيفِ اللَّحْظِ وَالْمَقَلِ  
تَقُولُ وَجْتُهُ مِنْ تَحْتِ شَامَتِهِ  
لِي أَسْوَةٌ بَانْحِطَاطِ الشَّمْسِ عَنْ زَحَلٍ»

التخريج: الغيث ٢٨٩/٢

قال الصفدي : مضمنا قول الطغرائي لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل -

[من البسيط]

رأيتُه تحت عبيد بات يرهُزُهُ      فقلتُ ترضى بذا قُبِّحتَ من رَجُلٍ  
وكيف يعلوكَ عَبْدُ السَّوءِ قال نعم      لى أسوةً بانحطاط الشمس عن زحلٍ

التخريج: الغيث ٢/ ٢٨٩

قال الصفدي : «وقلت أنا فى مليحة أسنتُ» -

[من البسيط]

قالوا اسألها قَدْ ذَوَى عَنَابِ راحِتيها  
وأنت رهنُ صَبَاباتٍ وتضليلِ  
فقلتُ لستُ بِسَالٍ حُبَّها أبدا  
وكَلِّمَّا كَرَرْتُشَ العَنَابِ يحلو لى

التخريج: الغيث ٢/ ٣٨٦

قال الصفدي : «وقلت أنا فى مَلِيحِ مخايلِ» -

[من مخلع البسيط]

مخايلِ قَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ      مخايلِ البدر فى الكمالِ  
تُريكَ بابائهُ فنوئا      تروقُ فى الحُسنِ والجَمالِ  
فَقَدْ غداً وَصَلَهُ بِقَينا      أحسنَ ما كان فى الحَيالِ

التخريج: الغيث ٢/ ٤٢٤

قال الصفدى: «وقلت: - أيضا:-

[من الوافر]

وَحَقُّكَ لَوْ حَكَاهَا غَصْنُ بَانَ      لَقَطَعْتُ الْخُفَّافَ عَلَى قَذَالِهِ  
وَلَمْ يَفْتَحْ لِعَيْنِ الزَّهْرِ جَفْنَا      لِيَنْظُرَ فِي الْغَدِيرِ إِلَى خَيَالِهِ

التخريج: الفيث ١/ ٣٠٠، ٣٠١

قال الصفدى: «وقلت: أيضا:-

[من الكامل]

يَا أَمْرِي بِالصَّبْرِ عَمَّنْ شَفَنِي      سَقَمًا وَفِي فِيهِ شِفَاءُ غَلِيلِي  
مَنْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ أَوْ يَرْضَى بِهِ      عَنْ مِثْلِ ذَاكَ الْمُرْشَفِ الْمَعْسُولِ

التخريج: الفيث ١/ ٤٥١

قال الصفدى: «وقلت أنا في الوحدة:-

[من السريع]

لَزِمْتُ بَيْتِي كَلْزَوْمِ الْبِنَا      فِي الْقَعْلِ وَالْخَرْفِ عَلَى الْأَصْلِ  
وَاسْتَوْحِشْتُ نَفْسِي حَتَّى لَقَدْ      نَفَرْتُ لَوْ أَمَكُنْ مِنْ ظِلِّي

التخريج: الفيث ١/ ١٦٠

قال الصفدى: «وقلت:-

[من السريع]

يَا حَسْرَةً فَبِهِ عَلَى سَلْوَةٍ      لَيْسْتَ رِيحَ الْقَلْبِ مِنْ عَسَاذِلِي  
فَإِنَّ عَمْرِي بَيْنَ ذُلِّ الْهَوَى      وَعَذْلِهِ قَدْ ضَاعَ فِي الْبَاطِلِ

التخريج: الفيث ٢/ ٣٦٦



قال الصفدى: «وقلت: أيضا:-

[من السريخ]

غَنَّى بِشِعْرِ سَمِيرًا قَانَشَى      مَشَبَّ الْجَوْقَةِ يَدْعُو لى  
وقال ما مقطوعه داخل      لَذاك يَسْخَرُ مَوْضُولى

التخريج: الغيث ٢٨٧/١

قال الصفدى: «وقلت أنا:-

[من المجث]

لِلَّهِ قَوْمٌ حَمُونى      من حَادَثَاتِ اللبِالى  
صَانُوا وصَابُوا وصَالُوا      كَذا جَنَاسُ المَعَالى

التخريج: الغيث ٧٨/١

قال الصفدى: «وحاولت أنا نظم شيء.. فقلت:-

[من المجث]

كَفَلْتُ حَمَلًا غَرَامى      لَهُ بِفَرَطٍ نَحْوِلى  
فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِغَيْرِى      فى الْقَمِ مَضَى كَفِلى

التخريج: الغيث ٤٠٨/١



## قافية الميم

-١٤٦-

قال الصفدي: «ونظمت أنا في هذا المعنى\*:

[من الطويل]

أَلَا إِنَّ مَنْ عَانَى الْقَرِيضَ يَطْبَعُهُ  
يَقْدُودُ فَأَرْسِلْهُ لِمَنْ صَدَّ وَاحْتَسَمُ  
أَلَمْ تَرَهُ إِنْ قَالَ شِعْرًا مُجَنِّسًا  
يُؤَلَّفُ مَا بَيْنَ الْحُرُوفِ إِذَا نَظَّمَ\*

التخريج: الغيث ١-٧٧/٧٨

-١٤٧-

قال الصفدي: «وقلت أنا:

[من الطويل]

وَمَا حَسَدَتْ نَفْسِي سِوَى نَفْسِ الصَّبَا	وَلَا سِيَمَا يَوْمَ قَطَعْنَاهُ بِالْحِمَى
فَكَمْ ضَمَّ عَطْفًا لِلْغُصُونِ مُرْتَحَا	وَعَانَقَهُ قَدْأُ الْقَضِيبِ مُقَوَّمَا
وَقَبْلَ خَدِّ الْوَرْدِ وَهُوَ مُضْرَجٌ	وَتَغْرِ الْأَقَاحِي فِي الرُّبَى إِذْ تَبَسَّمَا
وَكَمْ بَاتَ يَسْتَجْلِي عِذَارَ بَنْفَجٍ	سَقَّتُهُ الْغَوَادِي صَوْبَهَا فَتَنَمَّمَا*

التخريج: الغيث ١/٣٠٠

(\*) يقصد معنى بيت أسعد بن عاتى

طبعُ المجنس فيه نوعُ قيادة أو ما ترى تاليقه للأحرفِ

قال الصفدى: «وقلت:-

[من الطويل]

تَعَشَّقْتُهُ مِثْلَ الْقَضِيبِ إِذَا انْتَنَى      بِرَجْهِ حَكَى الْبَدْرَ الْمُتَنِيرَ إِذَا تَمَّ  
فَإِنْ كَانَ عُدَّالَى عَمُوا عَنْ جَمَالِهِ      فَلَئِنْ أَذُنٌ عَنْ كُلِّ مَا نَقَلُوا صَمًّا

التخريج: الغيث ٣٦٦/٢

قال الصفدى: «وقلت:-

[من البسيط]

قَالُوا عَلَا نَيْلُ مَصْرِ فِي زِيَادَتِهِ      حَتَّى لَفِدَ بُلُغَ الْأَهْرَامِ حَبَسَ طَمًا  
فَقُلْتُ هَذَا عَجِيبٌ فِي بِلَادِكُمْ      أَنَّ ابْنَ سِتٍّ وَعَشْرٍ يَبْلُغُ الْهَرَمَا

التخريج: الغيث ٧٦/٢

قال الصفدى: «وقلت - أيضًا - فى بكاء المحبوب:-

[من الطويل]

بِمُقْلَةٍ مَحْبُوبِي دُمُوعٌ تَحَدَّرَتْ      دَلَالًا عَلَى صَبٍّ غَدَاً وَهُوَ مُغْرَمٌ  
فَشَبَّهْتُ عَيْنَهُ سَيُوفًا وَقَدْ غَدَتْ      مِنْ النُّيْهِ فِي أَغْمَادِهَا تَبَسُّمٌ

التخريج: الغيث ١٢٤/١

قال الصفدى: «وقلت فيمن يتهم بحاله مع معشوقه:-

[من الطويل]

يَقُولُ لَهُ الْمَعشُوقُ وَهُوَ يَلُوطُهُ:      لَعَلَّكَ تَحْنَى بَعْدَ ذَاكَ تَنَامُ  
فَقَالَ وَهَلْ فِي الْعَيْشِ لِلنَّاسِ لَذَّةٌ      إِذَا لَمْ يَكُنْ تَحْتَ الْكَرَامِ كِرَامُ

التخريج: الغيث ١٢٤/١



قال الصفدى: «وقلت أنا:-

[من البسيط]

إِنْ كُنْتَ تَنْكَرُ حَالِي فِي الْغَرَامِ وَمَا      الْقَى وَأُنَى فِي دَعْوَايَ مُتَّهَمُ  
فَاللَّيْلُ وَالْوَيْلُ وَالتَّسْهِيدُ تَشْهَدُ لِي      وَالْحَزَنُ وَالْدَّمْعُ وَالْأَشْوَاقُ وَالسَّقَمُ

التخريج: الغيث ٤٣٣/٢

قال الصفدى: «وقلت وقد عدتُ مليحًا أرمد:-

[من البسيط]

أَيْقَظْتُهُ مِنْ كَرَاهٍ بَعْدَ مَا رَقَدَتْ      عَيْنَاهُ لَأَمْسَهُ مِنْ بَعْدِهَا أَلَمْ  
قَدْ زُرَّتْهُ وَسَيْفُ الْهِنْدِ مَغْمَدَةٌ      وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسَّيْفُ دَمٌ

التخريج: الغيث ١٢٤/١

قال الصفدى: «وقلت أنا:-

[من المنرح]

هَذَا مُحِبٌّ وَمَا يُخْلَصُهُ      فِي دِينِهِ إِنْ وَشَاتُهُ أَثَمُوا  
فَوَاصِلِيهِ وَاضْعَى لِمَغْلَطَةٍ      يَقْبَلُهَا مِنْ طِبَاعِهِ الْكُرْمُ  
يَا وَجْحَ وَصْلِي أَتَى بِحِيلَتِهِ      إِنْ كُنْتَ لَمْ تُرْعَ عِنْدَكَ الدَّمَمُ

التخريج: الغيث ١٢٤/٢

قال الصفدى: «وقد ضمنت هذا البيت (\*) فى معنى نظمته :-

[من البسيط]

أقول إذ نالنا فى برٍّ مِصْرَعَنَا      لما أتينا إلى الأهرام فى الظُّلَمِ  
أنى الزمانُ بنوه فى شَجِيبَتِهِ      فسَرَّهم وأتينا على الهرمِ

التخريج: الغيث ١٧٤/٢

قال الصفدى: «وقلت أنا فى الحظ :-

[من البسيط]

شكوتُ حظى إلى دهرى ويئتنى      فضلى، ولكنها لم يَرْضَها حكى  
مأربُ عاقنى عن نيلها قدرٌ      جرى ولكنها لم تَعْلُ عَنْ همى

التخريج: الغيث ١٣٧/٢، ١٣٨

قال الصفدى: «وقلت فى النوع الأول أيضا (\*\*): -

[من مixel البسيط]

قد فاقَ غُصَنَ النَّقا حَبِيبى      وأَجَلَ البدرَ فى التَّمامِ  
ذاك قِوامٌ بلا مُحَايَا      وذا مُحَايَا بلا قِوامِ

التخريج: الغيث ٢٠٣/١

(\*) أى بيت أبى الطيب المتبى، وهو البيت الثانى من بيتى هذه المقطوعة.

(\*\*) يقصد من أنواع رد العجز على الصدر.

قال الصفدي:-

[من الكامل]

أنا والحبيبُ وَمَنْ يَلُومُ ثَلَاثَةً      لَهُمْ بَدِيعُ الْحُبِّ أَصْبَحَ يَتَمَى  
فَلَيْ الْجِنَاسُ لَأَنَّ دَمْعِي مِنْ دَمِي      يَجْرِي أَلَسْتَ تَرَاهُ مِثْلَ الْعَنْدَمِ  
وَلَهُ مِطَابَقَةُ التَّوَاصِلِ بِالْقَلَى      وَلِعِاذْلِيهِ لُزُومُ مَا لَمْ يَلْزَمْ

التخريج: الغيث ٤٦٤ / ٢

- ١٥٩ -

قال الصفدي: «وقلت فيه أيضا:-

[من السريع]

قَدْ زَادَ هَذَا النَّيْلُ فِي عَامِنَا      فَأَغْرَقَ الْأَرْضَ بِإِنْعَامِهِ  
وَكَادَ أَنْ يَعْطَفَ مِنْ مَائِهِ      عَرَى عَلَى أَزْدَارِ أَهْرَامِهِ

التخريج: الغيث ٧٦ / ٢

- ١٦٠ -

قال الصفدي: «وقلت أيضا:-

[من المتقارب]

ضَمَمْتُ خِيَالَكَ لَمَّا أَتَى      وَقَبَّلْتُهُ قُبْلَةَ الْمُغْرَمِ  
وَقُتْمْتُ وَمِنْ فَرْحَتِي بِاللُّقَا      حَلَاوَةُ ذَاكَ اللَّمَى فِي قَمِي

التخريج: الغيث ٢٤٣ / ١



## قافية النون

-١٦١-

قال الصفدى: «وقلت فيه أيضاً:-

[من السريع]

وَرُبَّ أَعْمَى وَجْهُهُ رَوْضَةٌ      تَزْهَى فِيهَا كَثِيرُ الدُّيُونِ  
فِي خَلْدِهِ وَرَدٌ غَنِينَا بِهِ      عَنْ نَرْجِسٍ مَا فَتَحَتْهُ الْعِيُونُ

التخريج: الغيث ٢/ ٣٢١.

-١٦٢-

قال الصفدى: «وقلت أنا:-

[من الطويل]

أَقُولُ لَهُمْ قَدْ رَقَّ عَيْشِي وَالصَّبَا      وَعَقْلِي وَكَاسَاتِي وَصَوْتِي الَّذِي غَنَّى  
فَقَالَ الَّذِي أَهْوَى: وَخَصْرِي نَسِيَتْهُ؟      فَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ قَدْ جِئْتُ فِي الْمَعْنَى

التخريج: الغيث ١/ ٢٢٢.

-١٦٣-

قال الصفدى: «وقلت أنا:-

[من الكامل]

وَلَقَدْ أَتَيْتُ لِصَاحِبٍ وَسَأَلْتُهُ      فِي قَرْضِ دِينَارٍ لِأَمْرِ كَانَا  
فَأَجَابَنِي وَاللَّهِ دَارِي مَا حَوَتْ      عَيْنَا فَقُلْتُ لَهُ وَلَا إِنْسَانَا

التخريج: الغيث ١/ ٢٦٦.

-١٦٤-

قال الصفدى: «وقلت أنا:-

[من الكامل]

لَا كُنْتُ يَا فَضْلَ الشُّتَاءِ فَإِنَّا      لَمْ تَأْتِ إِلَّا نُضْرِمُ النَّيِّرَانَا

فإذا تطاردُ فيكَ خيلُ شرارها رَجَعَتْ بِحِدَّتِهَا بنا خيلانا  
التخريج: الغيث ١/ ٤٢٥.

- ١٦٥ -

قال الصفدي: «وقلت أنا في شرط الصحة:-

[من المتقارب]

صديقك مهما جنى غطه ولا تُخَفْ شيئاً إذا أحسنا  
وكن كالظلام مع النار إذ يوارى الدُّخَانُ ويُبْدِي السَّاءُ  
التخريج: الغيث ١/ ٣٣٤.

- ١٦٦ -

قال الصفدي:-

[من البسيط]

إذا تيسَّر لي في مصر واجتمعتُ سَبْعُ فِائِي في اللذات سلطانُ  
خودُ وخمرُ وخاتونُ وخادمها وخلةُ وخلاعاتُ وخِلَانُ  
التخريج: الغيث ٢/ ٤٥٩.

- ١٦٧ -

قال الصفدي:-

[من البسيط]

إن قَدَّرَ اللهُ لي في العُمُرِ واجتمعتُ سَبْعُ فما أنا في اللذات مغبونُ  
قصرُ وقدرُ وقوادُ وقَحْبَةُ وقهوةُ وقناديلُ وقانونُ  
التخريج: الغيث ٢/ ٤٥٩.

قال الصفدي: «ومما نظمته أنا: -

[من الطويل]

وقائلة فيم اجتهدك للغنى  
فقلت لها والله ما بي حاجة  
ولكن حقوقى للعلى قد ترتبت  
فلو وجدت كفى لبرأت ساحتى  
وقد رقدت للحظ منك عيون  
لتحصيل دنيا فالأمور تهون  
على ذمتى مفروضة وديون  
وكنت أريك الجود كيف يكون

التخريج: الغيث ١/ ٢٢٧.

قال الصفدي: «وكتبت أنا إلى المولى جمال الدين محمد بن نباته: -

[من الكامل]

لو أن قربك بالنفوس يكون  
لكن دهرى أنت تعلم أنه  
هذا إذا عاهدته أن نلتقى  
دهر له فى كل يوم خضبة  
كان العزيز لمثل ذاك يهون  
بنوى الحبيب موكل مقرون  
ينسى، وإن أنصفت قلت يخون  
بأهله ما عند ذاك بمين

التخريج: الغيث ٢/ ٣٥٣.

قال الصفدي: «وقلت أيضا: -

[من الوافر]

وأخوان وثقت بهم فأضحى  
ولما أن أسأت الظن كفوا  
أذا هم يغتربنى كل حين  
فواعجباه من ظن يقينى

التخريج: الغيث ١/ ٤٠٨.



قال الصفدي: «وقلت أنا:-

[من الكامل]

مولي تَقَرَّعَ مِنْ كِرَامٍ وَجْهَهُمْ      وبنائهم للمُجْتَلَى والمَجْتَنَى  
فاقوا الانامَ علأَ وَهُمْ مِنْ جَنَسِهِمْ      ومنَ الحِجَارَةِ اِثْمَدٌ لِلْأَغْنَى

التخريج: الغيث / ٣٦٠.

قال الصفدي: «وقلت أنا في المشورة:-

[من الكامل]

لا تَسْعَ فِي امْرٍِ وَلَا تَعْمَلْ بِهِ      ما لَمْ يَزِنْهُ لَدَيْكَ عَقْلٌ ثَانِي  
فالشَّعْرُ مَعْتَدِلٌ بِوَزْنِ عَرُوضِهِ      وكذا اعتدالُ الشَّمْسِ بِالْمِيزَانِ

التخريج: الغيث ١ / ١٥٣.

قال الصفدي: «وقلت أنا في المشورة:-

[من الكامل]

حسبي الذي ألقاه من ألم الهوى      وعلى الصحيح فبعضُ ذاك كفاني  
فانظر إلى قلبي إذا قابَلْتَهُ      يا غصنُ كيف يطيرُ بالخَفَقَانِ

التخريج: الغيث ٢ / ١٠٢.

قال الصفدي: «وقلت - أيضاً:-

[من الكامل]

سافر تَنَلُّ رُتَبَ المَفاخِرِ والعُلا      كالدرِّ سارَ فصارَ في التيجانِ  
وكذا هلالُ الأفقِ لو تَرَكَ السُّرَى      ما فارقَنهُ مَعَرَّةُ النُّقْصَانِ

التخريج: الغيث ٢ / ١١٩.

قال الصفدى: «وقلت أنا:-

[من الكامل]

سافر تَلَّ عِزًّا فما مِسْكُ الورى  
والرَّمَحُ لَمَّا فارقَ الوطنَ اغتدى  
إلا دَمٌ فى سُرَّةِ الغِرْلانِ  
بذؤابة خفقت وتاج سنانِ  
التخريج: الغيث ١١٩/٢.

-١٧٦-

قال الصفدى:-

[من مجزوء الكامل]

لم أنسه فى روضه  
فأعلم الورق البكا  
والطير تصدح فوق غصن  
ويعلم البان التثنى  
التخريج: الغيث ٤٦٣/٢.

-١٧٧-

قال الصفدى: «وقلت - أيضاً:-

[من الخفيف]

قد سألت النسيم وهو خبير  
قلت: قل لى: هل ورد خدي غص  
بسؤالى إذ غاب وجهك عنى  
قال قد ضاع نشره، قلت منى  
التخريج: الغيث ٢٦٦/١.

-١٧٨-

قال الصفدى: «وقلت - أيضاً:-

[من الخفيف]

وغزال غزا فؤادى بسهم  
كم سقانى من ثغره كاس خمر  
ومنان من طرفه الوسنان  
فرشفت السلاف من أقحوان  
التخريج: الغيث ٤٥٢/١.

-١٧٩-

قال الصفدى: «فلما أصبحت أنشدته - أى ابن نباته - فى معناه:

[من المجث]

يقول ردف حبيبى  
ما أنت يا غصن قدى  
وعطفه التثنى  
ولا كنت ببك وزنى  
التخريج: الغيث ٤٠٣/١.

## قافية الهاء

- ١٨٠ -

قال الصفدي: «وقد لحت أنا إلى قول ابن خفاجة<sup>(١)</sup> فنظمته وزدت فيه مع الاستعارة حسن التعليل:-

[من الكامل]

أضحى نسيمُ دمشق حياها الحيا      يمشي الهوينى في ظلالِ حِمَاهَا  
فكأنه من مائها وهضابها      ما داس إلا أعينها وجبَاهَا  
التخريج: الغيث ١/ ١١٣.

- ١٨١ -

قال الصفدي: «ولما اتفق لى نظمه:-

[من الرجز]

قل للرقيب يسترخ من رضى      ما أصبح المعشوق عندي مُشْتَهَى  
وارتد قلبي عن سيوف لحظه      وكل شيء بلغ الحد انتَهَى  
التخريج: الغيث ١/ ١٢٤، ٢/ ٥١.

- ١٨٢ -

قال الصفدي: «وقلت أنا:-

[من الكامل]

هل يكتسى المحبوب قبحاً زائداً      بدلاً من الحُسن الذى غطاهُ  
وأراهُ بالعين الذى أبصرته      كي لا أرى غيرى قتيلَ هواهُ  
التخريج: الغيث ٢/ ١٥٨.

(١) يقصد أبياته:

وتليذتُ نحو الخصى بى نظرة      عذريةً ننت العنان إلى الحمى  
فلويتُ أعناق المطى مُعرجاً      ونزلتُ أعستقُ الأراك مُسَلِّماً  
فى منزلٍ ما أوطأتهُ حافراً      عُرْبُ الجياد، ولا المطايا مُشَمَّماً



قال الصفدي :-

[من الطويل]

وأهيفُ كالغُصْنِ الرطيبِ إذا انشَى      قيلُ حماماتُ الأراكِ إليه  
له عارضٌ لما رأى الطرفَ ناعياً      أتى خدّه سراً ودبَّ عليه

التخريج: الغيث ٨/٢.

- ١٨٤ -

قال الصفدي: «وكتبت أنا إلى بعض الأصحاب :-

[من المتقارب]

كُتِبَتْ لِمِوَلَّى نَأَتْ دَارُهُ      وسيناتُ حاليَ وَقَفْتُ لَدَيْهِ  
فَعَنِيَ إِلَيْهِ سُمُوِي بِهِ      سُزَالِي عَنْهُ سَلَامِي عَلَيْهِ

التخريج: الغيث ١/١٥٩.

قافية الياء

- ١٨٥ -

قال الصفدي: «ملغزاً :-

[من الطويل]

شهادته ما ردها غيرُ كافرٍ      ويفضي بها بالحقِّ مَنْ كان قاضياً  
يقولُ مُعاني الطَّبِّ: يا عَجَباً لَهُ      يصحُّ وقد ضمَّتْ حشاه المراقباً

التخريج: الغيث ٢/٢١٩.

- ١٨٦ -

قال الصفدي: «وقلت - أيضاً :-

[من مجزوء الكامل]

يا قلبُ إن زاد الظمُّ      فاقصدْ مرأشِفَه الشَّهيَّةُ  
إنى لأعرفُ منهلاً      يشفي الجوى خلفَ الثَّنيَّةُ

التخريج: الغيث ١/٤٥١.

قال الصفدي: «وقلت أخاطب أمرد يسرق نظمي:-

[من الربيع]

إِنْ كَانَ لَا بُدَّ لِمَوْلَايَ أَنْ      يَأْخُذَ شِعْرِي جَمْلَةً كَافِيَةً  
قَافِيَةَ الْبَيْتِ اطْرَحْ لَفْظَهَا      وَفِي خُذِ الْكُلَّ بِلَا قَافِيَةٍ،  
التخريج: الغيث ٦٣/١.

\*\*\*\*\*

## الخاتمة

حاولت في الفصول السابقة دراسة كتاب من أهم كتب شروح الشعر في تراثنا العربي، وهو كتاب «الغيث المسجم في شرح لامية العجم» لصلاح الدين خليل ابن أبيك الصفدي المتوفى ٧٦٤هـ.

وقد جاءت هذه الدراسة في خمسة فصول، تحدثت عن مباحثها، والمنهج الذي سرت عليه فيها في المقدمة، ثم أردفتها بملحق جمعت فيه نصوص شعر الصفدي التي بثها في تضاعيف الغيث، ورتبتها على حروف المعجم، وحققتها تحقيقاً علمياً، وكان هدفي من هذا الملحق أن أحقق غايتين: الأولى لَمْ شتات هذه النصوص المفرقة في الغيث بجزأيه، والثانية: ضبطها وتيسيرها لتكون في متناول الباحثين والدارسين.

وأريد في هذه الخاتمة أن أركز على أهم ما خرجت به هذه الدراسة من النتائج التي أجملها فيما يلي:

أولاً: أفضت بنا هذه الدراسة إلى الإيمان بأهمية الغيث المسجم برصف كتاباً يعبر - أصدق تعبير - عن الحياة الفكرية في العصر المملوكي الأول بكل ملامحها وأطرها، حيث صور الصفدي فيه هذه الحياة وأهم ما يميزها ويسمها من الميزات والسمات العامة والخاصة، وقد جاء ما قدمه لنا في هذا الكتاب موافقاً لما حدثتنا عنه مصادر العصر الأدبية والفكرية الأخرى.

ثانياً: وأفضت بنا هذه الدراسة إلى الإيمان بأهمية الغيث عند تحقيق دواوين شعراء العصر المملوكي الأول وعند تحقيق آثار هذا العصر الفنية الأخرى؛ لما حواه الغيث من النصوص الكثيرة لشعراء العصر وكتابه، وقد بينت في الفصل الثالث من فصول هذا الكتاب أن هذه النصوص لا يمكن أن يرقى إليها الشك؛ فهي بمعزل عنه لأصالة مصادرها، حيث أخذها الصفدي عن أصحابها: إما مشافهة، وإما إجازة؛ حيث كانت علاقاته الاجتماعية قوية وواسعة ووطيدة، مما أدى إلى قبول العلماء والأدباء لشخصه، وإقبالهم عليه، وحرصهم على مصادقته، مما مكن الصفدي من قراءة آثارهم، وسماع أشعارهم، وتدوينها.



ثالثاً: يحمل الفيث المسجم كل خصائص الكتابة العربية فى العصر المملوكى الأول؛ ومن حيث:

١- الاهتمام بالبديع؛ فقد لاحظت أن الصفدى يكثر منه فى ثنايا حديثه، وقد كان على الاختص يكثر من السجع والجناس.

٢- غلبة النزعة الموسوعية؛ تلك النزعة التى كانت سائدة فى ذلك العصر، والتى أدت إلى حفظ آثارنا وتراثنا العربى والإسلامى فى ذلك العهد العصبى.

رابعاً: كان الصفدى على وعى تام بما سيكتبه داخل شرحه لكل بيت من أبيات اللامية من المباحث النحوية والأدبية، وهذا يدل على ترتيبه لها، ومن ثم فهو يمتلك منهجاً واضحاً فى تأليفه. وقد كانت شخصيته ظاهرة وواضحة أثناء تحريره هذه المباحث جميعها؛ حيث كان يناقش النص الذى يورده، ويوافق الآخرين أو يخالفهم عن اقتناع كامل، كما كان يصحح كثيراً من الأخطاء العلمية التى يتداولها الناس على أنها من بدهيات العلم ومسلماته الأولى، وقد ظهر الصفدى من خلال هذا الكتاب الذى يضم حصيلة تجاربه فى هذه الحياة عالماً باللغة، والنحو، والتاريخ، والأدب، وكل علوم عصره، وهو لذلك حقيق بالإكبار والإجلال، وجدير بأن يقف فى مصاف العلماء الأفاضل فى عصره وفى كل العصور.

خامساً: يرى الصفدى أن القصيدة الشعرية يجب أن تكون كالبناء المتناسك المرصوص الذى يشد بعضه بعضاً، ويدعو الشعراء إلى إحكام صنعة الشعر عن طريق تخير الألفاظ والعبارات المناسبة للمعانى والأفكار، ثم عن طريق تخير القوافى التى يجب أن تتجانس مع ألفاظ الأبيات عذوبة وفصاحة وقوة، ولعله فى هذا متأثر بابن طباطبا العلوى فى عيار الشعر.

سادساً: يعتمد الصفدى فى نقده للعمل الفنى على الأسس الآتية:

أ- الذوق الخاص: فهو كثيراً ما يجعل ذوقه الخاص حكماً على العمل الفنى من ناحية الجودة والرداءة، أو الحسن والقبح، ويردد عبارات تدل على ذلك من مثل قوله: «وهذا ما يشهد الذوق بصحته» وقوله: «وليس ينكر هذا إلا من ليس له ذوق فى الأدب».

ب- البديع: وهو يرى أن البيت الشعري يكتسب جماله وقيمته الفنية، إذا كان يحتوي على أكبر قدر ممكن من المحسنات البديعية، سواء أكانت محسنات معنوية أم محسنات لفظية، وهو هنا يوافق عصره الذي سيطر عليه التصنع، مما أدى إلى شيوع البديع، وتعدد ألوانه وأشكاله.

ج- طرائق العرب في التعبير والأداء: فهو يتخذ ما أثر عن الشعراء في العصور السابقة من أساليب في التعبير، وطرائق في الأداء دعامة من الدعائم التي يحكم بها على البيت أو العمل الشعري، فمتى كان قول الشاعر متسقاً مع ما أثر عن السابقين في التعبير والأداء كان حسناً. . ومتى خالف ما ورثناه من طرائق ومضامين كان قبيحاً.

سابعاً: ويؤمن الصفدي بالغاية الوعظية والتعليمية للأدب، بمعنى أنه يمدح البيت إذا كان يحتوي على معنى خلقى جميل، أو مثل سائر، كما يعجب بالبيت إذا كان يؤدي هدفاً تعليمياً كأن يحتوي على نكتة نحوية على سبيل المثال، أو أى معنى علمي آخر، كما يعجب بالبيت إذا كان يتضمن لغزاً حسناً، وهذا يدخل أيضاً تحت الغاية التعليمية للأدب؛ لأن الالغاز تساعد على تفتح الأذهان وإعمال القرائح، وتنشيط الأفهام.

ثامناً: يقف الصفدي من المتنبي موقفاً وسطاً؛ فلا هو بالمفرط في حبه، ولا هو بالمتغالي في كرهه، حيث كان يتصف له مرة، ويؤاخذه على أخطائه أخرى، وهو في آرائه ومواقفه من المتنبي يكاد يكون صورة مكرورة عن سبقه من النقاد، ويكاد يكون صورة مكرورة من القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب الوساطة، لا سيما في عدله وإنصافه.

تاسعاً: ويرى الصفدي أن ابن سناء الملك شاعر فذ، له سماته وخصائصه الشعرية التي ينفرد بها دون غيره من الشعراء، وقد دافع عنه، وأبطل الكثير من انتقادات ابن جبارة التي وجهها إلى شعره، ولقد لاحظت أن الصفدي كان يتحامل أثناء دفاعه عن ابن سناء الملك على شرف الدين بن جبارة، وكان كثيراً ما يخرج عن دائرة النقد الموضوعي الهادف إلى النيل من هذا الرجل والسخرية منه والهزم به، كما لاحظت أن الصفدي في بعض الأحيان لا يفند اتهامات ابن جبارة كلها؛ إما تجاهلاً، وإما اقراراً منه بها.



عاشراً: وللصفدي رأى في مشكلة السرقات يتلخص في النقاط الآتية:

١- يرى أن السرقة لا تكون في الشائع المشترك بين الناس.

٢- يرى أن السرقة قد تكون في اللفظ دون المعنى، وقد تكون في المعنى دون اللفظ، وقد تكون فيهما معاً، وهذا أكمل أنواع السرقة عنده.

٣- ولا يرى الصفدي سرقة فيما قد يكون من آثار المحصول الفكري والأدبي الذي يختزنه الأديب في ذاكرته، كوقوع الحافر على الحافر، واستخدام التضمين أو الإبداع بكثرة في شعره.

٤- يمتدح الصفدي الشاعر الذي يأخذ الصورة القديمة أو المعنى القديم، ثم يحوره ويعدله، ويعيد صياغته بعد أن يخلع عليه خصائص نفسه، وشاعرية طبيعته، ويهيئ له قيمة فنية أعلى وأكبر.

٥- يعيب الصفدي الشاعر إذا هو أخذ المعنى أو الفكرة من غيره، ثم عرضها في ثوب أقل جمالاً وروعة من ذلك الذي كانت الفكرة أو كان المعنى عليه من ذي قبل، ولعله هنا قد تأثر بابن طباطبغا العلوي في عيار الشعر - أيضاً.

هذه هي النقاط الخمس التي يتلخص فيها رأى الصفدي في السرقات الشعرية، وقد لاحظت أن الصفدي في هذا الرأى بكل جزئياته لا يتميز عن النقاد الذين سبقوه، وأدلوأ بدلوهم في المشكلة، حيث كان في آرائه تلك صورة مكررة لهم ولم تكن له نظرية أو لم يكن له تصور يغاير تصورهم للمشكلة، وهذا في تصوري لا يعيب الصفدي في شيء ولا ينقص من قدره بوصفه ناقداً ذوقياً من نقادنا الذين وجهوا دفة الحياة الأدبية في حقبة من الزمان؛ حيث كاد النقد قبله يتفقون مع سابقهم في كثير من الآراء التي أدلوأ بها في قضية السرقات، وفي غيرها من قضايا نقدنا العربي.

الحادي عشر: ويرى الصفدي أن الطغراني - ككل الشعراء - قد تأثر بمن سبقه من الشعراء في ألفاظهم ومعانيهم لا سيما شعراء العصر العباسي بعهديه الأول والثاني من مثل أبي تمام، ومسلم بن الوليد، وأبي نواس، والشريف الرضي، والمتنبي، وأنه قد أثر فيمن أتى بعده من الشعراء؛ حيث كانت له خصائصه وسماته التي أثرت فيمن بعده من مثل ابن قلاقس، والأرجاني، وابن الساعاتي.



ثاني عشر: أثبتنا في الفصل الخامس من هذا الكتاب عربية نشأة علم العروض، ولم يكن هذا الموضوع من هدف هذه الدراسة، لولا أن الصفدي قد أثار حوله غباراً كثيفاً في الغيث؛ حين نقل عن شيخه ابن ساعد الأنصاري أن اليونانيين لهم شعر، وعندهم ما يسمى بالأيدي والأرجل، ولا يبعد أن يكون قد وصل من عروضهم شيء إلى الخليل بن أحمد أعانه على إبراز العروض إلى الوجود، وقد أخبرنا أستاذنا الدكتور الطاهر أحمد مكى في حديث شخصي معه أن كلام الصفدي في هذه القضية مهم لأننا لا نعلم أحداً قبله أو بعده ادعى هذه الدعوى، ومن هنا جاءت أهمية تعقب كلام الصفدي، والتعليق عليه بقبوله أو رده.

ثالث عشر: وقد لاحظت أن الصفدي لم يعط الفنون البلاغية التي تحدث عنها في الشرح حقها من الشرح والتحليل، وقد كان في عرضه لها يكتفى بالتعريف النظري مرة، وبالتطبيق على الشواهد مرة أخرى، وقد لاحظت أن الصفدي قد أغفل الحديث عن فنون علم المعاني، ولم يعط فنون علم البيان ما تستحقه من اهتمام، وانصب اهتمامه على فنون علم البديع، ومع هذا فقد جاء حديثه عنها موجزاً غاية الإيجاز، والصفدي وإن كان قد تحدث عن ستة عشر فناً بديعياً فقد كان هذا الحديث متمماً لشرح البيت أو الأبيات التي يوردها من اللامية أو غيرها فحسب.

رابع عشر: لاحظت أن شعر الصفدي يتم بما يتم به شعر العصر المملوكي الأول من خصائص موضوعية وفنية؛ فمن ناحية الموضوعات شاعت عنده المقطوعات التي يتحدث فيها عن الغزل بالمذكر على عادة أهل العصر، كما احتل النظم في الألغاز المرتبة الثانية عنده بعد الغزل بالمذكر، ومن ناحية الخصائص الفنية نلاحظ بوضوح اعتماده على الأوزان غير الشائعة في ديوان الشعر العربي؛ حيث جاءت أغلب مقطوعاته على بحور السريع، والمنرح، والمقتضب، والمجث، والخفيف، كما نلاحظ إسرافه في استخدام البديع بوصفه وسيلة من وسائل التشكيل الفني في العمل الشعري، وهو في هذا - أيضاً - يجرى على ما جرى عليه مبدعو عصره من طرائق في التعبير والأداء. هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

والحمد لله بدءاً ومختتماً وعليه - سبحانه - قصدُ السبيل

## المصادر والمراجع

### أولا المصادر:-

- ١- أعوان العصر، وأعيان النصر / لصالح الدين الصفدى / تحقيق الدكتور على أبو زيد وزملائه / دار الفكر دمشق ٩٨.
- ٢- إغاثة الأمة بكشف الغمة / لتقى الدين المقرئى / بتحقيق الدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور كتاب الهلال إبريل ١٩٩٠م.
- ٣- الأغاني / لأبى الفرج الأصفهاني / بتحقيق لجنة نشر كتاب الأغاني / بالهيئة المصرية للكتاب القاهرة ١٩٧٣م وما بعدها.
- ٤- الإيضاح فى علوم البلاغة / مختصر تلخيص المفتاح للخطيب القزوينى / دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٨٣م.
- ٥- البداية والنهاية / لعلاء الدين أبى الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى / الجزء الرابع عشر / مكتبة المعارف ببيروت ١٩٧٧م.
- ٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع / للشوكاني / دار المعرفة ببيروت الطبعة الاولى ١٣٤٨هـ.
- ٧- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب / لتقى الدين المقرئى / نشر إبراهيم رمزى وطبع المطبعة المحمودية التجارية بالأزهر ١٣٥٦هـ.
- ٨- البيان والتبيين / لأبى عمرو الجاحظ / تحقيق الأستاذ عبدالسلام محمد هارون / ونشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٨٢م.
- ٩- التذكرة الصفدية / لصالح الدين الصفدى / الجزء الرابع عشر مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٤٢٠.

- ١٠- تذكرة النبيه بأيام المتصور وبنه/ لابن حبيب الحلبي - تحقيق د. محمد محمد أمين - الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة ١٩٧٦م.
- ١١- تشنيف السمع بانسكاب الدمع / لصلاح الدين الصفدى / مطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر دون تاريخ.
- ١٢- تصحيح التصحيح وتحرير التحريف / لصلاح الدين الصفدى / تحقيق السيد الشرقاوى وتقديم الدكتور رمضان عبدالنواب طبع مكتبة الخانجي بمصر ١٩٨٥م.
- ١٣- تمام المتون فى شرح رسالة ابن زيدون / لصلاح الدين الصفدى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية صيدا - بيروت دون تاريخ.
- ١٤- نوشيخ التوشيخ / لصلاح الدين الصفدى / تحقيق ألبير حبيب مطلق / مطبعة دار الثقافة ببيروت ١٩٦٦م.
- ١٥- جنان الجناس / لصلاح الدين الصفدى / تحقيق سمير حسين حلى / دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
- ١٦- جوهر الكنز: تلخيص كنز ذوى البراعة فى أدوات ذوى البراعة / لنجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي / تحقيق الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام / نشر منشأة المعارف بالاسكندرية الطبعة الثانية ١٩٨٥م.
- ١٧- حسن التوسل إلى صناعة الترسل / لشهاب الدين أبى الشناء محمود الحلبي طبعة هندية عام ١٣١٥هـ بمصر.
- ١٨- الدارس فى تاريخ المدارس / للنعمى/ عنى بنشره و تحقيق جعفر الحسى/ مكتبة الثقافة الدينية القاهرة جزءان ١٩٨٨م.
- ١٩- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة / لابن حجر العسقلانى / الجزء الثانى دار الجليل ببيروت دون تاريخ.



- ٢٠- ديوان البحترى / تحقيق حسن كامل الصيرفى - دار المعارف - ذخائر العرب  
- القاهرة ١٩٨٦ م.
- ٢١- ديوان ابن سناء الملك / تحقيق إبراهيم نصر ومراجعة الدكتور حسين نصار/  
دار الكاتب العربى للطباعة والنشر/ القاهرة ١٩٦٩ م.
- ٢٢- ديوان أبى الطيب المتنبى طبعة أمين هندية - الطبعة الثانية القاهرة ١٩٢٣ م.
- ٢٣- ديوان المشد - تحقيق د. محمد زغلول سلام - سلسلة النشرات الإسلامية  
العدد رقم ١ منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٩٩ م.
- ٢٤- ديوان ابن المعتز / تحقيق الدكتور محمد بديع شريف / سلسلة ذخائر  
العرب، العدد ٥٤ جزءان.
- ٢٥- رسالة الغفران / لأبى العلاء المعرى / تحقيق الدكتورة عائشة عبدالرحمن/  
سلسلة ذخائر العرب الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ١٩٧٧ م.
- ٢٦- رشف الرحيق فى وصف الحريق / لصالح الدين الصفدى / تحقيق د. سمير  
الدروبي. منشورات مجلة البلقاء جامعة عمان الأردن ١٩٩٤ م.
- ٢٧- شذرات الذهب / لابن العماد الحنبلى / الجزء السادس دار الفكر للطباعة  
والنشر والتوزيع دون تاريخ.
- ٢٨- شرح المعلقات السبع للقاضى الزوزنى / المكتبة التجارية الكبرى، مصر، دون  
تاريخ.
- ٢٩- الصحاحى فى فقه اللغة / لأبى الحسين أحمد بن فارس / بتحقيق السيد أحمد  
صقر وطبع عيسى البابى الحلبي بالقاهرة ١٩٧٧ م.
- ٣٠- الصبح المنبى عن حيشية المتنبى / للشيخ يوسف البديعى / تحقيق الأستاذين  
مصطفى السقا وزيادة سلسلة ذخائر العرب العدد ٣٦ الطبعة الثانية دار المعارف  
بمصر ١٩٧٧ م.

٣١- طبقات الشافعية الكبرى / لتاج الدين السبكي / الجزء العاشر بتحقيق عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي الطبعة الأولى طبع عيسى البابي الحلبي ١٩٧١م، والجزء السادس طبعة المطبعة الحسنية.

٣٢- العملة في صناعة الشعر ونقده / لابن رشيق القيرواني تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان دون تاريخ.

٣٣- عيار الشعر / لمحمد بن أحمد بن طباطبا العلوي / تحقيق الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام وطبع منشأة المعارف بالاسكندرية الطبعة الثالثة ١٩٨٤م.

٣٤- الغيث المسجم في شرح لامية العجم / لصلاح الدين الصفدي / جزآن دار الكتب العلمية، بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

٣٥- فض الختام عن النورية والاستخدام / لصلاح الدين الصفدي / بتحقيق الدكتور محمد عبدالعزيز الخناوي دار الطباعة المحمدية الطبعة الأولى ١٩٧٩م القاهرة.

٣٦- فوات الوفيات / لابن شاکر الکتبی / تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد/ مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة دون تاريخ، وتحقيق الدكتور إحسان عباس مطبعة الثقافة ببيروت دون تاريخ.

٣٧- قصر الغيث المسجم في شرح لامية العجم/ لعبد الرحمن الشافعي العلواني الطيب - طبع على هامش نفحات الأزهار على نسيمات الأسحار لعبد الغنى النابلسي عالم الكتب - مكتبة المنشي القاهرة د.ت.

٣٨- كتاب العروض / للأخفش الأوسط / تحقيق الدكتور سيد البحراوى ومراجعة الدكتور محمود على مكى مارس ١٩٨٦م / الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

٣٩- كشف الحال في وصف الخيال / لصلاح الدين الصفدي / تحقيق سهام صلان/ دار سعد الدين دمشق الطبعة الأولى ٩٩.

- ٤٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / لحاجي خليفة / نشر وتصحيح محمد شرف الدين دار العلم الحديث بيروت دون تاريخ.
- ٤١- لوعة الشاكي ودسعة الباكي / لصالح الدين الصفدي الطبعة الثانية / مطبعة الجوائب بالأستانة ١٢٩٢هـ.
- ٤٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / لضياء الدين بن الأثير / تحقيق الدكتورين الحوفي وطبانة دار نهضة مصر للطبع والنشر دون تاريخ.
- ٤٣- مطالع البدور في منازل السرور / لعلاء الدين الغزولي / مطبعة إدارة الوطن، الطبعة الأولى ١٢٩٩هـ.
- ٤٤- معبد النعم ومبید النقم / لتاج الدين السبكي / تحقيق النجار وشلي وأبي العيون / طبعة دار الكاتب العربي ١٩٤٨م.
- ٤٥- مفتاح العلوم / للسكاكي / الطبعة الثانية ١٩٩٠م نشر مصطفى البابي الحلبي القاهرة.
- ٤٦- مقامات بديع الزمان الهمذاني / بتحقيق وشرح محمد محيي الدين عبد الحميد / المكتبة التجارية الكبرى القاهرة دون تاريخ.
- ٤٧- مقدمة تحقيق جنان الجناس / للأستاذ هلال ناجي / نشر مجلة الذخائر السنة الأولى العدد الثالث لبنان ٢٠٠٠هـ.
- ٤٨- المنصف للسارق والمسروق منه من شعر المتنبي / لابن وكيع التنيسي / بتحقيق الدكتور محمد يوسف نجم وطبع السلسلة الترانة بالكويت، وبتحقيق الدكتور محمد رضوان الداية وطبع دار قتيبة بيروت دون تاريخ.
- ٤٩- المنهل الصافي والمتوفى بعد الوافي الجزء الخامس / لأبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي / تحقيق الدكتور نبيل محمد عبدالعزيز / وطبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.



٥٠- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار / لتقى الدين المقرئى الجزء الثانى /  
طبعة دار صادر بيروت بدون تاريخ ، ونسخة أخرى . طبع الهيئة العامة لقصور  
الثقافة بالقاهرة بسلسلة الذخائر أربعة أجزاء .

٥١- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة / طبع دار الكتب المصرية لابن تغرى  
بردى ١٩٤٢م .

٥٢- نشر العلم فى شرح لامية العجم / لجمال الدين محمد بن عمر بن مبارك  
الحضرمى / المطبعة الكاستلية بمصر ١٢٨٣هـ .

٥٣- نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن / لأحمد بن محمد الأنصارى اليمنى  
الشردانى طبعة كبير الدين أحمد بالهند ١٢٧٨هـ .

٥٤- نكت الهميان فى نكت العميان / لصالح الدين الصفدى / تحقيق أحمد  
زكى / وطبع أسعد طرازونى الحسنى ١٩٨٤م .

٥٥- الوافى بالوفيات / لصالح الدين الصفدى / باعثناء مختلفين / طبع جمعية  
المستشرقين الألمان . سلسلة النشرات الإسلامية .

٥٦- الوساطة بين المتنبى وخصومه / للقاضى على بن عبدالعزيز الجرجانى / تحقيق  
هاشم الشاذلى وطبع دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي بالقاهرة  
١٩٧٩م .

٥٧- تيمية الدهر فى محاسن أهل العصر لأبى منصور الثعالبي / تحقيق إيليا الحاوى  
توزيع الشركة الشرقية للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى د . ت

ثانيا: المراجع:

٥٨- أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى - سلسلة أعلام العرب مكتبة  
مصر .

٥٩- الأدب فى العصر الأيوبي الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام منشأة المعارف  
بالإسكندرية دون تاريخ ، ونسخة أخرى دار المعارف ١٩٨٣م .

٦٠- الأدب فى العصر الفاطمى الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام منشأة المعارف بالإسكندرية، دون تاريخ.

٦١- الأدب فى العصر المملوكى الجزآن الأول والثانى الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام دار المعارف ١٩٧١م القاهرة، ونسخة أخرى أربعة أجزاء نشر منشأة المعارف بالإسكندرية.

٦٢- الأدب المصرى من قيام الدولة الأيوبية وحتى مجيء الحملة الفرنسية الدكتور عبد اللطيف حمزة، سلسلة الألف كتاب، القاهرة .

٦٣- الأدب وفنونه الدكتور محمد مندور دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة دون تاريخ.

٦٤- أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب الأستاذ عباس محمود العقاد دار المعارف ١٩٧٧م.

٦٥- أطوار الثقافة والفكر فى صدر الإسلام وبنى أمية للأستاذين على الجندى، ومحمد صالح سمك دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ١٩٦٠م.

٦٦- الأعراب الرواة الدكتور عبد الحميد الشلقانى دار المعارف القاهرة ١٩٧١م.

٦٧- الأعلام لخير الدين الزركلى الجزء الرابع طبع بيروت دار العلم للملايين الطبعة الخامسة ١٩٨٠م.

٦٨- أهدي سبيل إلى علمى الخليل العروض والقافية الأستاذ إبراهيم مصطفى الطبعة العشرون الناشر محمد على صبيح القاهرة ١٩٨١م.

٦٩- تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار وآخرين الطبعة الخامسة دار المعارف القاهرة.

٧٠- تاريخ النقد الأدبى والبلاغة حتى القرن الرابع الهجرى الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٢.

- ٧١- تاريخ النقد العربى من القرن الخامس إلى القرن العاشر الهجرى الأستاذ الدكتور محمد زغلول سلام الناشر دار المعارف بالقاهرة دون تاريخ.
- ٧٢- التجديد الموسيقى فى الشعر العربى الدكتور محمد رجاء عيد منشأة المعارف بالاسكندرية.
- ٧٣- التراث النقدى نصوص ودراسة للدكتور محمد رجاء عيد منشأة المعارف بالاسكندرية.
- ٧٤- الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية فى مصر والشام الدكتور أحمد أحمد بدوى الناشر دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة دون تاريخ.
- ٧٥- الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية فى مصر والشام الدكتور أحمد أحمد بدوى دار نهضة مصر القاهرة دون تاريخ.
- ٧٦- الخصومة بين القدماء والمحدثين فى النقد العربى القديم تاريخها وقضاياها الدكتور عثمان موافى دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية الطبعة الثانية ١٩٨٤م.
- ٧٧- خطط الشام لمحمد كرد على الجزء الرابع مطبعة الرقى بدمشق ١٩٣٦م.
- ٧٨- السرقات الأدبية للدكتور بدوى أحمد طبانة الطبعة الثانية مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٩م.
- ٧٩- شذا العرف فى فن الصرف لأحمد الحملاوى الناشر المكتبة التوفيقية بالقاهرة دون تاريخ.
- ٨٠- شروح لامية المعجم دراسة تحليلية نقدية لإبراهيم محمد منصور رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة بمكتبة كلية الآداب جامعة طنطا، ونسخة أخرى نشر المركز المصرى العربى للصحافة والنشر والتوزيع الطبعة الأولى. القاهرة ١٩٩٨م.



- ٨١- الشريشى وشرحه على مقامات الحريري ليحيى محمد نبوى مخاطر رسالة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة بمكتبة كلية الآداب جامعة الزقازيق/ فرع بنها.
- ٨٢- الشعر العربى من الجاهلية وحتى نهاية القرن الأول الهجرى النشأة والتطور للأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة دار المعارف القاهرة ١٩٨١م.
- ٨٣- صفى الدين الحلى لمحمود رزق سليم، سلسلة نوايغ الفكر العربى، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٠م.
- ٨٤- الظاهر بيبرس للدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور سلسلة أعلام العرب المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة القاهرة دون تاريخ.
- ٨٥- العروض التعليمى للدكتور عبدالعزيز نبوى، وسالم عباس. دار الفكر العربى مصر الطبعة الثانية ٩٨.
- ٨٦- العروض العربى فى ضوء كتاب الألفاظ الأوسط للدكتور سيد البحرأوى، بحث بمجلة فصول عدد تراثنا النقدى، الجزء الثانى العدد الثانى يناير - فبراير - مارس ١٩٨٦م الهيئة العامة للكتاب القاهرة.
- ٨٧- عصر الدول والإمارات مصر والشام للدكتور شوقى ضيف دار المعارف بالقاهرة الطبعة الأولى.
- ٨٨- عصر سلاطين الممالك وتناجه العلمى والأدبى المجلد السادس لمحمود رزق سليم نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومى، الإدارة العامة للثقافة القاهرة مكتبة الآداب ١٩٦٢م.
- ٨٩- فى نظرية الأدب: من قضايا الشعر والنثر فى النقد العربى القديم والحديث للأستاذ الدكتور عثمان موافى، دار المعرفة الجامعية بالاسكندرية ١٩٨٤م.
- ٩- فى النقد الأدبى للدكتور شوقى ضيف الطبعة السادسة، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨١م.

- ٩١- القاضي الفاضل دراسة ونماذج للدكتور أحمد أحمد بدوي دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ، دون تاريخ.
- ٩٢- القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى عرض وتحليل للدكتور عبداللطيف حمزة، سلسلة أعلام العرب وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، دون تاريخ.
- ٩٣- اللغة الشاعرة للأستاذ عباس محمود العقاد، مكتبة غريب بالقاهرة، دون تاريخ.
- ٩٤- المجتمع المصرى فى أدب العصر المملوكى الأول للأستاذ الدكتور فوزى محمد أمين دار المعارف ١٩٨٢م.
- ٩٥- المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك للدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور طبعة دار النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٦٢م.
- ٩٦- مشكلة السرقات فى النقد العربى دراسة تحليلية مقارنة، للأستاذ الدكتور محمد مصطفى هدارة، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامى ببيروت ١٩٧٥م.
- ٩٧- المعنى الشعرى فى التراث النقدى للدكتور حسن طبل، الناشر مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٨٥م.
- ٩٨- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين. الدكتور رمضان عبدالنواب الطبعة الأولى ٨٦. مكتبة الخانى القاهرة.
- ٩٩- مناهج العرب فى التأليف كتاب الشر للدكتور - مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين بيروت، دون تاريخ.
- ١٠٠- الموشحات فى العصر المملوكى الأول جمع وتحقيق ودراسة لأحمد محمد عطا رسالة ماجستير مكتوبة على الآية الكاتبة بمكتبة كلية الآداب جامعة بنها ١٩٩٠م، وديوان الموشحات المملوكية جمع وتحقيقه نشر الآداب. القاهرة ١٩٩٩م.

١٠١ - نشاط الصقدي في النقد والبلاغة لمنال فليج رسالة دكتوراة مكتوبة على الآلة

الكاتبة بمكتبة جامعة القاهرة تحت إشراف الدكتور محمد كامل جمعة.

١٠٢ - النويرى وكتابة نهاية الأرب مصادره الأدبية، وآراؤه النقدية والبلاغية للدكتورة

أمينة محمد جمال الدين نشر دار ثابت بالقاهرة مايو ١٩٨٤م.



## الفهرست التحليلي

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٣
المقدمة	٥
الفصل الأول: الحياة الفكرية في العصر	١٣
تمهيد	١٣
أولاً: مكانة مصر ودورها في الحياة الفكرية في العصر	١٥
ثانياً: مظاهر انتعاش الحياة الفكرية بمصر في العصر المملوكي	١٨
أ- انتشار المدارس في شتى أنحاء البلاد	١٩
ب- انتشار حلقات الدرس بالمساجد الكبرى	٢١
ج- كثرة المكتبات العامة والخاصة	٢٤
د- كثرة الاقبال على تلقي العلم ودرسه	٢٥
هـ- جمع عدد من الشعراء لآثارهم الشعرية، ونتاجهم الفني	٢٩
و- مساهمة الحركة النقدية للحركة الإبداعية في الأدب والفن	٣٣
ثالثاً: الحركة الفكرية في الشام: عوامل إزدهارها ومظاهر انتعاشها	٣٨
رابعاً: صورة الحياة الفكرية في العصر كما رسمها الصفدي في الغيث	٤١
١- نشاط المماليك في ميادين العلوم التجريبية	٤٢
٢- ظاهرة التغزل بالغلمان ومعالجة الأمور الجنسية بوصفها ظاهرة في الفن	
المملوكي	٤٥
٣- ظاهرة الاهتمام بالبديع بوصفه وسيلة تشكيل فنية	٤٦
٤- النشاط الجدلي في العصر	٤٨
٥- نظم الألفاظ بوصفها ظاهرة فنية في العصر	٤٩
٦- ازدهار الشعر ودلالته على خصوبة الحياة الفكرية في العصر	٥١
٧- نزعة العصر إلى الصرفية	٥١
٨- جهود الوافدين من الأندلس والمغرب في إثراء الحياة الفكرية بمصر والشام	
كما رسمها الصفدي في صورة نشاط أثير الدين الغرناطي الفكري والأدبي	٥٣

٥٨	٩- بينات العلم فى العصر المملوكى كما تحدث عنها الصفدى فى الغيث
٦١	خامساً: منهج علماء العصر فى الكتابة والتأليف العلمى
٦٥	<b>الفصل الثانى: ثقافة الصفدى</b>
٦٥	- ترجمة الصفدى بين النجوم الزاهرة والمنهل الصافى
٦٦	- نشأته ومواهبه
٦٦	- علومه ومعارفه
٦٧	١- التاريخ
٧١	٢- اللغة
٧٤	٣- النحو
٧٦	٤- العروض والقافية
٧٧	٥- الأدب
٩٠	٦- الحديث الشريف
٩٢	٧- الفقه
٩٥	٨- علم الكلام
٩٩	٩- علوم الأوائل
١٠٤	- أخلاقه وصفاته ومنزلته بين أهل عصره
١٠٥	<b>الفصل الثالث: مصادر الشرح</b>
١٠٧	أولاً: المصادر الشفوية
١٠٧	١- النقل الشفهى وحصر الألفاظ الدالة عليه
١١٠	٢- ثبت بأسماء العلماء الذين نقل عنهم الصفدى شفهيًا فى الشرح علومهم ومعارفهم وما حكوه له من أخبار
١١١	٣- ثبت بأسماء العلماء والأدباء الذين أنشدوا الصفدى أشعارهم التى سجلها فى الغيث
١١٣	٤- ثبت بأسماء العلماء والأدباء الذين أورد شعرهم فى الغيث سماعًا عن شيوخه مع نماذج لهم
١٢٥	ثانيًا: المصادر المكتوبة
١٢٥	١- مؤلفات الصفدى التى رجع إليها عند تحريره للغيث



٢- الكتب التي ذكر أسماءها ولم يذكر أسماء مؤلفيها والكتب التي ذكر أسماء

١٣٥ ..... مؤلفيها ولم يذكر أسماءها

١٤٢ ..... ٣- الكتب والرسائل المخطوطة بأيدي أصحابها

١٤٣ ..... ٤- قائمة بأسماء العلماء والأدباء الذين نقل الصفدي عن أصول كتبهم الخطية

١٤٣ ..... في الشرح

١٤٥ ..... ٥- الكتب المشهورة

١٤٥ ..... أ- مصادر الشرح الأدبية

١٤٨ ..... ب- مصادر الشرح النقدية والبلاغية

١٤٨ ..... ج- مصادر الغيث اللغوية والنحوية

١٥٠ ..... د- مصادر الشرح التاريخية

١٥١ ..... هـ- مصادر الشرح الدينية

١٥٢ ..... و- مصادر الشرح العلمية

١٥٢ ..... - دواوين الشعراء

١٥٣ ..... - رسائل الكتاب

١٥٤ ..... - الرسائل الديوانية في الغيث

١٥٥ ..... - الرسائل الإخوانية في الغيث

١٥٨ ..... - المؤلفات التي رجع الصفدي إليها دون أن يشير إلى ذلك

١٥٨ ..... - قائمة بأسماء العلماء الذين استشهد بأرائهم دون أن يذكر مصادرها التي

١٥٨ ..... نقلها عنها

١٥٩ ..... ثالثاً: تعامل الصفدي مع النص المنقول من المصدر

١٦٧ ..... رابعاً: الملاحظات والمشاهدات الشخصية بوصفها مصدراً من مصادر الشرح

١٦٩ ..... الفصل الرابع: منهج الشرح

١٧١ ..... أولاً: أسباب تأليف الكتاب

١٧١ ..... ثانياً: ظروف تأليف الكتاب

١٧٤ ..... ثالثاً: منهج الشرح كما رسمه الصفدي في المقدمة

١٧٩ ..... رابعاً: مدى التزام الصفدي بأسس منهجه في الشرح

١٨٣ ..... خامساً: ملاحظات أبرزتها قراءتي للغيث

١٨٣ ..... ١- شعر الصفدي في الغيث



١٨٦	٢- شعر الطغرائی فی الغیث
١٨٨	٣- استطراد الصفدی فی الشرح أنواعه ومظاهره
١٩٣	٤- مقارنة بین الشرح اللغوی، والشرح النحوی لآیات اللامیة
١٩٤	٥- عدم مراعاة الصفدی للتوازن بین شرحه لآیات اللامیة
١٩٤	٦- ترتیب الصفدی لمباحث شرح کل بیت من آیات اللامیة
١٩٥	سادساً: الشرح اللغوی لآیات اللامیة
٢٠٠	سابعاً: مظاهر غلبة النزعة التعليمية على الشرح
٢٠٤	ثامناً: الفكاهات والنوادر فی الشرح
٢٠٧	تاسعاً: لامیة الطغرائی كما وردت فی الغیث مع ترقيم آیاتها
٢١٠	عاشراً: لامیة الصفدی التي عارض بها لامیة الطغرائی
٢١٣	<b>الفصل الخامس: الآراء النقدية والبلاغية فی الشرح</b>
٢١٥	<b>المبحث الأول: الصفدی وموسيقى الشعر</b>
٢١٥	- عروض الشعر العربی وموسيقا الشعر اليونانی
٢٢١	- رأى الصفدی فی قافية اللامیة
٢٢٥	- ألوان القوافی عند الصفدی
٢٢٧	- رأى الصفدی فی تغيير قوافی اللامیة
٢٢٨	- بناء القصيدة على أكثر من قافية مع نموذجین تطبیقین
٢٢٩	- رأى الصفدی فی تشطیر ابن فرحون المالكی للامیة الطغرائی
٢٣٠	- اتفاق الشاعرین فی الایات وتخالفيهما فی القافية
٢٣١	<b>المبحث الثاني: موقف الصفدی من المتنبي</b>
٢٣١	- الصفدی وشعر المتنبي
٢٣١	- نقد الألفاظ
٢٤٢	- المبالغة فی شعر المتنبي
٢٤٤	- اضطراب الصنعة فی شعر المتنبي
٢٥٠	- بین الصفدی وأبی القاسم الحریری
٢٥٢	- سرقات المتنبي
٢٥٨	- محاسن المتنبي كما يراها الصفدی

٢٦٤	المبحث الثالث: الصفدى وشعر ابن سناء الملك
٢٦٤	- الصفدى وشعر ابن سناء الملك
٢٦٤	- شعر ابن سناء الملك بين اتهامات ابن حبارة ودفاع الصفدى
٢٨٢	- عيوب الشمس بين ابن سناء الملك، وشرف الدين التيفاشى
٢٨٩	المبحث الرابع: الصفدى سرقات الطغرثى
٢٩٠	أولاً: سرقات الطغرثى
٣١٢	ثانياً: تأثير الشعراء والكتاب بمعانى ولامية الطغرثى وألفاظها
٣١٧	المبحث الخامس: الفنون البديعية فى الشرح
٣١٧	١- الجنس
٣٢٤	٢- الالتفات
٣٢٨	٣- الموازنة ولزوم ما لا يلزم
٣٢٩	٤- عتاب المرء نفسه
٣٢٩	٥- صحة التقسيم
٣٣١	٦- حسن التخلص
٣٣٢	٧- المقابلة
٣٣٣	٨- التديج
٣٣٤	٩- التورية والاستخدام
٣٣٧	١٠- القول بالموجب
٣٣٧	١١- التضمن
٣٣٨	١٢- الاقتباس
٣٣٩	١٣- التجريد
٣٤١	١٤- الإيضاح وإرسال المثل
٣٤١	١٥- حسن التعليل
٣٤١	١٦- المبالغة
٣٤٣	ملحق بمجموع شعر الصفدى فى الغيث
٣٤٥	- قافية الهمزة
٣٤٦	- قافية الباء



٣٥١

٣٥٣

٣٥٣

٣٥٤

٣٥٥

٣٥٩

٣٦٨

٣٧٠

٣٧١

٣٧١

٣٧٢

٣٧٢

٣٧٤

٣٧٤

٣٧٧

٣٨٠

٣٨٢

٣٩٠

٣٩٥

٤٠٠

٤٠١

٤٠٣

٤٠٨

٤١٩

- قافية التاء

- قافية الثاء

- قافية الجيم

- قافية الحاء

- قافية الدال

- قافية الزاء

- قافية السين

- قافية الشين

- قافية الصاد

- قافية الضاد

- قافية الطاء

- قافية العين

- قافية الغين

- قافية الفاء

- قافية القاف

- قافية الكاف

- قافية اللام

- قافية الميم

- قافية النون

- قافية الهاء

- قافية الياء

- الخاتمة

- المصادر والمراجع

- الفهرست التحليلي